

تاريخ مصر الإسلامية

مزين بالخرائط والصور والرسوم

تأليف

صالح البارى الباقى

بالجامعة المصرية

الجزء الثانى

الطبعة الاولى

حقوق الطبع والترجمة محفوظة

مطبعة مصطفى البابى الحلبي وأولاده ببصر

١٣٥٥ هـ / ١٩٣٦ م / ٧١٩



مدينة المكة كما هي الآن

النسيم الرحمن الرحيم

الخلاف بين القعيطى والكساذى

كان أمير المكلا صلاح بن محمد الكساذى الياقى يقوم فى بادى' بدء : .. بة
السلطان عوض بن عمر القعيطى الياقى فى حروبه ضد آل كثير بما يقدمه له من رجاله
على حسابه الخاص ، ولكنه كان جواداً يدفع مرتبات جنوده فى المكلا وبروم بسغاء
ويبذل من ماله لإصلاح شئون الأهلىن ما يتجاوز المقدور حتى أمسى الخارج أكثر من
الداخل ، ومما زاد الطين بلة ، والحرق اتساعاً ، تناقص حاصل الجرك فى المكلا حتى
ارتبكت أحوال الأمير ، واضطربت شئونه المالية ، ولما جهز السلطان عوض بن عمر
القعيطى للحرب ضد آل كثير فى سيون أراد أن يجهز رجاله ويضمهم فى صف جنود
القعيطى ولكنه عاجز عن القيام بتكاليف التجهيز ، لذلك اقترض من السلطان عوض
مائة ألف ريال على أن تبقى فى ذمته يدفعها إليه متى استطاع إلى ذلك سبيلاً .

زحف القعيطى والكساذى بجنودهما شطر سيون ، فالتقى بهم آل كثير والمواسر
وآل باجرى فى الغييضات ، فأنكسرىافع وعادوا إلى شبام ، ثم حدث بين السلطان
القعيطى والأمير الكساذى خلاف ، فأخذ السلطان جنوده وعاد بهم إلى الشحر ، ثم
عاد الأمير بميشه إلى المكلا ، وأراد الأمير الكساذى أن يمد نفوذه فى شمال حضرموت
ويوسع نطاق حكمه ، فأرسل جيشاً تحت قيادة النقيب مجحم إلى دوعن ، واحتل
قرى كثيرة ، ولما توفى الأمير صلاح بن محمد الكساذى ، وتولى إمارة المكلا ابنه
عمر بن صلاح نهض السلطان عوض يطالبه بمائة الألف ، ولما ظهر له عجز الأمير عن الدفع
أخذ يعد ممداته للهجوم على المكلا والاستيلاء عليها ، وعلم الأمير عمر بذلك ، فاستقدم

جنوده الذين في دوعن ليحمن بهم المكلا ويدافع عن إمارته ، ولكن دهاء السلطان
عوض بن عمر القعيطى كان عظيما ، فقد بمث ١٥٠ رجلا وعلى رأسهم الأمير عمر
عوض القعيطى إلى المكلا بصورة ضيوف ، ولما اقترب هؤلاء من المكلا أرسلوا إلى
الأمير الكسادي يطلبون إليه السماح لهم بدخول المكلا للتفاهم معه في المشا كل المختلف
عليها ، ولكنهم لم ينتظروا الرسول فقد داهموا المكلا ، فهبت الأمير الكسادي لجرأتهم
واسكنه تجلده وكرم غيظه ، وتظاهر لهم بالبشاشة والاستعداد للتفاهم معهم بالتي هي أحسن
ولكن الأمير عوض ورجاله أخذوا يطالبونه بالمبلغ ويرسلون إليه إنذاراتهم وتهديداتهم
الأمر الذي جعل الأمير الكسادي يجمع كبار رجاله ويستشيرهم في الأمر ، فبشوا إلى
آل كثير يطلبون منهم المدد لإخراج القعيطى ورجاله من المكلا ، وكادت الحرب تثور
بين القعيطى والكسادي ، ولكن بعضاً من أعيان المكلا سعوا في إصلاح ذات البين
وأقاموا صلحاً بين الفريقين على أن يحتل عمر عوض القعيطى نصف المكلا ، ويأخذ
نصف حاصل الجرك حتى إذا انتهى الدين يتخلى عن المكلا ويعود إلى الشحر ،
ولقد سعى عمر عوض مع شيء من الشدة والجلافة في بسط نفوذه في المكلا وكان يأخذ
من حاصل الجرك حسب ما يريد ، فشكاه الأمير عمر صلاح إلى السلطان عوض ،
فأرسل السلطان سعيد بن علي النقيب ليقوم مقام عمر عوض ، ولقد نشأت بين سعيد
والكسادي صداقة وولاء ، وكان الأول سليم النية صافي السريرة لتلك استطاع أن
يملك الكسادي ويتسيطر عليه . أخذ الأمير الكسادي يوطد مركزه ويقوى عضده
ينشى المرصد ويبنى الحصون بين المكلا والحرشيات ، وابتاع بضعة مراكب شراعية
كبيرة ، واستقدم بعض رجاله الذين في دوعن وحصن بهم الحرشيات ، وكان أكثر
يافع الذين في المكلا في صفه ، ولم يكن سعيد بن علي النقيب يعلم بحركة الكسادي
ونشاطه في تحصين البلد واستعداده للحرب ضد القعيطى وحزبه أولعله علم بذلك ولكنه
لم يكن يفقه شيئاً من تلك الحركات ، ولم يتوجس منها خيفة على مركزه لشدة حسن
ظنه بصديقه الكسادي ، ولكن السلطان عوض علم بحركة الأمير الكسادي ونشاطه
حول تقوية مركزه ، وتوطيد حكمه ، فخاف العاقبة لاسيما حينما بلغه استنجاهه بآل كثير

خاف أن يثور الأمير على نائبه سعيد بن علي وجماعته ويخرجهم من المكلا بل خاف أن يهجم بقومه على الشحر ويحتلها ، لذلك بعث السلطان عوض جيشاً تحت قيادة عبد الخالق الماس إلى تريم لمحاصرتها ، وليشغل بال آل كثير ، ويلقى راحتهم ، ويلقى في قلوبهم الرعب كيلا يستطيعوا إرسال النجدة لأمر المكلا ، وبلغ ذلك الكسادي فحمدت همته وتواصل نشاطه ، لأن اعتماده على آل كثير كان عظيماً ، فعادت الظمأنينة إلى المكلا ، وساد السكون الأهلين ، وهدأت خواطر الحصين .

حينما حاصر يافع تريم لم يبد آل كثير مقاومة تذكر لأنهم كانوا يخافون سقوط سيون وتريم من أيديهم ، ولما طال أمد الحصار عرضت الحكومة الكثيرة حمسة عشر ألفاً من الريالات لعبد الخالق الماس ليفك الحصار ويعود بالجيش إلى الشحر فامتنع ، ثم صادف أن جاءه أمر من السلطان عوض بفك الحصار وعودة الجيش إلى الشحر .

استفحال الفتنة من جديد

كانت بين الأمير عمر بن صلاح الكسادي وبين محسن بن عبد الله العولقي صداقة متينة ، وكان الأخير نفوذ قوي لدى حكومة حيدرآباد وولاية الأمور من الإنجليز في بومبي ، وكان يصمر للقميطي من العداة شيئاً كبيراً ، فقد حارب القميطي أباه في الفيل ، واتصر عليه ، وهدت حصنه السمي «الصداع» فهو بالطبع يكون على أتم استعداد لمناصرة كل من يقوم ضد يافع ، وبالأخص ضد رئيسهم القميطي ، وحينما بلغه ما حصل بين يافع في المكلا من التخاصم والتنازع سر السرور العظيم وأبلغ الأمير الكسادي اليافعي بأنه على استعداد لمؤازرته ومناصرته ضد السلطان القميطي اليافعي ، لذلك أرسل إليه الكسادي ليسعى لدى الإنجليز في بومبي لاستقدام السلطان عوض إلى المكلا كي يتسنى له إحاطته بقوته ، والتضييق عليه من كل جانب ، وإرعامه على التنازل عن كل مطالبه ، وفعلت حكومة بومبي باخرة إلى الشحر وأتوا بالسلطان عوض إلى المكلا ، وكان الأمير الكسادي في انتظاره ، ولكن السلطان القميطي

أدرك الحيلة ، فنزل من الباخرة خفية في سنبوك ، وقصد بيت نائبه في المكلا سعيد بن علي النقيب ثم أبحرت الباخرة ، فاندش الكسادي وكان رجاله في الميناء في انتظاره ، وظنوا أن خصمهم لم يأتهم ، ولكن سرعان ما فوجئوا بخبر وجوده في قصر نائبه ، وكان السلطان عوض قد أعدّ رجاله للقيام ضدّ أمير المكلا وحزبه ، فثارت الحرب بين الفريقين في المكلا ولكنها كانت أشبه بمناوشات ، وفي النهاية رأى السلطان عوض أن لا فائدة له في التظاهر بالعداء والحصام ضدّ الأمير الكسادي ، وخاف أن تزداد الفتنة وتدور عليه الدوائر لأن رجاله كانوا قليلين وفي الوقت نفسه خاف أن يوعز لآل كثير بالهجوم على الشحر لذلك طلب إلى الكسادي إيقاف الحرب لينسحب من المكلا ، ويعود هو ورجالها إلى الشحر ، فأجابته إلى ذلك .

وقعة التخيم المشهورة

علم آل كثير بتفاقم الفتنة بين القميطي والكسادي واتساع نطاقها ، وقد استنجد بهم الكسادي ، وألح عليهم في القدوم ، فلم يسمهم يومئذ غير انتهاز الفرصة السانحة ، فسار منهم ١٤٠٠ إلى المكلا ، فعلم بهم يافع في الشحر ، وأراد عمر عوض أن يعارضهم قبل أن يدخلوا حدود المكلا فمنعه السلطان عوض وأمره بالبقاء في الشحر للدفاع ، فلم يجه إلى طلبه فسارو بصحبته جماعة من يافع والمبيد إلى القيل ، وطلب إلى واليها سعيد أحمد عامر الحضرمي اليافعي أن يجهز جيشه لحرب آل كثير ، ومنعهم من الدخول من حدود البنادر ، فامتنع أيضاً وأراد المحافظة على القيل بمن فيه من الجيش . أما الأمير عمر عوض القميطي فقد أظهر من الثبات والإصرار على حرب آل كثير ما استحق الإعجاب والتقدير من قومه سار الأمير بجيش لا يزيد على ٣٠٠ رجل لملاقاة جيش لا يقل عدده عن ١٤٠٠ رجل ، وهذه مجازفة بلاشك ، ولكن نفس الأمير أكبر من جسمه وبسالته تجاوزت حد العقول ، ولما رأى سعيد أحمد الحضرمي إصرار الأمير عمر عوض على الحرب خلفه بمائتي رجل ، ووجده قد أنشأ المراصد في التخيم وحصنها

برجاله ، ولما انهدر آل كثير من أعلى الجبل إلى التضخم في طريقهم إلى المكلا ثارت الحرب بين القريقين ، وكانت المراصد التي أنشأها عمر عوض وسعيد أحمد غير منظمة تنظيماً فنياً حروبياً لوجود خلاف بين القائدين ، وقد أحاط آل كثير بتلك المراصد وأمطروها وابلا من طلقات بنادقهم ، وهجموا على مرصد الأمير عمر عوض وقتلوه وجزوا رأسه ، ثم هجموا على مرصد سعيد أحمد وقتلوه ، وجزوا رأسه وزفوا برأسيهما ، ولما رأى يافع انتصار آل كثير انسحبوا ، وكان عدد القتلى منهم ٤٥ شخصاً ، ومن آل كثير ١٢ شخصاً ، والجرحى من القريقين كثير ون ، وكان ذلك سنة ١٢٩٧ واستمر آل كثير في زحفهم إلى المكلا ، ولما وصلوا الحرشيات وأرادوا الذهاب إلى المكلا أمرهم الأمير الكسادي بالبقاء في الحرشيات خوفاً منهم أن يحتلوا المكلا ويتولوا إمارتها ، ثم أراد آل كثير احتلال شحير التي تبعد عن الشحر بنحو ١٢ ميلاً ، ولكنهم لم يستطيعوا ، وقد مرت عليهم بضعة شهور دون أن ينالوا غرضهم فعادوا إلى سيون .

تدخل الانجليز بين القعيطى والكسادي

سافر السلطان عوض بن عمر القعيطى إلى عدن ، وأخذ يشكو أمير المكلا ودسائسه لدى الإنجليز ، وقد استطاع بدهاته أن يملك قلوب ولاة الأمور هناك ويجعلهم في صفه ، فتوسط محكمة عدن في الصلح بهد أن رضى الحصان بحكمها على أى حال ، وكتبت على وثيقة وقع عليها الثلاثة ، فصدر الحكم على غير ما يرومه الأمير الكسادي ، فقد خيرته المحكمة إحدى ثلاث : إما أن يتسلم من السلطان عوض بن عمر القعيطى مائتي ألف على ما في ذمته ويتخلى عن الإمارة كلها ، وإما أن يدفع المائة الألف في الحال ، وإما أن يتسلم مائة ألف أخرى ويتنازل عن إمارة المكلا ، وينتقل هو إلى بروم التي تبعد عن المكلا بنحو ١٤ ميلاً ، ولكن الأمير الكسادي رفض ذلك ، ورمى محكمة عدن بالميل والتحيز للقعيطى ، وعدم مراعاة العدل في الحكم ، ثم رحل إلى المكلا

غضبان أسفاً ، وبعد أسبوع جاءته بارجة حربية إنجليزية نزل منها ضباط إنجليز وساروا إلى الأمير عمر صلاح الكسادى وأنفروه أنه إذا لم يقبل الحكم فإنهم يضطرون لضرب المكلا بالمدافع وأمهله ثمانية أيام ريثما يعد معداته للرحيل . أضاف الأمير الكسادى قد رفض حكم المحكمة بعزة وكبرياء ، وحاول أن يقاوم الإنجليز بكل مستطاع ولكنه وجد أمامه بارجة إنجليزية ضخمة ، ورأى مدينة المكلا معرضة لصواعق تلك المدافع الكبيرة ، ثم إن السلطان القعيطى بعث بألف وخمسمائة رجل إلى البقرين لمحاصرته فهو أمسى بين نارين : أمامه البارجة الإنجليزية ، ومن ورائه جيش القعيطى ، فرأى أنه لا طاقة له بالمقاومة ولا قبل له بالمعارضة ، ففضل الرحيل رحمة بمن فى المكلا من النساء والرجال والولدان أخذ يعد معداته ويجمع ما أمكنه حمله من ماله وأمتعته ، وفى اليوم الثامن شعبن ١٣ مركباً شراعياً ، وأبحر هو وعائلته إلى عدن تشيعة البارجة الإنجليزية وفيها ٥٠٠ من رجال القعيطى ، وحينما مروا أمام بروم طلب الإنجليز إلى الكسادى أن يأمر نائبه فى بروم بالتخلي عنها فامتنع وقال لهم : نائبي ورجاله أمامكم فأخرجوهم إن شئتم ، فأرساوا إلى حاكم بروم فامتنع عن التنازل ، وأخذ يطلق مدافعه على البارجة فأطلق الإنجليز مدافعهم وخربوا حصنه ، ثم نزل يافع أصحاب القعيطى من البارجة وزحفوا على بروم واحتلوها ، ثم استأنفت البارجة سيرها إلى عدن ، وأخذ الأمير الكسادى يحتج على المحكمة ، ويتنظّم لسيها من السلطان القعيطى ، ورجاها أن تحكم بدفع المبلغ بالتقسيط ، فلم تعره المحكمة التفاتاً ، ولم تقم لكلامه وزناً ، ثم أبحر إلى زنجبار دون أن يأخذ المائتى ألف من القعيطى التى حكمت المحكمة بها تعويضاً لتخليه عن إمارة المكلا وملحقاتها ، وكان ذلك سنة ١٢٩٩ .

تألم أهل المكلا لفراق أميرهم

غادر الأمير عمر صلاح الكسادى اليافعى المكلا ، وقلوب الأهالى تكاد تنفطر أسفاً على فراقه . لقد كان لهم أباً شفوفاً ، وحاكماً رءوفاً ، أنفق ماله وبسط يده كل

البسط في إصلاح شئونهم وعمران بلادهم وحماية ذمارهم لم يستأثر بشيء لنفسه ، ولم يدخر له ولا لأقربائه مالا كثيراً ولا قليلاً ، ولو كان أراد المال وطمع في حطام الدنيا لاستطاع أن يكون له ثروة عظيمة ، ولكنه كان يرى أن الأمة شريكة له في السراء والضراء وفي العسر واليسر ، وأن الوارد إلى الخزينة إنما ينفق لإصلاح شئون الشعب . لم يكن الأمير الكسادي بضعيف العقل ولا بقصير النظر وليس هو جباناً أو ذا شخصية ضئيلة ، فقد كان قوى العقل بعيد النظر شجاعاً مهيباً ، ولكن جيبه كان فارغاً من المال ، وما كان السلطان القميطى يستطيع التغلب عليه لولا خصوبة يده وغزارة ماله ، وما كان هذا المال وحده يستطيع إخراج الأمير الكسادي من المكلا لولا تدخل الإنجليز في الأمر ، على أن الكسادي أقدم من القميطى في صداقة الإنجليز وأكثر منه ولاء لوالى عدن ، ولكن السياسة كثيراً ما تنقض النظر وتلوى الكشع عن الصداقة أو القرابة متى كانت الغاية محمودة ، والغاية عند الأوروبيين تبرر الوسطة ، والإنجليز من أكثر الأمم تناسياً للصداقة متى ما نضبت منافع هؤلاء أو جاءهم من هو أوفر منهم مالا وأخصب يداً من أصدقائهم الأقدمين .

الحالة السياسية في عهد السلطان عوض

عاد السلطان عوض بن عمر القميطى اليافعى إلى الشحر وهو مملوء بالأمال العظام ، نظم شئون الأهالى وجعل عليهم أخاه الأمير عبد الله بن عمر القميطى اليافعى ، وجعل على الفيل الأمير منصر ، وسار هو إلى المكلا وجعلها مركزاً لحكومته ، وجعل على بلاد القطن الأمير صلاح بن محمد القميطى اليافعى حاكماً من قبله ، وأول عمل اهتم به هو تنظيم الجيش حيث أدخل كثيراً من يافع في الجنديّة ، وابتاع عبيداً وضمهم إلى الجيش وجلب من الخارج سلاحاً كثيراً ، وعقد صلحاً مع الحموم الذين كانوا ينهبون السابلة ويقطعون ، وأرضاهم بالمطايا ، فانتشر الأمن بين الشحر والمكلا ، وساد السلام أرجاء البنادر

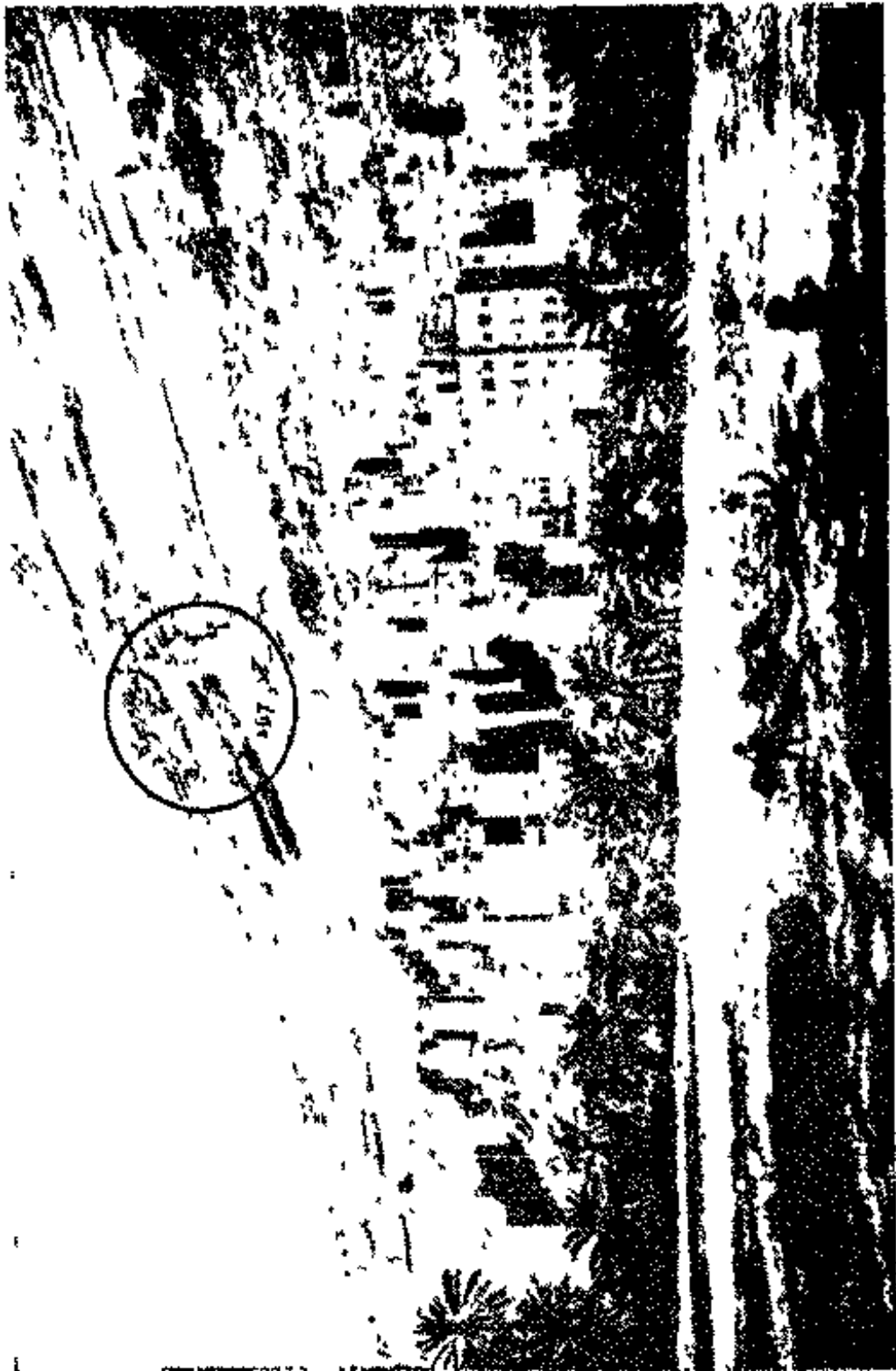
احتلال دوعن

يجمل بنا قبل أن تناول بالشرح احتلال دوعن أن نلقى نظرة عجيبي عليها في عصر ما قبل القميطي اليافعي حتى نلم إلمامة سريعة بحالتها السياسية والاجتماعية

تشمل بلاد دوعن جزءاً كبيراً في شمال حضرموت الجبلي ، وتتفرع إلى فرعين كبيرين ، يقال لأحدهما الأيمن ، وللآخر الأيسر ، كل منهما يشبه الثلث الحاد الزاوية تحيط به الجبال الشاهقة الداكنة الجرداء ، وفي المناطق المنخفضة يوجد عالم من الفتنة والجمال تسطع الشمس بأنتعنها اللامعة على الوادي الساكن العديم الحركة ، وبين حقول الذرة الخضراء التي تسمى بالسيل تنتشر أحراج النخيل تطاول السماء يحترقها شريط ناصع أبيض كالثاج هو قاع السيل والقرى متناثرة بين كل ذلك ، وهي لاتتصل ببعضها في سهولة لوعورة الأرض والتواء أديمها ، والقادم من الشمال لا يرى شيئاً من دوعن إذ تحجزه الهضاب الشاخخة ، وتنحدر تلك الحيطان الجليسة انحداراً هائلاً يبلغ ٩٠٠ قدم والدوعنيون لم يكونوا أمة واحدة تشرف عليها حكومة واحدة ، بل كانت كل مدينة مستقلة تحكم نفسها بنفسها ، وتخضع لزعيمها خضوع العبد لسيده ، وهم يشبهون إلى حد كبير الاقطاعيين في القرون الوسطى « Feudalism » ، وكان معظم تلك المدائن بانفاً من الصغر حدا بعيداً حتى لم يتجاوز عدد سكان بعضها عدداً ضئيلاً من الناس ، ولقد أدى تفرق القوم في مدائن أو بعبارة أوضح في مقاطعات إلى تنافرهم وتناكرهم فتولدت بينهم شعور المنافسة ، وتمكنت في نفوسهم العصبية للمقاطعة .

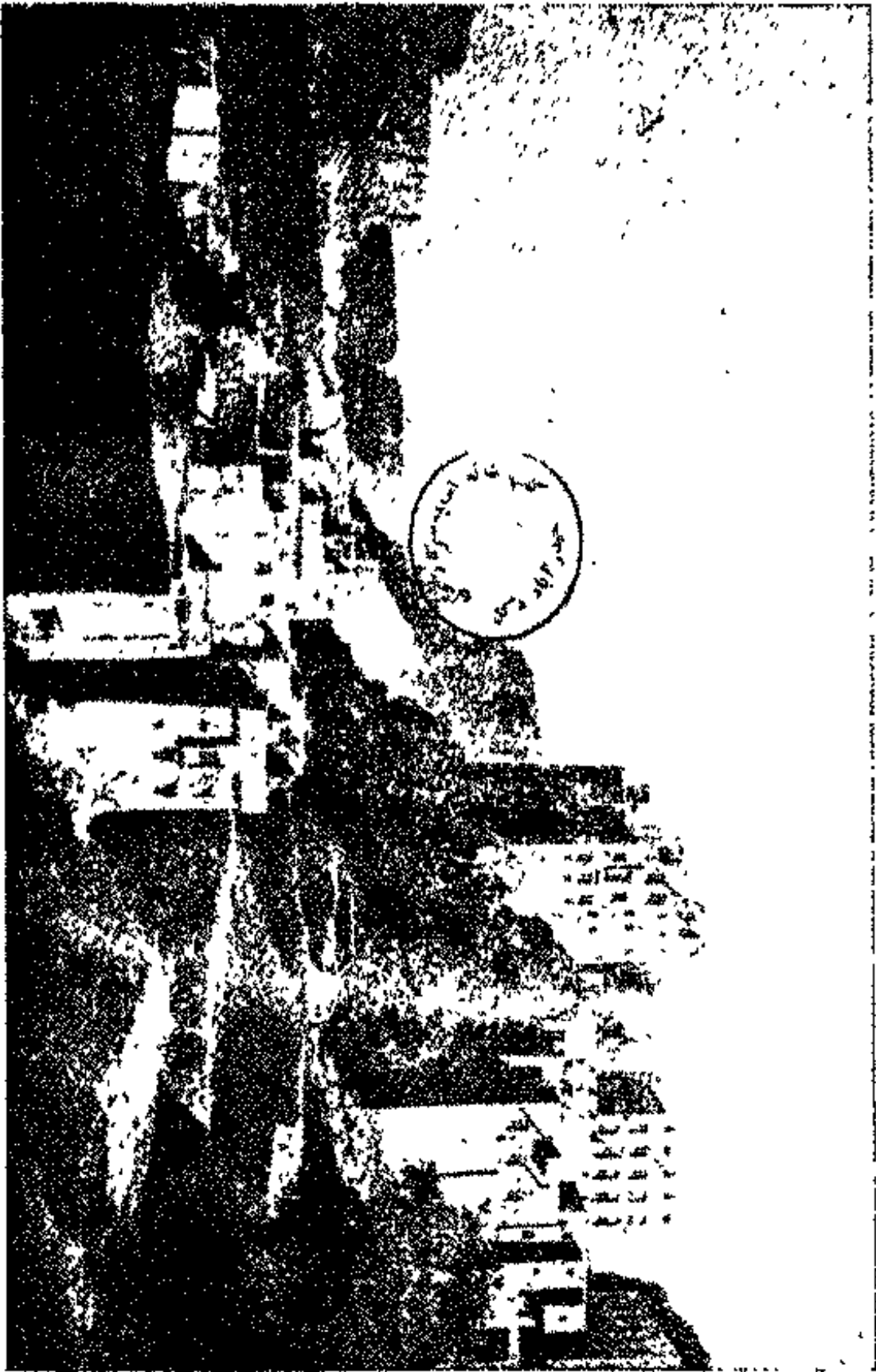


وفي الهضاب العالية تسكن فئات نادية كالثم والذمن ، وكل المسلحين مشاغبون
محبون للحرب لم ينقصوا الحكومة أحنينية إلا بعد معاناة الأمرين ، ولعد استطاع الحاكم



مدينة في دوعن

الكثيرى أن يهدى أعصابهم الشائرة ، ويوجد بينهم كثيراً من الأمن والصلاح ، ولما انكشت الحكومة الكثيرية ، وتخلص ظلها تمرد قبائل دوعن ، وكانت النتيجة أن - تلاشى الحكم الكثيرى في دوعن وزال رسمه ، فعاد الدوعنيون إلى ما كانوا عليه من



مدينة (دoha) أميرة في دوح

قبل من التفرق والتنازع والتشاحن ، وحينما احتل الكسادى الياقى جانباً من دوعن



عادت الطمانينة ، وساد البلاد السكون ، ولكن حينما سحب الكسادى جيشه

عادت الطمانينة ، وساد البلاد السكون ، ولكن حينما سحب الكسادى جيشه

سنة ١٢٨٧ تعكر الجو ، وطالت أيدي الأقوياء على حقوق الضعفاء ، ففقد الأمن وانتشرت الفوضى ، وتفاقت الخطوب .

واستطاع الزعماء في ذلك الجو المظلم المشجع بالتفائل والزلازل والحزن والهن أن يكونوا لهم أقطاعات ، ويخلقوا لهم نفوذاً وسلطاناً وما أشبههم بالأشراف في عهد الأقطاع ولم يكن لأولئك الرؤساء رابطة تربطهم ولا مرجع أعلى يرجعون إليه ، فكل منهم هو الرئيس الأعلى ، وهو الكل في الكل ، لا يرد له أمر ، ولا يسأل عما يفعل ، ينهبون أموال الأهالي ويكثرونها لأنفسهم ، والويل لكل الويل لذلك الذي يمتنع عما يطلبه منه الحاكم ، وكان المقدم عمر بن محمد باصرة يسكن قرية الرشيد ، وهو الحاكم المطلق فيها ، ولكنه كان بالنسبة لغيره من الولاة محبوباً بعض الحب للطفه وظرفه وحسن معاملته ، وكان ينصح لحكمه من قبائل الخمامة وهم فرع من سييان يقال لهم الزي ، وكان لآل عمودي في دوعن العليا نفوذ دونه كل نفوذ ، وسلطة دونها كل سلطة ، ولم ينالوا هذا النفوذ المطلق بقوة الحديد والنار ، وإنما جاءتهم بواسطة السلطة الروحية التي احدثت إليهم من المرحوم الشيخ سعيد العمودي ، فقد كان هذا الرجل عالماً صالحاً ورعاً مشهوراً بالتعاني في إصلاح الناس ، وهدايتهم إلى الصراط الأقوم حتى احترمه الشعب واتقاه له وكاد يعبد ، ويسكن الولاة من آل عمودي في الحربية وهي عاصمة دوعن وبصرة وملحقاتها وأتباعهم من القبائل هم سكان الهضاب الغربية كقبيلة القثم من سييان وقبائل الدين ، وهؤلاء يدافعون عن العمودي بكل ما لديهم من قوة دون أن يأخذوا أجراً لأن لهم معهم مصالح سياسية وعلائق اقتصادية ، ثم إن لقبائل الدين اعتقادات خرافية في المرحوم الشيخ سعيد العمودي يقدسون ضريحه ويستغيثون به من دون الله فهم إنما يدافعون عن آل عمودي بدافع سلطة هؤلاء الروحية وبالرغم من أن الحكام في بضة والحربية والرباط وغيرها هم من آل عمودي ، فإن كلا منهم حبله على عاربه لا يرتبط بالآخر في شيء مما يحكم مقاطعته بما تلمه نفسه وما تدفعه إليه إرادته دون أن يتقيد بشيء ودون أن يصغر لتصيحة الناصحين وإرشاد العالمين ، وعلاوة على ذلك فإن التنافس والتخاصم والتشاحن قائم بين ابن مطهر صاحب بضة ، وابن علي باكريم ، وآل عمر

باحسين ، وآل محمد بن سعيد وغيرهم من بيوتات العمودي ، وهذا التخاصم كان من أعظم الأسباب التي ساعدت يافعاً على احتلال دوعن كما سيأتي ذلك .

التجاء الدوعنيين إلى حكومة القعيطي

قلنا إن ولاية دوعن لم يعملوا للرفع العام ، ولم يؤديوا بعض ما عليهم من الإصلاح نحو الشعب ، وكانت أغراضهم كلها محصورة فيما يعود عليهم بالنفع المادي فقد أرهقوا الناس ، وبالأخص الموسرين بطلباتهم ، واستبدوا في أموالهم ، وأرغمهم على تنفيذ ما يشتهون ، ولقد ضاق الأهليون ذرعاً ، وبلغت قلوبهم الحناجر كرهوا أولئك الولاة ومقتوم كل المقت ، وبالرغم من ضغط الحكام عليهم وخنق حريتهم وإرادتهم ، فقد نهص الدوعنيون في دوعن وفي عدن ، وبعثوا إلى السلطان عوض بن عمر القعيطي اليافعي يستنجدوه ويستغيثون به ويرجون احتلال بلادهم لإقامة العدالة وحفظ النظام وبت السلام ، ولما بلغ ذلك إلى العمودي حاكم الحربية خاف على مركزه من الاحتلال وهو يعلم كل العلم أن القعيطي إذا جاء بجيشه لا شك يحتل البلاد لأن الأهالي يكرهون حكامهم كل الكراهة ولأن الحكام أنفسهم ليسوا على وفاق ووثام كل منهم يود أن يأكل لحم أخيه ميتاً . أراد السيد العمودي أن يحافظ على مركزه ويوطد دعائم سلطته ، أراد أن يمد في نفوذه ، ويوسع نطاق أمره ، فلبجأ إلى السلطان القعيطي وطلب إليه إرسال جيش على حسابه الخاص ليخلص البلاد من ظلم ولانها ، ويقيم فيها العدل ، وينشر الأمن ، حتى إذا كان النصر في جانبه سلم مقاليد الأمور إليه وتنحى هو في مدينة الحربية ، وأراد القعيطي أن يجيبه إلى ذلك ، ولكن من سوء حظ العمودي أن جاء السيد حسين حامد المحصار وباصرة إلى السلطان ، وهما ما بناه العمودي من الآمال العظام ، فقد استطاع باصرة بسياسة ولباقته وبمؤازرة المحصار له أن يستميل إليه السلطان ويصمه إليه ، وعاهده أنه إنما سيقدم نفسه وقومه كجنود للجهاد في سبيل احتلاله دوعن .

• زحف يافع على دوعن

جمع السلطان عوض بن عمر القعيطي كبار يافع واستشارهم في الأمر ، فقرّر رأيهم على احتلال بلاد دوعن وتخليصها من أوائلك الولاية الجبارين ، فأرسل السلطان ٢٠٠ جندي من يافع وعليهم عبد الخالق الماس ، وكتب إلى السلطان صلاح بن محمد القعيطي ليرسل جيشاً من شبام إلى دوعن ، فأرسل الأمير ٢٠٠ جندي من يافع وعليهم سالم بن علي النهري اليافعي ، والتقى جيش المكلا بجيش شبام في أعلى وادي دوعن ، وعلم بهم آل عمودي فأرسلوا إلى قبائلهم ، فجاء من الدين ألف رجل ، ومن القم ٥٠٠ ، ولم يكن قدوم هؤلاء البدو لمناصرة العمودي فقط ، بل كان الدافع لهم أيضاً حبّ النهب والسلب كما هي عادتهم حينما تنور حرب بين ولاية دوعن حيث ينتشرون في القرى ويهجمون على المتاجر والدور وهم يعدّون ذلك حلالاً لهم في مثل هذه الظروف .

انحدر يافع على الخريبة ، فثارت الحرب بين الفريقين ، واحتل يافع بعض الحصون فأحاط بهم قوم آل عمودي وحصروهم ٢٩ يوماً وقطعوا عنهم الماء والقوت ، وكاد يافع يموتون عطشاً لولا أنهم وجدوا في الحصون قليلاً من الماء كانوا يوزعونه فيما بينهم بالفنجان ، وكاد الدوعنيون ينتصرون عليهم ويبيدونهم عن بكرة أبيهم لولا أن الأمير صلاح بن محمد القعيطي أدركهم بمائتين من يافع وآل محفوظ ، ودخل بهم الخريبة ، وبنادق الدين تقذف أعيرتها النارية عليهم مدراراً ، فأعاد ليافع نشاطهم ، وبعث فيهم الثبات والإقدام ، وأما العمودي فقد أرسلوا إلى قبائل عمد ورخية يستنجدون بهم ، فأتوه مهطعين وبلغ ذلك يافع ، فخاف قائد جيش المكلا عبد الخالق الماس الانكسار لتألب قبائل البادية ضدهم ، ولكن بعث السلطان عوض ٥٠٠ رجل من البنادر ، فالتقى بهم ١٢٠٠ من قوم العمودي في أعلى الخريبة ، وثار الحرب ، وحمل يافع حملة صادقة واندفعوا كالسيل الجارف ، فانسحب قبائل العمودي وهربوا أفراداً وجماعات ، وعلم العمودي وجماعة من رجاله في المصنعة بانكسار قومهم ، فأرادوا الدفاع ولكنهم لم

يستطيعوا إذ أطلق باصرة عليهم المدافع فخرجوا ليلاً إلى الجبال ، وكان عدد القتلى من قوم العمودي ٧٤ ، ومن يافع ٢٢ منهم سالم بن عمر بن علي الحاج أحد قواد الجيش ، أما الجرحى من الفريقين فكثيرون ، وكان ذلك سنة ١٣١٦ هـ يهولنا هذات الأحوال وسكنت الخواطر ، وعادت الطمأنينة إلى القلوب أرسل صاحب دوقة عبد الله بن أحمد بجمد العمودي ، وجميع آل محمد بن سعيد العمودي ، وعبد الله بن صالح بن مطهر العمودي ، والى بضة وزعيم آل عمودي الأكبر ، وخليفة الشيخ سعيد العمودي إلى السلطان عوض بن عمر القعيطي اليافعي يطلبون وده ، وكان بين هؤلاء وبين العمودي صاحب الخريبة تشاحن وتخاصم ، ولذلك لم يتجدوه في حربه وبقوا على الحياد ، ومنعوا قبائلهم من الانضمام في صفه ضد يافع ، وأرسل أيضاً بلحمر صاحب حوفة ، ومبارك ابن ميد الخبشي وسعيد بن عبد الله الخبشي وغيرهم من كبار آل خبشي إلى القعيطي يطلبون وده . هكذا أصبحت دوعن موالية للقعيطي ، وقد تولى الحكم فيها سالم بن علي الدهري اليافعي ووزيره عمر باصرة ، وبعد مضي عامين استقال من مركزه ، وقام بالأمر بعده عبد الخالق الماس مولى القعيطي ، ولكن لم تطل مدة هذا الوالي أكثر من سنة فقد انتحرت برصاصة أفرغها في رأسه من بندقيته ، وقد اشتبه في موته ، فقيل إنه قتل نفسه ، وقيل اغتيل وقد انفرد بالحكم بعده عمر باصرة الذي أخذ يدير دفة الحكم بيد من حديد مع شيء من السياسة التي عرف بها هذا الجسور ، وأبقى عنده من يافع ٢٠٠ رجل ، و ٣٠٠ رجل من قبائمه لحفظ الأمن وللدفاع عن كيان البلاد . ثم أخذ يرسم الرسوم ويفرض الضرائب على أصحاب الأطيان والنخل وعلى التجار ، من غير إرهاق ولا قسوة ، ولكنه لم يعدل في إعفائه آل باعلوي وآل عمودي عن تلك الضرائب والرسوم .

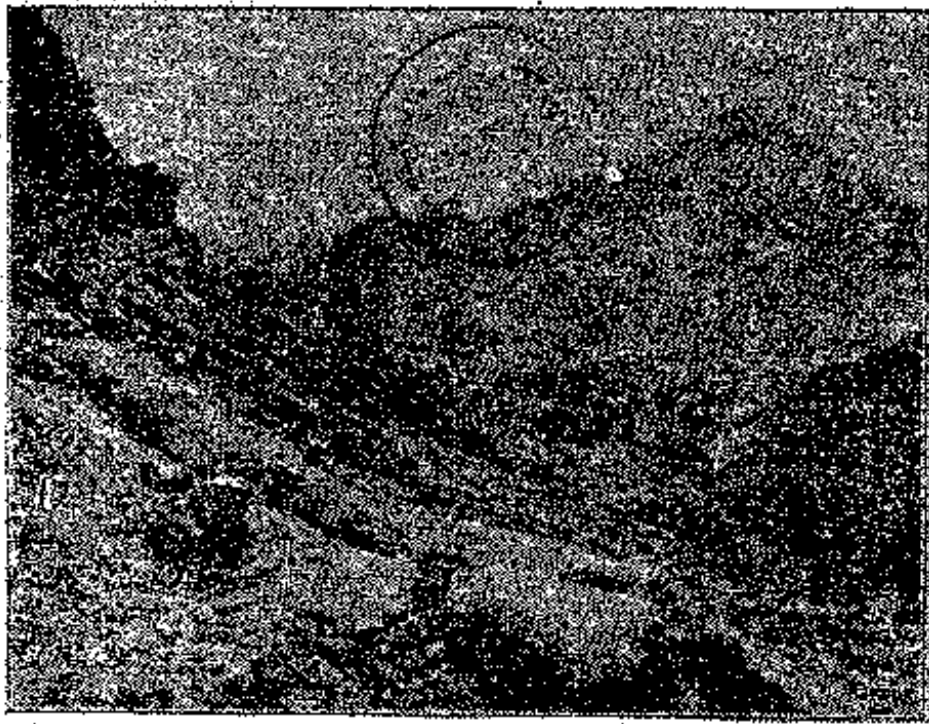
احتلال حجر



حجر وري نهرها يشعها

تقع بلاد حَجْر شمال مِيع ، وهي أخصب تقع في الفطر الحضرمي إذ يشقها نهر كبير يسمى باسمها ، ويتصل بها من مواي حضرموت مِيع وشر على ، والمواصلات بينها وبين السدارة وحمان متينة ، فركزها الاقتصادي مهم ، وأغلب سكانها من قبائل نُوْح الحاملي السلاح ، وكان يتولى الحكم فيها أحد الأعيان من ذوى الشخصيات البارزة ولكن حكمه كان عبارة عن الفصل في الفصايا المدنية والجنائية الصغيرة التي تحدث بين أفراد سكان مدينة حجر ، فسلطته ضيقة لا تتعدى ديار كمننة ، ولذلك كان الأمن خارج المدينة مفقوداً يعتدى الأقوياء على الضعفاء فيسلبونهم حقوقهم دون أن يعترضهم معترض ، أو يقوم في سلبهم مانع ، وفي سنة ١٣١٧ جهز السلطان عوض من عمر

القميطي ٦٠٠ رجل من يافع وآل منهم ، وفي مقدمتهم محمد عبد القوي غرامة اليافي ،
ومحسن محارم القميطي ، وأحمد حبيب الحداد القميطي ، وضالح بوبك الحضرمي ،
وعوض عيسد الله اليزيدي ، ومنصر بن علي جابر ، وجابر بن علي بن علي جابر ،
ومضاهم إلى حجر لاحتلالها وإدخالها تحت نفوذه ، وقد علم بهم أهل حجر فتعرضوا
لهم خارج المدينة وكنوا في عقبه حجر ، ولما جاء يافع أحاطت بهم قبائل حجر ، وثار
الحرب ، فاندحر يافع ، وعادوا إلى ميفع ثم إلى المسكلا ، وكان عدد القتلى منهم ٦٣ رجلا



منحدر في جبل حجر ، حدثت فيه الحرب بين يافع والمجبرين

ثم في سنة ١٣١٨ بمش السلطان عوض ٢٠٠ رجل من يافع وبمعيهم السيد حسين
حامد الحضار ابن الشيخ أبي بكر باعلوي^(١) زوده السلطان بالمال ليبتاع أراضي في
حجر توصلوا لاحتلالها ، وفعلا كان ذلك ، فقد خضع المجريون للحكم القميطي حينما تعهد

(١) كان حسين حامد عظيم المكر ، كثير الدعاء . حاد الذكاء ، جاء من حبان يضرب أزره
وأستطاع بدعائه أن يبال لدى السلطان عوض مكانة عليا حتى استوزره ووثق به .

لهم السلطان بحمايتهم ، و بنشر العدالة بينهم ، و عقد السيد حسين حامد حلقاً بين حكومة القعيطى وبين القبائل الضاربة بين ميفع وحجر ، و ابتاع كثيراً من أراضى بئر على و بالحاف ، فهو كاتنا تحت نفوذ آل عبد الواحد الذين عقد الإنجليز معاهدة بينهم و بين القعيطى ، و كانت تلك المعاهدة السبب لاحتلال يافع تلك البلاد .

الخلاف بين أعضاء البيت المالک

فى سنة ١٣١٩ احتدم الخلاف و التراع بين آل عبد الله بن عمر و بين عمهم السلطان عوض بن عمر ، كان الأمير منصور بن عبد الله القعيطى اليافعى والياً على غيل باوزير و أخوه الأمير حسين بن عبد الله بيده الحل و العقد فى نصف مدينة الشحر ، و النصف الآخر تحت نفوذ الأمير غالب بن عوض القعيطى اليافعى بالنيابة عن أبيه السلطان عوض ، و بالطبع أن وجود حاكمين فى مدينة من أعظم الأسباب لإثارة التنافس و التخاصن على استئثار السلطة و حب الظهور ، و علاوة على ذلك فإن الأميرين حسيناً و منصوراً يدعيان أن لوالدهما نصف أملاك الحكومة القعيطية اليافعية ، فهما يجدان لنيل ذلك الحق ، و هما فى الوقت نفسه لا يريدان أن يزاكما أحد فى إدارة الشحر ، و فى حاصل جمر كما لأن السلطان عوض كان والياً على المكلا و اليه يقدم حاصل جمر كما ميناها كاملاً غير منقوص ، و لقد ازداد الخلاف ، و انضم جانب كبير من يافع الوسطة إلى آل عبد الله كما انحاز فريق كبير من يافع الظبى إلى السلطان عوض بن عمر ، و كادت الحرب تثور بين الفريقين لولا أن هناك أفراداً من كبار يافع بذلوا كل مستطاع فى إصلاح ذات البين ، و استدعوا فى عينات للمنصب أحمد بن سالم بن سقاف ابن الشيخ ابن بكر باعلوى ليتوسط معهم فى إيجاد صالح بين الخصمين ، و فعلا كان ذلك ، و لكن الصلح كان أنشئ على أساس واه إذ سرعان ما انتهار ، و عاد الخلاف و النزاع بشكل أردأ مما كان ، و حدثت مناوشات بين الفريقين ، و كاد الخطب يتفاقم

لولا التجاء السلطان عوض و بعض رجالات يافع إلى والى عدن ليتوسط في الصلح فقد جاءت المكلا بارجة إنجليزية وعليها ضباط الإنجليز وأخذوا السلطان عوض ، ثم ساروا إلى الشحر ، وطلبوا إليهم الأمير حسين بن عبدالله ، فامتنع في بادئ بجد ، ثم أجابهم إلى ذلك ، وأخذ معه بعض بطائنه من يافع ، ولكن الإنجليز منعهم عن الصعود إلى البارجة وظن الأمير حسين أن الصلح سيفاوض فيه في البارجة نفسها ، ولكنه لم يكذب يصدق إليها إلا وأبحرت إلى عدن ، ولقد اجتمع السلطان عوض بالأمير حسين وجهاً لوجه ، وأخذ يعاتبه على إثارة المشاغبات ويذكره بفضائله عليه وعلى أبيه الأمير عبد الله ، ولما جاءوا عدن أقام الوالى صلحاً بين الخصمين ، وعاد السلطان عوض إلى المكلا ، وسار إلى الشحر ، وأخرج من فيها من أنصار الأمير ، وجهن جيشاً وسار به إلى الغيل وحاصره أياماً ، وحاول الأمير منصر الدفاع ولكنه لم يستطع إلى ذلك سبيلاً ، فاضطر في النهاية إلى الانسحاب والتخلي عن الغيل ، ورحل بعائلته إلى الهند ، وهناك رفع هو وأخوه الأمير حسين قضية لدى حكومة الهند ضد السلطان عوض بن عمر ، وتوفي الأميران في حيدرآباد ، ولكن القضية لا تزال قائمة .

الحالة السياسية في عهد السلطان عوض

انتصر السلطان عوض بن عمر القعيطى على آل عبد الله بن عمر بواسطة الإنجليز ، وانفرد بالحكم ، فامتدت سلطته ، واتسع نفوذه ، وعلت كلمته ، فأصبحت هي العليا ، وكان الولاة سواء الذين فى البنادر أو فى داخلية حضرموت طوع أمره ورهن إشارته ، ولم يستطع آل عبد الله بن عمر بعد ذلك أن يعارضوه فى سلطته لأن حزبهم تلاشى ، ولأن الإنجليز فى جانب عمهم السلطان عوض ، ولقد بذل السلطان عوض أقصى مجهوداته لإصلاح البلاد ، ونشر الأمن ، وبث العدالة بين جميع طبقات الشعب على السواء ، لافرق فى نظره بين القوى والضعيف ، ولا بين المتساح والأعزل ، ولا بين الفنى والفقير .

ازدهار التجارة فى عهده

كان انتشار الأمن فى أرجاء البلاد من أعظم الأسباب لإحياء الأسواق ، وتنشيط حركة التجارة فى الداخل وفى الخارج ، فقد بلغ عدد السفن التجارية التى يملكها بعض التجار فى الشحر والمسكلا نحو ٤٥ سفينة تمخر عباب البحر بين حجر والشحر والمسكلا وتبحر إلى سواحل إفريقيا الشرقية ، وإلى عدن ، والخليج الفارسى ، وإلى سواحل الهند الغربية ، وتعود مشحونة بأنواع البصائع ، وأصناف المتاجر .

طرق القوافل

وكانت مدينة شبام أعظم محطة فى حضرموت لجميع القوافل التى تأتى من أقاصى البلاد ومن الخارج .

من صنعاء إلى حضرموت

تقوم القوافل من صنعاء إلى رأس الغليل وتمتدق وادى حريب في طريقها إلى بني رضيع ، ثم تسير محاذية لوادى المجزة إلى سرحان بلاد قبائل دهمة ، ومن سرحان إلى بيحان بلاد بني حارثة ، ثم تسير في وادى الحارثة إلى هضبة شقاق وخبوت ، ثم إلى المشايعة ، وتسير في رمال إلى بئر عساكر ، ثم إلى البدوع ، ثم إلى قعوضة فألى شبام ، وتقطع المسافة في ١٣ يوماً .

من عدن إلى حضرموت

تقوم القوافل من عدن إلى شقرا ، ثم إلى دينة ، ومنها تسير إلى طلح ، ثم إلى حبان ، ومن حبان تسير في هضاب إلى نصاب بلاد العواقق ، ثم إلى القوهة ، ثم إلى قعوضة فألى شبام ، وتقطع هذه المسافة في ١١ يوماً .

من بئر علي إلى حضرموت

ترحل القوافل من بئر علي على الساحل إلى الجوارى بلاد بني عبد المانع ، ثم إلى حوطة الفقيه فألى الروضة ، ومنها إلى عمالقين بلاد آل فهيد ، ومنها إلى جردان ، ثم طلح عقبة ، ومنها إلى شروج الميم ، ثم إلى عقبة شوحم ، وتنحدر إلى وادى عمد مخترفة قبائل آل ماضي إلى لفحون بلاد آل هلالى الجعدة ، ثم إلى حريضة ، ومنها إلى شبام ، وتستغرق هذه المسافة ١٠ أيام .

من ظفار إلى الشحر ثم إلى شبام

تقوم القوافل من ظفار إلى رخيوت فألى دهوت ، ثم إلى غيصة ابن بدر ، ومنها إلى

حصون ، ثم إلى خشن فالى سيعوت ، ثم إلى ريذة ابن عبد الودود ، ثم إلى قصير
ثم إلى الحاص فالى الشعر ، ومنها تسير إلى تبالة ، ثم إلى عقبة العرشة مخترقة
وادي الصفاء . ثم إلى الغلاغيل مخترقة وادي الفيران ، ثم إلى القبيضات ، ثم إلى
عقبة الرميظة فالى الغيرة ، ثم إلى وادي النحر ، ثم إلى القر فالى شبام ، ومدة هذه
المسافة ١٥ يوما .

بين حضرموت ومكة

وكان بعض الناس يفضل السفر إلى الحج بطريق البر ، وهذا يدل على انتشار
الأمّن في ذلك العهد في أجذب البوادي وأقهر البقاع . يقوم المسافر من حضرموت
الوسطى إلى رهطان ، ثم إلى سور العينة ، فالى بئر يوسف ، ثم يسير إلى الشاغبة بعد
أن يخترق وادي المنقلة ، ثم إلى العير ، فالى غرة اليماني ، ثم إلى الرمايم ، فالى
غرة الزنافر ، ثم إلى المشينقة فالى الحما ، ثم إلى خب ، ثم إلى النخلة ، ومنها إلى الحرة
عقبة عرقوب ، ثم يسير في أودية يقال لها عتبة عمق المراسي ، ويقطع وادي مذاب إلى
المجاد بلاد آل عمار ، ثم إلى شرمات في طريقهم إلى صعدا بلاد آل سالم ، ومنها إلى
رفاة ، ثم إلى عقبة مخارش في طريقه إلى جباد ومنها إلى الحوض فالى الحرجة ، ثم
إلى نجران ، ومنها إلى درب العقدة في سهل منبسط ، ومنها إلى المجزعة ، ثم إلى تايب
بعد أن يقطع عقبة تيه ، ومنها إلى وادي حفر في طريقه إلى مخايل فالى المصبح ، ثم
إلى بارق والجهفة ، فالى وادي ييه حيث عيون الماء تنبع بكثرة ، ثم إلى حدبة مشرق
فالى القوز ومنه إلى القنفذة ، ثم إلى دوفة فالى خبت صبوة ، ثم إلى الليث ، ومنه إلى
وادي مرخ ، فالى السعيدية ، فالى البيضاء ، ومنها إلى مكة ، وتبلغ المسافة بين شبام
ومكة ٢٢ يوما على الجمال .

وفاة السلطان عوض

في سنة ١٣١٧ توفى السلطان عوض بن عمر التميمي اليافعي في حيدرآباد ، فذهل الناس لوفاته كل الدهول ، وزلزلوا زلزالا شديداً ، وحزنوا على فراقه أشد الحزن ، وبكوه بكاء مرًا وكادوا يصفقون .

شخصيته

كانت شخصيته أعظم شخصية في الحضارم . كان قويا شديدا القوة لا يعرف الضعف ولا الفتور ، ولا يحب التردد ، ذكيا نافذ الذكاء ، ولكنه كان هادئا في الوقت نفسه حايما شديدا الحلم ، لا يعرف الطيش ، ولا التعجل ، ولا الاندفاع . كان عميق الفكر ، كثير الصمت ، لا يبتسم إلا في النادر اقليل ، ولا يتكلم إلا عند الضرورة ، وإن تكلم كان المثل الأعلى في اللطف وحسن الحديث ليس كلامه بالهزل ، ولا ينطق عبثا ، وإن سكت ففي سكوته مهابة ووقار ، بعيد النظر ، كثير الغن ، لا يتخذه الظواهر مهما ضاء بريقها ، وتشكلت بمختلف الألوان ، كان شجاعا مقداما ، فاد الجيوش في الهند ، وخاض غمار الحروب ، وخرج منها ظافرا ، فجازاه ملك حيدرآباد بأعلى الرتب وأسمى الدرجات ، ورحل إلى حضرموت ، فخلق له ملكا من العدم ، وتبوا من المجد مقعدا عليا ، ولقد ساس الناس بحزم وعزم وسياسة وكياسة ، لم يتعلم في معهد ، ولم تكفله جامعة ، ولكن الأيام ربته ، والسنين هذبته ، والتجارب ثقفته ، فكان نعم الخريج ، ونعم السياسي ، ونعم الحازم ؛ كان صالحا ورعا يؤدي الفروض في أوقاتها ، ولم تفره الدنيا ، لم يعبد المادة كما يعبدها كثير من ملوك الشرق ، ولم يندفع وراء اللذائذ الجسدية ، كما اندفع هؤلاء وراءها ، بل كان كثير الانشغال بشئون النولة وأحوال الشعب . كان ليافع أبا سفوقا ينظر إليهم كما ينظر إلى أبنائه ، فلاغرو إذا عبده هؤلاء ووضعوا أرواحهم بين يديه يتصرف فيها كيف شاء .

السلطان غالب الفعيطى الياضى

تولى السلطان غالب بعد وفاة أبيه فأبقى مشئون الحكومة كما كانت فى أيام والده ، وزاد فى مرتبات الجيش ، واستقدم كثيراً من يافع من بلادهم وأدخلهم فى الجندية ، وقلد عدداً منهم وظائف الحكم فى البلاد ، وساس الشعب بكل هدوء وحنان .

وزيره

استوزر عظمته السيد حسين حامد المحصار باعلوى ، ومال إليه كل الميل ووثق به كل الثمة ، واتخذة نصيراً له فى مشئونه الخاصة والعامة .

وكان السيد حسين حامد جاء من حنان فى عهد السلطان عوض بن عمر الفعيطى يضرب أزدريه ، ولدهائه ولباقته استطاع أن ينال مكانة سامية لديه ، وبالرغم من إخلاصه له وتفانيه فى خدمته ، فإن السلطان عوض لم يكن يميل إليه كل الميل ولم يفوض مشئون الدولة كلها إليه ، بل كان يعتبره فرداً من أفراد يافع الذين اتخذهم السلطان بطانة له ، وفى عهد السلطان غالب بن عوض الفعيطى سما مقامه ، وعلا مركزه واتسع نطاق نفوذه اتساعاً ما كان يحلم به من قبل ، كان الكل فى الكل يتصرف فى مشئون الدولة كما يشاء ، وهو فى ذلك مندفع كل الاندفاع ، هباب كل الهيبة ، لم يجراً لمعاكسته أحد ، كل الناس له رُكع سُجَّد ، يبتغون فصلا منه وريصوانا .

مدينة ساه

في أعلى هضاب عدم تقوم مدينة ساه يحيط بها أحراج النخيل ، فالبلح أهم غلات هذه المنطقة ، وأكثر القبائل الساكنة فيها من آل جابر ، وهم دائماً في نزاع ، والقوضى ضاربة أطنابها في كل البلاد ، والأمن مفقود ، وقد أخذ الأقوياء يرهقون الضعفاء بمطالهم ، ويتعدون على حقوقهم ، ويذيقونهم سوء العذاب ، وأخذ بعض الأشرار يحرقون النخل سفاهة وحمقاً ، ويعطلون الحرث ، وينهبون ويقتلون ، وكان العزل من السلاح ، يستنجدون ولكن لا منجد ، ويستغيثون ولا مغيث ينشلهم مما هم فيه من الشقاء وسوء الحال ، ويقطع عنهم دابر الظالمين ، وفي سنة ١٣٣٢ بعث الأعيان من حملة السلاح وغيرهم وفداً إلى المكلا ، ورفعوا للسلطان غالب شكواهم ، وطلبوا إليه أن يبسط حمايته على ساه ، ويقم فيها والياً من قبله ليريل ما فيها من المظالم ، ويصلح شئون الأهلين ، فأرسل السلطان غالب سالم أحمد البكري اليافي وبصحبه ٢٥ رجلاً من يافع على أن يقوم آل جابر بجميع مصروفاتهم مدة قيامهم بالأمر في ساه ، فأخذ الوالي سالم أحمد البكري يدير شئون الناس ، ويصلح ذات البين ، حتى استطاع بما عرف به من لين وحزم أن يعيد إلى الضعفاء حقوقهم من أيدي الأقوياء ، ويزيل المظالم ، ويحمد التمتن ، ويثبت الأمن ، ولما توفي قام بالأمر بعده سالم فرج ، ثم تلاه أحمد سعيد الحداد القعيطي .

مقتل الجموم

الجموم من أكبر قبائل البادية وأكثرها عبثاً بالسلام ، ويبلغ عددهم نحو ٣٠٠٠ نسمة ، ويكسبون المصائب العالية الواقعة شمال المكلا .

والحموم فخاند لكل منها رئيس يتحاكمون إليه فيما يشجر بينهم من النزاع وما يحدث من الخصاص ، وأراضهم قاحلة جدباء ، لا تنبت رزقا إلا إذا نزل المطر ، وقد تمر السنون ولا يسقط عليهم مطر ، فتفقر أوديتهم ، ويشند الجفاف ، وتزداد حالتهم تعاسة وضنكا فيهم بعضهم باحثاً عن قوته وقوت عياله ، فإذا التقى بعابر سبيل نهبه وسلبه وربما قتله . أما الذين يعيشون منهم على التجارة بواسطة جهالهم التي تحمل الأثقال من بلد إلى آخر ، فهم في شيء من الراحة والهناء ، ولقد اشتهر الحموم بمناوذة حكومة القميطى من قديم ، وإفلاق راحتها وراحة الأهلين ، قطعوا الطريق ، ونهبوا وقتلوا ، وعبثوا بالسلام في الشواطىء بين المدن والقرى ، وفي الهضاب والجبال ، واتقد تكبدت الحكومة من جراء مشاكلهم خسائر فادحة ، وبذات لسكيح جهالهم ، وردع شهواتهم أموالا طائلة ، وعقدت معهم صلحا مرات عديدة ، وجعات لهم نحو ٤٠٠٠ ريال سنويا ، ولكنها لم توفق في أمرها ، وحينما انتهى الصلح سنة ١٣٣٦ أراد الحموم أن يعتدوا صلحا من جديد على أن تدفع الحكومة مرتبا أكثر مما كانت تدفعه لهم ، فأرسل السلطان غالب بن عوض القميطى إلى أمير الشحر ناصر أحمد بوبك الحداد القميطى أن يشعره بدخول الحموم الشحر ، وجاء نحو ٤٠٠ رجل منهم ٢٩ من كبار رؤسائهم وأعيانهم ، وجاء السلطان غالب إلى الشحر في سيارته الخاصة ، واتفق هو والأمير ناصر أحمد على أن يقتل رؤساء الحموم الموجودين في الشحر ويسجن أتباعهم ، ثم عاد السلطان إلى المكلا في نفس الليلة التي أتى فيها ، وفي اليوم الثانى أمر الأمير ناصر برؤساء الحموم ، وقتلوا في حصن يقال له دار ناصر ، وهددم نحو ٢٩ رئيساً ، ثم أمر أتباعهم وكانوا منبثين في شوارع المدينة ، فألقى القبض عليهم جميعاً وسجنوا ، ومات كثير منهم في السجن ، ولقد كان لهذا الحادث الجلل وقع في نفوس فخاند الحموم ، وهاجوا وماجوا ، وظن الناس أنهم سيثورون ثورتهم ضد الحكومة ، ولكن لم يحدث شيء من ذلك ، فقد ألقى في قلوبهم الرعب والفرع فانكشوا وهددوا ، وحمدت ريجهم .

احتلال وادى الأيسر

ظل باصرة والى دوعن من قبل حكومة القعيطى يحكم فى شىء كثير من الشدة ، فهابه الناس ، وأطاعوه من غير كره ولا مقت ، وأخذ يبسط يديه كل البسط لأصحاب النفوذ الروحى ، حتى توطدت دعائم حكمه ، وتوثقت بينه وبين الأهلين روابط الصداقة والولاء فأحبوه ، ولكن لرغبة فى قلوبهم ، وانتشر الأمن فى طول البلاد وعرضها ، واستمرت الحال على ذلك سبع سنوات متتالية ، ثم عطف نظره إلى وادى الأيسر ، فألقى نفوذ آل عمودى الروحىة متغلغلة فى أرجاء ذلك الوادى تحميه قوة قبائل الحالككة الذين يدعى ابن محمد سعيد العمودى أنهم أتباعه وأنصاره ، وأنهم يخضعون له وينفذون إرادته كما كان يخضع الدين والتم لابن مطهر العمودى صاحب بضة .

مقتل يافع

وحدث أنه كان فى دار الشيخ العمودى انان من يافع هما الحربى وابن شيهون ، وسبعة من آل بلحمر يتحداثون بحضرة الشيخ فى شىء كثير من الود والصفاء ، ولما خرجوا من عند الشيخ ووصلوا أمام دار الحربى عرض اليافعيان على آل بلحمر أن يضيفاهم فاعتذروا وشكروها على لطفهما ، ولما أدبر اليافعيان أطلق عليهم آل بلحمر بنادقهم فأردوها قتيابين ثم هربوا ، ومرّوا أمام دار الحضرمى اليافعى ، فأطلق عليهم بندقيته وقتل رئيسهم ثم قتل آخر ، وجاء جماعة من آل بلحمر وأحاطوا بالدار ، ولكن الحضرمى انسل وأطلقوا عليه النار فلم يصيبوا منه مقتلا ، والتجأ فى دار الشيخ العمودى ، وعلم باصرة بالحادث ، فبعث ٧٥ رجلا من يافع ومن رجاله البدو ، وكادت الحرب تشتعل من جديد لولا تدخل الشيخ العمودى فى الصلح بين الفريقين ،

ولكن قلوب آل بلحمر ما انفكت تتأجج غيظاً بالرغم من تعادل الكفتين ، ففي ليلة من ليالى سنة ١٣١٧ سرى ابن حطبين أحد رؤساء يافع وبصحته خمسة من عشيرته ، فتابت عليهم امرأة ، فخرج عليهم جماعة من آل بلحمر ، وكنوا لهم بين التخييل وقتلهم جميعاً ، فلم ير باصرة بدءاً من إعلان الحرب على وادى الأيسر .

الخلاف بين آل باهبرى وبين الخنايشة

ثم اتفق أنه في أواخر سنة ١٣١٧ حدث نزاع كبير بين آل باهبرى سلاطين سيان^(١) وبين الخنايشة^(٢) ، فانهز هذه الفرصة باصره وانضم إلى الخنايشة سرا في بادئ بدء ، ومنشأ هذا الخلاف امرأة من آل باهبرى تدعى قمر في قرية يقال لها جريف ، وكان بهذه القرية نخيدة من الخنايشة تسمى آل باشجيرة ، وقد استفحل النزاع وتفاقم خطره ، بين أقارب المرأة آل باهبرى ، وبين آل باشجيرة ، حيث أشهر السلاح بين الفريقين ، واستنجد آل باهبرى بالحالكة القاطنين بوادى الأيسر كما استنجد آل باشجيرة بعشيرتهم الخنايشة الساكنين فى الجحى ، ولما بلغ ذلك باصرة أنجد الخنايشة بالمال والسلاح والرجال من يافع ومن رجاله البدو ، وأرسل للسلطان غالب يطلب إليه السماح بالتجهيز لحرب وادى الأيسر واحتلاله لنشر الأمن فى ربوعه ، وإقامة العدالة فى الأهلين فأجابه إلى ذلك ، وبعث إليه ذخائر ، فهبت قبائل الحالكة تحارب يافع بكل ما لديها من قوة ، وتدافع عن بلادها بما عرفت به من الشدة ، وكان على رأسهم بلحمر ذوالأمر المطاع والكلمة النافذة . أما آل عمودى فى وادى الأيسر ، فقد التزموا الحياد فى هذه الحرب ، ولم تظهر منهم أية حركة ضد يافع لأنهم رأوا العبرة

(١) يدعى آل باهبرى أنهم سلالة سلاطين سيان ، وبالرغم من قلة عددهم فى وادى الأيسر وحم ، فإن لهم مقاماً محترماً عند قبائل سيان ، لاسيما الحالكة ، وحينما يتأدى أحدهم يقال له : ياسلطان .
(٢) قبيلة صغيرة لا يزيد عددها عن ٦٠ رجلاً ، وليس لهم صلات متينة بالقبائل المجاورة لهم وهم دأعما مناغبون متعطشون للمشاكل والمحن .

في جماعتهم في دوعن العليا ، وهم في الوقت نفسه يعتقدون أنه إذا انتصرت الخالكة في حربها ضد يافع فسيفردون بالحكم في وادي الأيسر كله .

استمرت الحرب نحو سنة وكانت محاربة الخالكة ليافع أشبه بمناوشة للعصابات ، أما باصرة فعلى شيء من النظام والاستعداد ، وقد أتاه مدفع من المكلا وصوبه على العرسة مقرّ - المقدم - بلحمر ، وهدم بيوتاً منه ، وانتهت الحرب باندهار قبائل الخالكة . أما بلحمر فقد غادر العرسة ، وهام في الأودية والجبال لا يلوى على شيء حتى إذا جاء ريذة الجوهيين أقام فيها بين عشيرته سيان ، وكان عدد القتلى من يافع ١٤ شخصاً ، ومن الخالكة وآل بلحمر ٢٦ نفساً .

بعد أن قوض باصرة السلطات في وادي الأيسر ، أنشأ استحكامات في بعض البلدان ، ووضع فيها حامية من يافع ومن عشيرته ، وأخذ من كل نخيذة من فخاند الخالكة خمسة رجال كرهائن عنده ، وأبقاهم في دار العرض التي هي بمثابة السجن ، وفرض على الخالكة غرامة الحرب التي بلغت نحو العشرين ألفاً من الريالات ، فمنهم من دفع قسطه ، ومنهم من امتنع وهاجر إلى ريذة الجوهيين ، ومنهم من أقطع لبصرة أراضي في مقابل قسطهم من الغرامة ، وهذه الأرض صارت منطقة احتكاك بين البدو قبيلة باصرة وبين الخالكة الأمر الذي جعل الفتنة تثار بين الفريقين حيناً بعد حين ، ثم كوّن باصرة لجنة لفرض الضرائب والرسوم على سكان وادي الأيسر ، وكان على رأسها محمد بن الشيبة العمودي الذي تجسس لبصرة ضد جماعته آل عمودي في الحرب الأولى . أخذت هذه اللجنة تطوف أرجاء الوادي وتقرض الضرائب على الرعايا التي بلغت نحو ٣٠٠٠٠ ريالاً ، ولقد فرضت بعض هذه الضرائب على أناس لا يملكون قوت يومهم حتى اضطروا لبيع ما يملكون من نخل وأرض ، ذلك لأنهم خرجوا في حرب أنهكت قواهم ، فان المقدم بلحمر كان قد أخذ في أثناء الحرب من الخالكة ، ومن أتباع آل محمد بن سعيد العمودي أموالاً وطعاماً لتجهيز

عساكره في الحرب ضد يافع، لذلك كانت الضرائب التي فرضها عليهم باصرة حملا ثقيلًا. فرض باصرة رسوماً، فجعل على المشتري ٨٪، وعلى البائع ٦٪، وجعل في كل بلد وكيلا يجمع تلك الرسوم ويبيعها إليه.

آل محمد بن سعيد العمودي وامتيازاتهم

كان هذا البيت الكريم من آل عمودي ذا سلطة واسعة وكلمة نافذة في وادي الأيسر، ولم يكن لهم مناقس في السلطة سوى المقدم بلحمر^(١)، ولكن بالرضم عن قوة أتباع هذا التي توازي أضعاف قوة العمودي، فإنه كان يشعر بشيء من الهيبة والاحترام لآل محمد بن سعيد العمودي لشدة تأثير سلطته هؤلاء الروحية فيه، ولذلك فإنه لم يستطع أن يرغمهم ولا أتباعهم على الانضمام إليه ضد يافع، فقد ظلوا على الحياد في حرب وادي الأيسر، ولما احتل القعيطي وادي الأيسر أبقاهم في مراكزهم ومنعهم الفصل في القضايا الصغيرة الجنائية والمدنية على أن يكون المتخاصمين الحق في استئناف الحكم إلى باصرة وإلى دوعن العام، أو إلى المركز الأعلى للحكومة في المكلا.

وجعل القعيطي لبعض أفرادهم مرتباً سنوياً نحو ٣٠٠ ريال، ولقد أعفى جميع آل محمد بن سعيد العمودي من الضرائب والرسوم. أما بيوتات آل عمودي الأخرى وهم كثيرون في صيح وفيل وحوقة وقيدون، فقد فرضت عليهم الضرائب كبقية الأهالي.

(١) آل بلحمر من أكبر بيوت سببان وأمرها رجالاً وأسرها مقاماً.

أمير تريم

في عام ١٢٩٥ تولى إمارة تريم الأمير محسن بن غالب الكثيري ، وقد كانت سيرته في بادئ بدء حسنة ، ولكن في أواخر أيامه أرهاق سكان تريم بالضرائب ، وفي مقدمتهم السيد شيخ بن عبد الرحمن الكاف ، ولقد عارضه بعضهم وامتنعوا عن دفع الضرائب ، ولكن الأمير أرغهم على دفعها . أما السيد شيخ الكاف فقد غادر تريم هرباً من الضرائب الفادحة ومار إلى دمون ، ثم أراد أن ينتقم من الأمير ، فأخذ يحرّك آل تميم ضده ، ويحرضهم على احتلال تريم ، وأمدّهم بالمال والسلاح ، فثارت الحرب بين الفريقين عام ١٣١٥ ، وحاصر آل تميم تريم أياماً ، وكادوا يستولون عليها لولا قيام بعض الأعيان بالصلح ، ثم عاد الكاف إلى تريم ، وكان الأمير محسن ابن غالب قد ضاق ذرعاً من تريم بعد أن أخذ الموت يخطف أولاده الواحد بعد الآخر ، وراجت لديه فكرة خرافية ، وهي أنه لن يعيش له ولد مادام هو في تريم ، فانتقل هو وعائلته إلى سيون سنة ١٣١٧ ، وهناك رزق بأربعة أبناء ، وتوفي عام ١٢٤٣ .

توسط السلطان غالب بالصلح بين يافع وإمام اليمن

في سنة ١٣٣٧ هجم الزيود وعددهم ٣٠٠٠ رجل على الشعب لاستردادها من أيدي يافع ، ولم يكن فيها أحد من يافع سوى سكانها الأصليين ، فاجتمع يافع في البلاد السفلى لإخراج الزيود ، ولكنهم تنازعوا فقتلوا ، ولم يذهب منهم إلى الشعب غير ٨٠٠ رجل فقط ، فثارت الحرب واندرج يافع ، والتجأوا في القزعة وتحصنوا فيها ، ولكن الزيود أحاطوا بهم ، وقطعوا عنهم الماء والقوت ستة أيام ، وأطلقوا عليهم المدفع ، فهتوا الحصون ، وأسروا ١٣ شخصاً من يافع ثم قتلوهم في

السجن ، وكان عدد القتلى من يافع ٢٥٠ ، ومن الزيود ٤٠٠ ، ولقد استعمل الخلاف بين الفريقين ، وأخذ يافع يتجمعون لاسترداد الشعيب ، وبدأت المناوشات من الطرفين ، ثم أرسل السلطان غالب بن عوض القعيطى وزيره السيد حسين حامد المحصار ، وجماعة من كبار يافع بالبنادر للإصلاح بين يافع والإمام يحيى ، وأعطاه عشرين ألف ريال ، وكان السيد حسين حامد مندوباً فى الصلح عن حكومة القعيطى وعن والى عدن الذى أعطاه عشرين ألف ريال فى مقابل مصاريف ذهابه إلى يافع وإلى اليمن ، واستطاع السيد حسين حامد المحضار بدهائه وسياسته أن يرضى الطرفين بالتي هى أحسن ، ويقم بهم صلحاً لمدة ١٢ سنة .



معاهدة عدن

أراد السلطان غالب بن عوض القعيطى أن يجعل للبلاد شيئاً من النظم الحديثة ، ويرفع من شأن حكومته ويعلى قدرها ليكون لها القيمة التى تستحقها ، والإجلال الذى يجدر لكل حضرمى أن يحمله نحوها ، وأنى الظروف تساعده فيما أراد ، فإن الثغور فى يده ، والقبائل تطلب وده ، فسافر إلى حيدرآباد ، واجتمع بأخيه السلطان عمر بن عوض ، وبابنه الأمير صالح بن غالب وشاورهم فى الأمر ، فاتفق رأيهم على إنشاء إدارة للباسبورتات فى المكلا ، وسافر السلطان غالب إلى عدن فى طريقه إلى المكلا عاصمة ملكه ، وفاوض الإنجليز فى الأمر بواسطة والى عدن ، ولكن هذا صرح له أنه لا بدّ لتنفيذ الأمر من اعتراف حكومة آل عبد الله الكثيرى بالسيادة لحكومة القعيطى ، فبعث السلطان وزيره السيد حسين حامد المحصار إلى آل كثير ، وسعى الوزير بما عرف به من الدهاء والكياسة لإرشادهم للاعتراف بسيادة حكومة القعيطى على حضرموت ، ولقد نجح الوزير فى رسالته وكان الاعتراف من جانب أعماء البيت السالك ، وهم آل عبد الله ، ولكن فخاند آل كثير عارضوا وأعلنوا جهاراً عدم اعترافهم بالسيادة للقعيطى ، فراودهم الوزير ولكن من غير جدوى ، ولقد ازداد الخلاف ، وتطوّرت الحال إلى التجمع ، والاستعداد للحرب ضد القعيطى ، فأرسل السلطان غالب جيشاً من يافع ومن العبيد إلى شبام ، وبني قلاعاً فى الدحقة على مقربة من آل سند ، فثارت الحرب بين الفريقين ، وحاصر السلطان غالب آل كثير من ناحية الثغور ، فلم يستطيعوا السفر إلى الخارج ، أو يأتى المهاجرون منهم إلى حضرموت إلا من طريق القبلة مع أشد أنواع الأخطار ، ومنع أيضاً صادراتهم ووارداتهم كما طلب من والى عدن حجز واردات آل كثير من حوالات مالية وغسيراها ، فأصبح موقف آل كثير حرجاً

جدا ، وأخيراً أى بعد سنة و بضع شهور طلب والى عدن من حكومتى حضرموت إيقاف الحرب ليتوصل إلى إصلاحهما ، وأرسل إلى بعض كبار آل كثير فى جاوه وسنقفوره ، فجاهه السادة سالم بن جعفر ، وسالم محمد بن طالب ، وصالح عبيد بن عبدات ، وأرسل إلى السلطان على بن منصور الكثيرى ، فسافر السلطان على إلى المكلا من طريقه إلى عدن ، فقبل من لدن حكومة القعيطى بكل إجلال وتعظيم ، وأطلقت المدافع ترحيباً به وإكراماً لقدمه ، ثم سافر عظمته وعظمة السلطان غالب بن عوض القعيطى ، وبصحبتهم السيد حسين حامد المحضار ، وبعض كبار يافع إلى عدن فى باخرة إنجليزية أرسلها الوالى خصيصاً لنقلهم . اجتمع القوم فى عدن تحت إشراف الوالى ، وكتبت المعاهدة التى وافق الجميع على كل ما جاء فيها من شروط وتمهيدات ، وهذه هى المعاهدة بخذافيرها :

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

أما بعد : قال الله تعالى فى كتابه العزيز : « كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ » ، وقال الله تعالى : « الَّذِينَ إِنْ مَكَّنَّاهُمْ فِي الْأَرْضِ أَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ وَأَمَرُوا بِالْمَعْرُوفِ وَنَهَوْا عَنِ الْمُنْكَرِ وَاللَّهُ عَاقِبَةُ الْأُمُورِ » ، وهانحن والله الحمد مؤمنون ، ومتبعون لهدى نبينا محمد صلى الله عليه وسلم ، ومعتقدون بأن فى إجماع الكلمة ما يعود نفعه للمسلمين ، وصلاح العباد والبلاذ ، وراغبين فيما يوجب الأمن والراحة للأهالى ورفاهيتهم فى داخل البلاذ وخارجها ، فهذا الدول الكرام القعيطية ، وآل عبد الله عقدوا بينهما معاهدة مؤبدة إلى أن يشيب الغراب ويفنى التراب ، وهما السلطان السير غالب بن عوض بن عمر ، وعمر بن عوض بن عمر القعيطى عن أنفسهما وورثتهما وخلفائهما ومن يكفلهما من جهة ، والسلاطين منصور بن غالب ، ومحسن

ابن غالب آل عبد الله عن أنفسهما وورثتهما وخلفائهما ومن يكفلهما من جهة ،
وجعلوا الشروط الآتية :

[الشرط الأول] : يرتضى السلطان القميطى مولى الشحر والمكلا وسلاطين
آل عبد الله أهل كثير أن يكون إقليم حضرموت إقليما واحداً ، وأن الإقليم
المذكور هو من تعلقات الدولة البريطانية تابعاً لسلطان الشحر والمكلا .

[الشرط الثانى] : يقرّ السلطان القميطى مولى الشحر والمكلا أن سلاطين آل
عبد الله هم سلاطين الشنافر ، ولكن آل عبد الله يحكمون فى داخل حضرموت على
مدن وقرى سسيون وتريم وتريس والغرف ومريمة والغيل ، وصار الاعتراف أن فخذ
الشنافر الآتى ذكروهم تابعون لسلاطين آل عبد الله ، وهم آل عمر ، وآل عامر ، والفخايد
آل كثير والعوامر ، وآل باجرى ، وآل جابر وما شملته حدودهم ، وهى معروفة مشهورة .

[الشرط الثالث] يتعهد السلطان القميطى مولى الشحر والمكلا عن نفسه وورثائه
وخلفائه من الجهة الأولى بأنه يقرّ ويعترف بالحقوق والسيطرة اسلاطين آل عبد الله
وورثاتهم وخلفائهم فى المدن والقرى المذكورة ، وعلى فخاند الشنافر المذكورة فى الشرط الثانى
المذكور أعلاه ، وأنه لن يعترض لهما فى أى أمر كان مطلقاً ، وأنهم سلاطين مستقلون
فى بلادهم المعينة فى الشرط الثانى . .

[الشرط الرابع] : يقبل سلاطين آل عبد الله عن أنفسهم وورثاتهم وخلفائهم
من الجهة الأخرى بأنهم لن يعترضوا بأى طريقة كانت للحكم على حضرموت ما عدا
المدن والقرى المذكورة فى الشرط الثانى ، وكذلك الفخذ المذكورة فى الشرط المذكور
ويقرّوا ويعترفوا ويقبلوا بأن ليس لهم حق فى التعرض فى محلات أخرى .

[الشرط الخامس] : يرتضى سلاطين آل عبد الله أن يقبلوا أن المعاهدة المنعقدة
بين الدولة البريطانية ودولة القميطى فى سنة ١٨٨٨ م رابطة لهم وكأنهم جعلوها ،
ويرتضون بأن يمثلوا شروطها بأمانة ، ويرتضون أيضاً أن تكون جميع معاملاتهم
ومراسلاتهم مع الدولة البريطانية بواسطة السلطان القميطى مولى الشحر والمكلا .

[الشرط السادس] : كلاً الفريقين يقبلان أن يوقفا الفتن في الحال والاستقبال حالاً ويقبلان أن ينسيا ، ويعفيا عن كل ماسلف ، وأن لا يصير من أحدهما انتقام أو مطالبة في عوض فم ويرتضيان أن يحافظا في المستقبل على الأمان في السبل الكائنة في حدودهما المعروفة ، وإجراء العدالة طبقاً للشريعة ، واحترام السادة العلوية ، وإسعاف المظلوم ، وإقامة العدالة العامة في حدودهما المعروفة .

[الشرط السابع] : يقبل المذكورون أن يساعد بعضهم بعضاً إذا حصل خلاف من أحد الحزبين على رعاياهم وأصحابهم ومن تعلق بهم ، أو على شريف ، أو عار سبيل ، أو قاصد ، ويقبلوا أن يحافظوا على أرواح وأموال بعضهم بعضاً ، وأتباعهم ورعاياهم ، ومن يلوذ بهم ماداموا في حدودهم المعروفة ، وأن يعاملوهم بالعدل والإنصاف كما معاملتهم لغيرهم من أصحابهم .

[الشرط الثامن] : يرتضى المذكورون بأن تكون الحرية المطلقة للتجارة ، وأن تؤخذ العشورات بالمقدار المرتب على جميع الناس سواء كانوا رعايا أيًا كان من السلطانين المذكورين .

[الشرط التاسع] : إذا رغب أحد السلطانين المذكورين أعلاه أن يزور الآخر ينبغي أن يخبر بمراده حتى يكون الاستعداد لمقابلته بالاحترام الواجب ، ويحتاج أن لا يزيد في أي حالة كانت مقدار العسكر عن خمسين قرناً لقاء حدود الفتنة بين العسكر .

[الشرط العاشر] : سلاطين القعيطى وسلاطين آل كثير يقبلون بالسوية أن يعاون بعضهم بعضاً بحسب مقدرتهم واستطاعتهم في أي تدبير فيه صلاح حال حضرموت ورفقها .

[الشرط الحادى عشر] : فمقابلة لقبول الشروط المذكورة أعلاه من لدن سلطان الشعر والمكلا ، وسلاطين آل عبد الله آل كثير سوف تجتهد الدولة البريطانية أن تصلح جميع الخصومات الناشئة في المستقبل بين المذكورين بعد تاريخ هذه المعاهدة بالتحكيم بواسطة والى عدن .

حرّرفى ٢٧ شعبان سنة ١٣٣٦ هـ

صحیح

غالب بن عوض القعيطى

شهد بذلك

حسين بن حامد المحضار

شهد على إقرار المذكور

سالم بن جعفر بن طالب

شهد على إقرار المذكور

ناصر بن عمر بن يمانى بن مرعى بن طالب

وهذه إمضاءات نسخة أخرى من هذه المعاهدة

صحیح

المنصور بن غالب بن عبد الله الكثيرى

شهد بذلك

حسين بن حامد المحضار

صحیح

محسن بن غالب بن محمد أحمد بن عبد الله

شهد بذلك

سالم بن جعفر بن طالب

صحیح

غالب بن عوض بن عمر

شهد بذلك

ناصر بن عمر بن طالب

رفض آل كثير المعاهدة

لا شك أن الذي يلتقي نظرة في شروط المعاهدة يجدها ترمى إلى غرض مهم هو تقوية الروابط بين الحكومتين اليافعية والكثيرية ، وتوثيق الصلات بينهما ، وإلى التساند والتآزر على إصلاح العباد ، وتعمير البلاد ، وليس من شك أن ذلك ضروري لأمة تريد الحياة ، ولكن مخاندة آل كثير شعروا بشيء من الغبن في جانبهم ، ورأوا أن المعاهدة لم يراع فيها مصلحة الطرفين ، فهم وجدوا :

أولاً : أن الحكومة الكثيرية أصبحت بموجب الشرط الأول تابعة لحكومة القميطى اليافعى .

ثانياً : أصبح حكم آل عبد الله محصوراً فقط في سيون وترسيم وتربس والغرف ومريمة والغيل ، وبناء على هذا لا يجوز بأى حال أن تمد الدولة الكثيرية نفوذها ، وتبسط سلطتها ، أو تتعرض للحكم في غير البلدان المذكورة أعلاه ، بينما للدولة القميطية اليافعية كل الحق أن تبسط نفوذها ، وتحكم غير سيون وترسيم وغيرها من أملاك آل عبد الله .

ثالثاً : جاء في الشرط الخامس أنه لا يجوز للدولة الكثيرية إنشاء أية علاقة سياسية أو مفاوضة أى هيئة سياسية في الخارج إلا بواسطة الدولة القميطية ، وهذا يؤكد ما يرمى إليه الشرط الأول من بسط نفوذ الثانية على الأولى وسيادتها عليها .

هكذا أدرك آل كثير وعلى هذا التأويل فسروا المعاهدة لذلك رفضوها في صراحة حينما عاد إليهم وفدهم ، وأعلنوا عدم الانقياد لكل ما جاء فيها من شروط ، ولما بلغ ذلك إلى الحكومة القميطية أرسلت وزيرها السيد حسين حامد المحصار وبصحبه خمسون رجلاً من يافع ، واجتمعوا في حوطة أحمد بن زين ، ولما طال الكلام واحتدم الخلاف ، رابط بصع مئات من آل كثير خارج حوطة أحمد بن زين ، وأرادوا الفتك

بالوزير حسين حامد ومن معه من يافع ، ولكن الوزير أدرك التآمر والمكيدة فظاهر
بالرغبة في البيت في تلك الليلة ، وأرسل إلى شبام يطلب أرزاً وغمماً وطباخين ، ولما علم
بذلك التآمر من آل كثير انسحبوا ، وعادوا إلى بيوتهم على أن يهودوا في اليوم
التالى ، ولكن الوزير حسين حامد رحل ومن معه في تلك الليلة إلى شبام تاركا الطعام
واللحوم والطباخين لأهل حوطة أحمد بن زين ، وهكذا استطاع الداهية أن يتجى
نفسه ورجاله من بين برائن الموت ، ثم أرسل إلى السلطان غالب بن عوض ، فبعث
السلطان إلى والى عدن ، فأرسل هذا أحد رجاله من الإنجليز إلى آل كثير بعد أن مرّ
على شبام ، وأخذ معه الوزير حسين حامد وأربعمائة رجل من يافع ، واجتمع بأعيان
آل كثير ، فوافقوا على كل ما جاء في المعاهدة من الشروط ، وذلك سنة ١٣٣٤ .

وفاة السلطان غالب القميطي اليافي



السلطان غالب القميطي اليافي

في سنة ١٣٣٧ توفي السلطان غالب بن عوض القميطي في حيدرآباد ، فخرت الأمة عليه أشد الحزن ، وآلمهم فراقه أشد الألم . كان صافي السريرة ، حميد السجايا ، كريم الخصال ، صالحاً ورعاً ، محباً للخير ، كان حليماً رحيماً متواضعاً كل المواضع ، لم يكن عظمته يميل إلى متاع الدنيا وزخرفها ، ولم يركن إلى الخمول والهمود والراحة ، بل كان نشيطاً يقظاً ، وكان همه تقوية مركز حكومته ، وتوسيع نطاق نفوذه ، وتوثيق الصلات بينه وبين القبائل المتاخمة لحدود مملكته ، لم يحدث في حياته أنه أساء إلى شخص أو عاقبه من غير ذنب جناه أو جريمة ارتكبها ، بل كان حريصاً كل الحرص على تنفيذ الأحكام في حدود العدالة ، ولقد نفذ حكم الإعدام على ثلاثة أشخاص : أحدهم كثيرى ، والثاني أحد مواليه ، وآخر سمسار ، ذلك لأنهم قتلوا الكوربي غدراً ، وكان نائماً في أحد مساجد شبام ونهبوا نفوسه ، فأرسل إلى الثلاثة وأعدمهم في المكلا على مرأى من الناس (١) .

ومن أعماله احتلال ساه ، وقمع شوكة المحوم ، وامتداد السلطة على وادي الأيسر ، ومعاودة عدن .

قام بالأمر بعده أخوه السلطان عمر بن عوض القميطي ، فظلت شئون الحكومة كما كانت في عهد الراحل الكريم ، وظل السيد حسين حامد الحضار وزيراً لها والحاكم بالنيابة حينما يذهب السلطان عمر إلى حيدرآباد .

(١) كان البريكي أحد عميد القميطي الأبطال ، وهو من أحبه لدى السلطان لبسالته وشجاعته ، ولكن السلطان لم يتردد في إعدامه تنفيذاً لحكم الشرع ، ومما يؤثر عن هذا المولى أنه كان أحد آل كثير يقال له العمسا ، يقطع السابرة في ضواحي شبام ، ويلقى الرعب في قلوب الناس ، فسار إليه البريكي وبصحبته ٢٥ شخصاً من يافع ، وفي مقدمتهم عمر صلاح الحمدي اليافعي ودخلوا داره ، فوجدوه نائماً في السطح فأيقظوه ، فهب من نومه مدعوراً ، واندفع إليهم ليطنهم بخنجره ، ولكنهم مسكوه وقتلوه في الحال ، ولما خرجوا من باب الدار ألقت عليهم زوجة القنيل (مرها) فأصابته عمر صلاح إصابة خفيفة .

هينن

بعد أن تغلب الحاكم السيد سالم بن علي بن هريرة اليافعي عن مدينة هينن سنة ١٢٨١ اضطربت شئونها ، وتعدت الأقوياء على حقوق الضعفاء ، ففقد الأمن ، وانتشر الرعب في الناس ، وفي سنة ١٣٤١ سار وفد من أعيان هينن إلى الأمير علي ابن صلاح القعيطي اليافعي حاكم نينام وملحقاتها ، وطلبوا إليه بسط حمايته على هينن ، وإرسال نائب من لدنه يدير شئون الأهلين ، ويصلح أحوالهم ، فبعث الأمير علي جماعة من يافع وعبيد ، وجعل السيد محمد صالح الحمدي اليافعي حاكماً من قبله على هينن .



حرب العصابات في دوعن

بقيادة محمد بن عمر باعقيل باعلوى

يسكن هضاب دوعن ومرتفعاتها قبيلة الدّين ، وهى من أكبر قبائل البادية وأصعبها مراماً ، وهم دائماً فى ضنك من العيش ، لجذب أراضيهم ، وقفر أوديتهم ، ولا يهنأ لهم مقام ، إلا إذا نزل المطر ، حيث يزرعون فياً كلون ، ولما جاء محمد بن عمر باعقيل ، وكان ذا مال أراد أن يكون له مركزاً عظيماً ، أو بعبارة أوضح حاول أن يخلق له إمارة فى قيديون ، فاستمال إليه خمسين رجلاً من قبائل الدّين بما بذله لهم من المال ، وأخذ يعث بالأمن ، ويشير المشاغبات والمناوات ، فأرسل إليه نائب حكومة القعيطى خمسة عشر جندياً وأتقوا القبض عليه وأتوا به إليه ، فاعترف محمد باعقيل بعصيانه ، وطلب إليه العفو ، فأجابته النائب إلى ذلك ، ولكنه عاد إلى بلده ، وجهر ١٥٠ رجلاً من الدّين لمناواة النائب ، فبعث إليه النائب ٢٠٠ جندي ، فهرب محمد باعقيل وعصابته بعد أن نهبوا مواشى بعض الرعايا ، واستطاع النائب أن يلقي القبض عليه وهو ذاهب إلى بظة ، وأرغمه بدفع ٥٠٠ ريال ثمن المواشى المنهوبة ، وأطلق سراحه ولم يكده يصل باعقيل بلده حتى جهز ٧٠٠ رجل من الدّين ، وكن بعضهم فى وادى دوعن وقتلوا ايلاً ثلاثة من جنود الحكومة ، وفى الليلة الثانية قتلوا اثنين ، ثم أحرقوا نخلاً كثيراً ، ونهبوا عبداً وثلاثة حمير ، ومسكوا ابن البارّ ظناً منهم أنه ابن حسين حامد المحضار ، وفى الصباح انصح لهم أنه ابن البارّ ، فأطلقوا سراحه. أما النائب فقد أرسل إلى الحكومة بالكلا يطلب المدد ، فأرسلت الحكومة إليه وزيرها حسين حامد المحضار ، وبضع مئات من يافع ، واتحمت الحرب بين الفريقين ، فانهزمت قبائل الدّين شرّ هزيمة ، وقتل من يافع أربعة وجرح اثنان ، ولما رأى البدو تقدم الجيش

الحكومي واستيلاءه على بعض أما كنهم خافوا العاقبة ، فأرسلوا عدداً من أعيان البار
وآل عطاس إلى قائد الجيش ليطلبوا إليه إيقاف الحرب ، فأجابهم إلى ذلك بعد أن سلخوا
إليه زعيم العصابات محمد باعقل ، و ٢٤ رجلا من الدين ، وسجن هؤلاء في دار
المنعة عند النائب ، أما محمد باعقل فقد سجن في المكلا ، وكان ذلك سنة ١٣٤٢ ،
وظل محمد في السجن أربع سنوات ، ولم يطلق سراحه إلا بعد أن دفع للحكومة
٥٠٠٠٠ ريال كغرامة للحرب التي أشعلها بيده .

حادثة الدير

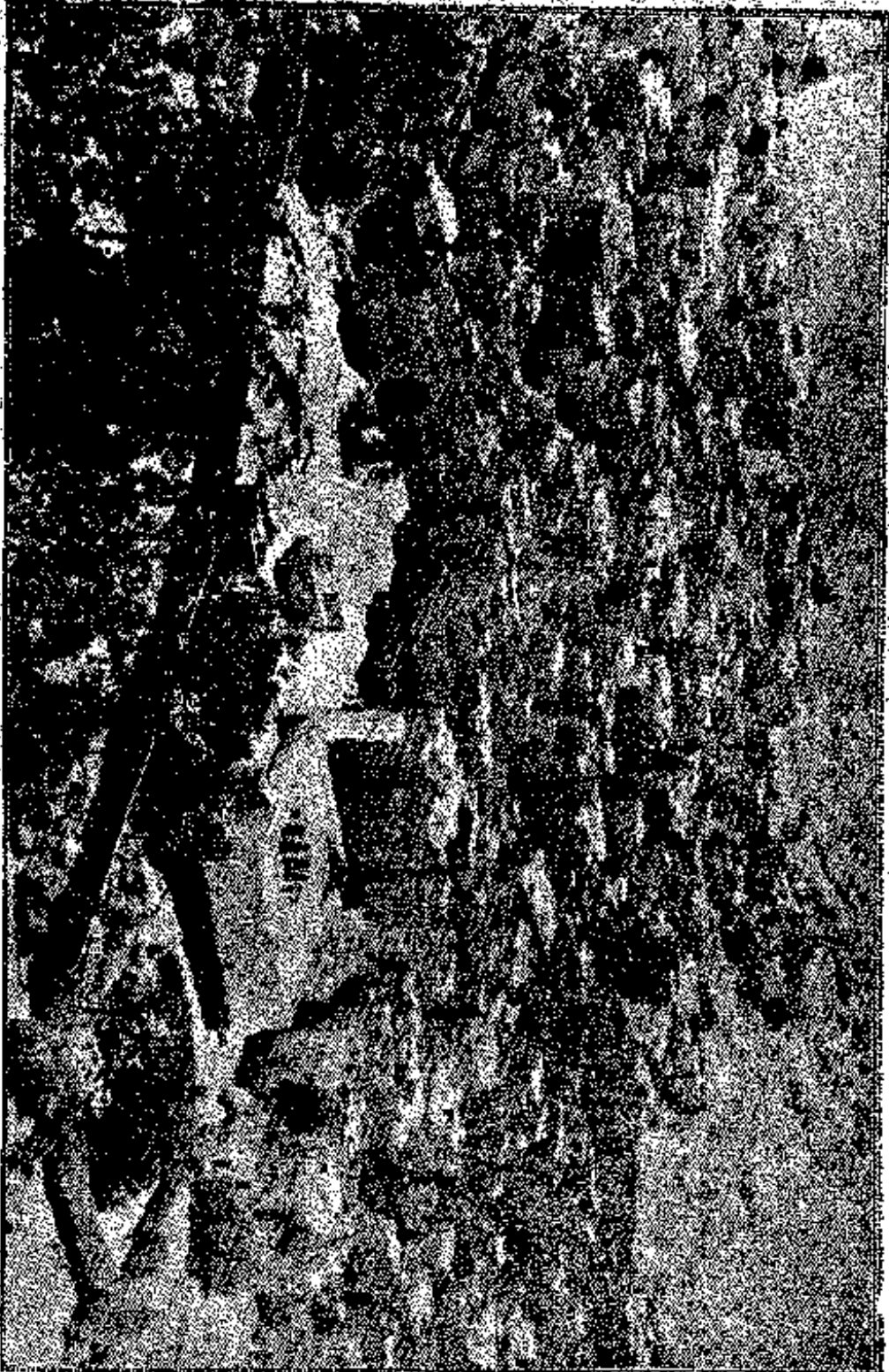
حينما ازدادت مشاغبات قبائل الدين في دوعن وتعدوا على الحرث والنسل أخذ
الوزير حسين حامد الحضار بضع مئات من يافع في المكلا والشحر والغيل والحامي
والدير ، وذهب بهم إلى دوعن لقمع مشاغبات الدين ، والقضاء على اضطراباتهم ،
وكانت الحال في بلدان السواحل ، وبالأخص الحامي والدير في أشد الحاجة إلى حامية
قوية نظراً لتناوشات الجموم وتخفيم للنهب والسلب ، ولكن الوزير لم يهتم لذلك ،
وكان السلطان عمر بن عوض في حيدرآباد ، فاتهم الجموم تلك الفرصة ، وزحف نحو
٢٠٠٠ رجل منهم على الدير ، فخرج لهم محمد ضيف البكري اليافعي ، وبصحبه عشرة
من يافع ولكنه قتل وخمسة من رجاله ، وقتل من الجموم أربعة ، وحاصر الجموم الدير
وأحاطوا بها أياماً ، ولما بلغ ذلك إلى الشحر أرسل إليها بالنيابة عمر صالح بن هريرة
اليافعي كتاباً لأهل الدير يأمرهم بالصبر والثبات حتى يأتيهم المدد ، ولكن الجموم
مسكوا الرسول واطلعوا على الكتاب ، ثم هجموا في الحال على الدير ، وظلوا فيها أياماً
ينهبون المتاجر وغيرها ، ولما بلغ ذلك إلى الشحر بعث الوالي عمر صالح إلى الأمير سالم
أحمد القعيطي حاكم المكلا بالنيابة ، فأرسل الأمير إليه نحو ٣٠٠ من يافع والعبيد
وجهاز الوالي عمر صالح ٣٠٠ رجل من جند الشحر ، ولما جاء جيش المكلا حدث
بينهم وبين الوالي خلاف بشأن تكاليف الحملة ، وكان الرؤساء السادة سعيد بن حسين

الفضلى الياضى ، وصالح بن سالم البطاطى الياضى ، ومحمد حسين بن حطين الياضى ،
وعوض عبد الله اليزيدى الياضى ، ثم ساروا إلى الدير ، ولما علم بهم الحوم هربوا
بعد أن حملوا معهم من المتاجر ما استطاعوا حمله ، وأسروا بعضاً يافع وقروا بهم ، وتركوا
المدينة بعد أن مكشوا فيها أياما ينهبون ويسلبون ، وكان ذلك سنة ١٣٤٣ .

حرب الغرقة

تقع مدينة الغرقة بين شيام وسيون ، يحيط بها عابة من النخيل الباسق ، وتحدها
من ناحية الشمال مصنعة آل عبدات ، وفي الجنوب بامتين ، ومن الغرب بابكر ديار آل
عبدات أيضاً ، ثم مساكن آل القاس ، وآل العاس ، وآل مهرى ، وآل عون ، وآل
عمر البدر ، وآل برقى ، وآل حويل ، وكان الشيخ عبد الله باعباد أول من عمرها ،
وسميت غرقة باعباد .

ولآل باعباد فى الغرقة مآثر وصدقات جارية وأوقاف وامتيازات ورثوها عن آبائهم
وأجدادهم ، وكانت لهم سلطة روحية استطاعوا بها أن يحكموا الغرقة ويفصلوا فى
المشاكل التى تحدث بين الغرفيين ، وحينما ظهر الضعف فيهم ، وبدأت سلطتهم
الروحية فى التقلص والانكماش لاقتراق كلمتهم وانشقاق جمعهم ، بسط آل أحمد بن زين
الحبشى نفوذهم الروحى ، وتسيطرأ على الغرفيين واستبدوهم ، ولقد ساعدهم فى ذلك
أمران : ضعف آل باعباد لاقتراق كلمتهم ، ومساعدة بعض أرباب الشوكة من حملة
السلاح لهم ، ولقد كانت النتيجة من جراء ذلك أن ازداد الخصام والممداء بين آل
باعباد وآل أحمد بن زين وغيرهم من آل باعلوى ، وظل ذلك الخصام نائراً حتى نهاية
سنة ١٣٠٠ .



مدنسية العيسية

ثم استطاع آل أحمد بن زين بدعائهم أن يزولوا ذلك الخلاف والعداء في الظاهر،
وأصبح الفريقان يتبادلان الزيارة، ولكن قلوب الفريقين لم تصف، فالعداوة ظلت
كامنة فيهم كحجر تحت الرماد، وبالرغم من قوة سلطة آل أحمد بن زين الروحية

وتأثيرها في الغرفيين ، فإنهم لم يستطيعوا أن يحفظوا الأمن في العرقة ويديروا شئون أهلها ، فالفوضى ضاربة أطنابها ، والأموال منهوبة ، والحقوق مسلووبة ، والدماء مسفوكة ، والأمن مفقود ، وحملة السلاح يتصرفون في أهل العرقة كما يشاءون ، ويأخذون بأيديهم ما يطيب لهم من مال وطعام وما إلى ذلك ، وكان أهل العرقة ، وبالأخص التجار يستغيثون مما يلاقونه من المظالم ، ولكن لامغيث ويستنجدون ولا منجده ، ويستجبرون ولا يجبر ، ، وحينما ثور حرب بين القبائل يحتل بعضهم العرقة ، ويتخذون الدور مساكن لهم ومخافر ومراصد ، وهم يأكلون في أثناء الحرب على حساب الغرفيين حتى تضع الحرب أوزارها ، واضطر بعض الغرفيين إلى أن يستنجدوا بأولى السطة الروحية من آل باعلوى كآل أحمد بن زين ، فينجدهم هؤلاء من بعض المظالم ، ولكن على شروط هي أشد وطأة من مظالم حملة السلاح ، ذلك أن أولئك المستنجدين يجب أن يقرؤا عن أنفسهم وأولادهم أنهم خدوم لهم ولأعقابهم ، وهكذا ينجو أولئك المساكين من ظلم حملة السلاح المؤقت ، ويخضعون لمظالم آل باعلوى المؤبدة .

وكان السيد صالح عبید بن عبدات الكثيري طموحاً ، شغوفاً بالرئاسة والزعامة ، ولقد ساعده دهاؤه وحزمه وثروته الواسعة على نيل ما تطمح إليه نفسه الكبيرة ، فأعد عدته لاحتلال العرقة وإدارة شئونها ، وكان ذلك سرا من الأسرار لم يعلم به الناس حتى ولا أقرباؤه ، حتى إذا كان على أتم استعداد ظهرت مطامحه وأغراضه .

سار إلى العرقة واستولى عليها سنة ١٣٤٤ ، ونادى بنفسه أميراً عليها ، وأخذ يصلح شئون الأهالي ، وينفذ أحكامه العادلة فيهم ، وضرب قوداً باسمه ونشرها للتبادل بين الناس ، فانسع نفوسه ، وقويت شوكته ، وهابه الغرفيون ، غير أن ذلك لم يرق لآل جعفر وغيرهم من فخاند آل عمر ، ففقدوا عليه وأزمعوا وأجمعوا على إخراجه من العرقة عنوة ، وبلغ ذلك إلى أمير العرقة ، فحصن مدينته بقوم من عشيرته آل خالد بن عمر وغيرهم من حملة السلاح ، وحفر الخنادق ، وبنى المراصد ، وأعد عدته للحرب والنضال ، ولقد تطورت المشكلة ، فانضم من جانب آل جعفر آل عبد الله أعضاء البيت المالك ، وجميع فخاند آل عمر ، وبدأت المناوشات بين الغرفيين ، ولحسن حظ

آل عمر أن السيد حسين حامد وزير حكومة القميطى الياقى جاء شبام ، وبصحبته
بضع مئات من الجنود ، ومدافع من الطرز الحديث ، وانضم إلى آل عمر ضد آل خالد
ابن عمر بعد مفاوضات دارت بينه وبين زعيم آل عمر السيد سالم بن جعفر الكثيرى ،
ومن أهم أغراض الوزير السيد حسين حامد أن يوفق لعقد صلح متين بين الحكومة
القميطية ، وبين قبائل الحوم بواسطة آل عمر ، أو على الأقل أن تلتزم حكومة آل
عبد الله الكثيرية بمنع دخول الحوم فى أراضيها ، ولكن الوزير لم ينجح فى عمله .

اتحد آل عمر وابن عبد الله وضموا إليهم الوزير حسيناً حامداً ، ومن معه من يافع البالغ
عددهم نحو ٢٠٠ رجلاً ، فتكون بذلك جيش انقسم إلى فرقتين : إحداهما حاصرت الغرفة
من الناحية الغربية ، والأخرى من الناحية الشرقية الجنوبية ، واشتعلت الحرب بين
الطرفين يوم ٦ محرم سنة ١٣٤٤ ، وامتدت إلى يوم ٦ صفر سنة ١٣٤٤ ، ولقد
أبدى أمير الغرفة ثباتاً وجلداً مما جعل اليأس يتطرق إلى قلوب أعدائه ، ونهى حصناً
غربى سقاية بلخير على مقربة منهم ، وأخذ رجاله يمحطون عليهم بالرصاص ، ثم عقدوا
اجتماعاً فى دار السيد سالم بن محمد بن يمانى حضره سمو الأمير على بن صلاح القميطى ،
والوزير السيد حسين حامد المحضار ، والسيد سالم بن عبود ، والزعيم السيد سالم بن
جعفر ، والسيد عبيد صالح ، وقرروا نقل العسكر من مكان ابن عمر بن بدر إلى مكان
آخر ، وإرسال ٦٠ مقاتلاً إلى يرقى دبار آل فاس ، واستمرت المناوشات من
الجانبيين ، ولما رأى يافع أنه لا فائدة من الحصار ، وأن المناوشات تذهب جفاء أرادوا
الهجوم على الغرفة ، ولكن الوزير حسين حامد منعهم عن ذلك فألحوا عليه وأنذروه
بالانسحاب إذا لم يسمح لهم بالهجوم ، فلم يجهم إلى ذلك فانسحبوا ، وعادوا إلى ديارهم
فى القطن ، ولم يبق فى جبل شبام غير العبيد وجماعة آل عمر ، واضطر الوزير حسين
حامد لطلب المدد من المكلا فلم يأتته أحد ، فأمر العبيد بالانسحاب من الميدان ، وتلاهم
آل عبد الله ، وانفرد آل عمر بمحاربة آل خالد بن عمر ، وعرج الوزير حسين حامد
إلى المكلا خائباً محسوراً ، وقد أرهق الحكومة القميطية بصرف الأموال والدخائر
لحرب الغرفة دون أن يظفر بشيء ما ، ودون أن يوفق إلى توطيد مركز حكومته ،

وتقوية أركانها ، بل كانت العاقبة وخيمة لاعلى الحكومة الياضية ، بل وعلى الحكومة الكثرية أيضاً ، فإن انسحابهما من الميدان بعد إعلانهما للحرب ، أظهر للناس عجزها عن إخراج آل خالد بن عمر من القرية .

مشاغبات الحموم

أما الحموم الذين سار الوزير حسين حامد لعقد صلح بينهم وبين حكومة القميطى بواسطة حكومة آل عبد الله ولم يفلح ، فقد ازدادت مشاغباتهم ومناواتهم لحكومة القميطى ورعاياها ، وكانت مواصلات الحموم بسيون وترميم متينة ، وكانوا يبيعون بعض المنهوبات من سوق سيون ، وقد أشيع لذلك أن الحكومة الكثرية تمدد الحموم بالمال والذخائر للقيام ضد الحكومة الياضية ، فسار الوزير السيد حسين حامد إلى شبام في أواخر سنة ١٣٤٤ ، واستدعى إليه رؤساء آل كثير وآل تميم وطلب إليهم مقاطعة الحموم ومنعهم من الدخول في بلدانهم ليضيق عليهم الخناق فيخصعوا للحكومة القميطية ، فعاهدوه على ذلك ، والتمروا على أنفسهم بمقاطعة الحموم من جميع بلادهم ، ولكن الوزير حسين حامد لم يكتف بذلك ، فهو طلب إلى كل قبيلة من آل كثير رحلين يبقبان في حوزة الحكومة القميطية كرهائن لئلا يجدوا سبيلا لنكث العهد ، فامتنعت القبائل الكثرية عن تسليم رجالها ، ولقد ظن الناس أن حرباً ستثور بين الحكومتين الياضية والكثرية ، ولكن لم يكن شيء ، ثم عاد الوزير السيد حسين حامد إلى المكلا .

جمعية الحق

أقام أعيان مدينة تريم ، وفي مقدمتهم السادة آل الكاف جمعية تدعى « جمعية الحق » ، وكان غرضها في بادئ بدء إصلاح أهل تريم أدبيا واجتماعيا ، ولكنها لم تلبث أن أخذت تسعى سعيًا حثيثًا في التدخل في شئون البلاد السياسية ، ولقد استطاعت بقوة نفوذها المادى أن تؤثر في الأمير محسن بن غالب الكثيرى ، وتقضى على مركزه ، فقد أصبحت شئون المدينة في يد الجمعية ، فهى التى ترسم الضرائب أو العوائد والرسوم على الأهلىن ، وتعهدت الأمير بدفع مبلغ من المال سنويا في مقابل تخليه عن شئون المدينة ، وصار العبيد يستلمون مرتباتهم من الجمعية ، أو بعبارة أخرى من آل الكاف ، وهكذا استطاعت جمعية الحق أن تتولى زمام إدارة تريم ، وتنفرد بالسلطة المطلقة والنفوذ الأعظم ، ولما توفى الأمير محسن بن غالب الكثيرى في ١٠ جمادى الأولى سنة ١٣٤٣ قام بأمر تريم بعده الأمير سالم بن عبود بن مطلق الكثيرى ، ولكنها ولاية اسمًا ، لجمعية الحق هى التى تقوم بإدارة البلد وهى صاحبة الحول والطول وأهم الأسباب التى دفعت الجمعية إلى التدخل فى السياسة والقيام بشئون تريم هو مارأته من الفوضى فى كل النواحي ، فمن جهة كانت الضرائب تفرض على السكان دون أن يراعى فيها العدل والإنصاف ، فقد يرهق أحدهم بالضرائب ، ويدفع الآخر أقل مما يجب ، ويعنى من الضرائب كبار بعض أصحاب السلطة الروحية ليس لكونه فقيرًا ، فقد يكون ذا مال كثير ، ولكن لأنه ذو منصب ، أو لأنه من كبار الروحانيين ، ومن جهة أخرى كانت مرتبات العبيد تدفع من غير نظام ، وأحيانًا تقطع عنهم ، وهو الأمر الذى كان يدفع هؤلاء العبيد للثورة ضد الساطان ، لجمعية الحق أرادت أن تزيل هذه الفوضى وتصلح أمور المدينة ، وليس من سكت أن تدخل الجمعية فى شئون تريم ليس

من صالح منصب آل عيديروس وأتباعه ، لذلك تولد فيهم الحقد ضدها ، ومما زاد
الطين بلة محاولة الجمعية مدّة نفوذها على بعض فخائد آل تميم ، وأخذ المنصب بحرك آل تميم
ضد خصومهم ، واستدعت الجمعية كبار آل قصير وآل محمد ، وحرصتهم على القيام ضد
آل سلمة ، وزودتهم لذلك بالمال والذخيرة ، فسار هؤلاء إلى بلد السويرى وحاصروها
ثم أثاروا حرباً عليها ، واتسع نطاق الفتنة ، وحوصرت تريم من آل تميم الموالين لآل
عيديروس ، وهبّ عبيد السلطان وغيرهم من حملة السلاح يدافعون عن المدينة ، وآل
الكاف يمدونهم بالنخائر ، وأخيراً رفعت إلى الحكومة القعيطية شكاوى مما حلّ
بالناس من البوار والدمار ، وطلب أصحابها إليها أن تتدخل في الأمر وتصلح ذات البين ،
فأوفدت لذلك وزيرها السيد حسين حامد الحضار وستين رجلاً من يافع ، واستطاع
الوزير أن يحسم النزاع والخصام ، ويصلح بين الفريقين ، وهدم مخفر تريم ، وجعل في
تريم من يافع ٢٤ رجلاً ، وعليهم السيد محمد صالح الحمدي اليافعى ، وفي سيوم ٢٤ رجلاً
من يافع ، وعليهم السيد محمد بن صالح الحداد القعيطى اليافعى ، وكان ذلك سنة ١٣٤٥
وأصبحت السيارات تسير بين سيون وتريم بخفارة يافع ، لأن آل الكاف كانوا يخافون
من آل تميم أصحاب آل عيديروس بالرغم عن وجود حاميتين ليافع في سيون وتريم ، وفي
ذات يوم خرجت سيارة من تريم ، ولم يكن يخفرها أحد من يافع ، فعرض لها جماعة
من آل تميم وأطلقوا عليها النار ، ومنعوها عن الذهاب إلى سيون ، ولما بلغ ذلك إلى
يافع الذين في تريم ساروا في الحال والتقوا بآل تميم ، وثار بينهم حرب ، وقتل من
آل تميم اثنان ، ومن يافع واحد ، وبلغ ذلك إلى السلطان عمر بن عوض القعيطى
اليافعى ، فأرسل إلى يافع بالانسحاب من سيون وتريم ، والعودة إلى المكلا .

مؤتمر سنقافوره

في سنة ١٣٤٦ كان سمو الأمير المحبوب صالح بن غالب القعيطي اليافعي ولي عهد الحكومة القعيطية نائباً عن عمه السلطان عمر بن عوض القعيطي اليافعي في إدارة شئون الحكومة في المكلا ، وسمو الأمير من أعظم رجالات الحضارم ثقافة وأدباً ، وأحبهم لإصلاح الوطن ، وأكثرهم غيرة على الحضرميين ، وهو في الوقت نفسه خبير بمواقع الداء في أمته ، عليم بطرق علاجها وهدايتها إلى الصراط الأقوم . رأى سموه الفوضى ناشبة أظفارها في طول البلاد وعرضها ، والعباوة تنخر الأمة نخرآ وتدفعها دفعاً إلى مستقبل هو أشد سواداً من ظلام الليل ، فأراد سموه إزالة الفوضى بإيجاد نظم عصرية نافعة في البلاد ، وأراد تبديد الجهالة بنشر العلوم ، وأراد إصلاح العباد وترقية البلاد ، فاستدعى سلاطين آل عبد الله ، وبعضاً من أعيان الحضارم للتشاور والتآزر والتعاون في الأمر ، فلبى نداءه السلطان علي بن منصور الكثيري ، وجماعة من الأعيان ، وتكوّنت في الشحر لجنة تحت رئاسة كل من السلطانين صالح ابن غالب ، وعلي بن منصور ، وأذاعت الدولتان القعيطية والكثيرية بلاغاً رسمياً إلى كافة أهالي حضرموت ، وهذا نصه :

بلاغ رسمي عام

من الدولة القعيطية ودولة آل عبد الله الكثيرية إلى كافة أهالي حضرموت

بسم الله وبحمده ، والصلاة والسلام على سيدنا محمد وآله وصحبه وجنده .
أما بعد : فهذا بلاغ رسمي عام من الدولتين القعيطية ، ودولة آل عبد الله الكثيرية ، ليعلم الخاص والعام من أهالي حضرموت كافة أنه سمّ عون الله وحسن

توفيقه تجديد الاتحاد ، وتوثيق عرى الصداقة والارتباط بين الدولتين أن يتعاونوا جهدهما على الإصلاح ، وإقامة الأمن والعدل والإنصاف كما تقتضيه الشريعة الإسلامية الفراء ، وأن يدهما واحدة على كل مخالف ، وعدوهما واحد ، وصديقهما واحد ، ومما تمّ الاتفاق عليه بين الدولتين أن من تثبت مخافته للإصلاح وتسببه في القلاقل والاضطرابات ، ولا يستسلم ، ولا يحتكم للحق على يد الدولتين يجرى التضيق عليه ، وتقطع مصالحه ومواصلته في أراضى الدولتين ، ويلقى القبض في البنادر عليه وعلى أمواله ومن يصلها من أصحابه وجماعته وأموالهم ، ولأجل تحقيق ما ذكرتم الاتفاق بين الدولتين ينبغي أن يكون للدولة القعيطية نائب عنها في سيون ، ونائب عنها في تريم ، وأن يكون للدولة آل عبد الله نائب عنها في الشحر ، ونائب عنها في المكلا .

والله يتولى الجميع بتوفيقه ورعايته ، ويأخذ بيد المملكة الحضرية المتحدة إلى أوج

التقدم والفلاح

حرّر في ندر الشحر في ٢٦ ربيع الثاني عام ١٣٤٦

وتقرّر في اجتماعهم المنعقد في الشحر في شهر جمادى الأولى سنة ١٣٤٦ إيّافاد الشيخ الطيب الساسى إلى جاوه مندوباً عن الحكومتين اليافمية والكثيرية لدعوة الحصارم المهاجرين في ذلك الصقع النائي للاشتراك في إصلاح الوطن وترقية أبنائه ، وأذاعت كل من الحكومتين بلاغين رسميين إلى كافة الحصارم في جاوه ، وهذا نصهما:

خطاب السلطان صالح بن غالب القعيطى

بسم الله والحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله

أما بعد : فهذا خطاب عام إلى كافة أفراد الشعب الحضرمى السبيل القاطن في جاوه : أيها الوطنيون النجباء : لقد دعانى الواجب الوطنى أن أبذل قصارى جهدى في إصلاح وطنى الحضرمى المبارك ، وأجتهد بقدر طاقتى ونفوذى في إزالة مافيه من أسباب القلاقل والفتن ، ووضع أساس متين للعدل والأمان ، وحسم الفوضى والاستبداد ، وقد

هدتني هذه الفكرة إلى السعى في وضع خطة أساسية أتمكن بها من إيجاد اتحاد تام بين أفراد الأمة ، وإيجاد وثام وثقة بين الأمة والقوة الحاكمة ، وإزالة سوء التفاهم من بينهم ليتيسر لنا الوصول إلى ما نحن بصدده ، فوجهت الدعوة إلى من تتمت فيهم رأفة الإصلاح من أعيان حضرموت ، وطلبت منهم أن يرسلوا إلى وفدنا من ساداتها وأعيانها ورؤسائها ، ورجوت منهم تلبية دعوتي إلى الإصلاح ، فلبوا دعوتي بارتياح ، وقالوا حى على الإصلاح وحى على الفلاح ، وبعد مفاوضات مع هيئة الوفد الحضرمي المؤلف من سادات حضرموت وأعيانها وعلمائها ، استقر رأينا على إبرام اتفاق بيننا يكون هو أساس الوحدة القومية لنتمكن به من إيجاد وثام تام بين أفراد الأمة وبينها وبين الهيئة الحاكمة ، وقد تم الاتفاق بيننا ، وتقرر بيننا أن نرسل وفدين : وفداً إلى حضرموت يطوف على جميع القبائل وسكانها لتفهمهم مقاصدنا ، ودعوتهم إلى الإصلاح بالطرق السلمية ، ووفداً يتوجه إلى جاوه لاستنهاض همم أهل الوجاهة والبسار من الوطنيين الأحرار للأخذ بيد الهيئة الاجتماعية ، والاشتراك في إقامة جمعية من الوطنيين تساعد مع الهيئة الحاكمة في الأقطار الحضرمية ، وهيئة الوفد الحضرمي في إجراء الإصلاحات الوطنية اللازمة ، كتنشر المعارف وإقامة شركات وطنية لإنماء الزراعة وإحياء الصناعة . وإنتى أرى من أوجب الواجبات على الأمة الحضرمية سماً أهل البسار منهم ، والذين تنورت أفكارهم باحتكاكهم بالأجانب أن يبذلوا ما في وسعهم لإيادة الجهل السائد على أبناء وطنهم فإنه علة العلل ، ومورت الحمول والكسل ، وما دام الجهل سائداً على أفراد الأمة فلا تترقى ولا تتبع الخطة العادلة التي يجب أن تسير عليها لأنها لا يمكن أن تعرف مصالحها من مصارها إلا بالتعليم الصحيح ، ولو فرصنا أننا وقفنا إلى إجراء بعض إصلاحات بسعى أفراد من الأمة أو الحكومة ، فإن تلك الإصلاحات تزول بزوال شخصية رجال الإصلاح . أما النهضة الإصلاحية التي تنتج من مجموع أفكار الأمة وقوة مركزها العلمي ، فهي التي تبني مستمرة ويكون لها شأن عظيم ، ولذلك أرى من أوجب الواجبات على رجال حضرموت وهيئتها الحاكمة أن يوجهوا عنايتهم لنشر العلوم والفنون والصنائع في وطنهم العزيز ، وأريد بالعلوم عامة المعارف التي تؤهل

الأمة لخدمة وطنها ، وتنقيف عقول أبنائها ، وتقيدهم في إصلاح أنفسهم وإصلاح بلادهم وذات بينهم ، فلا يجب أن يكون التعليم قاصراً على العلوم الدينية واللسانية ، بل لا بد أن يشمل نظام التعليم جميع العلوم التي تحتاج إليها الأمة لخدمة وطنها ، كالعلوم الرياضية والطبيعية والاقتصاد السياسي والطب ، فإن درس هذه العلوم لخدمة الأمة فرض كفاية كما صرح به الغزالي ، ولا بد من تعلمها لحفظ نظام الهيئة الاجتماعية ، ونمو حياتها ، إذ لا بد أن تكون في الأمة طائفة من المهندسين ، وطائفة من الأطباء ، وطائفة من أهل الأقاليم ، وهلم جرا ، حتى يحصل للوطن الرقي الصحيح بتعاون أبنائه على القيام بأعباء الأعمال المختلفة اللازمة لحفظ كيانه .

فهلوا يامعشر الحضارمة إلى التعاون على الإصلاح ، فبالاتحاد في العمل يسهل كل صعب ، وإن حكومتنا ستمد يد المساعدة ، وستبذل ما في وسعها لتنشيطكم فهلوا إلى العمل فإنه مفتاح الفرج .

لقد استهزت حضرموت على الألسنة بالجذب والقحولة ، وعدم وجود المياه فيها ، ولكن تبين لي بعد درسي جغرافية البلاد الطبيعية درساً بسيطاً أن موارد المياه توجد بكثرة في حضرموت وسواحلها ، وأن الأطيان الصالحة للزراعة توجد فيها بوفرة ، ولولا جهل سكانها بالوسائل الفعيلة اللازمة لتخزين المياه ونظام الري لأصبحت حضرموت من أخصب الأراضي الموجودة في اليمن ، فيجب على [وحالة بلادكم كما قد شرحت لكم] أن أستلفت أنظار أهل حضرموت ، لاسيما أهل اليسار منهم إلى إحياء بلادهم بإقامة شركات زراعية ، وتأليف جمعيات وطنية للنظر في المشاريع العمرانية . وقد يعترض بعضهم بأن هذه الأعمال تتوقف على إقامة الأمن في حضرموت ، وحسم الفوضى الخبيثة على ربوعها وغير ذلك ، ولكني أقول إن من درس أحوال حضرموت عرف أن أكثر أبنائها ميالون إلى الإصلاح ، وأن أهل البغي والفساد منهم يعدون على الأصابع ، فإصلاحهم لا يتعسر على القوة الحاكمة متى مارأت إقبال أهل الثروة على إحياء بلادهم بتنشيط الزراعة ، وإحياء الصناعة ، وتقوية التجارة وغير ذلك .

فالهمة الهمة في إبراز نتائج أعمالكم إلى عالم الوجود بعزم ونشاط يشقان للأمم الحية

ما أتم عليه من محبة الوطن والإنسانية ، فقد اشتهر أبائكم بكلّ مزية ، وكانوا قادة
للمدنى ، والولد يكون سرّاً لأبيه ، فكونوا مثلهم في النشاط والعزيمة ، وإذا عزتم على
أمر تذكروا قول الصفي وأعملوا عليه :

لقد سسعيناً فلم تضعف عزائنا عما نروم ولا خابت مساعينا
لا يظهر العجز منا دون نيل منى ولو رأينا المنايا في أمانينا
وقد سررت كثيراً حينما بلغني خبر إقبالكم على الأخذ بساعد الهيئة الوطنية ،
ومساعدتها على مساعيها المبذولة لانتشال الوطن من الخضوض إلى أوج السكال ، فأرجو
أن تقرنوا أقوالكم بالعمل ، وأن تقدروا الوقت حقّ قدره ، فإن الوقت ثمين ، وليكن
منكم إقدام على الأعمال الخيرية بسرعة فائقة ، وهمة عمامية .

وقد أوفدت إليكم أحد رجالنا الأخصاء ، وهو الأستاذ الفاضل الشيخ الطيب
الساسى مندوباً مفوضاً من قبلى للمفاوضة معكم في كلّ ما به إصلاح الوطن الحضرمى
وأبنائه ، وأرجو أن تتفوقوا معه لما يحقق آمال إخوانكم بالوطن فيكم ، والله يوفقنا
وإياكم إلى ما فيه خير البلاد والعباد ، وأن يكمل أعمالنا جميعاً بالنجاح والسلام .

حررته بخطى بتاريخ ١٥ جمادى الأولى سنة ١٣٤٦

صالح بن غالب القعيطى

خطاب السلطانين على بن منصور وعبد الله بن محسن آل عبد الله

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله حقّ حمده ، والصلاة والسلام على سيدنا محمد وآله وصحبه المهتدين بهديه .
أما بعد : فهذا خطاب عام إلى كافة الوطنيين الحضرميين المهاجرين في بلاد جلاوه
عليهم السلام ، وقفنا الله وإياهم للاعتصام بمجبل الإسلام ، والاهتداء بهدى سيد
الأنام ، عليه وآله أفضل الصلاة وأزكى السلام .

أياها الوطنيون الأعماء : لقد أفادنا تكرر التجارب أن الاستمرار في القتال

والشجار تبيخته للأمة الهلاك والبوار ، وللوطن الخراب والعمار ، ثم اتنا بمحنا عن اللواء الذي استعمله غيرنا من الأمم الفائرة والحاضرة التي ابتليت بمثل ما ابتلينا به من الأمراض ، فوجدناه الاتحاد الذي هو رأس كل خير وسداد ، ومبيد كل شر وفساد ، فرأينا لأنفسنا الصلاح أن نسلك الطريق الذي سلكه غيرنا للصلاح .

وعلى ذلك حينما دعانا الأخ الصالح المصلح المكرم السلطان صالح بن غالب بن عوض القعيطى المعظم نحن ونخبة من سادات حضرموت وأعيانها أن نصل إليه للمفاوضة فى وضع قاعدة للاتحاد والتعاون على الإصلاح والرشاد ، وقطع جذور القوضى والفساد ، لينا دعوته مسرعين ، فوصلنا البنادر فرحين مستبشرين ، ولخير الوطن وأبنائه عاملين مجدين ، وتشاورنا وتفاوضنا فى وضع الأساس الذى تتعاون به الدولتان الدولة القعيطية ، ودولتنا دولة آل عبد الله الكثيرة مع الأمة الحضرمية على إصلاح الوطن الحضرمى وأبنائه ، فكانت النتيجة على ما يرام ، وأسفرت المفاوضات عن إبرام معاهدة جديدة عرفت بمعاهدة الشحر ، ونحن لاندعى أن ما وضعناه من الأسس بلغ حد الكمال إلا أننا نقول : ذلك مبلغ الاجتهاد ، ولا يلام المرء بعد الاجتهاد .

وقد فتحت المعاهدة الجديدة باب الأعمال الإصلاحية ، فى كافة الأقطار الحضرمية الداخلية والساحلية على مصراعيه ، وبذلك لم تترك مجالاً لنقد الناقدين .

وعلى ذلك نرجو من كل من لديه فكرة إصلاحية من الوطنيين أن لا يكتفى بأن ينتقد ، بل عليه أن يبادر للعمل ويجتهد ، ونحن له خادمون مؤيدون ، ولأعماله الصالحة شاكرون حامدون ، فان المقصود الأعظم النهوض بالوطن وأبنائه ، لاجود كل عند أفكاره وأرائه ، والوطن يتطلب اليوم رجال أعمال واجتهاد ، لرجال أقوال واتقاد .

ولأجل تحقيق الوحدة الوطنية ، والتعاون بين الدولتين ، وسائر أفراد الأمة الحضرمية ، كما تصمته معاهدة الشحر الجديدة ، اخترنا أحد أركان الوفد الحضرمى وهو الأستاذ الفاضل الشيخ الطيب الساسى أن يكون مندوباً مفوضاً عنا لديكم فى بيان الحقائق لكم ، والمفاوضة معكم فى كل ما به إصلاح الوطن الحضرمى وأبنائه ، فاعتمدوه

وكونوا عند ظن إخوانكم في الوطن بكم ، فان الآمال فيكم قوية ، ولا يخفاكم أن المال رأس جميع الأعمال ، ولذلك قدمه الله تعالى في قوله : « وَجَاهِدُوا بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنْفُسِكُمْ » فليكم بالاتحاد على الحطة العادلة التي تنتظم بها الأعمال ، والا ككتاب لجمع رؤوس الأموال التي تصلح بها الأحوال ، واعلموا أن من يصرف اليوم واحداً لصالح وطنه وأمته سيرج غداً أضغافه مع توفير كرامته ، وفقنا الله وإياكم لمرضاته ، والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته .

حرر في ندر الشهر ١٥ جمادى الأولى سنة ١٣٤٦

عبد الله بن محسن بن غالب علي بن منصور بن غالب

عادر المكلا الشيخ الساسي إلى جاوه لتبليغ رسالة سلاطين حضرموت إلى الحضارمة في المهجر ، ولما جاء سنقافوره نزل ضيفاً في بيت السادة آل الكاف ، والحصارمة في جاوه وغيرها من الهند الشرقية منقسمون إلى حزبين إرشاديين وعلويين ، وكل من الحزبين نافر من الآخر وناقم عليه ، والشيخ الساسي يجهل تمام الجهل أسباب الشقاق والتزاع القائم بين الحزبين كما أنه يجهل أحوالهم الاجتماعية حتى في بلادهم حضرموت ، ولا غرابة في ذلك لأنه دخيل جديد في الحضارم ، وكان يجب عليه أن يبني على الحياض ، فلا ينعاز إلى أحد الفريقين دون الآخر وينتخب البارزين من الحزبين بنسبة متساوية ليكون المؤتمر بعيداً عن الحزبيات ، واثلاً يكون للمصيبة عليه أثر ، والكن شيئاً من ذلك لم يكن ، فهو نزل في سنقافوره ، وهناك طاب له المقام ونصب العيس ، ومال كل الميل إلى حزب آل باعلوى ، واتخذهم أنصاراً له كما اتخذوه نصيراً لهم ، ووثق بهم كل الثقة ، حتى صار في أيديهم آلة صماء ، وهو بذلك راض كل الرضا مسرور كل السرور ، ونسى أو تناسى أن الحكومتين بعثناه إلى جاوه لا إلى سنقافوره كما هو مذكور في المنشور الذي كتبه السلطان صالح بن غالب القميطي للحصارم بجاوه ، وفاته أيضاً أن مجموع الحضارم في سنقافوره لا يوازي عشر معشار القاطنين منهم في جاوه ، وأنه لا أثر نهضتهم في سنقافوره بالنسبة لآثار نهضتهم

هناك ، فان لهم في جاوه جمعيات ومدارس ونوادى كثيرة ، وليكن حضرته كما قلنا
يجعل حالة من أرسل إليهم ، وهو في الوقت نفسه مرغم على النزول في سنقافوره ليكون
المؤتمر في مأمن من تدخل الإرشاديين ، واثلا يكون عليه أثر للجمعية اليافعية الموجودة
في مدينة التقل بجاوه ، والتي يبلغ أعضاؤها نحو ٣٠٠ رجل من يافع ، وكلهم من حزب
الإرشاد الإخمسة ، أرسل الساسى هو وجماعة من آل باعلوى خطابات إلى أعيان
عشيرتهم في جاوه حتى إذا اجتمعوا في سنقافوره ، ورسوموا الخطط التي سيعقدون المؤتمر
عليها بعثوا دعوتهم إلى جمعية الإرشاد ، واستنمت جمعية الإرشاد عن إرسال مندوبين
عنها لحضور المؤتمر ، لأنها رأت أن المؤتمر اصطنع بصيغة حزبية ، وتكون في جو مشبع
بالمصبيات ، وقد بعثت لهم خطابا تعتذر فيه عن الحضور ، ولكن أعضاء المؤتمر رموا
الخطاب وراءهم ظهرئيا ، ولم يقيموا له وزنا بدعوى أنه مرسل إلى المؤتمر الأول لا الثاني^(١)
وعدوا عدم إيفاد الإرشاديين مندوبين عنهم عقوقا بالواجبات الوطنية ونفورا عن
إصلاح الحضارم ، أما الجمعية اليافعية فلم يبعثوا إليها بدعوة لأنهم يخافون أن ترسل
مندوبها ، أو تنبب عنها أحد كبار أعضائها بسنقافوره ممن يعرفون ما وراء الأكمة ،
فتفسد خططهم ، وتنهار أسسهم التي بنوها للوصول إلى أغراضهم المنشودة .

انعقد المؤتمر الحضري بسنقافورة يوم الثلاثاء ٢٥ شوال سنة ١٣٤٦ ، الموافق
١٧ إبريل سنة ١٩٢٨ تحت رئاسة السيد إبراهيم السقاف باعلوى والأعضاء من آل
باعلوى إلا بضع أشخاص من غيرهم ، ولسكهم ممن استعبدتهم سلطة آل باعلوى
الروحية ، واستمر المؤتمر يوالى جلساته إلى يوم ١٠ ذى القعدة سنة ١٣٤٦ ، وأسفر
المؤتمر عن قرارات نشرها فيما يلي ، ولقد أشيع أن المؤتمر يريد أن يهيمن على شؤون
الحكومة القميطية ويتسيطر عليها ، فهاجت الجمعية اليافعية بجاوه ، وبعثت رسائلها
وتفراقها إلى الحكومة القميطية اليافعية ، وإلى أعيان يافع في البنادر وفي الهند تحذرم
من الوقوع في شرك مؤتمر سنقافوره . أما الشيخ الساسى فقد قفل إلى المكلا حاملا

(١) يزعم آل باعلوى أن الاجتماع الذي عقد في السحر في شهر جمادى الأولى سنة ١٣٤٦ مؤتمر
أول ، وفي الحقيقة لس هو سوى اجتماع عهيدى لإقامة لحمه تدعو الحضارم لعقد مؤتمر علم .

تلك القرارات وخطايات أخرى معتقداً أنه سيلقى أمامه قبولاً حسناً ، ولكنه لم يكد يضع قدمه على أرض المكلا إلا وألقى عليه القبض ، وصودر سامعه من القرارات والخطابات السرية ، ثم نفته الحكومة القعيطية الياضمية من بلادها كما نفت أيضاً الجاسوس الأكبر ضد الحكومة محمد بن عقيل بن يحيى باعلوى^(١) ، وبعث السلطان عمر بن عوض القعيطي على أثر ذلك إلى جريدة الأهرام بمصر بلاغاً عاماً للحضارم بشأن نفي الساسي ، ورفض قرارات مؤتمر سنقافوره ، وهذا هو نصّ البلاغ :

من سلطان الشحر والمكلا إلى جميع الحضارم

ظهر لنا بوادر حركة إصلاح مباركة في القطر الحضرمي أملنا منها الإصلاح ونشر العلوم ، وتقوية الروابط بين أهالي القطر الحضرمي تجنباً للضغائن التي أخرجت البلاد عن الإصلاح أولاً ، ثم السير بها تدريجياً في معارج الفلاح حسباً تقتضيه الحال حتى لا تصطدم الحركة بفشل من المحافظين .

فكر السلطان صالح بن غالب القعيطي النائب عنا وقت غيابنا في الهند ، وهو مملوء القواد بحبّ النهوض للأمة الحضرمية ، ورأى مع ذلك يقظة أفكار رجالها في حضرموت واتجاه أنظارهم للإصلاح فعمد مؤتمراً بالمكلا جمع فيه ذوى الدسار وبعض من أعيان الجهة الحضرميين ، وقرروا أن يوفدوا إلى سنقافوره رجلاً يدعو رؤساء الجمعيات ، وذوى الشخصيات البارزة من الحضارم في جاوه ليعقدوا مؤتمراً في سنقافوره لأجل الشروع في معدات الإصلاح ، وتقديم الأهم على المهم حتى يتسنى للأمة الحضرمية النهوض من كبوتها في جو صاف من الصوضاء .

(١) هذا الرجل من دهاة آل باعلوى ، حبيب علم مواطن الشؤون الحضرمية وطواويرها ، وقد سكن المكلا لدسّ الدسائس ، وبث سمومه العكرية التي منها «الرمس» ، وبدل عانة مجهوده في التجسس تقومه ، وتطلع للرئاسة ، وندرع بكل الوسائل ، ولكنه كان سيئ الخطأ نأيسه الأمور بغير ما يتوقع .

ولكن عين لهذا العمل المهم رجل غريب يدعى الطيب الساسي الذي ليس له أدنى معرفة بحضرموت وعوائدها وقبائلها غير ماسمعه مدة إقامته القصيرة في بلد تريم .

ولما وصل الساسي إلى ستقافوره أرسل دعوة لحضرات رؤساء الجمعيات ، وذوى الحثيات ، وكثير غيرهم من الأدباء الحضارمة القاطنين بجاوه ، وذلك بواسطة بعض رجال في ستقافوره ، فأنكر ذوو العقول الراجحة دعوة رجل غريب لا ناقة ولا جمل له بحضرموت ، فلم يلب دعوة إلا أناس قليلون لا يتجاوزون عدد الأصابع ، ومع ذلك عقدوا مؤتمراً كما يزعمون باسم الإصلاح الحضرمي ، وقرروا قرارات كما يدعون تنطوي على أغراض شخصية تعود على القطر الحضرمي بأضرار جسيمة ، وإن كانت في ظاهرها لمن ليس له معرفة بحالات الجهد الحضرمي يظن أنها تنطوي على شيء من الإصلاح ، ومن هذا تجنبوا دعوة ذوى المكانة وذوى العقل لحضور جلسات مؤتمر ستقافوره لما يعرف هؤلاء من حقيفة الحالة وماتصمره تلك القرارات من التفرقة بين أهل حضرموت ، وحيث إننا بكل قوانا وعاية جهدنا مسمون على تقدم بلادنا وتحصيرها وترقيتها عارفون منابت الإصلاح ورجاله ، فانا من الآن شارعون في رقيها على يد لرجال الدين نعتمد عليهم في الإصلاح الحقيقي المرغوب ، فبعد اطلاعنا على ما قرره مؤتمر ستقافوره المزعوم بدعوة الساسي ، فحن قد رفضناه لمعرفتنا بضرره على أمتنا .

صهر بن عوض القعيطي

أما آل باعلوي ومن يلحق بهم من أعضاء المؤتمر وهم قبايلون جدا ، فقد زلزلوا زلزالا شديداً ، وكادوا يصعقون من تأبير الصدمة الرجعية التي أحدثها رفض قرارات مؤتمرهم ، وناجبت حرارة الغضب في قلوبهم ، فانقلب بعضهم شعلة من نار قاتلهم حقداً وعداوة على الحكومة انفعيطية اليافعية ، وأخذوا يرمونها في جريدتهم « حضرموت » التي كانت تصدر في سرايا بالظلم والتساوة والغباوة ، وأخذ الشيخ محمد ابن عقيل بن يحيى العلوي يبعث لبعض الصحف المصرية مقالات كلها شتائم وسباب

٥ - تاريخ حضرموت - ثاني

ونواقر على الحكومة القبطية وعلى سلطانها المعظم ، ثم أرادوا أن يثيروا فتنة بين حكومتى القميطى وابن عبد الله ويعيدوها جذعة ، فأخذوا يفرزون سلاطين آل عبد الله ويلحون عليهم ليجتجوا على حكومة القميطى لرفضها قرارات المؤتمر ، وفيها مندوبها الساسى من حضرموت ، ولكن آل عبد الله لم ينخدعوا بهم ولم يتأثروا بما تظاهر به هؤلاء القوم من الود والولاء ، فذهبت أعمالهم أدراج الرياح ، ولم يكفهم هذا الفشل والخذلان ، فحاولوا توجيه أنظار الناس إلى سيعوت وإصلاح مينائها والمرور منه ليقضوا على موانئ الحكومة القبطية اليافعية التى رموها بالقوضى والظلم وما إلى ذلك^(١) ، ولكن ذهبت مساعيهم جفاء ، وعادوا بخيئ حنين .

قرارات مؤتمر سنقافوره

الأول

قرّر المؤتمر إرسال وفد إلى البنادر وحضرموت مؤلف من حضرات الذوات الآتية أسماؤهم وهم :

- ١ — السيد عبد الرحمن بن شيخ الكاف
- ٢ — السيد أبو بكر بن عبد الله بن أحمد العطاس
- ٣ — الشيخ سعيد بن عبد الله باجرى
- ٤ — الشيخ أبو بكر بن محمد التوى

يحمل قرارات هذا المؤتمر المحتوية على الخطة العمالية التى انعقد المؤتمر لوضعها بناء على دعوة حضرة المندوب الشيخ الطيب الساسى ليعرضها ويبلغها الحكومتين

(١) كتبت فى هذا الموضوع مقالات كبيرة فى جريدة «حضرموت» للشيخ هلوى بن طاهر الحداد وزميله عيروس مشهور .

القيضية والكثيرة والوفد الحضري ، ويشاركهم في تأليف الجمعية الوطنية ووضع قوانينها ، ويرفع إلى اللجنة التنفيذية التي ألفها المؤتمر ما يتفق عليه مع الحكومتين والوفد الحضري .

الثاني

يفتقر الإصلاح الوطني العام إلى تفقات كبيرة لامناص عنها بالنسبة لحالة قهر البلاد الحالي ، مع أن الحضريين في المهاجر لا يتحقق تمام التحقق اشتراكهم في هذا الإصلاح المطلوب إلا بالإسعاف والمساعدة المالية ، وقد قرر المؤتمر تكليف الوفود الممثلة فيه عن الجمعيات تبليغها عقب انعضاضه طلبه بأن تمتح فوراً باب اكتاب يرصد باسم الإصلاح الوطني ، وأن تنشر دعاية قوية إليه وتنظم له الوسائل اللازمة ، ثم توافي لجنة المؤتمر التنفيذية بما تم من شأن هذا الاكتاب ، أما المبالغ المكتتب بها ، فتبقى في أيدي المكتتبين إلى أن تبلغهم تباشير الإصلاح بواسطة اللجنة المشار إليها ، وتتعين الوجوه والطرق التي ينظم بها صرف المال المكتتب به وضبطه ، وهناك يدفع المكتتبون اكتاباتهم إلى اللجنة التنفيذية .

الثالث

رغبة في وجود جو من الثقة والاحترام بحكومتى حضرموت وتعزيزاً لحسن سمعتها ، ثم إيجاد ما يقنع الرأي العام بوجود المساعدة المالية للإصلاح الوطني العام يرغب المؤتمر إلى كل من الحكومتين القيعضية والكثيرة أن تقدم سنوياً ميزانيتها العامة للجمعية الوطنية ، أو ما يقوم مقامها الآن اتبدي فيها رأيها ، وتعديل ماتراه مفتقراً إلى التعديل في أبواب الإيرادات والمنصرقات ، وأن تكون قراراتها بشأن الميزانيتين مقبولة ومرعية لدى كل من الحكومتين ، وأن ينشر بالميزانيتين بعد ذلك بيان رسمي للعموم .

الرابع

بما أن تنظيم الجمارك من صالح الحكومتين والأمة ، فإن المؤتمر يطلب منهما تنظيم الجمارك ، ووضع قانون وقواعد لها تنصم بها الشكوى بحيث تكون مواد القانون ، والقواعد واضحة جلية لا تحتمل سوى وجه واحد صريح ، أما مسألة تثمين المعشرات في الجمارك فيوضع لها حد ، وهو أنه إذا رأى من يجب عليه دفع العشور أن عليه غبناً في التثمين ، وأراد أن يدفع العشور من نفس الصنف المعشرفه ذلك ، وعلى إدارة الجمارك أن تقبل الصنف بدلا من النقد بشرط أن يضاف إليه خمسة في المئة مقابل المصاريف حفظ الإدارة لتلك الصنف الذي دفع بدلا من العشور وتصريفه ، إذ الفرض من الجمارك إنما هو النقد لا البضائع .

الخامس

يرى المؤتمر أن البضائع لا تجمر لا إذا اجتازت الحواجز الجمركية المعروفة ، فالبضائع التي تمر بالملكلا مثلا ، ولا تتعدى حواجزها الجمركية إلى الداخل ، ثم تنقل إلى ميناء آخر فلا تعشر بالطبع إلا فيه عند ماتعدى الحاجر الجمركي ، وهذا هو «الترنيت» المعروف أو شبهه ، أما البضائع التي تكون قد تعشرت في أحد موانئ حضرموت وخرجت منه إلى أحد موانئ الأخرى فلا تعشر مرة ثانية .

السادس

حيث إن الوطن خال من الأعمال التعاونية التي من أهمها الأمور التجارية ، فقد قرر المؤتمر السعى في تأسيس شركة تجارية وطنية مركزها الملكلا تكون أسهمها بيد الحضرميين ، وقد رأى المؤتمر أن السبيل الموصول إلى تأسيس هذه الشركة في الوقت الحاضر هو أن يقوم بتأسيسها ذو شخصية مالية معتبرة ، فطلب من السيد الهمام

عبد الرحمن بن شيخ الكاف مباشرة السعى في تأسيسها والدعوة إليها ، ففضل حضرته بقبول هذا الطلب .

السابع

رغبة في تقدم هذه الشركة وارتفاع أبناء البلاد بها يطلب المؤتمر من الحكومتين التعميلية والكثيرة أن تعاملوا هذه الشركة معاملة تفضيلية ، وأن تمنحها التسهيلات اللازمة لتقدمها ونجاحها ، وقد حوّل المؤتمر للسيد عبد الرحمن بن شيخ الكاف حق الاتفاق مع الحكومتين فيما يتعلق بالمعاملة التفضيلية والتسهيلات وكيفيةها ووضعها وشكلها .

الثامن

تخصص خمسة في المئة من صافي ربح الشركة للشؤون الخيرية في الوطن كالمعارف والملاجئ والمستشفيات ، ويتولى صرف ذلك مجلس ادارة الشركة .

التاسع

يطلب المؤتمر أن تشتري الحكومتان خمسة في المئة من مجموع أسهم الشركة كل حكومة بنسبة حالتها المالية .

العاشر

يطلب المؤتمر من الحكومتين تشكيل إدارة عامة المعارف في الوطن لتتولى النظر في أمور التعليم بالإشراف العالي على جميع المدارس هناك لتحسين نظامها وتوحيد برامجها وتوسيع دائرة التعليم في البلاد بقدر الإمكان

الحادى عشر

استقلال القضاء [ا] يرى المؤتمر وجوب استقلال القضاء بالبلاد الحضرية وإبعاد كل تأثير أو تدخل خارجى عنه .

مرتبات القضاء [ب] دفع الحكومتين مرتبات شهرية للقضاة كافية لسد حاجتهم حفظاً لكرامتهم وتزويهم عن أن يكونوا موضعاً لشبهة .

الشهود [ج] فحص حالة الشهود الذين يؤدون شهاداتهم فى الدوائر القضائية والتثبت من صدق الشاهد بكل ما تساعد عليه الأقوال فى مذهب الإمام الشافعى من اختلاء القاضى بالشهود والتفريق بينهم ، والتدقيق فى استنهاماتهم وغير ذلك ، حتى يقضى على شهادة الزور التى فشا أمرها بين صفار النفوس وأدنياها .

المحاماة [د] تنظيم قانون للمحاماة بحيث لا يباح لشخص يحترف بها إلا بشهادة فى يده من لجنة تتألف من العلماء والقضاة ، ولا يجوز الاعتراف بوظيفة المحاماة لمن كان موظفاً فى دوائر الحكومة .

دوائر القضاء [هـ] تأسيس دوائر رسمية منظمة للقضاء ، وإيجاد سجلات لجميع الأحكام وتدوينها .

مجلة الأحكام [و] يرى المؤتمر لزوم تفكير الحكومتين من الآن فى إيجاد مجلة تجمع وتنظم فيها الأحكام المعتمدة من مذهب الإمام الشافعى حتى يحفظ القضاء من مسائل التأويل وتناقض الأحكام وتكون هذه المجلة على مثال مجلة الأحكام الشرعية التى وضعت فى الأستانة .

الثاني عشر

بما أن الجمعية الوطنية لا بد لها من قواعد عامة تأسس بموجبها ، فقد قرّر المؤتمر تفويض وفده حق المناقشة والمفاوضة فيها مع الوفد الحضرمي والاشتراك معه في وضعها لأنه يتبادل الأفكار مع من بالوطن في المحيط الذي ستتكون فيه الجمعية يظهر لهم ما قد لا يلاحظه البعيد .

الثالث عشر

حيث إن المؤتمر يرى أن يبقى الباب مفتوحاً للحضرميين في المهجر للاشتراك في الجمعية الوطنية ومساعدتها ، فإنه يطلب أن يكون للجمعيات الحضرمية في المهجر حق التمثيل في الجمعية الوطنية .

الرابع عشر

قد عهد المؤتمر إلى وفده بالاشتراك مع الوفد الحضرمي في الوطن في تقرير شروط تشييل جمعيات المهجر الحضرمية ووضع الحدود اللازمة لذلك

الخامس عشر

لما أن الإصلاح الوطني التام لا تتم الفائدة المطلوبة منه ما دام الحضرميون متنازعين ومنشقين ومختلفين في المهجر ، فضلا عن أن اتحادهم ، وزوال الشحناء من قلوبهم هو أول درجات الإصلاح ، فالمؤتمر يطلب من الحكومتين القبطية والكثيرة أن تعين لجنة يرأسها سمو السلطان صالح بن غالب بمضوية فرد من أفراد السادة العلويين ، وفرد من غيرهم تنظر في هذا الخلاف الواقع بين الحضرميين في المهجر ، وتسعى للتوفيق بينهم ، فإن لم تتمكن من ذلك تدعُ المختلفين إلى المحاكمة

لليها وتطلب منهم إرسال وفودهم إليها ، أو توكيل من يدافع عنهم ، وبعد أن تسمع أقوال الفريقين وحججهم ومستنداتهم ، وتنظر في أمرهم بدقة وإيمان ، تصدر حكماً أدبياً على من يظهر لها خطأه وتعتته وتعديه من الفريقين ، وتشفع هذا الحكم بحيثياته وأسبابه ، ثم تنشره في الجرائد مع إصدار منشور مستقل به ، معزز بالطلب من الرأي العام أن يحتقر الفريق الذي صدر عليه الحكم ، وينبذ حتى يكون لهذا الحكم تأثير يضع حداً لمن تحدته نفسه بالتمنت ، ويفضّ الناس من حوله فيبقى وجوده كعدمه ، وبذلك يقضى على الخلاف . أما إذا حصل صلح حقيقي ووافق تامّ قبل وصول وفد المؤتمر إلى حضرموت فلا يبقى لهذا القرار موضع ولا معنى .

السادس عشر

سعيًا في تمهيد السبيل بالقطر الحضرمي للإصلاح العام المطلوب ، فإن المؤتمر يطلب من الحكومتين التعميطية والكثيرة أن تسعيا وتقيا صلحاً بين قبائل حضرموت في الدم والثرت والطوارف لمدة أقلها خمس سنوات .

السابع عشر

إذا أخطأ فرد أو أفراد قليلون من إحدى القبائل الحضرمية ، وعجزت قبيلتهم عن ردّ عيهم وأحضارهم وتبرأت منهم ، فلا يحقّ للحكومتين أذى أحد من أفراد هذه القبيلة سوى المتمرد أو المتردين لكن يجب على قبيلة المتمرد مساعدة الحكومتين على إخضاعه وتقديم ما يلزم للحكومتين من الضمانات الجارية المعروفة .

الثامن عشر

رغبة في إيجاد أداة صلة بين الحكومتين ورعاياها الذين في المهجر تكون أثراً لوجودها بينهم ، فإن المؤتمر يطلب من الحكومتين التعميطية والكثيرة أن تعمل

لتحقيق هذه الرغبة ، كأن تعين موظفاً تلحقه بالفتصليات الإنكائزفة فف البلاد الأخرى ، أو موظفاً متعلماً بقلم الجوازات فف البلاد الإنكائزفة لفكون مساعداً لتسهفل أعمال الخضمفمف فف تصفق على جوازات سفر أو وكائل ونحوها ، وفترك للؤتمر للحكومتفم الشكل فف تنفيذ هذا الطلب .

التاسع عشر

لا فحق" لوفد المؤتمر أن فقبل أوف" تعديل كان فف القرار الثالث الختص بمفزانفة الحكومتفم لأن سمعة الحكومتفم ، واطمئنان الشعب ونقته ففحكومته متعلقة بقتدم المفزانفة السنوفة وإعلانها للرافى العام .

العشرون

قءجعل المؤتمر لوفده الحق" فف قبول تعديل القرار العاشر الختص بالمعارف ، ففمكن تعفله بالا كفتاء بافجاد ناظر عام المعارف أو موظف كبفر ففكون أداة لربط المدارس واتصال بعضها ببعض ، وتوففد أو قرفب بروجراماتها إذا اقتضى الحال فف الوطن هذا التعفيل .

الحافى والعشرون

خول المؤتمر لوفده الحق" فف قبول ففافة عءء أعضاء اللجنة الفف تءعو الختلففم فف المهجر إلى المحاكمة إليها تبعاً للقرار الخامس عشر إذا طابء الحكومتان هذه الففافة .

الثانى والعشرون

اتعقب قرارء هذا المؤتمر والاتصال بوفده الفف سفاسفر إلى البناءر فخضموت ، وللاتصال بالجمعفات الخضمفة فف المهجر - شكل المؤتمر بلئة أسماها [اللجنة التنفيذية

لمؤتمر الاصلاح الحضرمي الثاني بسنقافوره [من حضرات الذوات الآتية أسماءهم ،
ولجعل مقرها سنقافوره :

رئيس * : السيد إبراهيم بن عمر بن محمد السقاف
نائب رئيس وأمين صندوق : السيد عبد الرحمن بن شيخ الكاف
سكرتير : السيد أبو بكر بن طه بن عبد القادر السقاف
معاون سكرتير : الشيخ أبو بكر بن محمد بن علي التوي

اختصاصات هذه اللجنة وأعمالها تنحصر فيما يأتي :

- ١ — تعقب قرارات هذا المؤتمر
- ٢ — الاتصال بوفد المؤتمر الذي قرر إرساله إلى البنادر فحضرموت
- ٣ — الاتصال بوفود الجمعيات التي مثلت في هذا المؤتمر
- ٤ — مكاتبة الجمعيات والهيئات والأشخاص الشهيدين الذين لم يحضروا المؤتمر
- ٥ — دعوتهم للاكتتاب باسم الاصلاح الوطني العام والسعي فيه
- ٦ — طلبها موافاتهم لها مما ينتج بهذا الشأن
- ٧ — جمع قيمة الاكتتابات للاصلاح الوطني العام حينما يأتي دور جمعها
- ٨ — نشرالنشرات التي تراها ضرورية ومساعدة على أعمال الاصلاح الوطني المطلوب
- ٩ — إعلان الجمعيات الحضرمية بالمهجر حينما يتم تأسيس الشركة التجارية الوطنية
وطلبها منها حضراً أفرادها ، وحثهم على الاشتراك في الشركة للفائدة
والتعاون الوطني .
- ١٠ — عقد مؤتمر إذا دعت الحاجة والمصلحة إليه

الثالث والعشرون

بما يلزم مبدئياً فتح اعتماد مالي قدر بخمسة آلاف ريال ٥.٠٠٠ المصاريف الإدارية للجنة التنفيذية ولسفر الوفد الذي تقرّر سفره إلى الوطن من أعمال شهر سبتمبر عام ١٩٢٨ .

فقد قرر المؤتمر بعد موافقة جميع أعضائه فتح باب اكتاب بينهم ليكتبوا بما تيسر لذلك ، فاكتبوا بما بلغ مجموعه ٣١٤٠ ريال ، وكلف المؤتمر سكرتيه بالكتابة الأعضاء الذين لم يحضروا ليشاركوا في هذا الاكتاب .

صودق على هذه القرارات جميعها من جميع الأعضاء الممضين أدناه في جلسة المؤتمر الختامية المنعقدة في ليلة السبت الموافق ٢٢ ذي القعدة سنة ١٣٤٦ ، و ١٢ في ماي سنة ١٩٢٨ في منزل رئيس المؤتمر السيد إبراهيم بن عمر السقاف بطريق جنسرى لين بسنقافوره .

والحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات ما

رئيس المؤتمر	سكرتير المؤتمر
إبراهيم بن عمر السقاف	أبو بكر بن طه السقاف

الأعضاء

السيد عبد الرحمن بن شيخ الكاف . السيد أبو بكر العطاس . علوي بن طاهر الحداد .
عبدروس المشهور . عبد الرحمن بن عمر حواس . أبو بكر العطاس . سناف بن محمد السقاف
أبو بكر بن محمد النوي . سعيد بن عبد الله باحري . سعيد بن طالع بن جعفر بن طالع .

وفاة السيد حسين حامد المحضار

توفي السيد حسين حامد المحضار وزير الحكومة القعيطية الياقمية يوم ١٣ من شهر ذى الحجة سنة ١٣٢٦ ، ولقد كان المثل الأعلى في النشاط والحركة واليقظة والجلد والحزم ، شديد الذكاء ، سريع البداهة ، حاضر الذهن ، كان سياسياً محنكاً ، وكانت شخصيته عظيمة جداً ، له في قلوب الناس هيبة وإجلال ، ومصدر هذه الهيبة وهذا الاجلال سلطته الروحية وشخصيته البارزة ، وكانت الحكومة واثقة به كل الثقة مفضولة أمورها الداخلية والخارجية إليه ، وكان ينوب عن السلطان حينما يذهب إلى الهند ، فيحكم دون أن يسأل عما يعمل ، وبالرغم من ضعف جسمه ، فإنه يندفع وراء الأعمال المتراكمة اندفاعاً ، ويتلقى الشكاوى والساوئى بصدر رحب ، ويتصدى للأحكام فى النهار وفي الليل دون أن يظهر عليه خمول أو فتور ، وهو فى كل ذلك مخلص للحكومة كل الاخلاص .

قام بالوزارة بعده ابنه السيد أبو بكر بن حسين المحضار باعلوى ، ولم يرث هذا عن أبيه شيئاً كثيراً ولا قليلاً من الدهاء والحزم والجلد والنشاط وحب العمل ، فالفرق بين الاثنين كبير جداً ، كان هذا الوزير خمولاً كل الخمول ، جنوحاً إلى السلامة .

كان وزيراً وفي الوقت نفسه كان تاجراً ، لم يجهد فكره يوماً فى شئون الحكومة ، ولم يؤد شيئاً من واجباته نحوها ونحو الشعب ، ولكنه كان يفكر طويلاً ويبحث كثيراً عن مصادر المال لنفسه ، وليس هناك أحد يحاسبه فى أعماله لأنه الكل فى الكل هو الوزير وهو السلطان أحياناً يعز من يشاء ويذل من يريد ، وأهل الوظائف وفى مقدمتهم يافع والعبيد يخافون كل الخوف من ضياع مراكزهم الضئيلة وأهل المتاجر وأصحاب الحرف والمهن يخشون أن يصب الوزير عليهم عذابه الشديد ، أما السلطان فلم يكن يعرف شيئاً من أعمال وزيره ، لأنه لم يرفع إليه أحد شيئاً من أعمال الوزير ، ولأنه لا يمكن فى المكلا إلا أياماً أو شهوراً معدودات ، ثم يقفل راجعاً إلى حيدرآباد

تاركاً أمور حكومته بيد وزيره يتصرف فيها كيف يشاء ويديرها كما يريد ، وهكذا يصفو الجوّ للوزير ، وينفذ رغباته ، ويصدر أوامره دون أن يلتقى أمامه معارضاً ، ودون أن يجد حوله رقيباً .

مشاغبات الحموم

ظلّ الحموم يناوئون الحكومة القبطية ، ويشيرون القلاقل ، ويقطعون الطريق من عقبة العرشة إلى الديس ، وفي شهر محرم سنة ١٣٤٧ أعاروا على نخل في الديس ، فخرجت لهم جماعة من يافع ، ووقعت معركة بين الفريقين ، قتل من الحموم ستة أشخاص وجرح سبعة ، وبعد هذه الحادثة أرسل السلطان عمر بن عوض القميطي اليافعي ٤٠٠ رجل من يافع وآل تيم وعبيد إلى المشقاص ، فحدثت هناك معركة انتهت بأربعة قتلى وستة عشر جريحاً من الحموم ، وأخذت من إبلهم ٤٥ جملاً ، وفي شهر رجب سنة ١٣٤٧ استولى الحموم على معيان الديس وقطعوا الماء عن سكان القرية ، فخرج إليهم جماعة من يافع ، وهرب الحموم في الجبال ، ثم أعاروا على رعاة في أراضي الديس ونهبوا ما معهم من الغنم ، ولكن آل قرزات وهم من فخاند الحموم الموالية للحكومة أعادوا المنهوبات إلى أهل الديس ، ثم رأت الحكومة أن تقضى على مشاغبات الحموم ببناء مخفر في الريدة ، ولما بلغ ذلك إلى الحموم اجتمع منهم ألف رجل وحاولوا هدم المخفر ، ولكن يافع قد استعدوا للطوارئ ، فاندحر الحموم وتفرقوا في الجبال .

وفاة السلطان منصور الكثيرى

في اليوم التاسع من شهر ذى الحجة سنة ١٣٤٧ توفى السلطان منصور بن غالب الكثيرى ، فقدت الحكومة الكثيرية رجلاً أميناً مخلصاً ، ولقد اشتهر بين قومه

بالصلاح والورع وحب الخير ، وكان سليم النية ، صافي السريرة ، دمث الأخلاق ، محافظاً على العبادة ، بعيداً عن الفاذورات ، ومنفاسف الأمور ، وقام بالأمر بعنه ابنه السلطان علي بن منصور الكثيرى الموجود اليوم فى سيون عاصمة ملكه ، وهو من أشد سلاطين آل كثير غيرة على بلاده ، درس فى صغره جزءا من علوم الدين على يد علماء أفاضل ، ودرس شيئاً من التاريخ والأدب .

عزل المحضار من الوزارة

كان السيد أبو بكر المحضار باعلوى وزير الحكومة القميطية تاجراً ، وفى الوقت نفسه كان وزيراً ، وإن شئت فقل سلطانا ، حرية مطاقة ، وسيطرة واسعة ، لامعارضة ولا معاكسة تعترضه فى سبيله ، وتحول دون مبتغاه ، هو كل شيء ، ومادونه لاشيء . كان يجب عليه لو كان لديه شيء من السياسة والكياسة أن يحافظ على هذه النعمة الكبرى ، نعمة السلطة المطاقة ، والسلطان القاهر ، يحافظ عليها بشيء من الإخلاص للحكومة ، وبشء من الحمية والغيرة على كيانها كما كان شأن والده الراحل الكريم ، كان يجب عليه أن يبذى اهتماما ولو قليلا فى العمل لصالح الحكومة واصالح الأمة ، ولكن شيئاً من ذلك لم يكن ، وكانت النتيجة أن عزله السلطان عمر بن عوض القميطى سنة ١٣٥٣ واستوزر التبيل سالم أحمد القميطى ، فاستبشر الناس بهذا الوزير الجديد استبشاراً عظيماً ، وعلقوا عليه الآمال العظام لأنهم يعلمون أنه الرجل الحازم ، الشديد فى مواطن الشدة ، الرحيم فى مواطن الرحمة .

وفاة السلطان عمر القعيطى اليافعى

توفى السلطان عمر بن عوض القعيطى فى حيدرآباد فى ذى الحجة سنة ١٣٥٤ على أثر اشتداد مرض السرطان والناصور وتورم الرئين عليه ، وقد احتفل بدفنه فى مقبرة آل القعيطى بحيدرآباد دكن بجوار والده وجده احتفالا كبيرا ، مشى فيه كبراء وأمرآء ووجهاء حيدرآباد ، وقد توفى عن ٦٧ عاماً ، تاركا خمسة أولاد ذكورا ، وقد انتظم فى سلك الجيش غير النظامى فى حيدرآباد ، وعين حكاماً على فرق العرب الحضارم التى تتولى حراسة خزائن الدولة ، وقصور سمو النظام وحرمة الخاص ، وقصور الكثير من الأمراء والنواب والحكام ، وتصرف له حكومة حيدرآباد نظير ذلك معاشاً شهرياً قدره ١٣٣٠ روبية .

ولما تولى السلطنة فى حضرموت بعد وفاة أخيه السلطان غالب بقى فى مركزه كما هو ، ولا يذهب إلى حضرموت لإدارة شئون مملكته إلا أياماً معدودات ، ثم يقبل راجعاً إلى حيدرآباد تاركا إدارة بلاده إلى وزيره وكبرائه من عشيرته .

السلطان صالح القعيطي اليافي



السلطان صالح القعيطي اليافي

حيث إن العادة في وراثته الحكم عند آل القعيطي أن ينتقل الحكم من يد الحاكم

المتوفى إلى أخيه إذا كان حياً أو إلى ابن أخيه إن كان الأخت متوفياً لإبى ولده ، فقد تولى الحكم السلطان صالح بن غالب القعيطى الياضى ، ولقد استبشر الحضرميون به فى الوطن والمهجر استبشاراً عظيماً ، ولا غرو فإنه السلطان المهذب المثقف العادل القاهر الرحيم الخليم هو السلطان الذى يحفظ له الناس فى جرجان قلوبهم ، وقرارة نفوسهم الوفاء والولاء ، ويعلقون عليه الآمال الطوال ، وقد نادى فى الناس أن ابسطوا شكايانكم ، واعرضوا ظلاماتكم ، ليكبح جماح الظالمين ، ويترأى المعتدين ، ويعطى كل ذى حق حقه . ذاع هذا النبأ فى الناس كالبرق فى حضرموت ، ودوى فى مسامع أكثر من مائة ألف من الحضارم فى المهجر ، فحمدوا الله على أن بعث إليهم صالحاً ليصلحهم ، ويهديهم الطريق الأقوم ، وهذه هى خطبة العرش التى ألقاها عظمتة فى صفر سنة ١٣٥٥ على ملا من أعيان شعبه :

بسم الله الرحمن الرحيم . نحمده ونصلى على رسوله الكريم .

أيها السادات الكرام - رؤساء القبائل - أصحاب المناصب الجليلة والرعية :

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته ، وبعد :

فيسرني أن أقدم إليكم أحسن تشكري وأخلص تحياتي على ما أظهرتم من الحماسة والشوق فى ترحيبي عند وصولي إلى الوطن ، وما أثبتتم من الإخلاص والولاء ، لأنى أود أن أظهر لكم بعض ما ينتلج فى صدرى ، وينظر بقلبي من الخواطر لرقيمكم وترقية أحوالكم ، وبث الأمن ، وإصلاح الوطن .

ولا يخفى عليكم أن فلاح الأمة لا يتأتى إلا إذا كانت عرى الوفاق بين السلطان والرعايا وثيقة ، وكان الأمن والسلام ضاربين فى جميع نواحي المملكة وأطرافها . لأن السلطان والرعية كالأب الشفيق وأولاده ، فلكلهم ما حقوق على بعضهم لبعض ، فعلى السلطان أن يبذل جهده فى ترقية الملك وترقية أحوال الرعية ، ولا ينجح فى هذا المرام إن لم تكن الرعية مستعدة كل الاستعداد لمعاضدته فى مهامه ، وتوثيق عرى

الوفاق معه . وعليه أن يدفع الظلم والعدوان عن رعيته ، ويحفظها تحت عنايته وعدله ،
ويعمل لتحسين كافة شؤونها الاجتماعية .

وإنه ليحزنني أن أراكم في الحالة المنحطة التي وقعتُم فيها ، فإني وإن كنت بعيداً عنكم
ونازحاً عن دياركم ، فقد كنت دائماً مطلعاً ومتطلعاً على أحوالكم وواقفاً على جلية أموركم .
ولا إثم إن كاشفتكم أنكم قد تأخرتم في كل شعب الحياة ، وملتُم إلى الجمود والتخول .
وإني لأتذكر أن كثيراً من العائلات العاليات التي كن في أحسن الأحوال أيام جدي
المغفور عوض بن عمر القعيطي قد أعوزت وصارت إلى الهلاك والاضمحلال . وكان
عمى المرحوم السلطان عمر يسمى لإصلاح أمور القوم ولكن التقدم يقتضي طول الزمن
ودوام العمل . وأرجو من الله تعالى أن تكون الرعية في أيامي في عاية الرخاء والسعادة .
وأن ترتقي إلى أعلى مدارج الترقى والفلاح .

أيها السادات : إنكم أتذكرون كيف خلص الملك لجدي المرحوم بمساعدة عشيرته
خصوصاً وبمساعدة الكل عموماً . وكذلك أرجو من جميع رؤساء القبائل وسلاطين
حضرموت أصحاب الكرامة والناصب أن يقوموا بمساعدتي وشد أزري لكي تهض كرجل
واحد لاتحاد كلتنا وإعلاء شأن ملكنا لكي نكون في مستوى واحد مع الأمم الراقية
ونجاريهم في مضمار الحياة ، فلنعمل لرفينا من الآن ! لأن الوقت سيف قاطع ، والفرص
تمر من السحاب ، والوقت ثمين يجب علينا أن نقتنمه ولا نضيعه سدى .

وأريد أن أطلعكم على خطتي السياسية التي أساسكها ، فأقول :

إن روابطنا مع الدولة الإنجليزية ستبقى ودية كما كانت على الدوام ، وتكون
مستعدين لمعاونتها بكل وسيلة ممكنة وفي كل حين ، ونستمد منها المعاونة لرقى بلادنا ،
ونقد قيمت من سعادة والى عدن وكيل الحكومة البريطانية الكولونيل السر [ريلي]
كما يليق بي من الترحيب والتكريم عند نزولي عدن وبارحتي إليها . ولم يأل جهداً
في أخذ خاطري ، وودنا بأنه لا يحرمنا من ثمين مشورته ومساعدته فيما يخصنا من الأمور
المتعلقة بشؤوننا . وأنا أغتم هذه الفرصة لتقديم جزيل تشكري إليه مؤكداً له محافظتي
على الولاء للتاج البريطاني ، وعلى علائق المعاهدة فيما بيني وبين جلالة ملك بريطانيا .

وأتم عارفون أن ربحي الحرب بين إيطاليا والحيشة دائرة ، فيجب علينا أن لانساعد المتحاربين في حال من الأحوال . ولا يوجد في بلادنا تجارة الرقيق - فهي أيضاً محظورة عندنا ، وسنقاب من يرتكب هذه الجريمة . وليعلم الجميع أن القبائل كلها سواسية ولا أريد أن أفضل إحداها على أخرى لأنني لا أحب التنازع والتنافس .

وأريد أن ألفت أنظاركم إلى أمر مهم : ألا وهو مسألة التعليم ، فلا تنسوا أن رقي بلادنا يتوقف على نشر المعارف في جميع نواحي الحياة ، لأن التقدم المادي والتخليق مستحيلان مادام أولادكم محرومين من العلم والتهذيب ، فسأخوفني أن أجاهركم والأسف مل فؤادي أنه لا يكاد يوجد بين ظهرانيكم أحد فيه مقدرة وأهلية لإدارة الأمور بأحسن وجه ، وسأتصدى لسد هذه الثغمة بعون الله تعالى .

ولا بد أن توجهوا همتم إلى إصلاح الزراعة فلا تتركوا قطعة من الأرض إلا أن تكون مخصبة ومغطاة بالزرع فيكون الملك مشراً موسراً وتكونون أتم متمتعين بالهناء والسراء ، وكل هذا ميسر لمن له عزم صادق ! .

وأريد أن أنشي معهداً زراعياً لتدريبكم أصول الفلاحة من استعمال آلات الحرث على الطرز الجديد لكي تقدرروا على استغلال أراضيكم الخصبة ، وأنا أضمن لكم المساعدة الثمينة لاقتناء هذه الوسائل الحديثة ، وكذلك التجارة تحتاج إلى توسيع دائرتها ولهذا أريد أن أساعد أهل التجارة من بلادنا حسب الاستطاعة ، وأهي لهم الأسباب وأنظم الواردات والصادرات بحيث يعود نفعها عليكم وعلى البلاد ، وكلما قدمتم إلى طلباً أو اقتراحاً في شأن البلاد ، فإنني أنظر فيه وأقضى بما يصلح الرعية ، وينبغي لهذا أن تكون الطرق إلى حضرموت ونواحيها مضمونة الأمن لكي يتردد التجار والمسافرون من مكان إلى آخر بدون تعرض ومعاكسة ، وأنا أرجو من سلاطين حضرموت وسائر القبائل أن يعاونوني في هذه الجهة حتى يستتب الأمر ويسود الأمن والسلام في البلاد .

وأريد أن أنشيء محاكم ومجالس عدل لتصفية القضايا على وفق القوانين الشرعية والمدنية فلا يتعدى أحد على آخر .

وليحذر العمال [الحكام] من أن يتناولوا على الرعية ، فاذا فعل أحدهم ذلك فلرعية أن يرفعوا القضية إلى رأساً لأخذ الحق من الظالم .
وأريد أن أشكل مجلساً مشتملاً على خيرة رجالكم من ذوى الخبرة لأشاورهم
ويشاركوني في الأمور الإدارية انقوم بإجراء الواجب نحو الرعية ، والبلاد على أحسن
الوجوه .

وفي الختام أرجو من الله سبحانه وتعالى أن يوفقنا فيما أردنا ويهدينا إلى الرشاد ،
ويلمنا بما فيه الخير للوطن . وله الحمد في الأول والآخر ، والظاهر والباطن . «

نظام الحكم

تحكم الدولة القعيطية اليافعية المكلا ، وهي العاصمة وميناء حضرموت الأكبر
والشحر ، وهي ميناء أيضاً وغيل باوزير وجميع بلدان الشواطئ من سيحوت شرقاً إلى
عين بامعبد غرباً وتحكم دوعن وحوره وهينن وقرى القطن وشبام وعينات وساه ، وكل
بلد وال يتولى الحكم ويدير شؤون الأهلين بالنيابة عن الحكومة ، وهذه أسماؤهم :

المكلا : عظمة الساطان صالح بن غالب القعيطي اليافعي

الشحر : الوالي عمر صالح بن هرهرة اليافعي

غيل باوزير : « عمر سالم القعيطي اليافعي

الديس : « عمر عوض مخارش اليافعي

الحامي : « عمر محفوظ الكسادي اليافعي

شحيير : « الماس عبد الخالق

حجر : « الماس سعيد مرزوق

قصيعر : « عبد عوض مخارش اليافعي

ميفع : الوالى منصور بن على جابر الياضى
بروم وفوه : أحد موالى الحكومة
بالخاف^(١) : أحد أعيان يافع
حبان وعين بامعبد : حاكم من أعيان الأهالى ويعينه فى الإدارة أفراد من يافع
دوعن : الوالى باصرة
ساه : أحد كبار يافع ويعينه فى الإدارة بضعة من أعيان الأهالى
عينات : الوالى محمد ناصر الدهرى الياضى
حوره وهين : الوالى على أحمد القعيطى الياضى
شيام وملحقاتها : الأمير على بن صلاح القعيطى الياضى
وسمو الأمير على من أكبر رجالات حضرموت ، دهاء وحزما ، حاد الذكاء^(٢) ،
قوى الذاكرة ، سريع البداةة ، بعيد النظر ، صريح الفكر ، حرّ الضمير ، نافذ العزم ،
قوى الإرادة ، له إلمام واسع بالتاريخ القديم والحديث ، شغوف بمطالعة الكتب
وقراءة الصحف العربية المصرية ، عليم خبير بمجوات العالم وأحوال الأمم .
وتتكون الحكومة من السلطان والوزير والقاضى الشرعى ، والسلطان هو الذى
يعين الوزير ، ومن دونه من الرؤساء والولاة ، وليس للشعب أى دخل فى الترشيح ،
وليس للوزير وغيره من الرؤساء والموظفين حدّ معين ، فقد يقون فى مرا كزهم عشرات
السنين ، وتصدر الأحكام ما عدا الأنكحة والمواريث على حسب العرف ، إذ ليس
هناك قوانين جنائية ، أو مدنية مدونة فى كتاب ، ولا سجلات تجمع فيها الأحكام ،
وتدون ، وقد تتضارب الأحكام فى مختلف البلدان . وتباين من ناحية الشدة واللين ،
والدقة والبساطة ، فقد يصدر أحد الولاة أحكاماً فى غاية الشدة والقسوة . ويصدر الآخر

(١) تلك الحكومة نصف الخاف والصف الآخر لابن عبد لودود ، وفيها نهر بنى على مقربة
من مصبه حصن به جماعه من يافع .

(٢) كنت زميله فى مدرسة الخوطة ، وكان مدرستا الأستاذ السبع عبد ربه بأفضل ، ولسرعة
هم سمو الأمير على عجز أكبر زملائه عن مجاراه فى بلوى الدروس وفهم معانيها .

أحكاما في منتهى اللين والبساطة ، وكل واحد حبله على عاربه ، لا يتقيد بزميله في أمر ما ، ولا يرتبط بالسلطان إلا فيما له علاقة بالجيش وبال حرب ، فان السلطان هو الذى يزيد عدد الجيش أو ينقصه ، وهو الذى يعلن الحرب أو يوقفها ، وليس هناك قانون للمعاملة ، ولا دوائر خاصة للقضاء ، وليس للسجون نظام خاص ، فقد يسجن السلطان أو الوالى المحكوم عليه ساعات من النهار ، أو يوما ، أو أياما ، أو شهورا ، أو أعواما ، ويطلق الحاكم سراحه متى شاء ، ويمد في أجله إذا شاء ، والرشوات منتشرة في دوعن وغيرها عند بعض الولاية والقضاة .

والحقوق المدنية غير نافذة في بعض بلدان الحكومة ، فالضرائب في دوعن تجبى من فئة دون أخرى ، فان كثيرا من العلويين وآل عمودى وآل باوزير معفون من الضرائب ، وليس هناك عذر سوى أن هؤلاء من الروحانيين أصحاب السلطة الروحية التى لا تزال تعمل عملها في الدوعنيين ، والناس هناك ليسوا سواسية أمام القاضى ، فمن كان ذا مال فهو الفأز في القضايا ، فالتلاعب بالأحكام في دوعن بالغ جدا كبيرا ، ذلك لأن الحكومة المركزية بالمكلا لا تصع أى رقابة على ولاية دوعن ، والسلطان غير عالم بما يحدث هناك من التلاعب بالحق .

أما سيادة الحكومة الداخلية *Souveraineté intérieure* فلها كل السلطة في إصدار الأحكام ، وحمل الناس على طاعتها والعمل بها ، وتنفيذ إرادتها في الأفراد ، وتصريف الشؤون العامة ، وحفظ الأمن والنظام دون أن تتقيد في ذلك بشيء ما ، اللهم الاحقوق الأفراد التى يجب عليها - من الوجهة الأدبية على الأقل - احترامها ومراعاتها .

وأما سيادتها الخارجية *Souveraineté extérieure* فالحكومة لا تخضع لأية سلطة عليا ، ولا لسلطان أجنبي ، فهى مستقلة استقلالاً شخصياً ، وقد عقدت معاهدة سنة ١٨٨١ بينها وبين الحكومة الإنجليزية ، دخلت حضرموت بموجبها تحت حماية بريطانيا ، ولكن هذه الحماية اسمية ، فبريطانيا لا تتدخل في شؤون حكومة حضرموت ، وليس هناك إنجليزى يشارك السلطان في الحكم وعاية الانجليز من تلك

المعاهدة ألا تقاوض حكومة حضرموت دولة أجنبية غير بريطانيا في شأن من الشؤون السياسية .

وتنحصر قوة الحكومة في الجيش ، وهو مكوّن من يافع ، وهم الأبخلية الساحقة ، ومن آل تميم ومن العبيد ، ولهذا الجيش رؤساء يقال لهم [المقادمة] ، ومرتب الجندي من خمسة إلى عشرة ريالاً في الشهر ، وفخاؤذ يافع الساكنة في قرى القطن ، وكذلك آل تميم الساكنون في بلدهم ، لا يأخذون من الحكومة مرتبات ، ولكنهم طوع أمرها ورهن إشارتها ، يدافعون عنها ويضحون في سبيلها كل مرتخص وثمانين .
ويوجد لدى الحكومة من السلاح علاوة على البنادق والسيوف مدافع أكثرها من النوع القديم الذي يطلق رصاصه بوضع النار في البارود المركوم على ثقب في أعلى فوهة المدفع من مؤخره .

الإيرادات

وتتكوّن في الغالب من الجمارك ، وليس لهذه الجمارك نظام خاص وقواعد ترتبط بها فتمين العشرات راجع إلى رجال الجمرع وعرفهم ، وتأتي إيرادات أيضاً من مزارع غيل باوزير .

أما المنصرفات فتتخصص في مرتبات الوزير والقضاة والجيش والموظفين وهم قليلون جداً ، والناس لا يعرفون بالنسبة لمبلغ إيرادات الحكومة ولا منصرفاتها ، لأنه ليس لها ميزانية خاصة ولا عامة .

الحكومة الكثيرة ونظام حكمها

يحكم آل عبد الله مدينتي سيون وتريم وهما من أعظم مدن القطر الحضرمي ، ومن أكثرها عمراناً وحضارة ، وتريس والغرف ومريعة والغيل ، وتتكون الحكومة من السلطان والوزير أو المعين ، ومن القضاة ، ونظام الحكم فيها هو نفس نظام الحكومة القعيطية الياقمية ، فجميع الأحكام تصدر بحسب العرف إلا ما له علاقة بالأنكحة والمواريث ، فإنه يحال إلى الشرع الاسلامي ، وليس لهذه الحكومة ميناة فركزها السياسي ضعيف ، وتتكون قوتها من الجيش وهم خليط من آل كثير ، ومن العبيد ويوجد عندها من السلاح البنادق والمدافع من الطرز القديم ، والعبيد هم الذين يتسلمون مرتبات ضئيلة من السلطان ، أما فخاند آل كثير فيدافعون عن حكومتهم بكل مستطاع ومن غير مقابل ، وإيرادات هذه الحكومة ضئيلة جداً ، ولكن لدى السلطان أطيان واسعة ، ومنصرفاتها قليلة جداً ، وتتكون الإيرادات غالباً من الضرائب التي تفرض بحسب العرف على القادرين من الرعايا ، والرشوات منتشرة عند بعض القضاة والولاة .



الرئاسات المستقلة :

بالرغم عن صغر مساحة القطر الحضري ، وعن وجود حكومتين فيه ، فإن هناك رئاسات قبلية في الحواضر والبوادي كل منها مستقلة عن الأخرى في أمور معاشها وحكمها ، وفي قسم محدود من الأرض ، وليس للحكومتين اليافعية والكثيرة سلطة قوية عليها .

الرئاسات في الحواضر هي : نهد ، وسيحوت ، ووادي عمد ، ووادي العين ، وقسم ورخية ، وآل تميم ، والعوامر ، وآل جابر ، وآل باجري ؛ والرئاسات في البوادي هي : سيبان ، وتوَّح ، والمناهيل ، والحوم ، والدَّين ، والصيعة ، والمعارة .

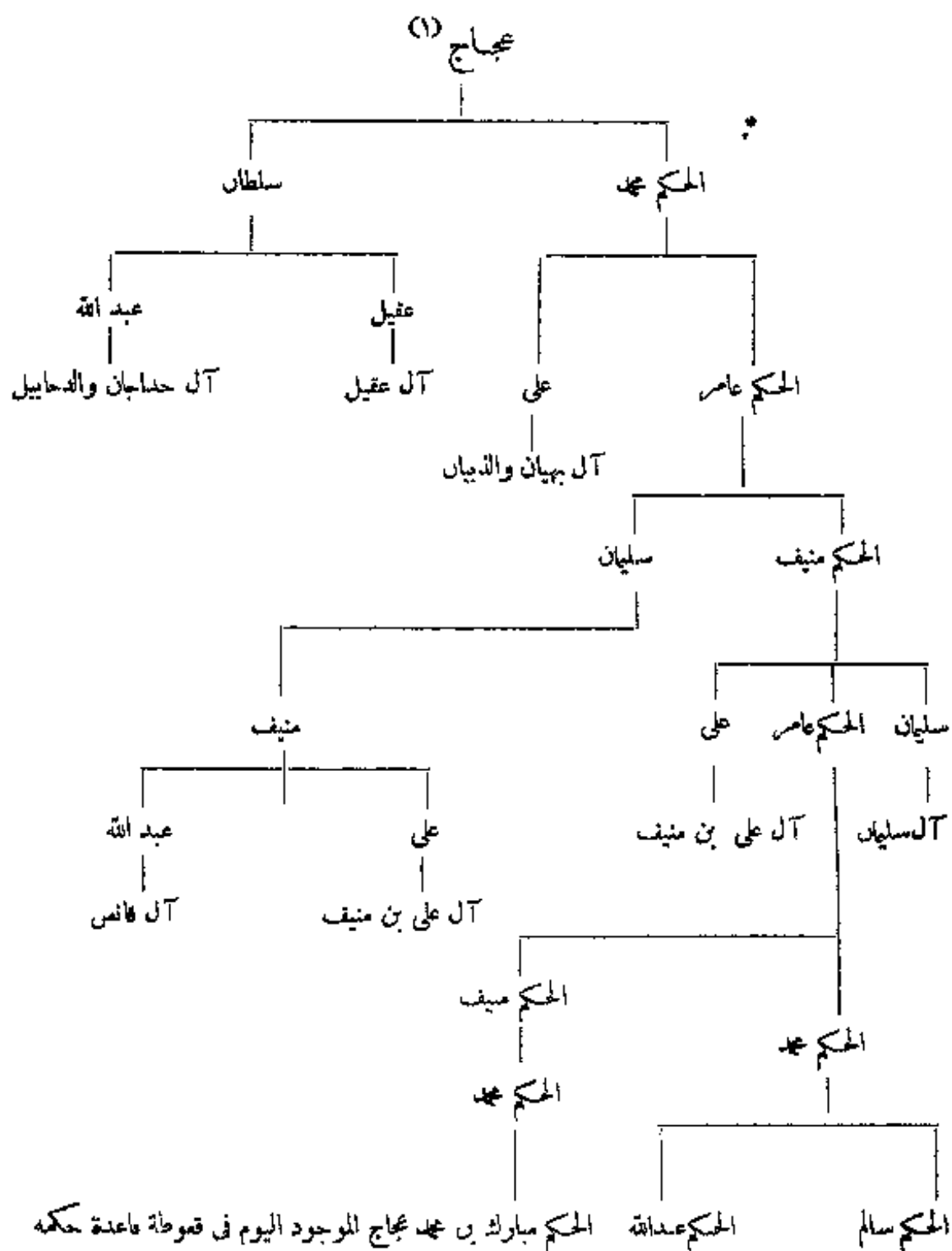
في الحواضر

نهد^(١)

ذكرنا في الجزء الأول سلالة نهد وقبائلهم ونحائهم ، ومن ييدهم الأمر من آل ثابت ، وفاتنا أن نذكر عجاج وذريته الذين يحكمون جانباً كبيراً من نهد في قعوظة^(٢) وملحقاتها :

(١) راجع ص ١٠٨ من الجزء الأول .

(٢) جاء في الجزء الأول أن الحكم على بن صالح بن ثابت في قعوظة والصحيح أن قاعدة حكمه القارة



ويحكم نهد البلاد الواقعة من نخاس شمالا إلى أقصى العروض جنوبا ، والأحكام عرفية إلا ماله علاقة بالأنكحة والموارث ، وبلادهم فقيرة لا تقوم بحاجة السكان ، لأنها لا تنبت

(١) هو أخو بدر ومحمد وعبد الله وحويل الملقب بالطويل أبناء عامر بن فضاله بن روضان وسبق ذكر ذرية إخوانه في الجزء الأول .

رزقا إلا إذا جاء السيل من أودية دوعن وعمد وهم دائماً في مشاغبات ففي سنة ١٣١٤ حدث نزاع وخصام بين آل ثابت وآل بقرى ، وتمدى الفريق الأول على بيت من بيوت الفريق الثاني وحرقه بالبارود بمن فيه من النساء والرجال ، فاتفصل آل بقرى من آل ثابت وبنوا حصوناً في شرق شراح وسكنوها .

وأخذوا يحاربون أعداءهم وانضم إليهم آل مقيزح كما انضم إلى جانب آل ثابت آل منيف وآل عجاج وطال النزاع والخلاف وفي سنة ١٣٣٦ قتل محمد بن عمر البقرى وأخوه سعيد في المشد ، وكان الشهر الذي قتل فيه ، والذي يزار فيه المشد شهر سلم على حسب اصطلاح القبائل فاتهم آل بقرى آل ثابت بقتلهما وأنكر آل ثابت ذلك فاحتد النزاع وتقاوم الخصام وعادت الحرب جذعة ، وأخذ كل فريق يحرق نخل الآخر بالغاز وهدموا السد الذي يوزع مياه الأودية العليا على أراضيهم فمات النخل والنبق وأجدبت الأراضي ولم يزل النزاع قائماً بينهم إلى اليوم بالرغم عن وجود الحكام من آل ثابت وآل عجاج .

سيحوت

تقع سيحوت على الساحل عند مصب وادي حضرموت ، وأكثر بناياتها من الخشب وسكانها لا يزيدون عن الخمسة آلاف أغلبهم من عينات وقسم ، وحاصلاتها الأسماك ومعظم أنواعه من كلب البحر الذي يجفف ويملح ، ويستعمل كغذاء أساسى مع الأرز والخبز ، وزيت الصيفة المستخرج من السمك ، وليس بين سيحوت وغيرها من البلدان الحضرمية مواصلات اللهم الغيظة وقشن ، فان القوافل تذهب من سيحوت اليهما في الشهر مرة أو مرتين ، وميناء سيحوت ردىء فحل تؤمه المراكب الصغيرة والواردات إلى سيحوت من الخارج قليلة جداً ، وأغلب الواردات : الأرز ، والبلح ،

والبن ، والسكر وتأتى من بندر عباس ومن البصرة ومسقط وعدن والجرمك ٥ / . وإذا نزل المسافر في سيحوت وأراد الذهاب إلى الأراضى الداخلية لا يجد الجمال للحمل بضائمه إلا في النادر القليل ، ولذلك فقد يمكث أياما ريثما يذهب الرسول إلى الغيظة ويعود بالجمال والمسافة بين سيحوت وعينات ثمانية أيام في طريق ليس فيها عقاب ولا تلال ، بيد أن الأخطار فيها كثيرة يرحل المسافر من سيحوت إلى عينات فينظر لأخذ خفير من المهرة يحميه من تعدى البدو عليه ، وبعد أن يمر على قرية العيص يصل إلى المسيلة التى أغلب سكانها عميد المهرة ، وبعد ست ساعات يدخل في مفازة عظيمة يقال لها الجزع ، وليس فيها ماء ولهذا يلزم للمسافر أن يأخذ معه كمية من الماء لمدة ثلاثة أيام وبعد أن يخرج من الجزع يصل مياه النقرة التى تكونت من جرف مياه الأودية العليا لتلك البقعة ، ومن ثم يدخل في رمال مدّة أربع ساعات حتى يبلغ قبر هود عليه السلام ثم يصل إلى عينات بعد ١٢ ساعة .

وأغلب سكان سيحوت من قبائل المهرة والحاكم ابن عفرير من عشيرة بنى زياد المهرية صاحبة الحول والطول والنفوذ المطلق في ذلك الصقع النأى ، ومقره لمدة سقطرا وينوب عنه في سيحوت ابنه وصهره والأحكام عرفية والقوضى ضاربة أظنابها في البلاد والأمن مفقود ، ولذلك فكل نزيل يفتقر لنفر من بيت زياد ، أو من غيره من المهرة يحرسه من تعديات البدو الذين يأتون من الصحراء للبحث عن القوت وبين بيت زياد وغيرهم من القبائل تنازع وتخاصم وقتال ، ولآل حامد من آل الشيخ أبى بكر بعض نفوذ روحى عليهم ، وأصلهم من عينات ، وقد أثرت البيثة فهم إلى البداوة أقرب منهم إلى الحضارة .

وادي عمدة



يبتدىء هذا الوادي في الاتساع من حريضة ، وتوجد هناك أغنى بقعة أثرية في

حضر موت تمتد إلى مسافة ميلين ونصف ميل ، ولكن السيول قد أثرت عليها فحرفت بعضها ومحت معالمها ويترآى الوادى العريض الساحل كأنه منطقة حربية ، وتدل تلك الخلفات الكثيرة على أنه كان عاصما بالسكان فى الماضى ولعل ذلك كان فى عهد الدولة الحميرية لوجود صنخور كثيرة عليها نقوش وكتابات حميرية . وعند انعطاف الوادى نحو الجنوب تظهر أحراج النخيل وتكثر مزارع الذرة التى تسقى بماء السيل ، لأن ماء الآبار لا يحصل عليه إلا على عمق ٣٥٠ - ٤٠٠ قدم ويستعمل للشرب ويلاقى الناس هناك مشقة كبيرة فى الري ، لأن السيول تطفئ أحيانا فتهدم الخزانات التى يقيمونها من الأحجار والطين ، وتقوم البلدان على حافى الوادى ، وأكبرها مدينة عمد .

قبائل عمد

تسكن وادى عمد قبائل أكبرها : الجعدة ، وآل ماضى ، وآل باقيس ، وآل باصليب ، والجعدة من بنى مرة ، ومساكنهم فى الوادى إلى الرويضان على مقربة من مدينة حريضة ، ويتفرعون إلى أنحاذ و بطون ، وهم آل محمد بن حمد وهؤلاء هم آل شمالان ، وآل نمارة وآل فيران ، وآل نوبان ، وآل لجذم ، وآل الشيبة ، وآل عامر بن على ، وآل باخشتر ، والمراضيح وهؤلاء هم آل على ، وآل مبارك ، وآل جبل ، وآل حبش ، والمهندى والجابرى ، وآل سلمة بن سايمان وهؤلاء هم آل عفيف ، وآل بوقاسم ، وآل بوجديل ، وآل هلابى ، وآل حميد ، وآل عبد الله بن أحمد وهم آل كريتان ، وآل حمد ، وآل ماضى من سلالة بنى هلال ، وليسوا من سكان الوادى الأصليين ، وإنما هم جاءوا من غرب حضر موت من بلد يقال له البويرفات نزح جدتهم ماضى إلى وادى عمد بصحبة الحامد جد آل حامد ، وسكن فى بلده طمحان بين قبيلتين إحداهما تسمى آل باكلكا ، والأخرى بآل طهفا ، فانقرض آل باكلكا ، ولم يبق منهم أحد سوى شخص واحد هاجر إلى وادى يون على مقربة من وادى حجر ، وهناك كثر نسله كما كثر نسل ماضى ، وتفرعت منه ثلاثة فروع ، يقال للأول آل طيف فى حيرة ، والثانى

آل سويدان وهم بن سويدان وبن دق وبن عقيل في طمحان . واثالث البانيف ، ومنهم
آل مرعى في الوجر ، وآل مسلم في بامهشم ، وآل سلم في السمح واللباه والمبارك ، وتوجد
شرذمة من آل سويدان في بلدة ترنبل بأعلى وادي عمد ، وجاء جماعة آل باكلكا ،
واندجوا في آل ماضي ، واحتموا بهم لوجود روابط ومكاتبات بينهم وبين نزليهم ماضي
وهناك قبائل أخرى ، وهي آل باقيس ، وآل باصليب ، وقبائل من يافع يقال لهم
الذياني ، وآل طاهر بن راجح ، وقبيلة من كندة يقال لهم آل يمانى ، وقبيلة من آل
كثير وهم آل عمر بن جعفر ، وكانت إمارة الوادي في أيديهم لاسيما في عهد السلطان
بدر بوطويرق الكثيرى ، ولما ضعفت الحكومة الكثيرة تلاشت هيبتهم ، وانحلت
سلطتهم ، وظهرت قبائل ذات قوة وسيطرة أكبرها آل شمالان من الجعدة ، وتصدى
هذا البيت للفصل في القضايا وإصلاح ذات البين ، ولقد حدث نزاع أدى إلى القتال
بين آل شمالان وآل عمر بن جعفر ، وسبب ذلك النزاع امرأة كانت متزوجة من رجل
عائب في بلد غير معروف ، فسعى أحد آل عمر بن جعفر في تطليقها حتى طلقت ثم تزوجها
ولما باغ ذلك إلى آل شمالان غضبوا أيما غضب وذهب جماعة منهم إليهم في حصونهم
القائمة على تل مرتفع من الصخر يقال لها الدكوة ، وأحاطوا بهم وقطعوا عنهم الماء ،
وأرغموا الرجل على تطليق زوجته ، فطلقها اضطرارا ، ثم أهدى آل عمر بن جعفر عدتهم
وحفروا بئرا في الدكوة ، ثم أثاروا الحرب ضد آل شمالان ، وقتلوا منهم ثلاثة ، ولا يزال
الخلاف قائما بينهم إلى اليوم .

أما الأحكام في وادي عمد فعرفية ، ولا يتقيدون بالشرع إلا فيما له علاقة بالإرث
أو النكاح ، وليس لوادي عمد حاكم عام يدير شئون السكان ، وإنما يكاد يكون في
كل بلد واحد من أعيان القبائل ، وعالما يكون من الجعدة يفصل في القضايا الجنائية
والمدنية ، وإذا رفض الحكم أحد المتخاصمين فانهما يسافران إلى بلاد نهد لتتحاكم عند
ابن ثابت في القارة ، أو عند ابن عجاج في قهوظة .

مدينة قسم



قلعة قسم

يقع إقليم قَسَم بين النمرة^(١) وقبر هود عليه السلام ، وهو اسم قسَم وسوم ونجمة
ويظهر أن هذا الإقليم كان فيما مضى منطقة حراسة لكثرة وجود الفلاح القديم المهتم
التي لها قلعة العر^(٢) وتوجد هنا رسوم ونقوش ، ولكنها قليلة بالنسبة لكثرة وجودها
في اليمن ، ويمكن تفسير ذلك إذا اعتبرنا حصر موت نهاية ممالك الساسانيين والمينائين ،
وقد درس أحد علماء الألمان في براين تلك الكتابات . وفك رهوز تلك النقوش التي
قلها السيدان : H. Van Wissmann ، D. Van Meulen من حصر موت

(١) بقعة في عيات نحتها سيول الأودية العليا بعد هدم السدود ، وأمد سبب استمرار كبره
بمدينة عيات ، فإن منطقة الحقل السبخة المحيطة بالمسح أحدثت تلاشي ، وهل حصولها .
(٢) راجع صفحة ٦ من الجزء الأول .

في رحلتها اليها سنة ١٩٣١ يرى ذلك العالم أن أقوام حضرموت غلبت عليهم الصفات الحربية من عصور متقدمة ، وعلى قوله فقد ذكر الاقليم ، وملوكه في النقوش السبائية القديمة ، وفي نصوص متأخرة ، وليس لدينا إحصاء يدل على أن الحضرميين خضعوا لغيرانهم السبائيين أو المينائيين ، وقد ذكر الطلاب الإسكندريون أن حضرموت كانت مملكة مستقلة قائمة بذاتها ، وكان لهم إلههم المسمى سين كما كان للمينائيين إلههم عشار والسبائيين المفاه ، وظلوا محافظين أيضا على لهجتهم حتى القرن السادس الميلادي ، وعلى كل فقد كانت هناك قرى ، وحصون في بوبي والعر من إقليم قسم لها استحكامات حربية ، ومدينة قسم محوطة بسور متهدم ، ويسكنها نضع مئات من السكان بينما كانت عاصمة بالألوف فيما مضى ، وحارج السور تقع المدافن ، وتحدها من الجهة الأخرى قلعة على طرار حصون الأشراف في عهد الأقطاع في العصور الوسطى ، وقد تهدم جزء منها ، ولسكنها نارالت حافظه لرواها .

وعلى كل راوية منها يوجد مرجح محروطي الشكل يتصخم في الوسط ، ولا بد أن يجيء اليوم الذي تصبح فيه هذه القلعة كوما من الثرى في منطقة هرها أهلوها ، ويسكن في هذه القلعة حاكم قسم ، وهو كهل شديد الصمم يتكلم جنده بلسانه ، وكان أبوه حاكما شديد البأس ، ولسكنه كان في نصال يأنس مع القرى الطييمية إذ أجذبت الأراضي بسبب النقرة واختفت صناعة البلح ، وهاجر كثير من الرعية فأفلس حتى أصبح عاجزاً عن دفع رواتب الجند ، وبالرغم من ذلك فقد ظل جنده ، وهم مائة عبد على ولائهم وإخلاصهم له ، ويرحلون جماعات ، كل بدورها إلى سواحل إفريقيا الشرقية وماجاورها من سواحل بلاد العرب ليحصلوا على رزق من التجارة ، ثم يعودون إلى سيدهم فيشاطرونه مع زملائهم ما أحرزوه . ولهذا الحاكم المنعزل ولدان ارتحلا إلى جزيرة برنيو للارتزاق ، وماتا هناك صحية الحمى وتبعهما ابنان آخران ، وهما يعملان بجد حتى يرسلوا لأبيهما جزءا مما حصلوا عليه .

بين قسم وسوم

وتوجد بعد قسم قري خربة ، وقلاع على شاكلة قامة قسم ، وتشرب دواب الحل مياه النهر التي تظهر أحيانا وتختفي أخرى ، متخذة في باطن الأرض طريقا لها ، ويفضل الأهالي الشرب من الآبار ، ويستمر الوادي بعد قسم في الاتساع ، وتتكون التربة من طبقة سميكة من اللويس (نوع من التربة) ويتعرج الطريق بين شجيرات الأراك الأخضر ، وتوجد منطقة حافلة بالأطلال الأثرية الضخمة . وسوم قرية صغيرة فقيرة آخذة في الانحطاط ، لأنها في حاجة إلى أيد عاملة للرى ، وتحيط بها حرجة من النخيل .

فغمة

تبعد فغمة عن سوم بثلاث ساعات ، وهي مكونة من عدة بيوت من الطوب التي محوطة بالأكراخ ، وهي آخر محط قبل قبر هود .

آل تميم

تقع منطقة تميم بين عينات شرقا ، وبين آل كثير غربا ، ويحدها من الشمال نجد العوامر ، ومن الجنوب العرف ، ويتفرع بنو تميم إلى أنخاذ و بطون ، منهم آل شمالان وآل سلمة ، وآل بلقشير ، وآل يماني ، والهندي ، وآل شيبان ، وآل مرساف ، وآل زيدان ، والدحارية ، وآل قرموش والخبارسة ، ولكل فخذة من الأنخاذ رئيس ذو نفوذ ومقام محترم كريم ، وآل تميم حلفاء يافع من عهد السلطان عوض بن عمر القعيطي اليافعي ، ولقد قاموا بقتل وافر من المساعدة في صف يافع ضد آل كثير ، وضد الجوم ، ويوجد منهم اليوم في البنادر أفراد كثيرون في الجندية تدفع لهم الحكومة القعيطية مرتبات كما تدفع ليافع المتجندين .

رخية (١)

ويوجد من بني ظنة من آل تميم قبيلتان : هما آل شحبل ، وآل حيدره هاجروا من مريمة إلى رخية سنة ١١٠٤ فسكن آل شحبل في المخارم ، ويرأسهم اليوم السيدان محمد بن جميل بن علي بن مساعد بن شحبل ، ومبارك بن سليم بن سالم بن عبد الله بن عمر ابن مظفر بن حيدره ، وسكن آل حيدره في بقعة يقال لها عطفة ابن حيدره ويرأسهم اليوم السيدان عوض بن عبد الله بن عوض بن عبد الله بن محمد بن غانم بن حيدره ، وجعان بن سالم بن يسلم بن سالم بن أحمد بلقشير بن حيدرة .

العوامر

تسكن قبيلة العوامر في تاربة ، وتوجد منهم طائفة في أعلى مرتفعات أودية الغير وعيديد ومدر ، وتشبه حياة هؤلاء الحياة البدوية في جميع مظاهرها . أما الذين في تاربة وماجاورها فهم من الحضرم ، وينتهي نسب العوامر إلى همدان فهم من آل كثير ويفرعون إلى أفخاذ منهم آل عبد الباقي ، وآل خطاب ، وآل خميس ، وآل كليلثة وآل جعفر .

آل جابر

تقع منطقة آل جابر في أعلى هضاب وادي بن علي ، ويفصلها من الجنوب ريذة الجوهيين ، ومن الشرق وادي عديم ، ومن الغرب وادي منوب ، وتشبه هذه المنطقة في

(١) يقع وادي رخية بين وادي عمدة ووادي دهر ، وهو عاكي البادية في أكثر مظاهره ، ويقوم بلدة المخارم في أسفل الوادي تمر في حدودها القواقل التي تأتي من شبوة ، ومن العواتق إلى صوطة وإلى سبام ، وتوجد في رخية قبيلة أخرى يقال لها آل بلايت ، وهم السيد سالم بن يسلم بن عبد الله بن عامر بن قربان بلايت .

أكثر مظاهرها منطقة البادية ، وآل جابر من آل كثير ، وهم أنفاذ و بطون ، منهم آل ضوبان وآل صبيح ، وآل سلطان ، وآل هيال ، وآل علي بن سهل ، وآل مكشان ، وآل سهيل ، وآل جعفر ، ويوجد منهم في ساء آل يماني بن عمر ، وآل شرنخه ، وآل علي بن عمر ، وفي وادي ابن علي آل عليمي ، وآل بدر ، وآل سعيد بن عامر ، ولكل فخذة رئيس ذو نفوذ .

آل باجری

يسكن آل باجری في بور وما جاورها ، وهم من آل كثير ، ومن أنفاذهم بتقصير ، وآل أحمد بن علي ، وآل إبراهيم في ثبي ، وآل كرتم والعوامر ، وآل جابر ، وآل باجری ساعدوا قومهم آل كثير فيما مضى بكل مقدورهم ضد يافع .

بن سيف

وهؤلاء ينتسبون إلى آل كثير ، ويسكنون وادي ابن علي ، وتصدر الأحكام في جميع الرئاسات القبليسة التي ذكرناها على حسب العرف إلا فيما له علاقة بالمواريث والأنكحة فإن مرجعه إلى الشرع .



في البوادي

سيبان

هي أعظم قبائل البادية ، وأصعبها مراساً ، وأكثرها رجالاً ، إذ يبلغ عددهم نحو ١٦٠٠٠ شخصاً ، وينقسمون إلى فئات و بطون ، وهم : الخامعة ومراشدة والقم و حامديين والخالكة و سموح والمحمديين والجوهيين والحسينيين والحقيقيين والمشاجرة . وتتفرع الخالكة إلى أربعة فروع : الفرع الأول : آل بادقيل ، وهم بلحمر وبلغيث و باجعيفر و بلشرف و باحميد و بازفين . والثاني آل بانخر ، وهم آل عبود وآل باكرموم وآل بقشان وآل باطويل وآل بالكع وآل باست وآل باصراح . والثالث آل باسعد ، وهم آل عمر وآل خلبسي وآل حاج وآل بنجرم وآل بودهتس . والرابع الأبايضة وهم قليلون .

ويتفرع آل سموح إلى الجهنتيمي والغويثي والبوداني والشكبي والخنسي وآل بادسم وآل باطلين ، ويسكن البعض من الخامعة في دوعن ، ومنهم الباصرة نواب الحكومة القعيطية ، والبقية منهم في كورسيبان ، وكذلك بعض بيوت من المراشدة تسكن في وادي دوعن ، وهم الباخشويين والباصريح والباصقر ، ويسكن القم في مرتفعات الجبال الواقعة بين وادي دوعن وعمد ، ومنهم بيت يقال لهم بامرضاح في كورسيبان .

وأما الحامديون فأغلبهم في وادي هوت ، والبقية مجاورون للقم ، وأما المحمديون فيسكنون في الساحل الواقع بين المكلا وبروم ، وأما الجوهييون فمنزلهم في الريدة المشهورة بريدة الجوهيين على مقربة من مشقاص الحرم ، ويسكن الحقيقيون في جبال الربع على مقربة من رأس التخم ووادي حويره ، أما المشاجرة ففي وادي يعث المتصل بمرتفعات وادي حجر ، ويسكن البعض من الخالكة في وادي الأيم بدوعن ، ويوجد

منهم كثيرون في الجبال الواقعة بين وادي العين ووادي الأيسر ، ويسكن السومحي في كورسيبان ، وتنحدر سلالة سيبان من حمير .

ومنطقة سيبان على وجه العموم فاحلة ، وكل شيء فيها أغبر اللهم أشجار النبق [الدوم] وثمارها غذاء كثير من السكان الذين يقاسون أنواعا من الآلام بسبب الجفاف ، وتبتدى منطقتهم من الجنوب بوادي لصوب المريض القحل ، وبه منازل مبعثرة هنا وهناك ، ويكثر في هذا الوادي النبق لأن أشجاره تتحمل العطش - نين متواليه وهو طعام أساسي لسكان هذه القرية ، وتستخدم جذوع أشجاره لعمل قوائم المباني وفروعه الشائكة لحماية أشجار البلح من السرقة وأوراقه لرعى الماشية .

كورسيبان

وهو عبارة عن هضبة تخترقها وديان طولية وأخرى عرضية ، ولما كان المطر نادراً في هذه المنطقة لا يمكن أن نعزى تكوين هذه الوديان إلى المطر وحده بل مما ساعد على تكوينها أن الأرض عادة مكوّنة من طبقة مسطحة من الحجر الجيري كثافتها من ٥٠ إلى ١٠٠ ياردة تحتها طبقة ممانلة من الحجر الرملي ، وبذلك يسهل على الوديان أن تشق نفسها طريقاً عاثراً ، ويبلغ ارتفاع كورسيبان ٢٠٨٨ قدما وهو أعلى قمة في حضرموت وعلى قمم كورسيبان توجد أشجار غريبة قد تأثرت بالبيئة المحيطة بها ، فانتزعت أوراقها وغصونها وقشورها ، وإلى الغرب من كورسيبان تمتد هضبة مسطحة لا تشقه وديان كثيرة ملأى بما يسمونه النقايات ، وهي عبارة عن نوع صغير من الآبار محفورة في الصخر الجيري ضيقة الفوهة ، اتساعها قدم ، وعمقها حوالي ٢٠ قدما ، وتتسع من الداخل ، وهي نستعمل لتخزين مياه الأمطار ، وقد جعلت فوهاتنا ضيقة لتمنع التبخر . وهي تحمل "محل" السقايات في الوديان ، ولها فائدة عظيمة في هذه البقاع الجافة ، ويبقى ماؤها ٣ سنوات ، وليس به عيب سوى طعمه الأسن ، وينظم المسافرون سيرهم تبعاً لهذه النقايات ، وبالتقرب منها توجد المربعات ، وهي عبارة عن خنادق منسقة لها

سقف لحماية المسافرين وحيواناتهم من قيظ الشمس ، وهناك مسطحات من الأرض تفصلها عن بعضها وديان عميقة ، وايس بها أى نبات اللهم إلا على الحافة حيث تصطدم بها بعض السحب ، ولاحيوان سوى السحالي والطيور وفي مسطحات الجبال [الجول] تنعدم النباتات ، وهناك توجد قرى تتكون من بيوت مبنية من الحجر والطين الجفف وأهم هذه القرى دهمه ، وعدد العميان فيها كثير جدا ، وحولها حقول تعتمد زراعتها على ماء المطر ، وبها بضع شجرات من النخيل ، وقليل من أشجار النبق ، وفي وادى ثقب على مقربة من قرية البريرة توجد وهدة عميقة يقال إنها كانت مساكن قوم عاد ، إذ يوجد فيها مساكن يبلغ طول الواحد منها عشرة أقدام وعرضه ستة ، وبعضها مسدود بالصخور والبعض مفتوح ، ويوجد على بعضها نقوش باللون الأحمر^(١) ، وهذه المساكن مبنية من الصخر الطبيعي ، وملتصقة ببعضها بالطين ، وهي على ارتفاع ٤٥٠ قدما ، وتسمى ديار عاد .

وادي يبعث

وهذا الوادي عبارة عن هضبة صخرية تشقها بعض المنخفضات الشبيهة بالأحواض وتنبت هنا أشجار السنط ، وهناك عقبة تؤدي إلى داخل الوادي حيث تنشر مجموعة من القرى التي يطلق عليها اسم يبعث ، وعند منحدر هذا الوادي تنمو للزروعات وأشجار النبق والنخيل ، وتوجد هناك أشجار لها شكل غريب قد أدى تنازع البقاء بينها إلى التواء غصونها وقصرها وتجربتها من الورق ، فأصبح لها شكل الصخور .

(١) نقل هذه النقوش السيدان : D. Van Meulen و H. Van Wissmann

في رحلتها سنة ١٩٣٦ ، وعرضاها على السيد [موردغان] أحد علماء الألمان في برلين ، فوجدتها أسماء أعلام .



سجرة متحجرة في [جول] وادي يمت

و بيوت يمت مبنية من الأحجار السوداء .



قرية يمت

وقد يشتد الجفاف في هذه المنطقة فينعدم النمر من النخل ، وتزداد حالة السكا

ضنكا وتعاسة ، وهي من المناطق الخطيرة إذ قد يسلب المسافرون ، ويقتلون بأيدي أوائلك البدو ، ولا بد للذاهب إليها أو الخارج منها أن يحتسى بقافلة رجالها من حملة السلاح الأشداء ، وتتصل هذه القرى بالصدارة في وادي حجر ، وتقطع المسافة في يومين في طريق وعمر خطير ، والمسافة بينها وبين المكلا ٣ أو ٤ أيام ، وحاكم يبعث أحد الأعيان يقال له الشيخ أبو بكر ، ولكن أحكامه كلها عرفية غير نافذة ، فقد يفتك الشبان بالمسافر ويقتلونه ويسلبونه دون أن يستطيع منعهم ، وعند نهاية هذا الوادي ينبسط جول فاحل خطير يتصل بمرتعات وادي حجر ، وعند النزول من هذا الجول يشعر الإنسان بالرطوبة لفربه من وادي حجر المليء بالماء ، وتوجد في ذلك المنحدر منطقة لذيذة من الناحية الجيولوجية ، فيمكك واد تتخاله الصخور ، وتصبح الطبقات عكسية بعد أن كانت أفقية ، وتتكون من طبقات من الحجر الجيري الأسود ، والحجر الرملي ، وتأخذ الحياة النباتية تفرز شيئاً فشيئاً ، فهناك حقول واسعة من الذرة والسمسم ترويه قنوات تستمد ماءها من ينابيع ذات ماء حار جداً قد يصل إلى درجة الغليان ، وهو ملح ، وتوجد هناك برك ومسننقات عليها طبقة من الملح ، وتتوسطها أنواع غريبة من النخيل لا توجد في منطقة حضرموت الداخلية ، وهذه المنطقة وهي منطقة الصدارة صالحة جداً للزراعة ، ولكن الأيدي العاملة معدومة والجهل صارب أطنابه في الأهالي ، وأغلب سكان هذه المنطقة من قبيلة نوح ، وليس بينهم أحد من قبيلة سييان إلا أفراد قليلون جداً ، والحكومة القميطية الياضية لا تعطى لهذه المنطقة الحصة الأقل اهتمام مع أن جزءها الأكبر تحت حمايتها ، والبأس هناك متعطشون للإصلاح .

نوح

تعد نوح من كبريات قبائل البادية ، ويتصل نسبها بحمير وهي تتمرّع إلى أنحاء ، وهم : بامفاس وبارجاسن وبقروان والمساعيد وبادوس وارشيد والصبيحي والجرى وباصم وباحميس وباحكيم والمعوس وبافياض وناشهاب والمكابرة وبابطين وبصقر

وباجندوح وباسويد وبافنع ، ويسكن كثير منهم في حجر ، وهؤلاء خاضعون
لحكومة القعيطى الياقى ، وفي المرتفعات الواقعة بين أودية حجر وحموض وقليل
منهم في الصدارة .

المناهيل

تقع منطقة المناهيل الساحلة بين وادى المسيلة عند حدود المهرة في الجنوب وبين
قبر هود شمالا ، وكانت المنطقة الواقعة بين قبر هود ووادى سنا من أخصب البقاع
في القطر الحضرى ومن أكثرها خيرات وأوفرها غلات ، ولكن حينما مهدت السد
العظيم الذى كان قائما في شمال وادى سنا فيما يرجع إلى ما قبل الإسلام أجذبت تلك المنطقة
وأجذب معها كل الوادى إلى المهرة حيث تنحدر سيول الوديان العليا بسرعة عظيمة
وتصب في بحر سيحوت في المحيط الهندى على أن منطقة المناهيل من أصلح الأراضي
للزراعة لكثرة وجود الطمي الذى تأتى به سيول الأودية العليا ، ولكن حيث أنها
عرضة للرياح الشمالية الغربية ، وحيث ان الأيدى العاملة معدومة ، فقد تكومت هناك
أكوام كثيرة من الرمال ، فغطت كثيرا من الأراضي الصالحة للزراعة ، فزادت
القحولة والحولة في هذه المنطقة وأمسى لونها أعبر ولا نرى فيها يدل على الحياة اللهم
إلا بعض أشجار النبق القائمة في وديان الجبال الجنوبية والشمالية ، وفي هذه الوديان
حيث تنمو المشب بوفرة ، وترعى العنز والمعاج والحمال ، وتوجد قرى المناهيل ، وهي
مكونة من بيوت وأكواخ مبنية من الطين ، وسكن البعض في كهوف الجبال ،
والمناهيل قبيلة كبيرة يتصل نسبها نآل تميم من طريق بنى ظنة ، وهم ينقسمون إلى أخاذ
و بطون ، منهم بالمعشنى وبنى سبولة وآل كريم وآل سماح ، ورئيسهم ابن طناق ،
وتصل المناهيل بالمهرة بواسطة العوائل ، ولكن الأمن في طول الوادى مفقود ،
والمخاطر حمة ، والمشاق كثيرة . وهذه المنطقة لم يطرقتها بعد أحد من السواح الأجانب
فيما أعلم .

الحموم

تنقسم قبيلة الحموم إلى أفراده وبيوت ، منهم آل قرزات واليمنيين وآل باحسن وبيت على وبيت غراب وبيت عبيد ، وهناك بطون تدعى الانتساب إلى أهل البيت وهم : بيت حمودة وبيت محمد وبيت زين وبيت قطبان ، ولكن ليس لها سلطة روحية ، ولا امتيازات يتمتعون بها دون سواهم ، ويبلغ عدد الحموم نحو ثلاثة آلاف شخص ، وهم من أكثر قبائل البادية عبثاً بالسلام ، وإخلالاً بالنظام ، وهم يسكنون الجبال والوديان بين المناهيل ، ومقد آل عميد شمالاً ، وجبال الشواطىء جنوباً ، وبين سيبان والعباشة غرباً ، ووادي المسيلة شرقاً ، ومنطقتهم على وجه العموم فاحلة جدباء ، لا تنمو فيها نباتات سوى النبق والسنت ، وبعض الأعشاب في بطون الوديان ، ولذلك نجد جماعات منهم ترحل يخبأها من وادي إلى آخر حيث الزرع وحيث الماء ، على أن لبعضهم علاقات ومواصلات بالأمصار ، كالشحر وسيون وعبنات ، وهؤلاء معيشتهم لا بأس بها من الناحية الاقتصادية .

ابن مخاشن

وتوجد على مفردة من حورة في بلد يقال له عرض المخاشن قبيلة آل مخاشن ، وهي فرع من الحموم ، ولكنها محالفة للحكومة المعيطية الياضية .

الدين

وهم مخائذ منهم آل همم ، وقيل ان قبيلة آل عميد منهم ، وتنتد منطقتهم من الريدة المشهورة بريدة الدن إلى جروان .

هضبة الدين

وهذه أخطر بقعة في منطقة الجبال وسطحها [الجول] لا يختلف عن جول وادي دوعن في تشابه مناظره وأفقاره من كل مظهر للحياة ، ولا توجد فيه نباتات سوى أشجار النبق ، وتوجد هناك قرى منها شرح الأبيضين ، وهو قرية حقيرة للغاية ، مكونة من عدة منازل صغيرة ، غذاؤهم ثمار النبق ، وفي موسم البلح يقدم سكان وادي عمد كليات منه لهؤلاء البدو في نظير حمايتهم من العدو

ريدة الدين

يبلغ سكان هذه الريدة نحو ٢٥٠٠ بدوى ، ويحكمهم السيد عثمان بن محمد العمودي الساكن في قرية نجيدين ، ولهذا الحاكم نفوذ مطلق في ريدة الدين وهيبة في قلوب السكان الشديدي الشكيمة ، وهم دائماً في مشاغبات ومشاحنات فيما بينهم ، ولكن العمودي استطاع بسياسته وحزمه أن يوحد صفوفهم ، ويزيل ما يحدث بينهم من خلاف وخصام .

الصيبر

تقع منطقة الصيبر من شمال غربي حضرموت يحدّها من الشمال الربع الخالي ، ومن الجنوب هيين وسور وحصن الغراب ، ومن الغرب اليمن وبلاد العواليق ويقع ، ومن الشرق وديان سر ، وهذه المنطقة من أفقر مناطق القطر الحضرمي وأجدها وأنزرها ماء ، وتندم النباتات في المرتفعات ، ولا ترى هناك أترأ يدل على الحياة ، وفي المنخفضات توجد شجيرات النبق والسنت ، وقليل من الأعشاب القصيرة ، وعدم سقوط المطر في المنطقة الشمالية ، وقلة سقوطها في جنوبها راجع إلى قربها من الربع الخالي ،

والسحب التي تأتي من الجنوب تكون غالباً جافة بعد اصطدامها بجبال هين وسور والجاوية ، وتقوم مدينة الصيعر المشهورة بريدة الصيعر في الشمال الغربي لوادي الجاوية ، وهي مكونة من بيوت أو أكواخ مبنية من الطين ، وبعضها مبنية بالحجر ، وهي تمثل البداوة بكل معانيها ، وتتصل الريدة بسور بطريق جبلية شديدة الانحدار ، وكثيرة التعرجات ، ولكن جمال الصيعر متعمدة على صعود المرتفعات والنزول منها إلى المنخفضات دون أن تصاب بضرر ، وهذه الطريق قليلة الأخطار بالنسبة للمنطقة الواقعة بين ريدة الدين ووادي حمم .

والصيعر أخاذ ، وينتهي نسبهم إلى كندة ، وبعضهم ساكن في الحضر كالهجرين وهم آل محفوظ ، ومن هؤلاء ابن طيران وابن مساعد ، وهؤلاء خلفاء يافع ، وتوجد جماعة من الصيعر في مرتفعات وديان سر العليا ، وهؤلاء يمثلون ما قبل التاريخ ، فهم يسكنون الكهوف ، ويلبسون الوبر ، ويعيشون على رعي جمالهم التي يتخذون منها اللبن وهو غذاؤهم الوحيد .

وأذكر أني لما كنت في حضرموت سمعت حكاية من أحد الصيعر الذين أتوا بقافلة تحمل حبوا لبيعها في سبام ، قال إن لجماعته القاطنين في أعلى وديان سر جمالا كثيرة العدد ، ولهم إشارات تكاد تكون لغة ذات أصوات يفهمون بها مع جمالهم وقال إنه حدث مرة أن هاجت عصابة أحد الرعاة ، وكان غلاماً صغيراً ، وأحاطوا به وبجماله ، ولكن الغلام استطاع أن ينجي نفسه وجماله من الخطر المهدق به حيث صاح صيحته التي يفهمها جماله ، فانطلقت وراءه كالمطائرات ، فهتت رجال العصابة مما رأوا وعادوا آسفين نادمين .

أما الصيعر الذين يسكنون في الريدة وما جاورها ، فمواصلهم باللبن متينة بواسطة الجمال ، وهم يستوردون من اليمن ومن بلاد يافع أنواع الحبوب والبن والورس ، ويأتون بالسمن من بلاد العواتق ، ويبيعون ذلك في أسواق العروض وهين وشبام .

المعارة

تسكن قبيلة المعارة في الوديان ، وفي سطوح الجبال الواقعة بين عقبة الغز شمالا ، وعقبة الفقرة جنوبا ، ويفصلهم من الشرق الحوم ، ومن الغرب العواثة ، والمعارة من أكثر قبائل البادية ميلا للتهب والسلب ، وقطع الطريق انقر منطقتهم وهم ينتسبون إلى مذحج ويبلغ عددهم نحو ٣٠٠ نفس ، وقريتهم المسكونة من بيوت صغيرة تقوم شرق مرتفعات وادي العين ، وتسمى ريذة المعارة ، وهي واقعة في منتصف الطريق بين عقبة الغز وبظي .

الحياة في البوادي

الأمن في كل بوادي القطر الحضري مفقود ، وكل منطقة لاسيما التي تقع بين قبيلتين بدويتين فاشها محفوفة بالمخاطر والرزايا ، ويكاد يكون لكل تحيذة من أخذ القبيلة الواحدة رئيس يرجعون إليه للفصل في قضاياهم ، وجميع الأحكام عرفية مع شيء كثير من القوضى ، وعدم الخضوع أحيانا للحاكم الذي لا يستطيع أن يرغم أتباعه على الطاعة ، ومن مزايا سكان البادية الجليلة أن كل قبيلة سديدة الغيرة على أفرادها تبذل كل مرتخص وعال في حمايتهم والدروع عنهم . ويندر أن يحدث خلاف وقتال بين أفراد القبيلة الواحدة ، ولعل السب في ذلك عدم وجود فوارق في المال ، وامتيازات في المقام . فجميعهم يكادون يساوون في الناحية الاقتصادية ، وكلهم طبقة واحدة ، فلا سيد ولا مسود ، ولا غنى ولا فقر ، اللهم إلا الحاكم أو الرئيس فيعطونه من الاحترام ما يستحقه . أما التعليم في البوادي فليس له أثر ولا وجود ، فالناس كلهم

أميون ، والبدو على وجه العموم يمثلون النشاط وحب العمل والجلد والصبر ، فجانب منهم يحترفون الرعى والترحال من مكان إلى مكان بنحياهم وأهلهم ، وآخرون يحترفون التجارة فيجلبون من البلدان النائية أنواع المتاجر بواسطة جمالهم ويبيعونها في الحواضر ، والثروة عندهم غالباً محصورة في الجمال ، ولأكثر الرجال طابع خاص ، ف شعر رؤوسهم طويل خشن غالباً يقطع أحياناً عند القمة ، ولكن أكثر الأحيان يترك هكذا غزيراً ، ولا ينبت لهم شعر في العارضين إلا في طرف الذقن حيث ينبت شعر قليل ، ولكن كثير منهم وجوه جميلة ، وملبسهم القميص الطويل الذي ينتهي إلى الركبتين وبعضهم يكتفي برداء ملون بالنيلة يغطي نصف الجسم ، وحول الخصر حزام من الجلد المدبوغ يوضع فيه خرطوش البندقية ورؤوسهم غالباً عارية إلا من سير من الجلد يحفظ ذؤابات شعورهم الطويلة من التفكك ويضع بعضهم على رؤوسهم قطعاً من القماش يقال له البرنس وسواعدهم السمراء وأرجلهم فيما تحت الركبة عارية .

أما المرأة فلبس رداء واحداً مصبوعاً بالنيل أشبه بالنستان يصل من رقبتها إلى أخصى قدميها ، وعلى رأسها غطاء أسود شفاف يصل إلى كتفيها ، ولا يبدو منها شيء سوى وجهها وكفيها وقدميها ، وبعض النساء والفتيات ينقشن وجوههن بكل الأشكال والصور ، ويرسمن على العنق والصدر وظاهر اليد والقدم خطوطاً غالباً ما تكون بلون أزرق أو أسود ، ولكنها في بعض الأحيان تكون حمراء أو خضراء ، وتخلق الحواجب أحياناً ، ويرسم موضعها خط أجمل منها ، وبعضهن يظاين وجوههن في أيام الأعياد والحفلات بطلاء أسمر وأخضر وأحمر ، وقد يضعن قطعاً من طلاء قرمزي في منتصف الجبهة ، وعلى الشفتين كما هي العادة عند الهنودوكيين والحلي كثيرة ، ففي سن باكرا - ٨ إلى ١٠ تخرق أذان الفتاة في ستة مواضع غالباً تحلى كل واحدة منها بقرط من فضة أو تحلى جميعاً بسلسلة من الفضة تحملها متعبة صاغرة ، وعند ما تصل سن البلوغ تنقب طاقة أنفها اليسرى ، وتضع فيها خزاماً ، وحول عنقها قلادة ، أو عدة قلائد ، ثم أحياناً تلوان ظافر اليدين جميعاً بالحناء ، وتصبغ أطراف أصابع اليدين والرجلين بلون أسود ،

وراحة اليد بلون أحمر، وفي الأهداب يوضع الكحل حتى الرجال يفعلون هذا، إذ يقال إنه يقوى البصر.

والزواج عندهم مبكر، وقد يجتمع الشاب بمن يهوى من الفتيات شهوراً، ويختلي بهادون أن يمسا بسوء حتى إذا توطدت بينهما عرى الحب والولاء تزوجا، والبدوية ولود، وهي تضع أولادها في هود مصنوعة تبدو كأنها فواقع مفتوحة ذات أقدام صغيرة وحين كان على الأم أن تذهب كانت تأخذ المهد وما فيه معها، ويرقد الرضيع فوق وبر منسوج، أو على جلد مدبوغ، وتجلس الأمهات في خوف عظيم من عين السوء، فعلى المرء أن لا يبدى اهتماماً خاصاً بأى طفل، والختان عندهم من أهم الأمور، وله شعائر تختلف غالباً في كل إقليم عنه في الآخر، ففي بعض الأقاليم يختن الذكر عند البلوغ والأنثى في يوم الميلاد، وفي أخرى يختن الذكر في سن السادسة، والأنثى في العاشرة، وفي كل البوادي يقطع الجزء الزائد من الجلد عند الذكر، وفي حالة الأنثى يقطع بعضهم طرف البظر، بينما يقطع بعض سكان الجبال كل البظر، وبعض البدو لا يختنون البتة وهم قليلون جداً، ويشبه ختان الذكور هناك، وفي الحضرة أيضاً الختان عند قدماء المصريين، لأن المومياءات التي عثر عليها في طيبة مخنونة، والنساء في البادية يجتمعن بالرجال، ويتحدث الجنسان بمطلق الحرية لأن كلا منهما حافظ شرفه ويستحيل أن يتعدى حدود الرزاة والحشمة، ويرقص الشبان مع الشابات، والشيوخ مع العجائز، وليس عندهم أى أثر للعصبية فأى فتى من أية قبيلة كانت يمكن له أن يتزوج من أية فتاة يحبها، ويفضل الرجل المشهور بالبسالة والبطولة بقطع النظر عن خلقه ولونه، والسداجة في البدوية بالغة إلى أقصى حد، فهي تمازح أى شخص على مرأى من أقربائها، ولقد حدثت حكاية ظريفة بين السيدين :

D. Van Meulan و H. Van Wissmann ، وبين جماعة من البدويات تدلنا على مبلغ بساطة وسداجة هذه النساء ، فقد احتك السيدان في رحلتهما عام ١٩٣١ بقبيلة من البدو كانت ضاربة خيامها على سطح هضبة عالية وراء جبال

المكلا قالا إنه حينما اكتشفت إحدى النساء سِنًا ذهبية في فم أحدها أخذت تفحص فيه وتشاهد هي ورفيقاتها الأسنان الذهبية الأخرى ، وصدرت صيحات دهشة تلاها سرور وبهجة ، وبعد أن فحصت فيه بدأت تدعك الجانب الأبيض الباطن من ذراعه بشدة بأناملها الخشنة السمراء فلم يتغير لونه وظلّ أبيض ! ثم جذبت قميصه الكاكي ، فوسمته عند العنق فكان أبيض أيضاً ، وضحك رفيقاتها الواقفات ، واستمرّ الامتحان وكشف الهميص أكثر فأكثر ، وكانت صيحات عجب « آه آه » حين تبين أن بطنه كذلك بيضاء جداً ، ولما أرادت تلك الفتاة أن تكمل اكتشاف جسم ذلك الأوربي أكد لها أن ماتبقى من جسمه لونه أبيض أيضاً ، وكانت تعتقد هي ورفيقاتها أن الإفريج معنادون على أن يحكوا الصابون بأجسامهم ، فسألته إحداهن وقالت :

« أيجل لوننا كذلك بواسطة الصابون ؟ »

« كلا ! فإن الله قد خلقنا هكذا »

« ليس من شك في أنكم تعيشون في منازل ، فلا تجعلكم الشمس مثلنا ، وليس

من شك في أنكم لا تأكلون إلا اللبن ؟ »

« كلا ! فنحن نأكل ما تأكلون »

« أمكث هنا معنا ونحن نرقص لك الليلة على تصفيق الأيدي » .

وبدأت تلك المتحنة ترقص وتصفق ، وكان ذلك قد أثار الفسيرة في قلوب

الأخريات .

« كنا نود أن نقيم بينكم لولا أنه ليس لدينا وقت يجب أن نرحل » .

« كلا ! بل أمكث هنا سنعطيك زوجة »

وهناك استطاع السيد [ويزمان] أن لايجيل بصره بتفحص فيمن حوله فمن كانوا

أى شيء إلا ذرى جمال وقرآن أفكاره ، فقالت إحداهن :

« كلا ! فإن الفتيات الصغيرات ما زلن مع القطعان ، ولكنهن يأتين مع قدوم الليل^(١) » .

ومهما كانت حياة البدوية على جانب كبير من البساطة والخشونة إلا أنها تفعل أيّ شيء لتبدو جميلة ، وهي تعلم في حداتها أن من تودّ أن تكون جميلة فعليها أن تقاسى .

ويعيش أغلب بدو حضرموت في منازل وأكواخ مبنية من الطين أو الحجر ، وبعضهم يعيشون في كهوف ، أو في العراء بغير مأوى ، وكان المأوى عبارة عن مساحة خمسة أقدام مربعة ، تحوطها أربعة عصي ، ارتفاعها نحو ثلاثة أقدام ، وعصى أخرى تربطها ببعضها ، ونثرت فوقها كومات من الخشيش الطويل الصلب لا يمنع الشمس كثيراً كما أن حض المنازل أكثر سداجة ومصنوع من أغصان مقطوعة وخرق قليلة ممدودة عليها لتلقى شيئاً من الظل ، وانحرافات عندهم تكاد تكون معدومة ، ولا يقسمون بالأضرحة المقدسة إلا القليل منهم وهم المجاورون للحواضر .

الحالة الاجتماعية في الحواضر

ليس بحضرموت إحصاء رسمي للسكان ، بل لا تجد لهم تعداداً في العواصم والمدن حيث توجد مراكز الحكومة ودوائرها ، وعلى وجه التقريب يبلغ عددهم نصف مليون بما فيهم سكان البادية ، وينقسم السكان إلى أربعة طوائف :

١ - حملة السلاح ٢ - التجار ٣ - الزراع ٤ - الروحانيون .

(١) الحوار مترجم من الإنجليزية طبق الأصل من كتاب: « Hadramaut » للسائحين السيدين: D. Van Der Meulen و H. Van Wissmann مبعوثي الحكومة الهولندية إلى

حملة السلاح

وهؤلاء يحملون البلاد ، ويحفظون الأمن ، لاسيما في الحواضر ، ويحرسون القوافل ، ومنهم تتكون حاشية السلطان وأعوانه وحرسه ، والرئاسات القبلية ، ويسمى حملة السلاح في اصطلاح الحضارم - القبائل - وهم يافع وآل كثير ، ومن يلحق بهم ، كآل جابر والعوامر وآل باجري وآل سيف ، وآل تميم ومن يلحق بهم من بني ظنة كآل شحبل وآل حيدة ، ونهد وكندة وسيبان ونوح والذيين والجددة والعباشة والحوم والمناهيل والمهرة وغيرهم^(١) ، والبنادق التي يحملها القبائل من نوع الميزر والهنفا والمهزقي ، وكانوا يحملون نوعا من البنادق يقال له [العربي] ، وقد انعدم هذا النوع لرداءته وقدمه ، ويكتفي بعضهم بحمل الخنجر [الجنبية] والسيف أو الرمح ، ويتقلد ابن المتسلح الخنجر في أوائل العقد الثاني من سنه ، ومتى بلغ رشده يتقلد البندقية ، وفي هذه الحال يعد من الرجال ، ويوجد بين حملة السلاح رجال كثيرون ذوو عقول راجحة ، وأنظار بعيدة ، ذوو عزم وحزم وسياسة وكياسة وصلاح ، ويحبون الخير ، غير أنهم على وجه العموم مشاغبون ، محبون للحرب ، والنظام عندهم من أسوأ الأمور ، فهم يميلون إلى الحرية الشخصية التي لا تعرف قيوداً أكثر مما يحبون الحياة ، وقد يحدث نزاع وخلاف ، وتثور الحرب بين قبيلتين بل بين القبيلة الواحدة ، ولكنهم يتناسون ذلك كله حينما يأتيهم عدو من الخارج حيث يتحدون ويدافعون جنباً جنب ، ويهبون جميعاً لمقاتلة عدوهم ، ثم بعد انتهائهم من أمره يعودون إلى ما كانوا فيه من قبل ، ومن أعظم مزايا المتسلح أنه يقبل كل من يحنى به ، ويدافع عنه بماله وروحه ، ومن المساوي التي يؤاخذ عليها المتسلحون أن أقرباء المقتول لا ينتقمون من القاتل نفسه ، بل هم إذا لم يجدوه يقتلون أي فرد من أفراد قبيلته ، وهذا يوجد عند

(١) يوجد بيوت ركت السلاح من قديم لاشتغالها بالعلم أو التجارة ، ومن هؤلاء الكلال من

حير وآل باكثير وآل بافضل وآل طرشوم من كندة وغيرهم .

جميع القبائل حملة السلاح ، ومن المساوي أيضاً حرق النخل بالغاز في أثناء النزاع ، وهذا يحدث كثيراً في نهد [والحشمة] ، وهو قتل الشخص المحتفى بشخص آخر ، فإذا قتل شخص في حماية فرد من أفراد قبيلة أخرى ، فإن الحامي ويسمى عندهم [المحشوم] ينطلق بكل سرعته ، فإذا التقى بأي شخص من حملة السلاح في غير حدود الحكومتين الياضية والكثيرية فإنه يقتله ، وفي هذه الحال يقال له [بيض وجهه] ، ومن هذا تنشأ المشاغبات ، ويستمر الحسام والقتال بين بعض القبائل ، ولعل من دواعي الغرابة أن يعلم القبائل بتلك المساوي الضررة لهم ، والهادمة لمجتمعهم ، ولا يعملون لإزالتها من بينهم ، وفيهم ذروا الشخصيات البارزة الذين يشار إليهم بالبنان ، ولعلك تندهش إذا قلت إن بعض حملة السلاح يعدون تلك المساوي من دلائل البطولة والشجاعة ، وقبائل حضرموت لا تقبل الدية في القتل ، ويعدون ذلك عيباً وجبناً .

وإذا تلاقى شخصان بينهما نار ، وقال أحدهما للآخر : « السلام عليكم » ، وأجابه الآخر : « وعليكم السلام » ، فمضى ذلك أن العداء زال بينهما مؤقتاً ، وعند بعض قبائل البادية نوع آخر يقال له « عن البطن » ، وهو أن يكون الشخص في حماية شخص آخر ، فاذا أكل ملحه فهو تحت كنفه لمدة ٤ ليال و ٤ أيام ، إذا اعتسدى أحد من أفراد قبيلة المصيف على الصيف ، أو ما يخصه ، وجب عليه ردّه ، وعونب بمتهى الصرامة .

النجار^(١)

وهم أرباب التجارة والصناعات ، ومن يالحق بهم كالبنايين والنجارين وغيرهم ، وهؤلاء عليهم حياة الأسواق ومونها ، والتجار الحضرميون مشهورون بالأمانة والنشاط والصبر والجلد ، والتبات لمكافحة الشدائد ، ومصادمة المصائب ، وهم على جانب عظيم من المهارة في التجارة وطرائق الارتزاق والعيش .

(١) يوجد من حملة السلاح كسيرة محترفون بالحجارة

الزراع

وهؤلاء يحرثون الأرض ويزرعونها بالنخل وأنواع الحبوب ، ومع أنهم أكثر الطوائف الحضرمية منفعة للناس ، لا يلاقون احتراماً في بقية الطوائف الأخرى ، لاسيما حملة السلاح والروحانيين المتعطرسين ، ليس لأنهم زراع فقط بل لأنهم لا يستطيعون الدفاع عن أنفسهم ، ولا طاقة لهم بأخذ الثأر لتجردهم من السلاح ، وقد نتج من ذلك ضعف الشخصية في طبقة الزراع ومن يلحق بهم من العمال .

ولقد بلغ امتهان أولئك المتعطرسين بالزراع أن سموهم [الضعفاء] ، وهم جديرون أن يسموا [الأقوياء] لأنهم العمود الفقري للبلاد ، والفلاح الحضرمي نشيط مجتهد صبور نبيه ذكي ، يعرف الأرض الطيبة من الرديئة ، ويعرف النجوم فيزرع على حسابها ، وهو أحمى لا يعرف الكتابة ولا القراءة ، ومن مساوى الفلاح الحضرمي القناعة ، فهو يكتفى بفلاحة جزء من الأرض محدود مع أن في استطاعته أن يزرع بقاعاً واسعة بكثير من الحبوب والبقول والخضراوات ، لأن الماء وافر بين يديه ، وقريب من سطح الأرض ، وبالأخص من منطقة حدري ، ولذلك لا يجد واحداً منهم يملك ثروة واسعة ، ولعل له بعض العذر في ذلك لما يلقاه من التضيق والضغط من جانب بعض التجار المرابين الذين يقترض منهم حبوباً للزرع بأرباح كثيرة .

الروحانيون

إوهم آل باعلوى [العلويون] ، وآل باوزير ، وآل عمودي ، وآل إسحاق ، وآل باجابر ، وآل باعباد .

آل باعلوى^(١)

وينقسم آل باعلوى إلى أخاذا و بطون ، منهم آل الشيخ أبى بكر ، والعطاس ، وآل عيدروس ، وآل حبشى ، وآل شهاب ، والجفرى و بلفقيه والكاف والسقاف ، وفى بعض أخاذا آل باعلوى : كآل الشيخ أبى بكر والعطاس والعيدروسى والحبشى ، رؤساء لهم نفوذ روحى قوى جداً ، ويقال لهم - المناصب - ولآل باعلوى على وجه العموم سلطة روحية نافذة ، ولم تأت بهم هذه السلطة من طريق القوة ، ولا ابتاعوها بالحرب وإنما نالوها بالتظاهر بالصلاح والتقوى ، ودعوى الانتساب لأهل البيت ، فسلطتهم تشبه إلى حد كبير سلطة مشايخ الصوفية وأرباب الطرق والمقامات فى مصر وغيرها من البلاد الإسلامية ، ولقد أكسبتهم هذه السلطة حب الشهرة والظهور بمظاهر الكبرياء والترفع عن غيرهم فى طبقات الشعب ، وعدم التنازل لهم ، وهم يرون أن كل شخص منهم يجب أن يحترم ويفضل عن غيره سواء أكان هذا الشخص كبيراً أو صغيراً عالماً أو جاهلاً عاقلاً أو معتوهاً ، ويغضبون إذا نودى أحدهم بكلمة - يا أخ - وإنما يجب أن تناديه - يا حبيب - أو - يا سيد - والعلوية - يا شريفة - وهم يرون أن تلك الكلمات التى تدل على التعظيم يجب أن تكون خاصة بهم دون غيرهم من الطبقات الأخرى ، ويريدون من غيرهم أيضاً تقبيل أيديهم عند المصافحة ، وأن يكون لهم فى المجالس المقام الأكرم والمكان الأعلى ، ولا يجوز عندهم أن يتزوج غير العلوى من العلوية ، ويمدّون ذلك حراماً ، بينما هم يتزوجون بنات غيرهم^(٢) ، ولقد غلا بعض إخواننا آل باعلوى فى سلطتهم الروحية ، فوجهوا نفوذهم إلى بعض القبائل الكبيرة ليتصرفوا فيها كما يتفنون ، ويسخروهم فى أغراضهم الشخصية ، فاتجه آل الشيخ أبى بكر إلى يافع وآل عيدروس إلى [آل كثير] ، والعطاس إلى الجمدة ، وتدخلوا فى شئونهم السياسية

(١) راجع صفحة ٩٧ من الجزء الأول .

(٢) هذه العصبية المقوتة فى الرّواج ليست هى عند آل باعلوى فقط ، بل هى أيضاً عند القبائل حاملة السلاح ، فهؤلاء لا يزوّجون بناتهم لغير حملة السلاح من غير أصحاب السلطة الروحية .

على أنه يوجد في آل باعلوى أفراد ، وهم قليلون اشتهروا بالصالح والتقوى والورع وحب الخير والدعوة إليه ، وإن كانوا متمسكين بعصبيتهم المقوتة ، وامتيازاتهم الموهومة .
ولآل باوزير ، وآل عمودي ، وآل إسحاق ، وآل باجابر ، وآل باعباد سلطة روحية ، ولكنها في الدرجة الثانية بالنسبة لسلطة العلويين الروحية ، وليس عندهم من الكبرياء والترفع والعصية مثل ما عند هؤلاء .

الخرافات

ولقد ابتنى بعض العلويين قبايا كثيرة لبعض موتاهم رحمهم الله ، ووضعوا على أجدادهم التواييت ، ودعوا الناس لزيارتها ، والتبرك بها ، والتوسل إليها لقضاء الحاجات واستنزال البركات ، وقد يوجد في القبة خزانة [تيححة] في داخلها إناءان : أحدهما للنقود ، والآخر لازيت الندى يقدمه المريض لطلب الشفاء ، وأقرباء الميت هم الذين يتمتعون بهذه القرايين والندور ، وقد يبلغ بعض المرضى في الصلال فيأكلون قليلا من تراب ذلك القبر لطلب الشفاء ، وإني لأذكر أني حينما كنت في حضر موت وأنا يومئذ لم أبلغ سن الرشد أصبت بحمى ، فذهبت إلى قبة المرحوم عمر بن محمد الهدار العلوى الواقعة على مقربة من حوطة أحمد ناصر ، وأكلت قليلا من تراب قبره ، وقبلت تابوته ، وتوسلت إليه ليذهب الآلام ، ويعيد إلى صحتي كاملة غير منقوصة ، ووضعت في الخزانة أوقية وربعا ، وعدت إلى البيت وأنا أرتعد من حمى الورد ، ومن حسن حظي أني في اليوم الثاني شفيت من مرضي ، ولكن من سوء حظي أن ازداد اعتقادي في الهدار واعتمادى عليه من دون الله ، فذهبت في الحال إلى السوق وابتعت رطلا من زيت السمسم ، ثم ذهبت إلى قبة الهدار ، ووهبت له الزيت في الخزانة ، وهكذا ذكرت صاحب القبة في السراء والضراء خفية وجبرة ، وهو لا ينفعنى بشيء ، ولم أذكر الله عز وجل ، الندى هو أقرب إلى من حبل الوريد ، وييده كل شيء .

ويوجد في الروحانيين وبوجه أخص في العلويين من يصنع التمام والعزائم
للرضى وغيرهم من طلاب الحاجات ، ويبالغ بعض الدجالين من أصحاب السلطة الروحية
فيسقون المريض ماء ممزوجاً بزاقهم للشفاء ، ويتجرع هذا المريض [المغفل] ذلك
البزاق القذر ، وهو مسرور كل السرور متوها أن الشفاء آت لا ريب فيه .
وهناك كتب ألفت ، ورسائل دوّنت كان لها أثرها السي في عقلية الشعب ،
وتسميم أفكاره ، وإفساد عقيدته ، وفي مقدمة هذه الكتب : [المشرع الروي]
لصاحبه الشيخ محمد بن أبي بكر الشبلي المشحون بالكفريات والخزعبلات ، ثم كتاب :
[الجوهرة الشفاف] وغيرها .

ويقسم كثير من الناس بالأضرحة ويخافونها إذا حشوا في أيامهم أكثر مما
يخافون الله ، فقد يطلب المشتكي من خصمه أن يقسم على ضريح مقلد خيراً من أن
يقسم بالله أو بالقرآن ، ويعتقدون أن لتلك الأضرحة قوة الانتقام إذا كان المقسم حائثاً ،
وأهم الأضرحة التي يقسمون بها هي :

الاسم	المكان	الاسم	المكان
أحمد بن زين الحبشي العالوي	حوظة أحمد بن زين	الشيخ أبو بكر بن سالم العالوي	عينات
عبدالله العيدروسى العالوي	تريم	سعيد بن عيسى العمودى	قيدون
عمر بن محمد الهدار العالوي	حوظة أحمد ناصر	معروف يا جمال	بضة
على بن حسن العطاس العالوي	المشهد	عبدروس بن عمر الحبشى العالوي	الغرفة
حسن بن صالح البحر العالوي	ذى أصبح	عمر المحضار العالوي	تريم

وفي زعمهم أنه إذا أراد الشخص أن يأتيه كساء من أبيه أو من أحد أقربائه المهاجر
في جاوه أو في غيرها ، فما عليه إلا أن يذهب إلى إحدى القباب ، ويقطع جزءاً
صغيراً من توبه ، ويرطبه باللعباب ، ويقذف به في الحائط ، ولا تمضى سنة إلا وقد نال
مطلوبه ولذلك تظهر الحيطان في بعض القباب كأنها مغطاة بطبقة من الورق المزخرف
أوزينت بنقوش مختلفة الألوان .

وبعض المرضى وبالأخص إذا كان صغيراً يطاف حوله حمل مراراً ، ثم يقطع جزءاً من أذنه ويلقه في ذراع المريض ، ويذبح ذلك الحمل ، ويوزع لحمه على الجيران بعد أن يأخذ الدجال الذي أشار لهم بتلك العملية جزءاً كبيراً منه .
وأول ما عمله الشخص الذي يريد أن يبني بيتاً أن يدق أربعة أوتاد في البقعة التي سيبني فيها المنزل لطرد عين السوء ، وذلك بعد أن أخذ رأى أحد الروحانيين ، وعند ما يتم بناء البيت يذبح حملاً على عتبه كما يفعل الفرنجة عند الاحتفال بإنزال السفينة لأول مرة في البحر بكسر زجاجة خمر ، وفي بعض أجزاء حضرموت يذبح صاحب البيت شاة ، ويأخذ من دمها بيده ويخضب الباب . وبعضهم في أثناء عملية البناء ، ويأكل البناءون لحماً ، ويريقون دمها على الحيطان ، وعند ما يدخل صاحب البيت لأول مرة يكسر بيضتين على عتبة الدار ، وآخرين على الدرج ، وآخرين عند الطابق العلوى .

وعند ما يأتي وباء مُعدٍ - والأوبئة قليلة جداً في حضرموت - يذّر بعض الناس الرماد حوالى بيوتهم لمنع سريان العدوى .

ومنذ عشرين سنة كانت تلك الخرافات والخرعبلات منتشرة في السكان انتشاراً عظيماً ، وكانت سلطة الروحانيين لا سيما سلطة العلويين الروحية نافذة في جميع طبقات الشعب الحضرمي في الوطن والمهجر ومالكة لمشاعرهم ووجدانهم ، وحاكمة على عواطفهم وإراداتهم ، وكان نفوذ أولئك المناصب عظيماً دونه كل نفوذ ، ولكن بعد أن أنشئت في جاوه جمعية الإصلاح والإرشاد^(١) التي تدعو إلى المساواة الشرعية والاخاء الإسلامي تلاشت تلك السلطة الروحية واندرست لا سيما في أندونيسيا ، وأمسى الناس ينظرون إلى مهازل الروحانيين وخرافاتهم بعين الازدراء والاحتقار ، ولم يبق من الحضارم من يخضع لها سوى أفراد قليلين ، لا تزال في عيونهم غشاوة ، وفي آذانهم وقر ، حتى إن كثيراً من أصحاب السلطة الروحية ، كآل باوزير ، وآل عمودي ، وآل إسحاق نبذوا عصبيتهم المقوتة وراءهم ظهرياً ، وأصبحوا يدعون الناس إلى المساواة وإلى نبذ الخرافات

(١) راجع الكلام عن هجرة الحضارم إلى أندونيسيا في هذا الجزء .

والأوهام ، ومنهم أفراد صاروا رؤساء لبعض مدارس الإرشاد وقادة للنهضة الفكرية ، وبعد أن كان الروحانيون ، وبوجه أخص العلويون ينظرون إلى غيرهم من أبناء حضرموت بشيء كثير من الاحتقار والامتنان ، ويعدونهم كالمخدم لهم أصبحوا الآن ينظرون إليهم بشيء من الهيبة والاحترام .

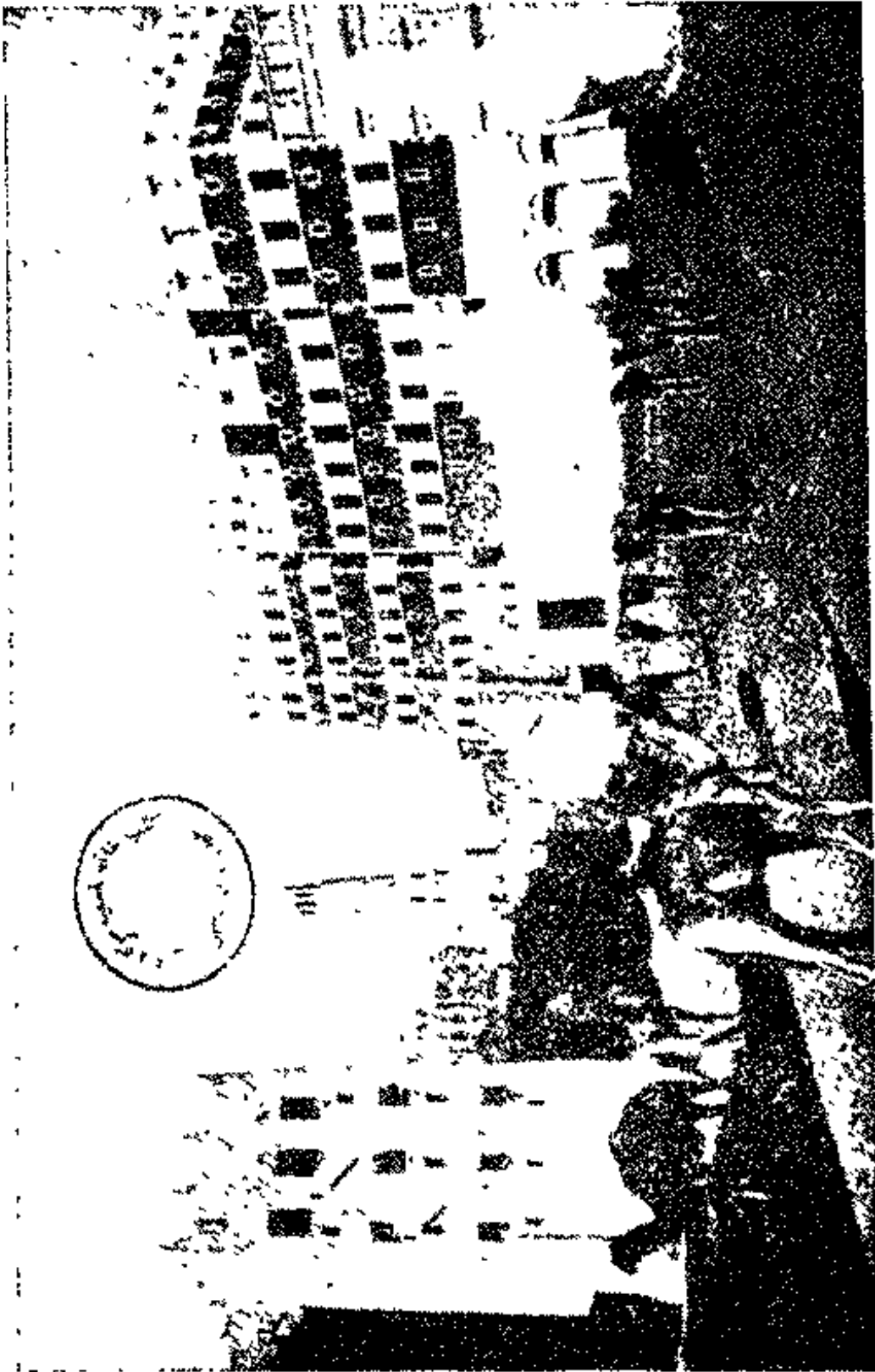
ومما هو جدير بالذكر أن مفعول تلك الفكرة الحرّة فكرة المساواة الشرعية والاخاء الإسلامى قد بدأ يتسرّب إلى حضرموت بواسطة ذهاب أفراد من المتنوّرين إليها ، وليس من شك أنه سيأتي وقت تتحطم فيه تلك السلطة الروحية ، وتندرس معالمها ، وتندم آثارها من الوجود ، وليس في الدنيا إنسان عنده قليل من العقل لا يحبّ الحرية ، وتيارات النهضة الفكرية تسرى في الشعوب لا سيما الطبقات المتعلمة سريان الكهرباء في الأسلاك ، وليس في الدنيا قوّة طبيعية تستطيع مقاومة تلك التيارات وصدّها عن السريان والاندفاع ، والشعب الحضرمي من أوفر الشعوب استعداداً للحرية ، وأسرعها إدراك الأفكار والآراء الحرّة .

هندسة المباني

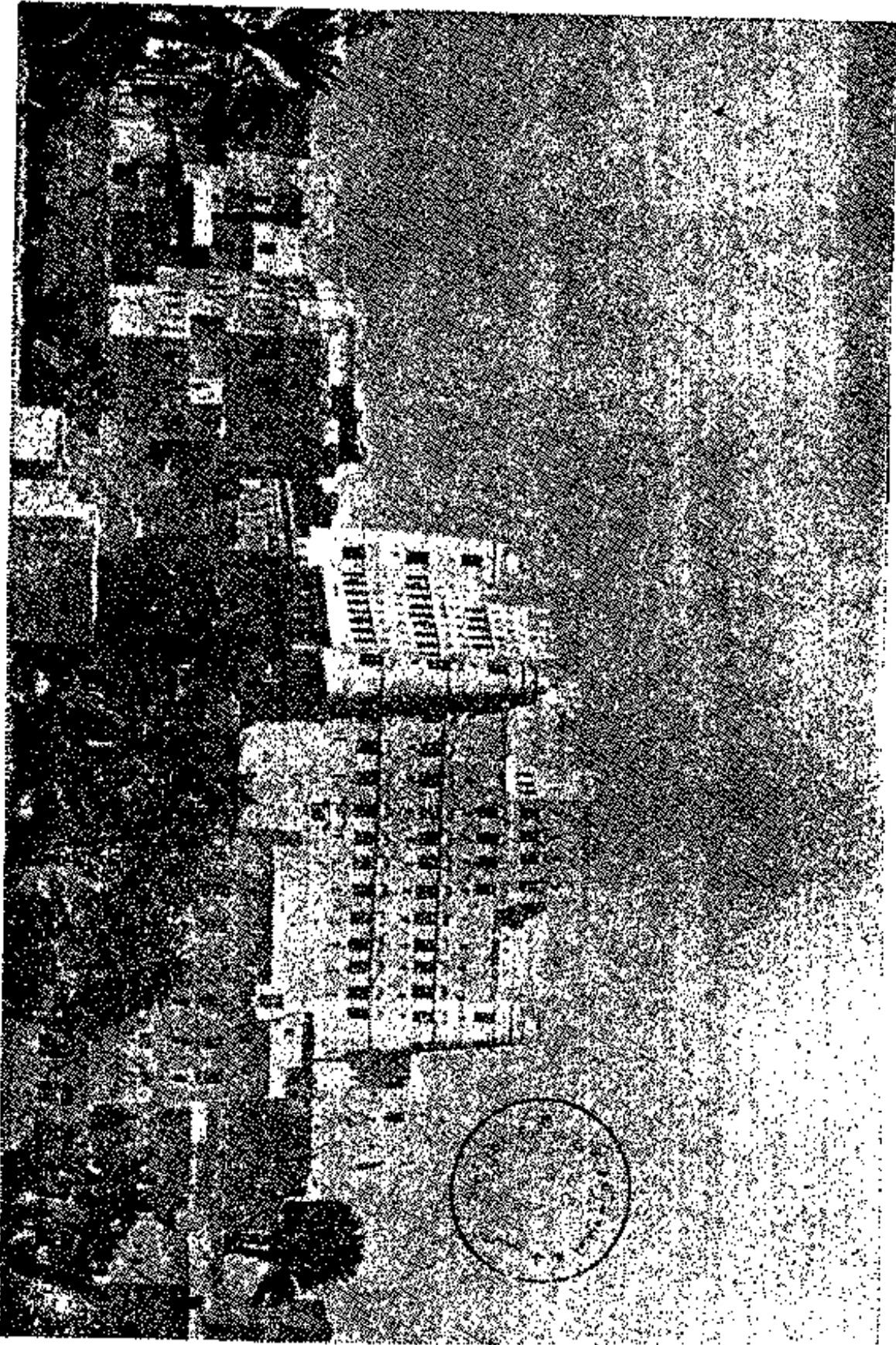
لم يتعلم البناءون في حضرموت فنّ المباني ، ولا يعرفون أن يجزئوا الأرض بالطريقة الحسائية ، ولكنهم يعرفون كيف تقام المباني القوية الضخمة ، والبيوت العالية الجميلة الخلابه ، وهم أدركوا هذا الفنّ بفرط الذكاء ، وكثرة العناية ، وطول التجربة .

وتبنى البيوت بنوع جيد من الطين ممزوج بالطين الندى يقوم مقام الجير حيث يتمصّ من الجوّ ثاني أكسيد الكربون ، فيتاسك البناء بعضه ببعض ، وتتكوّن البيوت من طبقتين إلى سبع طبقات .

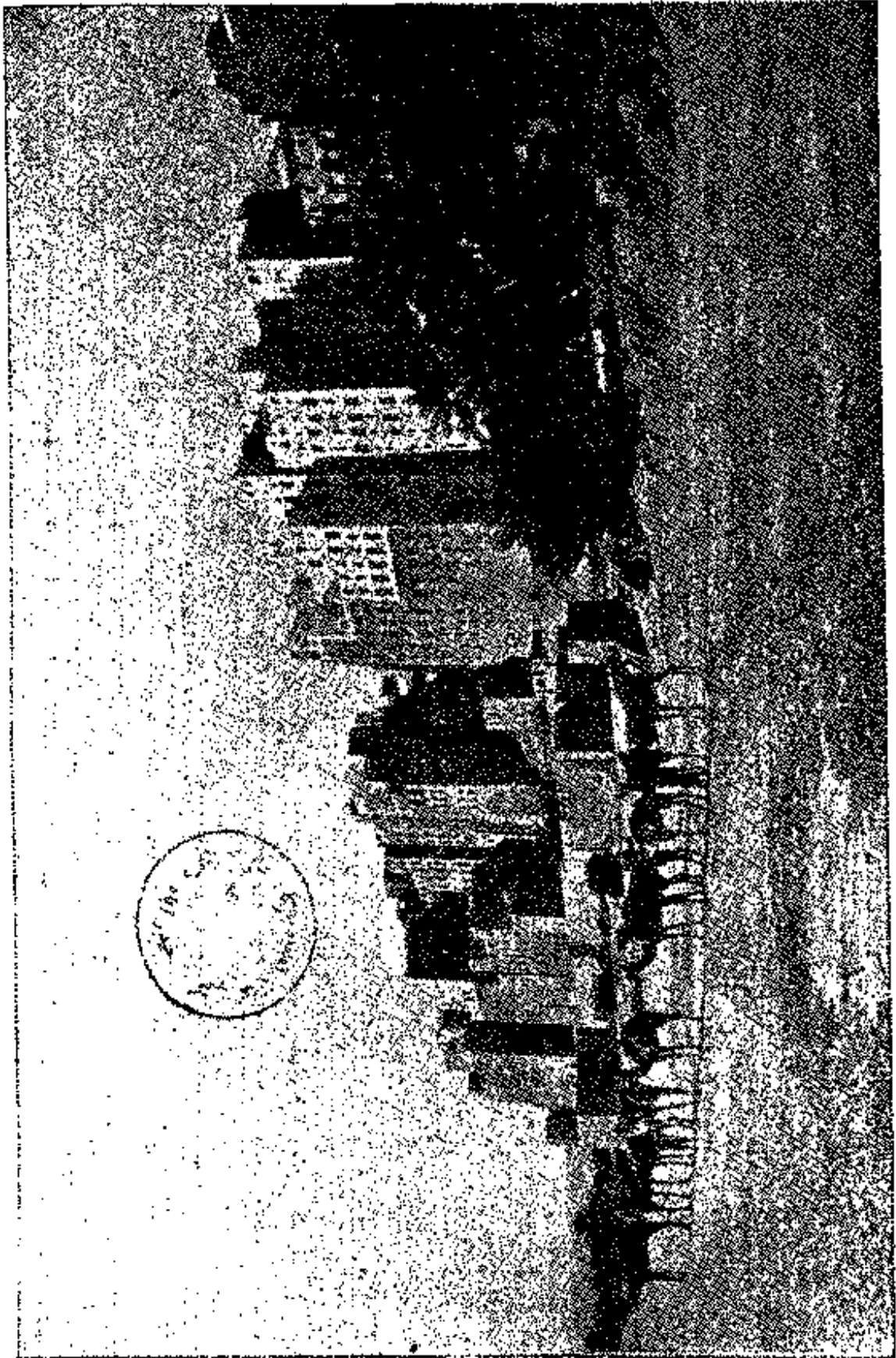
ويظهر جمال الفنّ الحضرمي بأجلى مظاهره في المدن ، كشباب ، وقرى القطن ، وسيون وتريم وملحقاتها وفي المكلا .



قصر الأمير علي بن صلاح الثعيطي البامي في شبام



قصر السلطان عليّ بن منصور الكثيري في سيون



جانب من مدينة شام



مسجد في سيون

وتتلى معظم البيوت العالية في هذه المدن بالجير الأبيض من الداخل ومن الخارج أحيانا مما جعل لها منظراً جميلاً يبعث في الناظرين الإعجاب .



السوق في المكلا

وأثاث البيوت بسيط جداً ، ولكن الأغنياء يؤثثون منازلهم بفرش وثيرة ، وسجاجيد عجمية عالية الثمن ، وتتجلى النظافة في كل البيوت حتى في الأرياف ، والشوارع في المدن ضيقة ، وليس لها أسماء ولا مصابيح ، كما أنه لا يوجد أرقام المنازل ، وبعض المدن محاطة بسور ، ولها باب كبير عريض يقال له - السدة - لمرور الناس والدواب ، وليس في حضرموت مطاعم ولا قهوى سوى في المكلا ولا هوتيل ، ولكن يوجد في كل بيت غرفة يقال لها - محضرة - مفروشة خاصة للضيوف والنزلاء الذين يهبطون ليلاً أو نهاراً ، فيحتفي بهم صاحب البيت ويكرمهم مهما كانت جنسيتهم وديانتهم ويؤثرهم على نفسه ولو كان به خصاصة ، وقد يضطر صاحب البيت للاستدانة في سبيل إكرام ضيفه ، وتتجلى الحضارة والترف في المأكول والملبس ، وفي المباني في تريم وسبوين

وملحقاتها ، وفي شبام ، وقرى القطن ، وفي المدن الساحلية ، وليس مصدر هذه الحضارة البلاد نفسها فقط ، ولكنها أيضاً نتيجة الثروات العظيمة التي يملكها الحضارم في جاوه وما جاورها من جزائر الهند الشرقية .

وليس هناك مسارح للسينما والتثيل ، والدكاكين لا تفتح ليلاً إلا في النادر حيث يغلّق التجار متاجرهم عند دخول الليل ويتركونها من غير حراس .

الجوّ

والجو قارىّ ولكنه صحى ، فالأمراض وبالأخصّ المعديّة منها تكاد تكون معدومة وأشهر الأمراض هناك : الحمى [الورد] ، والجدرى ، والحصبه ، والرمد ، وليس هناك أطباء فنيون ، ولا مخازن للأدوية ، والكفى هو العلاج المشهور لاسيما في البوادي ، وبعض الناس يستعملون الحجامة على الظهر وفي مؤخر الرأس ، وهي تفيدهم كما يقولون .

المرأة

ويتغلب اللون الأبيض على المرأة الحضرمية بالرغم من أن السمرة الشديدة هي اللون السائد على الرجال ، وهي إلى الطول أقرب هيفاء ، وعالباً تكون ممشوقة القدّ ، وهي قنوع صبور مقتصدة ، لا تسأل زوجها شيئاً إلا عند الضرورة الملحة ، مخلصه له كلّ الإخلاص ، مجدة نشيطة ، تقوم بتدبير المنزل وتربية أولادها ، ولا عيب فيها سوى الجبل ، ولكنها مثل الأعلى في العفة والشرف ، والعزوبة تكاد تكون معدومة ، وهم يزوّجون أولادهم حينما يبلغون سنّ الرشد ، وأصغر صداق يقدمه الرجل ٣٠ ريالاً ، ولا حدّ لأكثره ، والمرأة في زواجها الأوّل لا يستشيرها أبوها أبته ، وعند ما تطلق يصبح لها الحقّ في اختيار أىّ زوج تشاء مادام أنها موافقاً ، وحقّ ابن العمّ في زواج بنت عمه له الاعتبار الأوّل في القطر الحضرمي ما عدا بلاد المهرة ، فإن الأب هو

الذى يقرر زواج بنته بمن يختار ، والرجل لا يتزوج أكثر من واحدة إلا فى النادر ، وإذا أنجب من زوجته أصبح من الصعب عليه طلاقها ، ومن مساوى الرجل للمرأة أنه يهاجر إلى الخارج ، ويغيب عنها مدة قد تزيد عن عشر سنين ، فيتمتع هو فى مهجره بزواج أخرى بينما تلك الزوج الأولى المسكينة تنتظره بفارغ الصبر دون أن تسأله العودة إليها ، ولا تطالبه بالطلاق خلال تلك المدة الطويلة لأن ذلك من أكبر العيوب عند العائلات الحضرية .

الملبس

فى البلاد السفلى المسماة [حدرى] - من القرط إلى عينات - وكذا المدن الساحلية حيث توجد حضارة تجدد النساء محتجات لا ترى من جسمها شيئاً ، ويلبسن القسائين المزخرفة ذات الألوان الزاهية ، المستورد قماشها من أوروبا واليابان ، ولها فى مؤخرها زوائد تسحب فى الأرض ، ولا يلبسن القسائين السوداء إلا نادراً ، ولا يخرجن من بيوتهن إلا متعلمات عالماً ، والفلاحات يستعملن القسائين السوداء المصبوغة بالنيلة ، ووجوههن وأيديهن وأرجلهن مكشوفة ، أما فى المناطق العليا المسماة [علوى] ، فأغلب النساء يستعملن البراقع ، كالبلديات فى مصر ، وأيديهن وأقدامهن مكشوفة ، وفساتينهن ذات اللون الأسود المصبوغ بالنيلة وهو اللون الوحيد عندهن ، وتكلم النساء هناك مع الرجال بطلق الحرية والبساطة والسذاجة ، وقد ترقص المرأة مع الرجل على مرأى من زوجها أو قريبها . أما فى حدرى وفى المدن الساحلية فلا يتكلمن النساء بحضرة الرجال الأجانب ، وتتكوّن حلى المرأة من الذهب والفضة والكهربان وهى أساور [كرايا] وخالخل [سموط] وحزام وقلاند ونوع آخر يعلق على الصدر على شكل هلال يقال له [الكسرة] وأقراط وخواتم .

ويلبس الرجل منزراً إلى ما تحت الركبتين ، وقيصاً قصيراً عليه يا كنة [مسدره]

وعلى رأسه طربوش أو طاقية [كوفية] ويتعمم غالباً ، ولا يوجد هناك من يستعمل
الملباس الافرنجى إلا نادراً ، وأكثر الفلاحين ومن يلحق بهم من العمال نصف عرايا
صيفاً وشتاء ، وكذلك الشأن فى المناطق العليا ، فان السواد الأعظم منهم نصف
عرايا وحفاة ، وورءهم مربوطة بقطعة من القماش الأسود يقال له البرنس ، أو مكشوفة
إلا من سير من الجبل يحفظ ذؤابات شعورهم الطويلة من التفتك .

الزراعة



فلاحات فى مزرعة

أجود الأراضى الصالحة للزراعة هى الواقعة بين القرط غرباً إلى عينات شرقاً حيث
يوجد الماء على مقربة فى سطح الأرض - ١ - ٨ قامات - لا سيما فى منطقة شبام ،
وحيث يتكون الطمي الذى تأتى به سيول الأودية العليا ، ويسقى الزرع بالماء ينزح من
الآبار بواسطة الثيران أو الجمال أو الحمار أو بالآلات ، وأهم أنواع الحبوب التى تزرع
القمح والفررة ، ثم الدخن والسمسم والسيلبي ، ومن التوابل والخضراوات : البرسيم

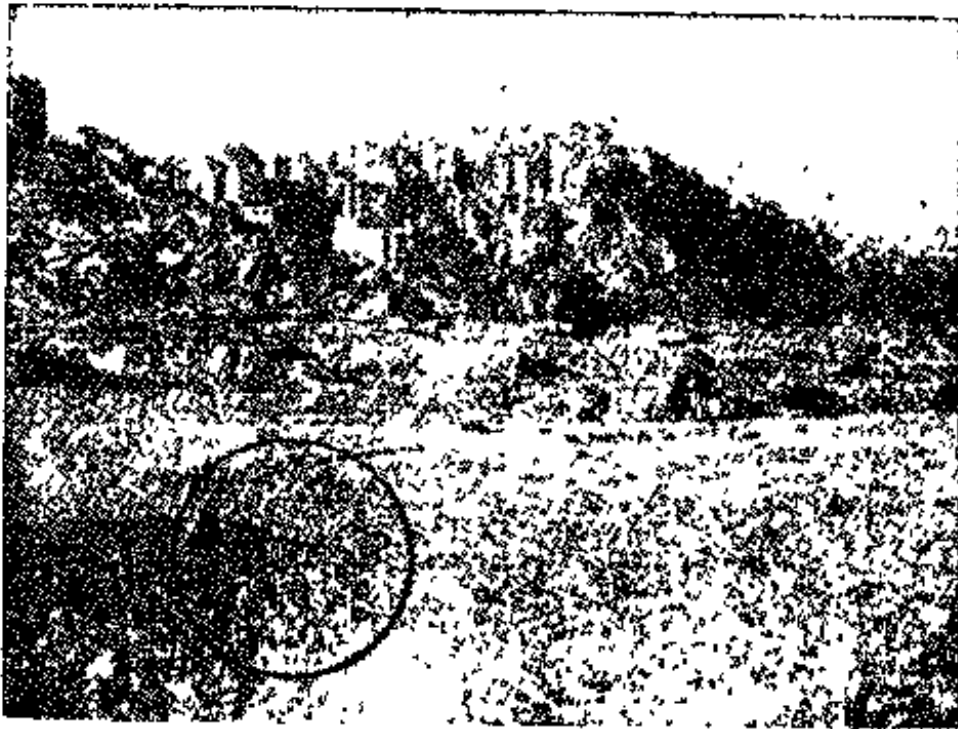
والباذنجان والبصل والجزر والقوم والكهون والشبم والحبة السوداء ، ومن القواكه :
البطيخ والموز .



فلاح يحصد القمح

ويوجد النخل بكثرة وهو أنواع مختلفة منها المديني والحراء والجزاز والسريع
والجراف والحاشدي إلى آخر ما هناك من الأسماء التي اصطلح عليها الحضرميون ، والبلح
من أهم الأغذية وهو أرخص قيمة من الحبوب التي هي الغذاء الأساسي عند أكثر
الناس . أما في المناطق المرتفعة ، كنهـد ودوعن ووادي العين وعمد وغيرها في المرتفعات ،
فلا يزرع فيها غير الذرة والنخل الذي يسقى بماء المطر بعد ماء الآبار الذي لا يحصل
عليه إلا على عمق ٣٥٠ - ٤٠٠ قدم وتستعمل للشرب ، وقد ينقطع المطر شهوراً أو
سنتيناً ، فيشتد الجفاف ، ويحصد الزرع أريـموت ، ويذبل النخل فيقتل محصوله ،
وتستحكم الأزمة ويكون لها أثرها السيئ ، ليس في هذه الهضاب المرتفعة فقط بل وفي سائر
حضرموت على أن هناك عيوناً في دوعن وعمد ولكنها ضحلة ، ولا تستعمل إلا لسقي البقول
والشرب ، وهناك في جبال المكلا عيون ويظهر أنها غزيرة ، ولكن الأيدي العاملة
تكاد تكون معدومة .

وفي غيل باوزير في الجبال الواقعة خلف المسطحات الساحلية تتبع عيون غزيرة تسقى مساحات واسعة من أراضي الغيل ، ويزرع فيها الطباقي الجيد [الخمي] وهو أهم المحاصيل ، ولا ينمو إلا في الغيل حيث تلائمه التربة والمناخ ، ويتقن الناس زراعته ، وقد حاول البعض زراعته في لحج واليمن فلم يحصلوا إلا على نوع آخر أقل مرتبة من الخمي في نكهته ، وفي الغيل يسمد الطباقي ثلاث مرات بأسمدة مختلفة كل في وقت وبقدر محدودين ، ففي أول مرة يسمد بخرم الطيور ، وفي الثانية بالسلك ، وفي الثالثة بالمواد البرازية المختلفة من الإنسان والحيوان ، ويصدر معظم المحصول إلى عدن ومصر ، ومنها إلى سوريا ، وشجرة الطباقي تجفف بورقها وساقها وفروعها ، ثم تقطع إلى شرائح صغيرة ثم تظم إلى بعضها في حزمات تزن الواحدة منها ٣٠٠ رطل وهي حمولة جمل ، ومنها من ١٢٠ - ١٣٠ .



مدنه كنينه عاصمة حبر

وفي حَبْر ينبع نهر ويصب في بحر العرب فيما بين رأس الكلب ومرسى رقيمة ، وتكون دلتاه إقليم ميفع الحصب ، وهو يشق طريقه في ثلاث خواتق : الأول بين

ميفع ونيفع ، والثاني يسمى وادى اللقم ، والثالث بين وادى عروس وجول باحوه ،
وفي كل منها عدة غدران عميقة ، وفي المناطق المتسعة يبلغ عرضه من ٥ - إلى ١٠
أمتار ، وعمقه من ٥ - ٢٥ سنتيمتراً ويبلغ طوله نحو ٢٠٠٠ كيلو متراً ، وعلى امتداده
توجد قرى بها أكثر مساحة ممكنة من الأراضي الزراعية ، وإلى جانب الأنهار وإن كان
مناؤها صالح نوعاً ما توجد كميات من المياه عند رأس كل واد تقريباً ، ويحفر لها الناس
القنوات على جانبي الوادى إلى مسطحات من الأرض يبلغ ارتفاعها مترين واتساعها
خمسـة حيث تستعمل للرى ، وبعد رى هذه المسطحات تفوص المياه فى باطن الأرض ،
ثم تظهر بعد مسافة طويلة ، إما من تلقاء نفسها ، وإما بحفر آبار تتباين أعماقها ، وقد
يبلغ عمق البئر ٤٠ متراً كما فى وادى يوان ، على أن هناك قرى تعتمد على مياه الآبار
مثل مزينب ومحجرة وغيرها ، إذ بها مساحة تتراوح بين ٤٠ و ١٠٠ فدان يزرع فيها
ما يسد حاجة سكانها من القمح والنخيل والتبغ ، وفى حجر ينمو النخل بكثرة ويزرع
القمح والذرة والسسم ، وهى تتصل بالمكلا بواسطة طريقين : أحدهما مستقيم يخترق
الجبال ، والآخر ملتو يصل إلى الساحل ثم إلى المكلا ، وطريق الجبل أقصر
ولكنه أخطر .

وفى الصدارة بأقصى الشمال الغربى لحجر توجد ينابيع مياه حارة ويروى بها
النخل ، وهى لا تؤذى جذوره ، والناس هناك يستخرجون عصارة أثمار النخل
ويشربونها كنوع مخدر ، وهو مسكر إذا أخذ بمقدار كبير ، وهذا الشراب منتشر
فى بلاد حجر . أما جوز الهند [النارجيل] فلا يوجد منه سوى عدد ضئيل فى حجر
وفى المكلا وفى المناطق العليا [علوى] تنبت أشجار السدر بكثرة على ضفاف مجارى
السيـل ومحصوله كثير ، ويعطحن بعض الناس هناك النبق [اللوم] ويأكلونه ممزوجاً
بالماء أو بالزيب [الروبه] وقد يتخذونه أحياناً كغذاء لا سيما عند اشتداد القحط
وهو من أحسن المبردات فى الصيف ، ويسمى هذا النوع عندهم [حثياً] وهى كلمة
حربية فصيحة ، وينبت فى بعض المناطق الجبلية أشجار السنط [السمر] واللبخ الطويلة

ذات الأزهار المستطيلة ، وشجيرات البخور وتمتاز هذه برائحتها النفاذة ، وبأن لا أوراق لها أو بأن أوراقها صغيرة جدا ، وفي بعض الوديان الصغيرة تنبت أشجار خضراء رطبة ترتفع إلى ستة أقدام ويكسبها لونها الأخضر الغص ، وحمرة أزهارها في أطراف أغصانها منظر الطاقات الجميلة في تلك البيئات العارية الجرداء .

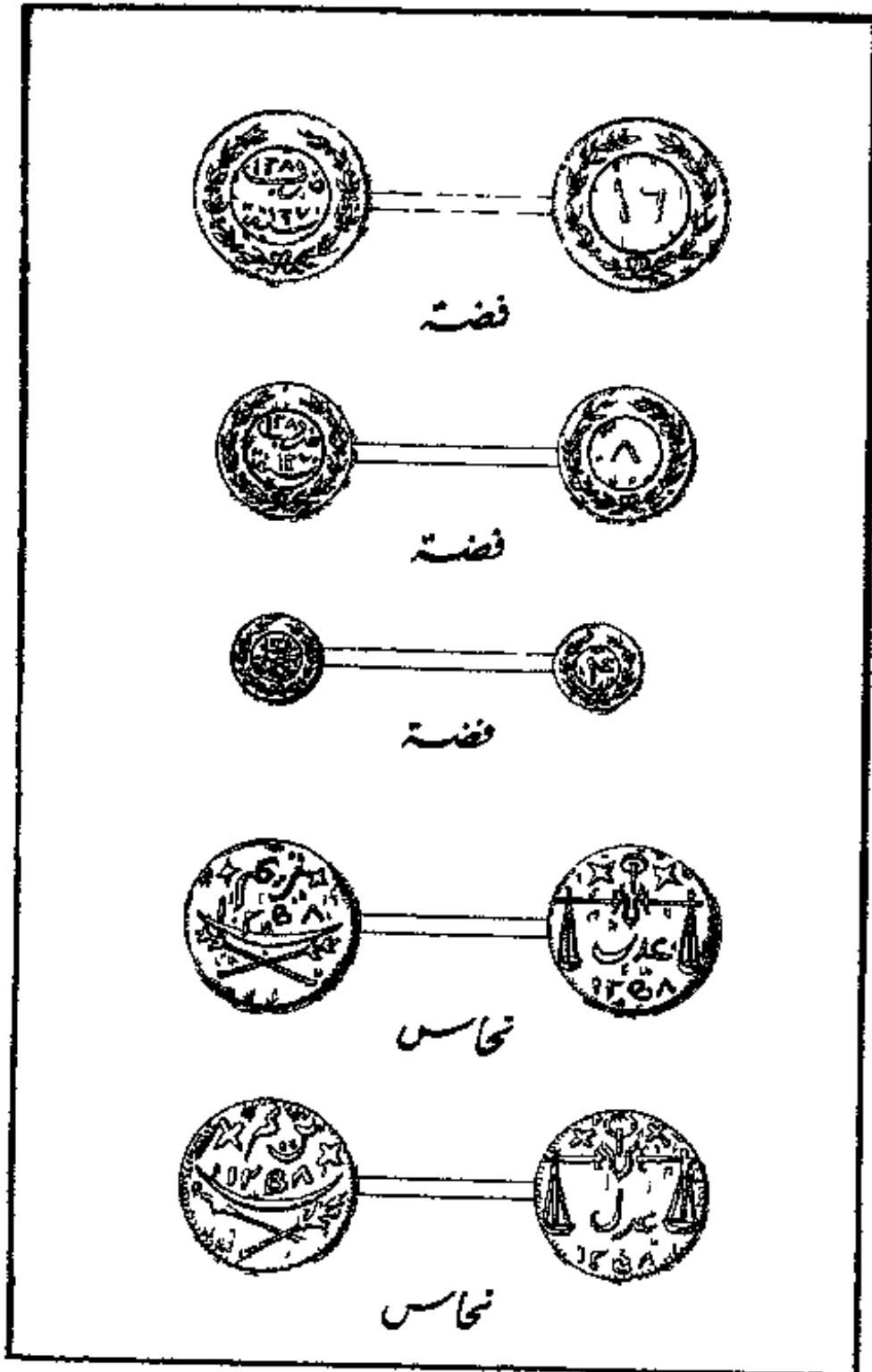
أما الأساليب المتبعة في الزراعة وتربية المواشى ، فلا تزال فطرية والبلاد في أشد الحاجة لإدخال الأساليب العصرية كما أنها في حاجة شديدة للمشروعات الزراعية .

التجارة

أهم السلع المحبوب بأنواعها والبلح والعسل والتبغ والزيت والسمن والسمسم والسن والتوابل - وهذه من غلات البلاد - والسكر والبن والشاي والغاز والمنسوجات بأنواعها والسلاح - البنادق - والمواشى : كالجمال والحير والحيل والبقر والغنم ، وهذه ترد من الخارج ، ولا يصدر شيء من حاصلات البلاد إلى الخارج سوى التبغ [الحمى] من غيل باوزير ، ويصدر من دوعن فقط من العسل الجيد حمولة ٤٠٠ أو ٥٠٠ جمل سسوبا ، وأعظم مركز للتجارة مدينة شبام ، وهي قلب حضرموت ، فكل الصاعات التي تأتيا مها كانت كثيرة وعالية تباع بأسرع وقت ، وتجارها مشهورون بالجد والنشاط وحب العمل وبالمهارة في ترويح متاجرهم ، ولقد عرف الشاميون بذلك حتى إن بعض التجار في المدن الأخرى يبعثون أنباءهم إلى شبام ليستخدموا عند التجار من غير مقابل ، وليتمرنوا على التجارة ، ويعرفوا كيف يكسون ، وتلى شبام : سيون وتريم والمكلا .

والنقد المتداول في حضرموت هو الريال الفضى ، وكان متداولاً في الأمبراطورية المساوية في القرن الثالث عشر ، وبنوع خاص في عهد الأمبراطورة مارتريزا ، وكان يعرف في مصر [بأبي طيره] ثم الرية الفضية البنقالية ، ثم قود فضية صغيرة يقال لها

أوقية وربع وحرّف وأم خمس ، ثم نقود أخرى من النحاس صغيرة ، وهذه صور بعض تلك النقود المتداولة :



الفسود

أما الذهب والورق فلا وجود لها ، وليس للحكومة نقود مضروبة باسمها ، وفي

إمكان الواحد ضرب ما يشاء من النقود ، ولكن الغضة عالية الثمن ، والنحاس قليل الوجود ، ولا يوجد هناك بنك يحفظ أموال الناس ، ولا شركات تجارية منظمة .

تجارة الرقيق

لا تزال تجارة الرقيق موجودة في حضرموت ، وأصلهم من الحبشة ، ومن سواحل إفريقيا الشرقية ، والحكومتين اليافعية والكثيرية عبيد كثيرون ، وبعض الأغنياء من حملة السلاح عبيد أيضاً يبتاعونهم من البدو الذين يأتون بهم من العوالق ومن اليمن ومبلغ قيسة العبيد أحيانا خمسمائة ريال ، وهذا أقصى ثمن ، والأمة التي يتخذها سيدها كخادم في بيته محو مائتين إلى أربعمائة ريال ، وجميع هؤلاء الموالى مخلصون لأسيادهم كل الإخلاص لأنهم يلاقون منهم احتراماً ومعاملة حسنة ، وقد يلقون من أسيادهم ثقة تامة للدرجة أنهم يتولون الحكم في بعض البلاد كما هو الشأن عند الحكومة القميطية اليافعية .

الصناعة

لا تزال الصناعة في حضرموت في دورها الأوّل البسيط ، فمعامل النسيج قليلة جداً لا تقوم بعشر معشار حاجة السكان ، والمنسوجات التي تنتجها رديئة جداً ، ذات طرز واحد قديم ، وهناك معامل لاستخراج الزيت من السمسم ولصناعة النيلة .

ويصنع الحدادون من الحديد أنواعاً من السلاح الأبيض وغيره من آلات القطع والحفر ، وكذا القدور وغيرها من أواني الطبخ .

ويوجد صائغون ماهرون في صناعة الخلي من الذهب والفضة ، كالقلائد والأساور والخلاخيل والأقراط والخواتم والأحزمة وما إلى ذلك ، وأمهـر الصناع هم آل باحشوان ، ولا يفوقهم أحد في هذه المهنة .

وتدبغ الجلود بنوع من النبات يقال له القَرَط ، وتصنع منها القِرْب والأُمل والدلاء ، وما إلى ذلك .

وينسج النساجون والعقادون الأقمشة على اختلاف أنواعها ، وكلها لا تزال في دورها الأول البسيط ، وتصيغ الأقمشة بالنيلج الأزرق الداكن ، وينبت شجره في حضرموت وهو من النوع الجيد ، واسكن الناس هناك لا يعتنون بزراعته .

ويجفف السمك - ومعظمه من كلب البحر - ويملح ويرسل في زكائب إلى داخل البلاد حيث يستعمل كغذاء أساسي مع الأرز والخبز ، والأسماك على اختلاف أنواعها كثيرة جدا في البحرين المكلا والشحر .

وتصنع من الأخشاب : أعمدة المباني والأبواب والشبابيك والسوالب وغير ذلك ، إلا الكراسي لأن الناس يجلسون على البسط على الأرض ، والنجارون لا يستعملون الطريقة الحسائية في تجزئة الأخشاب ، ولكنهم يستعملون خيطاً ملوناً باللون الأسود يمدّ على الجزء المراد قطعه ، وهم يرسمون على واجهة الأبواب والشبابيك زخارف دقيقة تدلّ على ذوق جميل .

المواصلات

المواصلات في حضرموت صعبة ، لوعورة المسالك ، وكثرة العقبات ، ذات الانحدار الهائل ، فالمسافرون من بلد إلى آخر يركبون الجمال أو الحير أو يمشون على أرجلهم ، والواردات التي تأتي من الخارج تحملها القوافل ، ولا توجد هناك سيارات إلا في المدن الكبيرة ، كتريم وسيون وشبام والمدن الساحلية ، وليس هناك بريد ولا تليفون ولا تليفون ، وترسل الخطابات لأصحابها من غير طابع بريد بواسطة المسافرين أو بواسطة رجل يقال له [المكتب] ، فيسرع هذا المكتب في إيصال الرسائل لدوايرها بأخصر طريق ، فهو يقطع المسافة بين المكلا وشبام مثلاً في ثلاثة أيام ، بينما يقطعها بالسير المعتدل

في ثمانية أيام ، ويدفع المستلم للمكتب مبلغاً زهيداً من النقود ، أو قليلاً من الحبوب كأجرة لإيصال الخطاب إليه .

وصف شامل للبدن الساحلية ومواصلاتها

تقع مدينة المكلا^(١) ، وهي عاصمة حكومة القعيطى الياضى فى الإقليم الساحلى على بعد ٢٣٠ ميلاً تقريباً من عدن ، وهى أنيقة ، بيوتها عالية شامخة ، مطلية بالجير من الداخل والخارج ، فهى تشبه شريطاً أبيض اللون يحفّ بالبحر الأزرق ، وقصر السلطان الجديد والقديم يطلان على البحر ، وفى أقصى المدينة من الجهة اليمنى يقوم قصر ثالث أنيق للسلطان ، وبين هذه القصور الثلاثة يمتدّ لسان من الأرض هو وسط المدينة القديمة ، وبه الجامع والقلعة القديمان ، وعلى أحد جانبي هذا اللسان ترسو السفن ، وهناك ترى القوارب والسنايك تغدو وتروح حاملة الركاب والبضائع ، ويخترق المدينة من الشرق إلى الغرب شارع كبير ، وهو الطريق الرئيسى تزدهم فيه الناس الذين يمثلون كل القبائل الحضرية ، وهم لا يحملون سلاحاً لأنهم يتركونه عند حراس باب المدينة ، وهناك يقوم سوق السمك ومعظمه من كلب البحر وحوائيت الصباغين حيث تصبغ الأقمشة بالنيلج الأزرق الداكن ثم حوائيت النساجين والعقادين حيث تنسج الأقمشة ، ومتاجر مختلفة من البلح والخلوى والسكر والبن والحبوب والزيت والسمن والطباق الحمى ، والبضائع اليابانية والهندية والهولندية ، والشاى المستورد من جاوه وسيلان والسلاح الأبيض ، وتقوم المساجد الناصعة البيضاء بمنائرها الشامخة الساذجة وسط تلك المباني العالية وخلف المدينة أسوار صخرية شاهقة يبلغ ارتفاعها ٦٠٠ قدم ، وباب المدينة عظيم الارتفاع محصن محفور وأمام هذا الباب يقع وادى سديد حيث أكل البحر جانباً عظيماً من الأرض ، وهنا على الساحل تحط القوافل رحالها فى ذهابها وجيئتها من الداخل ، وهذه البقعة واسعة تسع مئات من الجمال التى تجشو على هيئة دائرة تأكل الطعام الموضوع فى الوسط ، وينام البدو أصحاب

(١) صورة المدينة فى أوّل الكتاب .

التقوافل ملفوفين في معاطفهم ، أو يجلسون حول نار قليلة يأكلون من صحاف خشبية [قدحان] العيش المفتت مخلوطاً بدهن ، ويجمع الأطفال في سلال روث الجمال الذى يستفاد منه فائدة عظيمة كوقود ، وعلى مقربة من قصر السلطان القديم توجد للقباب تتوسطها قبة على ضريح الشيخ يعقوب ، وكان الهنود يحتكرون التجارة وأعمال المصارف فى المكلا ، أما اليوم فقد بدأ الحضارم يزاحمونهم ، ويبلغ عدد سكان المكلا نحو ١٩٠٠٠ بما فيهم الأجانب [الهنود والعدنيون] ، ويقوم من حضرموت إلى جاوه والعكس ١٠٠٠ تقريباً حضرمي منهم نحو ٣٠٠ أو ٤٠٠ يأتون ويرحلون من طريق الشحر ، ومنهم من يذهب فى قوارب ، ومنهم من يذهب إلى عدن ومنها إلى سنقافوره ، ولا يعرف شئ عن حركة الصادر والوارد ، ولا عن مقدار الرسوم أو الدخل السنوى لأن الحكومة لا تنشر بياناً ب وارداتها ومنصرفاتها ، وكل ما هو معروف أن الأرز أهم الواردات وأكثره من بنغال ، ويليه الشاى من جاوه ، وإن مقدار ما يستورد سنوياً من الكيروسين والجازولين ٤٠٠ صفيحة ، وهى آخذة فى الازدياد . وعلى بعد أميال قليل من المكلا توجد أحراج من النخيل ، وبها مصايف السلطان والوزير ، وهناك ينبع ماء عذب يحمل إلى المكلا بطريق أنبوبة حديدية قليلة السمك ممدودة على الأرض يشرب منه أهل المدينة ، وهناك توجد ضيعتان [البقرين] وعلى الطريق حصنان محصنان معدان بالجنود ، وعلى سرية من البقرين تقوم صخرة بيضاء ، ومقابل الجدارين المرتفعين الصخريين على جانبي الطريق توجد علامتان بيضاوان أقيمتا لتدل على أى المواضع يعمها الهدوء ، وعلى أيتها تستعر فيها الحرب ، وليس هناك نار يؤخذ أو عداوة قديمة تحسم بالسلاح فى المدينة أو فيما حولها ، وتتدرج الطريق بين صخور منحدره انحداراً عنيفاً ، وتلتوى فجأة حتى تصل أخيراً إلى هصبة يبدو أنها من الحجر الجيري المرجاني ، وهناك فى واد صخرى تقوم ضيعة [هوحس] ، وبعد هذه توجد الحرشيات وهى قرية حصىرة ، وبعد ذلك توجد قرية [بوشن] ، ويزرع الموز فى هذه الجهة فى حافة الحقول ، وفى الوادى الذى يدخل فى البحر بالقرب من بوشن توجد أشجار نخيل كثيرة وأشجار فواكه أخرى يملكها سراة المكلا ،

ولا يزيد عمق الآبار التي تروى منها الحقول هنا عن عشرين قدماً ، وعلى الساحل بين بويشن والمكلا تقع روكب ، ويعلو الطريق ثانية ، وتأخذ المسطحات الجيرية المرجانية في الامتداد إلى أعلى من مستوى الأرض حيث تنمو شجيرات البخور وأشجار اللبخ العلوية ذات الأزهار المستطيلة ، ثم يبدو واد عريض هابط ذو تربة من الصلصال حيث ينمو المشب بوفرة ، وهنا ترعى الأغنام والحير والجمال ، وعلى قمة عالية تقع الريدة ، وهي مركز الشحير حيث المراعى ، ومحط البدو الرحالة القاطنين بتلك الجهة ، وينحدر الممر إلى واد حيث يلتقى ، ويختلط ماء عذب من غيل باوزير ، وماء ملح من البحر ، وتقع قرية شحير على الشاطئ الآخر ، ويبلغ عدد سكانها نحو ١٥٠٠ نسمة يعيشون جميعاً في أكواخ من الطين ، وفي مكان مرتفع تقع دار الرئيس التي تعتبر في الوقت نفسه حصناً ضد كل مهاجم ، وأمام الدار مدفعان من النوع القديم قد علاها الصدا .

غيل باوزير

وراء الهضبة المرجانية على طول الشاطئ يوجد هناك حوض واسع نخل يمدّه بالماء مجرى ينبع من الجبال الواقعة خلف مسطحات ساحل هذا الحوض والقطعة من الأرض الصالحة للرعى هما أهم بقعة في القطر الحضرمي لزراعة الدخان الحمى ، وتقوم مدينة الغيل التي تحمي مدخل هذا الوادى الخصب من حافة الهضبة المرجانية ، وحين يقترب المرء أنياً من الشاطئ يبصر بجلاء حدائق النخيل ، وسرعان ما يجد المرء نفسه أمام جدار أبيض عال فيه باب كبير محصن ، ويرى قصر السلطان رازحاً تاهضاً إلى ارتفاع كبير بجوار الحائط ، ويستعمل اليوم تكتة للجنود ، وبيوت الغيل قصيرة ، ولا شيء فيها يدل على ذوق سليم ، وليس هناك مناظر خلابة سوى القصر السلطاني الجميل العتيق .

وحول المدينة توجد الأرض الزراعية ، والاساطان مساحات واسعة منها يزرعها تبغاً فقدر عليه ربحاً وفيراً ، وقد ابنى لنفسه قصرين محوطين بحديقتين خارج المدينة

للعصيف فيها كل الفواكه التي تنمو في حضرموت ، وقبالة أحد قصره توجد بركة صناعية للوم طولها ٣٠٠ قدم في عرضها ، وعلى صفحة ملأها الرقراق زورق صغير ، وتنقل محاصيل الطباق إلى المكلا على سيارات النقل كما يستجلب السهاد اللازم لزراعته من الشاطىء على ظهور الإبل .

الشحر

تتصل شحير بالشحر بطريق ينحدر على الضفة الشرقية للوادي إلى الساحل ، وعلى الشاطىء يجمع الصيادون الأسماك ، والسهاد أكواما وهو شاطىء رملى به كشبان رملية يبلغ ارتفاعها من ٢٠ إلى ٣٠ قدما ، وفي أوقات المد يرتفع الماء حتى يغمر بعض هذه الكشبان ، وبالقرب من الشحرتى صحورا مرجانية ناتئة عن الرمال ، وتقع مدينة الشحر على سطح متسع من الشاطىء الذى ينحدر تدريجيا إلى البحر ، ولهذا ترسو السفن بعيدا عنه لضحاوته ، وباب المدينة كبير وجديد ، ولكن ليس به ذوق فنئى ، والداخل إلى المدينة يفاجأ عند أول خطوة بخطوها برائحة كريهة ناجمة من السمك المتفنن ، وهى تكاد تكون مهجورة ، فإن هناك بيوتا كثيرة غير مسكونة وخرائب عديدة تحاكي الشجر المسلوب أو العظام النخرة ، ولقد كانت الشحر أهم مركز تجارى فى القطر الحضرى ، وكانت تعج بالسكان الذين يمثلون كل القبائل الحضرية ، أما اليوم فقد أفترت وأصبحت يسودها الصمت والعدم ، وتقع أبنية الحكومة فى أقصى الغرب ، وعليها مسحة من الجمال والذوق الفنئى ، ولا شك أن شرفاتها المسقوفة تلائم رطوبة الجو فى الشحر ، وعلى مرتفع من الشاطىء تقع القلعة القديمة ، وقد عملت فيها إصلاحات حديثة ، وجعل الدور الأول منها مدرسة بها بضع مئات من التلاميذ ، وبالقرب منها مدافع قديمة عاطلة قد اتخذت ذلك المكان المنعزل مقعدا لها بعد أن أدت واجبها فيما مضى ، وإلى الشرق يمتد سهل متسع به المقابر والقباب ، ويبلغ عدد سكان الشحر ٩٠٠٠ نسمة تقريبا ، ومساجدها ٣٦ مسجدا ، ويسافر

سنوياً من ميناء الشحر من الحضرم إلى جزائر الهند الهولندية نحو ٣٠٠ أو ٤٠٠ ،
وكلهم يسافرون تقريباً إلى عدن ، ومنها إلى حيث يقصدون ، ولا يعرف بالضبط مقدار
الصادر والوارد ولا الدخل السنوى من الميناء ، وكل ما يعرفه الناس أن الأرز والشاى
وعاز البترول أهم الواردات .

وطريق السيارات من المكلا إلى الغيل وإلى الشحر ممهدة معبدة ، ولكنها فى
حاجة إلى زيادة الإصلاح والتعمير .

وصف شامل للواصلات بين الثغرين والسهول المنخفضة الداخلية

من المكلا إلى دوعن

أول ما يبدو للراجل من المكلا بعد خروجه من حدود الحرشيات رواسى وادى
حمم الشاخات حيث يتدرج فى الصعود مخترفاً وادى اللصب ، وأرض هذا الوادى
عبارة عن مجموعات من الصخور الحمراء ، وبه بعض أشجار اللبخ والسنتط ، وبعد مسيرة
ساعة يصل قرية لصب ، وهى تقع عند النقطة حيث يبدأ الوادى فى الضيق ، وتقرب
السلسلتان الجبليتان من بعضهما ، وقد خفر مجرى لرى حقول الذرة والنخيل يتخذ ماءه
من نهر صغير ، وعلى حافة هذه الحقول تنمو أشجار الموز وأكثره من النوع المسمى فى
جاوه [Pisng Ambon] ، ومنازل هذه القرية أشبه بالقلاع ، وشبايكها عبارة عن
كوى صغيرة ، وبعد القرية يضيق الوادى ويتقارب الجبلان ، ويبدأ ذلك النهر فى
الظهور ، وعلى حافته تنمو نباتات سرخسية ، وبه أسماك وطفادع سوداء ، ويتدرج الوادى
فى الصعود ، وينعدم ذلك النهر ، ويصبح الصعود صعب المرتقى ، ولكن الذى يدعو
للمسج هو تعود تلك الجمال على صعود الجبال ، وإذا اختل توازن أحدها نهبه صاحبه
قائلاً : « إلى اليمين ، إلى اليسار » ، فسرعان ما يستعيد توازنه ، وفى نهاية الوادى
تقوم هضبة وعليها تنمو أشجار النخيل والذرة ، وعند نهاية الهضبة تقوم قرية لبيب ، ثم

يخرج المسافر إلى وادي حم ، وكما بعد أوغل الوادي في الضيق ، وبعد مسيرة أميال توجد بئر ذات أحراج يشرب منها الإبل ، واسم هذه البقعة الخلاف ، ووادي حم من المناطق الخطيرة ، فيجب على المسافرين أن يحترسوا ويأخذوا حذرهم ، وعلى أحد منحدراته تنمو أشجار النخيل والتارجيل والموز والطباق ، وفي تلك المنطقة وما بعدها تكثر السقايات ، وهي عبارة عن أحواض صغيرة عليها قباب ، ويملؤها بالماء يوميا أشخاص تدفع رواتبهم من الأوقاف التي وقفت على هذا العمل الإنساني النبيل ، وفي كل سقاية إناء صغير من الخرف أو الصفيح ، أو نصف قشرة من التارجيل لتناول الماء بها ، والكل يشربون من إناء واحد ، لا تميز بين العزيز والوضيع ، والظلم الشديد يجعل العزيز لا يأبه لمثل هذه السفاسف ، وبعد زمن قصير تبدو قرينا الفيضة والفيضة في وسط حقول الطباق وأحراج النخيل ثم يسير في مجرى السيل مخترقاً الهضبة ، وعلى ارتفاع خمسين قدماً عند نهايتها تقع بلدة حم ، وبها سمي الوادي ، وعند سفح التل توجد أجمة مرتفعة من التارجيل ، ومجرى صغير من الماء المستمد من العيون يروى حقولا خصيبة من الذرة والطباق ، ويبلغ عدد سكان قرية حم بين ٢٠٠ و ٣٠٠ نسمة ، ومصدر قوتهم زراعة الطباق .

وبعد اختراق العقبة يصل إلى حافة الهضبة ومن أعلاها ترى الشجر وإلى الشمال كورسيبان ، وإلى الشرق والغرب تقوم جبال مختلفة الارتفاع تشرفها الوديان ، ثم يأخذ الطريق يتعرج في ذلك الوادي المنحدر حتى تصل إلى نهايته . ثم يخترق هضبة صغيرة ، ويدخل وادي لصوب العريض التحل ، وبه منازل صغيرة مبشرة هنا وهناك ، وفي هذه المنطقة تنمو أشجار النبق بكثرة ، ثم يسير على أرض مسطحة من الصخر الجيري تحترقها وديان طولية وعرضية ، وإلى الغرب من كورسيبان تمتد هضبة مسطحة ملامى بما يسمونه النقابات ، ثم يسير في الجول ، وهو عبارة عن مسطحات من الأرض على قمم الجبال تفصلها عن بعضها وديان عميقة ، وليس بها أي نبات اللهم إلا على الحافة حيث تصطدم بها بعض السحب ، ولا حيوان اللهم إلا بعض السحالي والطيور ، وجوها حارة قاتظ أثناء النهار ، وبارد فارس أثناء الليل ، والدو لا يتأثرون به حيث ينامون في

العراء ، والنصف الأعلى من جسمهم عار ، ولكنهم يوقدون ناراً يجتمعون حولها
ردحاً كبيراً من الليل يغنون أغانيهم التي لا يستطيعها غيرهم ، وبعد مسيرة أميال عديدة
يلقى قرية يقال لها دهمه ، وتتكون من بيوت طبقاتها الأولى من الحجر ، والأخرى
من الطين الجفف ، ويسكن رئيسها في قلعة منيفة ، والعميان في هذه القرية كثيرون
ويستمر في السير فيصل بعد ساعات البريرة وبها قرية صغيرة ، ثم يأخذ في الاقتراب
من وادي دوعن ، ويسير في أراضي مسطحة ذات أحجار داكنة حتى يصل إلى قمة
مهبط عظيم يؤدي إلى الوادي ، وعند مبدأ ممره تقوم قلعة حصينة من الصخر الصلب ،
ومثلها في الحافة الأخرى ، وتوجد قلاع أخرى في كل منطقة تشرف على سلامة ذلك
الوادي ، وعند نهاية ذلك المهبط في المناطق المنخفضة توجد حقول الحبوب الخضراء ،
وتنتشر أحراج النخيل ، والقرى متناثرة على مسافات متقاربة ، ويقع باصرة حاكم
دوعن بالنيابة عن حكومة القميطى في قصر منيف يقال له المصنعة ، ولهذا القصر شبه
كثير بقلعة في القرون الوسطى بحصونه الجانبية وأسواره وأبوابه الثلاثة الخشبية الثقيلة
ويبلغ عدد القرى في وادي الأيمن من دوعن خمسين قرية بها نحو ٢٠ ألف نسمة ،
ونحو ٢٠٠ مسجد بعضها جميل للغاية ، وثلاث مدارس صغيرة ، أحدها في خريبة
عاصمة وادي دوعن ، وهي بلدة صغيرة بها سوق صغير وأربعة مساجد عظيمة وعشرون
مسجداً صغيراً ، ولما كان اسمها يدل على « الخرائب » ، فقد استتج بعض
الجغرافيين أنها تقوم على أطلال مدينة دوعن القديمة التي سمي الوادي باسمها ، وقد كانت
مقراً للاباضية ، ولما أريدوا هدمت مدينتهم وقد ورد ذكرها عند الجغرافيين القدماء
أمثال بطليموس الذي ذكرها باسم Toani « تواني » ، والطريق إلى العقبة
الغربية يؤدي إلى عمد وعند ملتقاه بوادي دوعن تقوم قلعتان حصينتان بهما حامية
من يافع ، وتقطع المسافة بين المكلا ودوعن بالسير المتوسط في أربعة أيام ، وأهل
دوعن من أنشط الحضارم هجرة إلى الخارج ، ففي كل سنة يهاجر من وادي الأيمن
حوالى ١٠٠ شخص إلى الحبشة ، وسواحل إفريقيا الشرقية ، ويذهب منهم حوالى

١٠٠ شخص إلى جاوه وما جاورها من الجزائر ، ويهاجر من وادي الأيسر سنوياً إلى جاوه وجزائرها حوالي ٥٠٠ شخص .

من دوعن إلى المشهد

تبتدى الطريق من دوعن إلى صيف في الانحدار ، وتقل المزروعات والقرى تدريجياً ، وتأخذ أشجار النبق تحمل محل النخيل ، وهو مصدر ثروة الاقليم ، ويعتنى الأهلون بأشجاره عناية تفوق الوصف ، وعلى حافة تلك الأحراج توجد حقول يزرع فيها اللرة صيفاً والبرّ شتاء ، وهي متوقفة على ماء المطر الذي قد يهطل في الخريف ، وقبل صيف تنعدم هذه الحقول ، ويصبح الوادي أحجاراً عارية ، وعلى طول الطريق توجد السقايات ، وبعد بضع ساعات تظهر قرية صيف وهي قرية فقيرة وغير صحية ، إذ يظهر على وجوه سكانها القليلين شحوب وهزال ، ثم يأخذ الوادي في الاتساع وتنشر الحقول ، ولكن ليس للنخيل أثر ، والتربة هنا عكس تربة أعالي دوعن فهي عبارة عن تراب ناعم سهل السير عليه ، ولكنه يثير غباراً يجفف الحلق ، ومن حسن الحظ أن السقايات منتشرة على طول الطريق تخفف وطأة العطس ، ثم تنعدم النباتات اللهم إلا بعض أشجار النبق تنفياً ظلالمها الراعيات بقطعانهم التي تلتقط الورق للتساقط ، وبعد مسيرة بضع ساعات يبدو جبل المهجرين ، وعند سفحه تنمو بعض أحراج النخيل ثم تظهر المهجرين ، وهي بلدة عليها مسحة من الفقر ، إذ ليس بها بيوت مطلية باللون الأبيض ، ويبلغ عدد سكانها نحو ٣٠٠٠ نسمة .



مدينة الحجاز

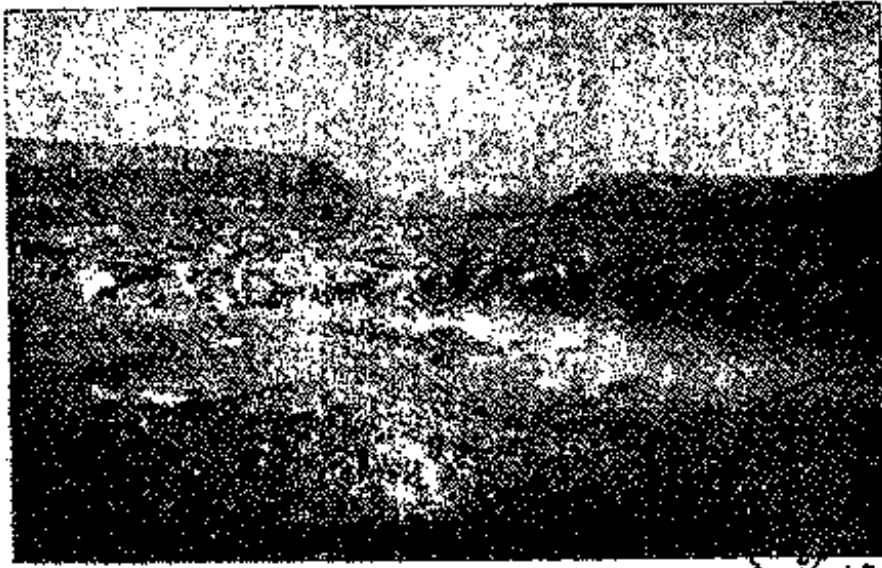
وبعد الخروج من حدود المجرين ، وهي منطقة تقود القميطى في دوعن تظهر



مسجد الحجري الأري

منطقة فاحلة ، وايس لليافعي ولا لالكثيري ولا للنهدى ساطة عليها ، فحي في نظر

الناس منطقة حياض ، ولذلك أصبحت مسرحاً لقطاع الطرق واللصوص ، وهي في مسيرة نصف ساعة ، وتكتنفها قلاع وحصون قديمة وأطلال دارسة ، ويظهر أن هذه المنطقة كانت فيما مضى مدينة قديمة .

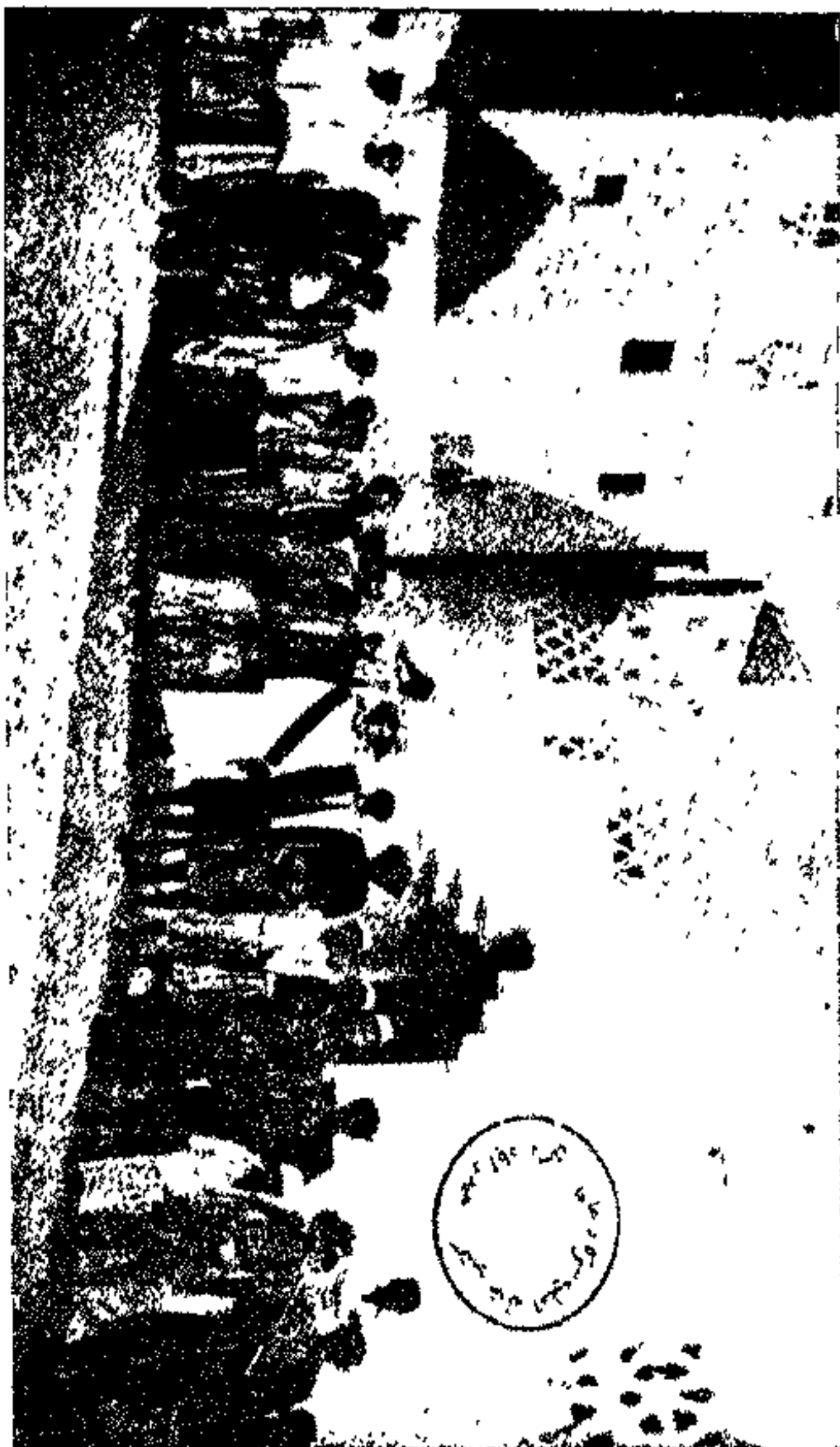


منطقة حياض بين الهجرين والمشهد

ثم تبدو المشهد وهي قرية تقع في وسط الوادي المعجل ولا يسكنها أحد إلا الزائرون الذين يأتون في العام مرة ، ويقضون هناك بضعة أيام لزيارة ضريح علي بن حسن العطاس ، وينتهز التجار تلك الزيارة ، فيعرضون متاجرهم ، وهكذا تتحول الزيارة إلى سوق كما هو الشأن عند زيارة ضريح عمر بن محمد الهدار في القطن ، وعلى مقربة من المشهد توجد أطلال غيبون^(١) ، وتقطع المسافة بين دوغن والمشهد في يومين بالسير المعتدل .

(١) راجع صفحة ٥٧ من الجزء الأول .





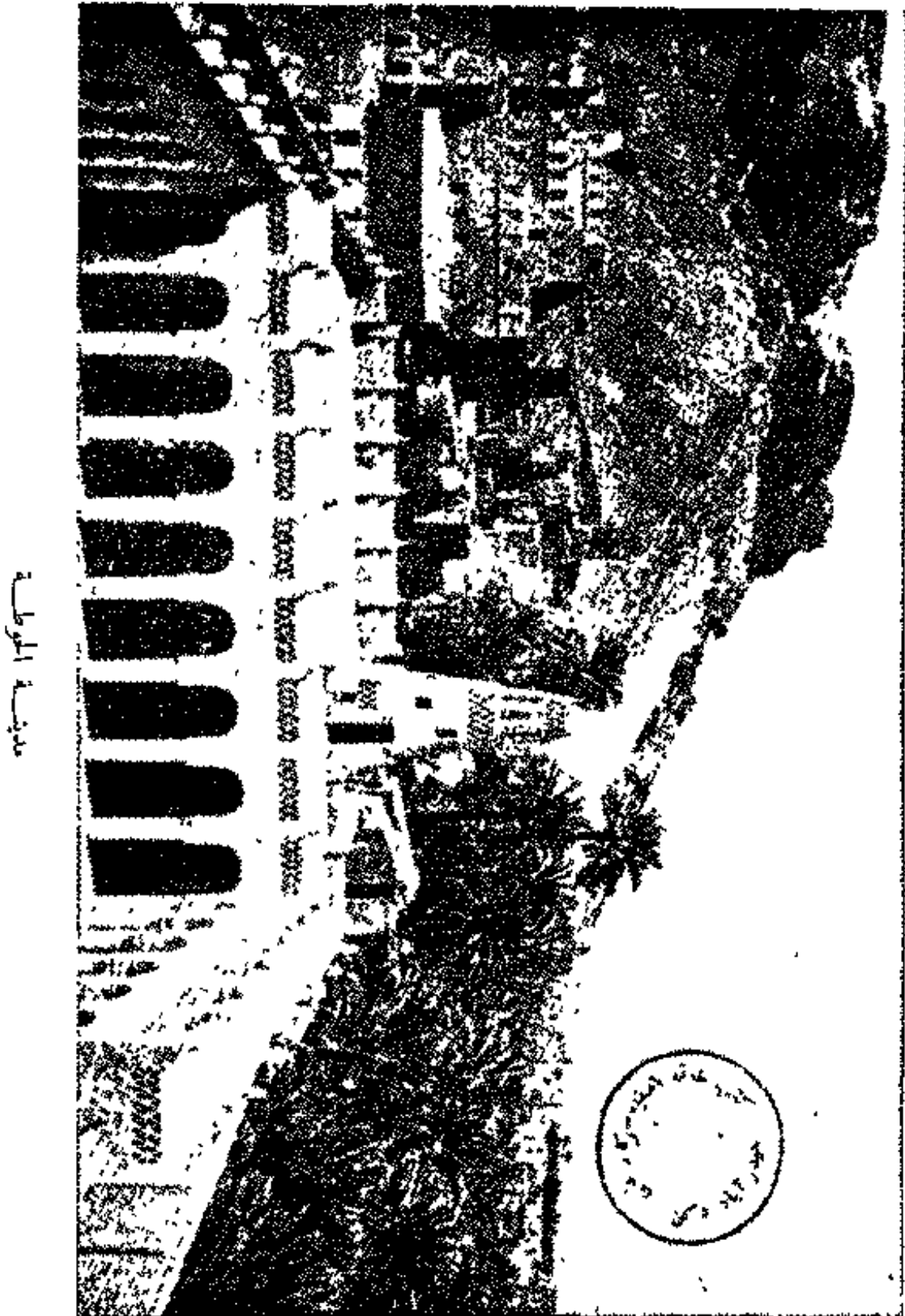
المفت وعمو شيخ المسند وحولك جماعة من الروام الشيخ

من المشهد إلى شبام



قصرى القطن

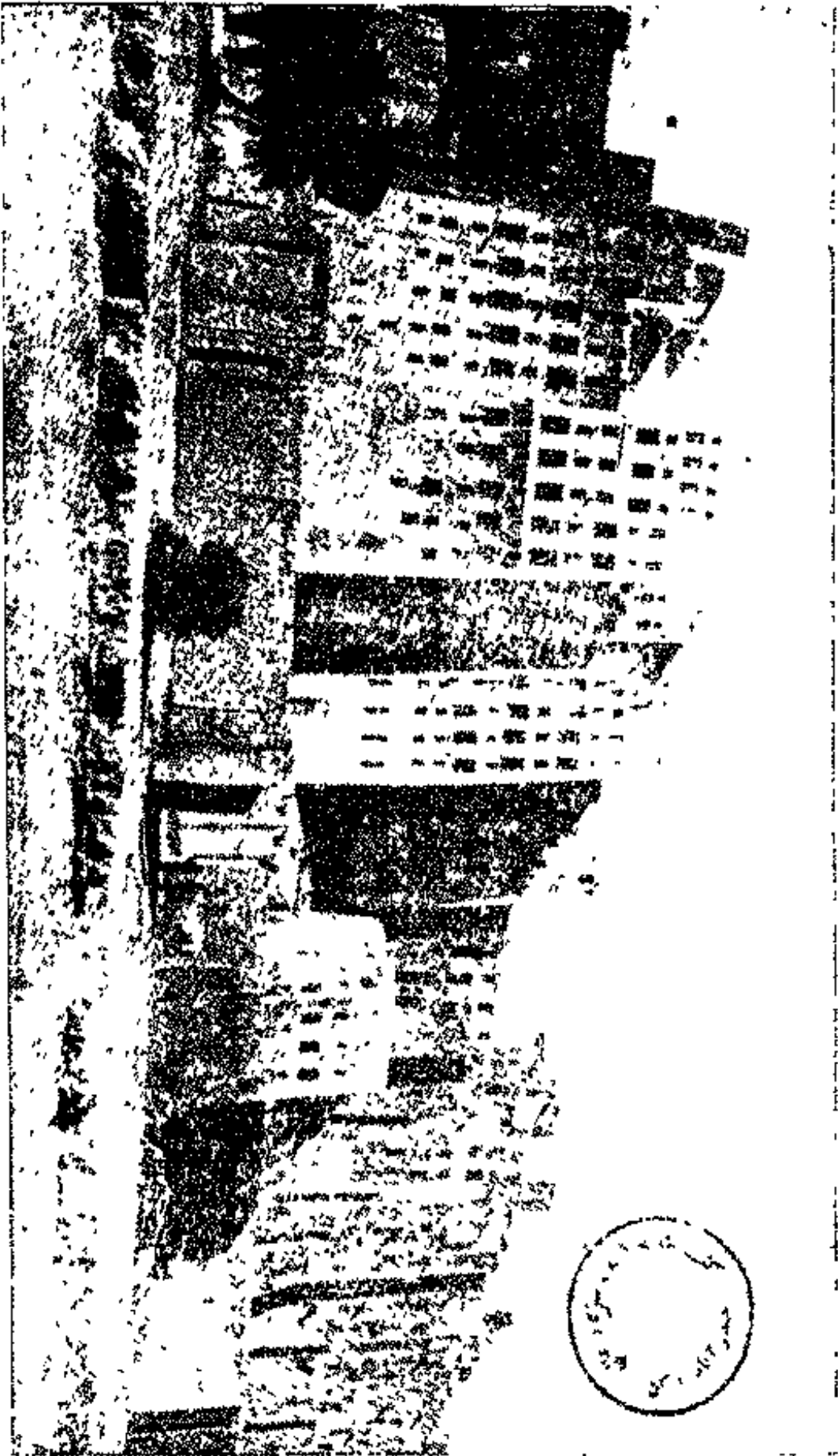
لا يلقى المسافر في هذا الطريق بل إلى نهاية الوادى [سيحوت] عقبات ولا تلالا



صخرية ، فكل الأرض في هذا الوادي الرئيسي العريض مسطحة ، وتتقارب

فيه المدن والقرى ، وتكاد تتصل هناك أحراج النخيل ببعضها إلى فغمة ، والماء متوفر والأمن موجود ، فلا قطاع طريق ولا لصوص .

يخرج المسافر من المشهد فيخترق منطقة نهد ، ويلقى على جانبيه سلسلتين من القرى ، فإلى الغرب قرى نهد من لحابس إلى تعوطة ، وإلى الشرق سد به وحورة والعجلانية وديار آل عمر باعمر ، وأمام كل من السلسلتين تقوم أحراج النخيل في حواجز من الأرض يشقها نهران تمرّ فيهما سميول الأودية العليا - دوعن وعمد من الغرب ووادي العين من الشرق - ثم يمرّ في الباطنة ، وهي قرية صغيرة مكونة من بيت ضخم شاهق لأحد أعيان آل باعلوى وكوخ ومسجد كبير مغلوق لا يصلى فيه أحد ، ثم تبدو أمامه الفرط ، وهي أول قرية من قرى القطن ، ومن هنا تكثر أنواع النخل مما ليس لها وجود في المناطق العليا ، ويصبح الماء غزيراً وقريباً من سطح الأرض ، وتنتشر المزارع التي تسمى بماء الآبار ، ويستمرّ في طريقه مخترقاً قرى القطن بحسونها الشاخحة ، وأحراج النخيل الشامخ والحقول الخضراء ، وتكاد تكون هذه المنطقة أكثر أمناً من جميع مناطق القطر الحضرمي ، ثم يصل إلى شبام بعد بضع ساعات ، وتقطع المسافة بين المشهد وشبام في يوم ونصف تقريباً ، وشبام من أمهات مدن الحضرمية وهي عاصمة الحكومة القميطية في الداخل ، وأكثر بيوتها عالية ، ومطلية من الداخل والخارج بالجير مما جعل لها منظرًا يتجلى بياضه الناصع من بعيد ، وهي مع كثرة عدد سكانها الذين يبالغون نحو ١٥ ألف نسمة محصورة وسط سور كبير ، فالبيوت ملتصقة ببعضها والشوارع ضيقة ، وهي أنشط مدن حضرموت تجارة وأكثرها حركة ، وبها مساجد كبيرة منظمة .



جانب من مدرسة في صنعاء

ومما تؤاخذ عليه مدينة شبام قذارة شوارعها ، فمياه المراحيض تسيل في مجار ضيقة مكشوفة وسط الأزقة ، ولذلك يلقى السائر في هذه الشوارع الصغيرة روائح كريهة تنبعث من تلك المجارى القذرة ، وأمام شبام بالقرب من الجبل الشمالى تقوم مباني جميلة وسط الحقول وأحراج النخيل يملكها أفراد من ذوى اليسار ، وهذا المكان أشبه بمنزله ، ويقال له سحيل آل مبرى ، وتعد شبام من الناحية الاقتصادية قلب حضرموت وحلقة اتصال بين البلاد في المناطق السفلى [حدري] وبين بلاد العواتق واليمن ، فجميع القوافل ترد إليها ، وتباع في يومها على يد سماسرة [دال] هم أهم سماسرة حضرموت ، وفي استطاعة التجار الشباميين أن يرفعوا أسعار المتاجر ويخفضوها ، وهم حجة في ذلك في سائر البلاد الداخليه .

من شبام إلى سيون

وتنبسط أحراج النخيل من شبام إلى سيون بشكل يبعث الإعجاب ، وتنتشر المزارع الخضراء ، والقرى منتشرة ، ويأخذ الوادى في الاتساع ، ثم تبدو مدينة سيون بعد مسيرة بضع ساعات ، وسيون عاصمة الحكومة الكثيرية ، وهى من أكبر مدن حضرموت ، وهى محاطة بسور كبير وبيوتها عالية ، وتوجد بها شوارع واسعة وسوق كبير ، والسكنها أقل حركة ونشاطاً من سوق شبام ، ويبلغ عدد سكان سيون ٢٥ ألف نسمة تقريباً ، والمسافة بين شبام وسيون نحو خمس ساعات ، وبها مدرسة النهضة العلمية وهى أكبر مدرسة في القطر الحضرمي تأسست سنة ١٣٣٩ .



خاتبة من مدينة مسقط

من سيون إلى تريم



مدن تريم

تبعد تريم عن سيون بنحو ٨ ساعات في طريق سهل محترقاً مزاع وأحراجاً

من النخيل ، وهى من كبريات المدن التى يشار إليها بالبنان ، وتوجد بها مبان ضخمة وبيوت شامخة يتجلى فيها الفن الحضرمى الجميل ، والحضارة فى هذه المدينة أظهر مما هى فى شبام وسيون ، والعمارة فيها آخذة فى ازدياد ، وبها مساجد كبيرة ، وشوارعها لا تختلف فى شكلها عن شوارع سيون فى كثرة منعطفاتها وأزقتها الصغيرة التى تشبه الشرايين ، وتعدّ تريم أنشط مدينة فى القطر الحضرمى من الناحية العلمية الأدبية ، فهناك كتاتيب ومدارس ابتدائية تبذل غاية مجهودها فى علوم اللغة والدين ، ويبلغ عدد سكان تريم ١٥ ألف نسمة تقريباً .

والطريق من حوطة الاعميطى باقطن إلى شبام فالى سيون ثم إلى تريم ممهدة تمشى فيها السيارات من غير صعوبة كثيرة لانبساط الأرض فى هذه المنطقة .

من تريم إلى قبر هود

بعد مسيرة ساعات من تريم نظهر عينات ، وهى مدينة كثيرة المساجد والقباب بشوارعها ضيقة تحيطُ بها غابة من النخيل ، وموقعها عند ملتقى كل الطرق المؤدية إلى قبر هود ، ويبلغ عدد سكانها نحو خمسة آلاف ، ويجب إليها الماء من مسافات بعيدة لأن ماءها لا يصاح للشرب ، وكانت مدينة عينات فى سابق عهدها من أكبر مدن حضرموت ، واسكنها فى السنين الأخيرة أخذت تتدهور بسبب وجود النقرة الناجمة عن نحت السيول بعد تهدم السدود أضف إلى ذلك أن قوة السيل قد تتزايد بمياه الأودية الجانبية ورخاوة التربة ، وعند ما تتعرى جذور النخيل يقل محصولها ، وفى النهاية تسقط ، فمطقة النخيل المسيحة المحيطة بعينات آخذة فى التلاشى بسبب تلك النقرة ، وقد تهدمت مشروعات الري ، وغطى كل شئ بطبقة من الرمل الأبيض ،

ولهذا فان أشجار النخيل مقضى عليها ، وبعد عينات تقع مدينة قسم وهي محوطة بسور متهدم ، وقد تأثرت أراضيها بتلك النقرة فاختفت صناعة البلح وهاجر أكثر أهلها وأمسى عدد سكانها بضع مئات بينما كانت عاصمة بالألوف فيما مضى ، وبعد الخروج من حدود قسم تمرّ بقرية خربة وقلاع على شاكلة قلعة قسم والماء موزع هنا وهناك بين قيعان السيول وهو ماء أجاج في الغالب ، ولو أنه في بعض البقاع صالح للشرب نسبياً ، ويفصل السكان مياه الآبار ، وتشرب دوابّ الحمل مياه النهر التي تظهر أحياناً وتختفي أخرى متخذة في باطن الأرض طريقاً لها ، وفي ذلك الصقع المنكود تقوم قرية باحفار ، وهي قرية بأئسة سكانها فقراء يعيشون في أكواخ ، وقد تهدمت منازلها الطينية في نزاع قبلي ، ويكثر هنا النساء لأن كثيراً من الرجال قتلوا في الحروب ومن بقي منهم هاجر إلى بلاد غربية عنه ، وكذلك الشأن في أكثر القرى التي في هذه المنطقة المقفرة بين عينات وقبر هود ، ويستمرّ الوادي في الاتساع وتكون التربة من طبقة سميكه من اللويس ، ويتعرّج الطريق بين شجيرات الأراك الأخضر، وكلما توغل في السير كلما يقفل الوادي العريض ، وبعد مسيرة بضع ساعات تدخل في منطقة حافلة بالأطلال الفخمة أكبرها أطلال العر^(١) وثوى ، وبعد بضع ساعات من هذه المنطقة الأثرية تقع قرية سوم الصغيره تحيط بها حرجة من النخل ، والماء هناك عذب وهو قريب من سطح الأرض . واكن الناس هناك لا يهتمون بالزراعة كثيراً ، وبعد مسير ثلاث ساعات من سوم ننع قرية فغمة ، وهي مكوّنة من عدّة بيوت من الطين محوطة بالأكواخ ، وهي آخر محط قبل قبر هود ، ولا بدّ من السير بعدها أربع ساعات . وبعد فغمة تحترق أحراجا صغيرة من النخيل بها أكواخ حقيرة ، وهنا تجتمع أفواج من البدو كل عام يحتفلون بزبرة أحد الأوياء . وهي أيام هدنة للزيارة والتجارة عندهم

سم يبدأ أنوادي في الصبق والطريق في جهته لا بأس به ، وهو يمرّ تارة في تلال

(١) رجع دفعة ٦١ من الجزء الأول .

رملية قاحلة ، وتارة بين شجيرات الأراك والأثل حتى تصل إلى قبر هود^(١) بقبته البيضاء ، وأمامه بيوت يلجأ إليها الناس أيام زيارة ذلك الضريح المقدس ، ومن ورائه تلال شماء سمراء كأنها شهود عدل منذ القدم على هلاك قوم عاد بصفتها البليغ الرهيب .

من قبر هود إلى سيعحوت

يبتدى النبات يقل تدريجياً من قبر هود ، ويأخذ الوادى فى الانحدار ، وبعد مسير بضع ساعات تخترق منطقة الجزع ، فينعدم النبات والماء مسافة ثلاثة أيام ، وتكثر أكوام الرمال فى الجنوب الشرقى من الوادى حتى تصل إلى المسيلة ، وهى قرية أغلب سكانها عبيد المهرة ، ثم بعد مسير ساعة تقع قرية العيص ، وهى مكونة من أكوام طينية ، تم يستمر الطريق فى الانحدار والانحناء نحو الجنوب حتى يصل سيعحوت حيث ينتهى الوادى الرئيسى ، ويبدو البحر العربى ، وتقطع المسافة بين قبر هود وسيعحوت فى نحو سبعة أيام بسير الجبال المعتدل ، وبالرغم من تحولة هذه المنطقة وقفرها فإن الأخطار التى تعترض المسافر فيها قليلة بالنسبة لمنطقة الدين وكورسيبان ، على أن المسافر لا بد له من استصحاب خفير من المهرة أو من المناهيل ليكون فى مأمن من تعدى اللصوص وقطاع الطريق .

من الشحر إلى تريم

يفضل كثير من سكان سيون وتريم وملحقاتهما المرور من طريق الشحر حينما يسافرون إلى مخرجهم أندونيسيا - أو عند ما يثوبون إلى وطنهم ، وذلك لأن مهبط هذا

(١) راجع صفحة ٦٢ من الجزء الأول .

الطريق وهو عقبة المسندة ينحدر على تريم ، ثم إن المسافة فيه أقلّ بيوم تقريباً من المسافة التي يقطعها المارّ في طريق المكلا مخترقاً دوعن أو وادي العين ، فالمسافة من الشحر إلى تريم نحو سبعة أيام ، أما من المكلا إلى تريم فلا تقلّ عن ثمانية أيام ، ولقد حاول أحد سراة تريم ، وهو السيد المفضل أبو بكر بن شيخ الكاف العلوي إصلاح طريق الشحر وتعبيده ليتسنى للسيارات المرور فيه ، وتقطع المسافة من تريم إلى الشحر في ساعات معدودات بدلا من سبعة أيام ، وفلا شرع يصلح الطريق ويمهدها ويمبدها على حسابه الخاص مبتدئاً من تريم ، ثم انقطع العمل فجأة عند ريثة المعارة بعد أن أصلح نحو ١٠٤ أميال ، وأصبحت السيارات بفضل تمرّ من تريم إلى ريثة المعارة من غير صعوبة تذكر ، ولم يبق من الطريق سوى ثلثه تقريباً .

والحقّ أن إصلاح طرق حضرموت ذات العقبات الوعرة من أكبر المشاريع الوطنية الخيرية ، وليس في استطاعة الواحد مهما كان غنياً أن يقوم بإصلاحها ، ولكن المفضل أبا بكر بن شيخ الكاف استطاع بهمته العالية التي دكت عقبة المسندة أن يقوم بتعمير جزء كبير من ذلك الطريق الوعر .

ولقد كان من المنتظر أن يقوم غيره من ذوي المهمم العالية ، كولاة الأمور ، وأرباب المال بتعمير ما بقي من الطريق لتنشط المواصلات بحضرموت ، ويأخذ هذا الوطن البائس حظاً ولو قليلاً من مدنية القرن العشرين ، ولكن لم نحسّ لهم ركزاً ، وبقيت المواصلات كما هي على ظهور الدواب منذ آلاف السنين .

يخترق المسافر من الشحر إلى تريم هضبة يبلغ طولها نحو ١٥ ميلاً ، وترتفع عن سطح البحر تدريجياً مخترقة الصرك والقياعين ، وتعلو فجأة عند عقبة العرشة التي يبلغ ارتفاعها نحو ٣٥١٠ أقدام ، وهي كثيرة المنعطقات والتمرجات ، ولكنها سهلة المرتقى وعند سفح العقبة ينسط الطريق تقريباً ، ويمتدّ في خط شبه منكسر إلى ريثة المعارة مخترقاً الغلاغيل ، ثم يستمرّ في طريقه إلى جرو ، وليس بهذه المنطفة من الريثة إلى حرور أيّ نبات اللهم إلا على الحافة حيث تصطدم بها بعض السحب ولا حيوان

إلا بعض السحالي والطيور ، وكل الأرض ملأى بالصخر الرمادى الداكن ، وهى على وجه العموم لا تختلف عن جول وادى دوعن فى تشابه مناظره واقفاره من كل مظهر للحياة ، ثم تظهر عقبة المسند ، وهى كثيرة التعاريج والمنعطقات تكتنفها هوات عميقة هائلة ، والسكن الطريق معبد يسع لمرور سيارة واحدة ، وتنحدر تلك الحيطان الجبلية انحداراً يبلغ نحو ٩٠٠ قدم ، ومن ههنا المنحدر تظهر مدينة تريم الغناء ببيوتها ومساجدها ومناثرها البيضاء كأنها ركامة من الثلج وسط تلك الأحراج من النخيل والمروج الخضراء .

من ميفع إلى الصدارة

تقع ميفع على مقربة من البحر ، وهى منفذ وادى حجر ، وتعدّ أخصب منطقة فى الإقليم الساحلى إذ يفور فى أراضيها الجزء الأكبر من ماء نهر حجر ، وامسيلم وجود مشروعات زراعية تروم تلك المستنقعات تجدهمى اللاريا منتشرة فى أهالى ميفع الأمر الذى بعث فى أوائك السكان الممود والحوول عن القيام باستغلال أراضيهم الخصيبة ، واستمراف بركاتها الواسعة وخيرانها الوافرة ، ولذا تلقاهم فى فقر مدقع ، وأفراد الحامية القميطية اليافعية قد ذهبوا ضحية الحمى ، ولم يبق منهم فى قيد الحياة سوى واحد لا غير ، وتتكوّن بلدة ميفع من بيوت ضئيلة هى أشبه بأكواخ صغيرة ، وبعد سيرثمان ساعات تقريباً يقوم جبل هوت ، وبه السور المتهدم الذى احتفى به يافع فى حرب حجر الأخيرة ، وعلى مقربة من ههنا السور قبور القتلى منهم ، وعابها علامات من الحجر ، ثم تنحدر من الجبل إلى بقعة بها عين يسيل ماؤها من غير هدى ولكنه آسن حتى الإبل لا تقوى على الشرب منه ، وتخترق بعد ذلك جبال ذات مناظر فى غاية المعزاة والجمال ، وينعدم الماء فيها لمدة ساعات طوال ، سم تصل الغير وتخترق الوادى ماشياً على ضفة النهر انمى أو البسرى ، وبين مسافة وأخرى توحد حقول الذرة . وبها أكواخ لإقامة حراسها ، وفيها عدا ذلك يكون الوادى عسديم السكان

ويأخذ الوادى فى الضيق ، وتقلّ الأراضى الصالحة للزراعة ، وفى بقعة ينحنى النهر فجأة فى زاوية قائمة ، فاحفر لنفسه مجرى فى غاية العمق ، ويكثر الرمل الأبيض على شاطئه ، وتنتشر الأشجار ومنها النخل ، ثم تصعد جبلا ، وهناك يخفى النهر حيث يتخذ طريقه فى ناحية أخرى ، وتسير فى ممرّ ضيق ، ثم يظهر الوادى خائفاً يمرّ فيه النهر تحت الأرض ، وقاعه مغطى بالصخور المشتهة ، ونظير بعد ذلك قرية مصيغ الخثيرة ، وهى مكوّنة من منازل بدون حيطان أمامية وخلفية ، فهى عبارة عن أنفاق تصل ما بين النهر والجبل ، وسكانها متوحشون ، وهم أشبه بعراة يحتقرهم سكان الوادى ، وتغرّ فى السهل الذى به القرية ، وأرضه مغطاة بالأحجار الحمراء القائمة ، وبعد ساعتين تنعدم الأرض المنزرعة ثم تظهر ثانية ، ويقرب الجبل من النهر ، ويضيق الوادى ثم تحترق منطقة خصيبة جدا ، وهناك توجد سدود قليلة الارتفاع لحجزه المياه هى أشبه بالحواجز الأرضية فى داخل حضرموت المسماة [جروب] ، وتكثر أحراج النخيل التى تمتد على طول النهر والتلال تجعل الإقليم حصيناً من الوجهة الحربية ، وهو من الأقاليم التى كان عليها نزاع بين يافع وقبائل حجر ، وتظهر بعد ذلك قرية حوت الصغيرة ، ثم أحراج النخيل ، ويأخذ الوادى فى الضيق ، ثم بعد ساعة توجد قلعة بها حامية من يافع ثم قلعة أخرى بها حامية من قبائل حجر ، وتنتهى الطريق أخيراً إلى أشجار اللبخ ، ثم أعشاب كثيفة ، ثم شجيرات ، ثم حقول الذرة الواسعة ، محدائق النخيل ، فبلد الصدارة ، وبالقرب من الصدارة توجد ينابيع مياه حارّة ، ويروى بها النخل ، وهى لا تؤذى جذوره .

ويلبس مرشدو القوافل فى وادى حجر نوعاً غريباً من الأحذية يغطى كل القدم من أعلى وأسفل ، ويحدث صوتاً عالياً عند المسير ، وذلك راجع إلى كثرة الثعابين والمعقارب لأنه فى البلاد التى لا تكثر فيها الزواحف ، لا يلبس الناس الأحذية إلا فى وقت الظهيرة لتحمى الأقدام من الرمضاء ، والمسافة بين الصدارة وميفع نحو ثلاثة أيام .

من الصدارة إلى وادى عمد

تنبسط حول الذرة والسسم بكثرة في شمال الصدارة التي تروى بمياه العيون المتفجرة ووادى حجر هو الوادى الوحيد بمحصر موت الملىء بالماء ، وتأخذ الحبات النباتية في الاختفاء شيئاً فشيئاً ، ثم تصعد إلى واد تنخله الصخور ، وطبقاته من الناحية الجيولوجية عكسية ثم أقمية ، وتتكون من طباق من الحجر الجيري الأسود والحجر الرملى ، ثم تخترق منطقة يبعث ، وهنا تتضائل الحياة النباتية ، ويصبح الأمن مفقوداً ، وكلما توغل الوادى إلى حوطة يبعث كلما ازداد الخطر حيث يوجد اصوص لاهم لهم سوى سلب المسافرين وقتلهم أحياناً ، وحوطة يبعث قرية بدوية حقيرة يكثر فيها البق ثم تتوغل في الوادى نفسه ، فتحترق بعض مزروعات ، وأشجار النبق والنخل وهو عديم الثمر لشدة الجفاف ، وتمرّ في أعلى الوادى على مجموعة من القرى التي يطلق عليها اسم يبعث ثم تصعد عقبة ، وبعد مسافة بضع ساعات تخترق هضبة صخرية تشقها بعض المنخفضات الشبيهة بالأحواض ، ثم يظهر الجول العريض الساحل ، ويستمرّ السير ساعات ماراً ببعض النقابات ، ثم تنحدر في هضبة وتصعد في وادى عزبة ، وهو وادى صغير سهل المرتقى ، ثم تخترق منطقة الدين في طريق محفوفة بالمخاطر حتى تصل النجيدين ، وهي قرية حقيرة ، وبعد مسافة ساعات تقع قرية خليفة باسويد ، ويشد الجفاف في هذه المنطقة كثيراً ، وتصبح مناظر الوادى بغیضة مملّة ، وبعد بضع ساعات تصل شرح الأبيضين ، وهي قرية حقيرة للغاية مكوّنة من عدة منازل صغيرة ، وتسكنها أسرة واحدة وعماد الأهالي عمار النبق ، ثم تخترق هضبة بها بعض النقابات ، ولكنها شحيحة الماء بسبب الجفاف ، ونوم هناك قاعة حصينة خالية من السكان ، ثم نبتدى* الهضبة بعد بضع ساعات في الانحدار تدريجياً ، وتمرّ في منطقة عمودية من الحائط الصخرى يؤدى إلى بقعة تسكن فيها بعض قبائل الدين ، وهي من المناطق المحفوفة

بالخاطر ، وينعدم الأمن حتى تصل إلى وادى عمد ، وتقطع المسافة بين الصدارة وعمد في أربعة أيام تقريباً .

المعارف

الجهالة ضاربة أطنابها في طول البلاد وعرضها ، والأمية منتشرة انتشاراً عظيماً في كل الطوائف الحضرية لاسيما سكان البوادي والهضاب العليا ، والمدارس الموجودة اليوم أولية وابتدائية ، وهي كثيرة في مدن البلاد السفلى [حدرى] وفي البنادر ، ويهتم الحضريون كل الاهتمام بتعليم الدين واللغة العربية وقواعدها كالنحو والصرف ، وما إلى ذلك ، وليس للعلوم الرياضية والطبيعية والجغرافية والتاريخية أثر يستحق الذكر ، وأحسن المدارس هي مدرستا المكلا والشحر ، ففيهما مبادئ بسيطة جدا من الرياضة والتاريخ ، وتقوم الحكومة القعيطية ببعض المساعدة لها والرباط بسيون ، وهو أشبه بمعهد ديني تدرس فيه الديانة الإسلامية واللغة العربية وقواعدها بتوسع قليل ، والتعليم فيه مجانياً ، ولقد انتفع بالرباط كثير من الناس ، والفضل في ذلك يعود لمؤسسه العلامة الشيخ علي بن محمد بن حسين الحبشى وغيره من أهل الخير الذين أوقفوا عليه صدقات جارية إلا أنه قلّت العناية به في الزمن الأخير ، وقلّ عدد الطلبة إلى حدّ كبير ، ورباط تريم وهو أكبر معهد في القطر الحضري ، وتدرس فيه العلوم العربية والعلوم الدينية ، ومؤسسه العلامة الشيخ عمر بن أحمد الشاطرى ويتولى إدارته والتدريس فيه نجله العلامة الشيخ عبد الله بن عمر الشاطرى ، ومدرسة النجاح بشبام التي أسسها المرحوم أبو بكر التوى ، وأنفق عليها أموالاً كثيرة ، وهي أيضاً تعنى بالعلوم الدينية ، وجميع المدارس أهلية يقوم بها أفراد من الشعب ، وليس للحكومتين الياضية والكثيرة مدارس خاصة باسمها [أميرية] ، وطريقة التدريس في جميع المدارس قديمة وعقيمة ، والروح فيها خامدة هامدة لا تبعث في الناشئين النشاط والحركة وحب العمل ، ولا توقظ أفكارهم ، ولا تنير عقولهم ، ولا تزيل ما علق بعقيدتهم من الخرافات

والأوهام ، والتعليم مقصور على الذكور ، أما الإناث فليس لهن حظ منه ، وأعله من
دواعي الدهشة إذا قلنا إنه لا يوجد في حضرموت اليوم إلا عدد قليل جداً من النساء
يعرف القراءة والتكتابة .

الأدب الحضرمي

لا نريد هنا أن نتكلم طويلاً عن الأدب الحضرمي ، ونستقصى الشعراء
الحضرميين الأقدمين والحديثين ، فذلك يستلزم كتاباً قائماً بذاته ، وموضوع كتابنا
لا يسمح لنا بذلك ، فهو كتاب سياسي لا أدبي ، ولكننا نحب أن نأتي بنظرة عملي
عن الأدب الحضرمي ، ونذكر بعضاً من الشعراء والأدباء لنعطي القارئ فكرة عامة
عن الأدب بحضرموت .

للأدب الحضرمي دوران مهمان : الأول يتبدى من بعد انتشار الإسلام بحضرموت
حتى أواخر القرن الثالث عشر الهجري^(١) ، والثاني : يلي الدور الأول إلى
العصر الحديث .

ففي الدور الأول كان الشعر قديماً في أسلوبه وألفاظه وخياله . كان لأوائلك
الشعراء أفكار خاصة واتجاهات دفعتهم إليها طبيعتهم ومزاجهم ، وما يحيط بهم من
جبال جرداء ، ورمال غبراء ، ونياق ضامرة ، ونخيل باسقة ، فذكر الأطلال والديار ،
والتفاخر بالأنساب والأحساب كان من دينتهم ، ولم تسعدهم الظروف بالرحيل إلى
بغداد أو الأندلس ، ومشاهدة حصاره العباسيين والأنداسيين ، وما هم فيه من رغد
وهناء وترف وهو ومجون ، ولم يتصلوا بمعاصريهم من الشعراء الأفاضل أمثال أبي تمام
والتنبي وبشار وابن الرومي والشريف الرضي وأبي نواس ، ولم يعكفوا على أشعارهم
وبنات أفكارهم ، ولو عملوا لكانت معانيهم غزيرة ، وأفكارهم عميقة ، ونظراتهم

(١) حضرموت شعراء جاهليون ، ولكن لم يمر على شيء من حياتهم الأدبية وما قالوه من
الشعر ، لذلك أعما ذكرهم .

بعيدة ، وكانوا من الشعراء العباقرة الخالدين لأن ملكة الشعر في الحضرمي قوية ، والفناء والرجز والزجل كل ذلك منتشر في كل القبائل بحضرموت ، لم يتعلموا لغات غير لغتهم العربية ، ولم يأخذوا حظهم من الفلسفة اليونانية أو الإسلامية لذلك نجد شعرهم خالياً من الكلام حول العضلات الكونية ، كانوا يرون الجو مفتوحاً ، والسماء صافية ، والنجوم زاهرة ، والشمس شارقة ، كانوا يرون أمام أعينهم جهلاء يسعدون ، وحكام يشقون ، وقتاة هيفاء يخطفها النون ، وعجوزاً شعناء يمدّ في عمرها عشرات السنين ، فلم يبدوا بشيء من آرائهم إزاء ذلك ، ولم يحاولوا أن يسألوا أنفسهم ما هي الحياة ولماذا جاءوا إليها وإلى أين المصير؟ إلى غير ذلك من الأمور التي يحار فيها العقل وتربك فيها النفس ، لقد عكفوا على العلوم الدينية البحتة ، وشفغوا بمطالعة كتب التصوف والزهد واتقنوا العبادة ، لذلك كانت الروح الدينية هي السائدة على أشعارهم ، والماسكة بزمام أفكارهم ، وفي مقدمة الشعراء المتصوفين العلامة الشيخ عبد الله الحداد ، فقد كانت أشعاره ولا تزال إلى اليوم يتلوها الشباب والشيوخ كتعاويذ دينية يقصد بها استئصال البركات ودفع الكربات

أما الدور الثاني : فيبتدىء من أواخر القرن الثالث عشر الهجري ، وينتهي إلى العصر الحديث ، والشعر في هذا الدور يختلف في بعض نواحيه عن شعر الدور الأول ، فقد تأثر الشعراء الحديثون بأدباء مصر وسوريا والعراق ، وأكبوا على قراءة الصحف العربية التي تصدر في هذه الأقطار الشقيقة ، وكانت النتيجة أن أخذت معانيهم تغزير نوعاً ، وألفاظهم تهذب ، وأخيلتهم تسمو وتضطبغ بالصبغة الفنية الحديثة ، وبدأت سحب التصوف والزهد التي كانت تغشى أشعارهم تتلاشى وتزول ، على أن أغلبية الشعراء لا يزالون إلى اليوم متمسكين بأسلوبهم القديم الجاف ، وتكاد تكون أشعارهم عبارة عن مواعظ ونصائح ، ذلك لأن العلوم التي تدرس في المدارس الحضرمية دينية بحتة ، ومما زاد الطين بلة اعتراهم مطالعة الكتب الأدبية الحديثة . وأول الشعراء المجددين ، وأغزرهم علماً ، وأكثرهم نظماً ، وأبعدهم صيناً ،

وأوسعهم شهرة في القطر الحضرمي ، هو الأديب الكبير العلامة الشيخ أبو بكر بن شهاب^(١) ، فقد كان أسلوبه سهلاً ، وموسيقاه عذبة ، وأفكاره واضحة ، ومبانيه غزيرة سامية ، وقد أثر شعره في الأدب الحضرمي تأثيراً حسناً ، وبعث في الأدباء نشاطاً ويقظة ، ونفخ فيهم روحاً جديدة ، فهبوا من قديمهم البالي يقلدون ابن شهاب في نظمه ، ويحاكونه في أسلوبه .

ومن الشعراء المجددين في العصر الحالي الأديبان الفاضلان : علي أحمد باكثير ، وصالح بن علي الحامد العلوي .

ولنأت هنا بمقتطفات من بعض شعراء الدورين : الأول والثاني .

(١) ولد هذا الأديب في حصن طرقة من صواحي ترم سنة ١٢٦٢ ودرس العلوم الدينية والافقة العربية على عشرات الأساتذة بتريم وغيرها ، وقد كان حاذقاً الدكاء ، حاصر الدهن ، سريع الفهم ، قوي الذاكرة ، ومن طرائف ما حكى عنه : أنه كان مرة أصابه ساس في أثناء درس علم الفرائض كان يلقيه عليه وعلى زملائه أستاذه العلامة الشيخ علي بن محمد الحنفي ، ولما أتم الأستاذ درسه سأل تلميذه أنا بكر ، وقد لاحظ عليه اليوم قائلاً : هل تهتمت بالدرس ؟ فأجاب بالايجاب ، فقال : أفي مقدورك أن تبيده عليّ عدداً ؟ فقال : نرا أم نظما ؟ فاندعش أستاذه وقال : نظما إذا استطعت . وفي صباح اليوم الثاني جاء إلى أستاذه عنظومة حاوية لسلك أبواب الموارث وقد انتحتها قائلاً :

لله حمدي وارث الأرس النسي ومن عابها وهو حسير الوارثين

واحتتمها قوله :

فاصبح وأصلح ما بها من العلط فقد أنى من ذا الذي ما ساء قط

وعدر من لم يبلغ العشر من يقل عسده الناس أحمين

وفي سنة ١٣٠٢ هـ رحل إلى عدن والحصار ومصر والقدس والشام والأساتذة ثم إلى الهند واستقر في حيدرآباد ، وهناك تولى التدريس بالمدرسة النظامية ، فانتفع بطمه خلق كثير ، وفي ١٠ جمادى الأولى سنة ١٣٤١ توفى بحيدرآباد ، وكان لعقده رمة حزن في القطر الحضرمي وحسارة كبرى على الأدب .

من شعراء الدور الأول

ابن عقبة الحضرمي الشبامي

من شعراء القرن السادس الهجري

قيل إن له ديوانا من الشعر النفيس المتين ولكنه معقود ، ولم يحفظ الناس شعراً سوى مائة وحسين بيتاً تقريباً . ومن شعره :

أصبرت نفس السوء أم لم تصبري	بيني ومن تهوين يوم المحشر
إني امرؤ عفا الأرار عن الخنا	لم أغش منذ نشأت باب المنكر
والله ما صاحت كف بغية	أبدأ ولا نادمت شارب مسكر
إلا على كسب المعلوم مخيما	وبكاي في طلب العلي وتحشري
ما همتي إلا اقتناء مكارم	قصر الزمان وهمتي لم تنصر
وقسمت حالاتي ملانا دونها	يأبي الهمام المصرحي الشمري
كراماً تدين له الأنام وحالة	ظهرا جواد وحالة للعنبر
فكفي بذنا فخرأ على كل امرئ	بسعي على أثرى ليدرك منخري
حسبي بما أوتيته من همة	قسماً تيف على السالك الأزهر
إني من العرب الذين نجارهم	من خالص العقيان لبّ الجوهري
من شم خولان ابن عمرو منبتي	وهو قبيلي في الأنام وممشري
وإذا اعتزوت قال عمبة عزوتي	وبنو زناد الغرّ منبت عنصري
وتخذت أصحاباً إذا نادمتهم	لم أخش منهم من ينم ويفتري
علمي وحلمي والحصان وصارمي	نذا يميني والعتاف ودقري

عبد الصمد بن عبد الله با كثير

الأوفى سنة ١٠٢٥ بمدينة الشعر

كان شاعر السلطان عمر بن بدير الكثيرى اختصه بيمين شعره وغرر قصائده ،
وتجد ترجمته فى خلاصة الأثر المحبى والسلافة وغيرها ، وله ديوان ضخيم لم يطبع ،
ومن شعره :

يا مطيل الصمد هلا	فالكرى عنى ولى
واشتياق فى مزيد	واضطبارى عنك قلا
ودموعى كالموادى	غذفات السكب هطلا
ليس لى عنك سلو	لا أرى لى عنك سفلا
لم يزل فىك حديبى	أبدأ يروى ويتلى
كلما لاح لعينى	بارق فوق المصلى
بت من سوقى ووجدى	وغراى أنفلى

وله :

وبى من العرب ظبى ما رأى بصرى	سبها له فى الورى بدوا ولا حضرا
كالبدر وجهاً ونظم الدرّ مُبَسَّماً	والظبى جيداً وغصن البان إن خطرا
والورد فى خده المحمر من خجل	يدعو إلى حسنه الفتان من نظرا
كم ليلة زارنى فيها على وجل	مستعجلاً خائفاً مستوفزاً حذرا
يمشى الهويئنا حذار الكاشحين وقد	أرخصى الستور ظلام الليل واعتكرا
يا ليلة سمحت لى بالندى اقترحت	نقى وقبلت فيها الأشنب العطرأ
أمسيت أحسورضاباً عن مرشفه	حتى ترحزح ثوب الليل وانحصرا
لم أنس تلك الليلات التى سامت	مضت ولم تقض من لذاتها وطرا

قلت شعري والآمال ما برحت مطامعاً طال عمر المرء أو قصراً
هل يسعد الحظ بمن حلّ في خلدي بموعده أو تلاقٍ أو خيال كرى؟
ومن نمازج شعره الجزل قوله يهني* السلطان عمر بن بدر بانتصاره على أحد زعماء
القبائل الخارجين عليه :

نصر عزيز من الرحمن قارنه فتح وطالعه بالسعد ينتدر
من كان معتصماً بالله كان له عوناً وسار بما يختاره القدر
وكل باغ فان الله خاذله ولم يفز من بغير الله ينتصر
لما تألبت الأعداء واعتصموا بجبل غدرهم باءوا بما غدروا
هم هادنوك على غدر به جبلت طباعهم ، لائماً للقوم إذ عثروا
جاءوك زحفاً إلى آجالهم وسعوا لحينهم وإلى تنكيلهم بقروا
ماراقبوا عققه ميثاق ولا صحبوا رسداً ولا لصنيع منكم شكروا
بل استمروا على طغيانهم وأبوا إلا الفساد فهاروا في الذي احتفروا

لله [بالنقعة] الغراء معترك دسنا الأعدى به والتقع معتكر
فكان أخطاهم من فرّ منهزماً ينبغي النجا حيث لا منجى ولا وزر
لقد أصروا على تقض اليهود وهم بدت لهم عبر فيه وما اعتبروا
راموا أموراً وليسوا أهلها سفهاً تعلقاً بحال فاده الأشر
فأمكن الله منهم فانتنوا هرباً كمثل ما نفرت من قسور حمر

وله موشحات بديعة عاية في الرقة وجمال القافية حتى ليخالها الفري من نظومات هذا
العصر الحديث :

يامعير الظبي طرفاً أدعجا والرحيق اللطف والبدر اتماها
هل ينال العاشق المفتون من ورد خديك استلاماً والنشاما؟

أنت والله قنتى ومحياك قبلى
* أنت نارى وجنتى ! *

يا بديع الحسن قل ما الذى أوجب للهجران والإعراض عنى ؟
طالب سقى وتمادى كدى ريقاً لى ما فاتنى ! كم ذا التجنى ؟
بن قلبى قد انكوى وتمادى بنى الجوى
* لو منى قلبى ارعوى ! *

أحمد بن عمر باذيب الشبامى

من شعراء القرن الثالث عشر الهجرى

من شعره :

يا واسع الجود يا من جوده جارى
يا رب عفوك غير أنى رجل
وقد دعوتك أرجو منك مرحمة
وأنت حسبي ومعبودى ومستندى
وأنت قصدى ومأمولى ومعتمدى
فكن كفيلاً بما أرجوه منك وهب
إنى أناديك بالتوحيد معتدداً
فانظر إلى بين اللطف ياسندى
محمد سيد الكونين شافعنا
أعلا البرية مقداراً ومنزلة
من جاء بالحق والذكر الحكيم ومن
ومن أتى هادياً للخلق يرشدهم

أوسراً إحسانه فى خلقه جارى
ظلمت نفسى بزلاتى وأوزارى
فارحم عبئك يا خلاق يا بارى
وعدتى فى إقاماتى وأسفارى
على تغاير أحوالى وأطوارى
لى مطلبى واقض حاجاتى وأوطارى
ومخلصاً لك إعلاى وأسرارى
بالمصطفى خير محبوب ومختار
يوم القيامة عند المشكل الطارى
إليك آثر ذى قرب وإيثار
محا الضلال وأردى كل جبار
إلى الفلاح بآيات وأذكار

من شعراء الدور الثاني

أبو بكر بن شهاب



التاعر الكبير أبو بكر بن شهاب

من شعره :

ذهبت من الغريب بكل مذهب ومات عن النسب وكان أنسب
ركبت من الحاسة كل صعب ولم تجنح إلى كنس ودررب

كأنك لم تكن تهوى قديماً ولم تعكف على طرب فتطرب
 تريد تصبراً فتضيّق ذرعاً وما أنساك أن الطبع أغلب ؟
 فكم قد أوقفتك يد التناي دايلاً حينما العبرات تسكب
 وربّ مهفّف أقصاك هجرأ ومن بعد العباد دنا وقرب
 أتذكر إذ هصرت بقود سلمى موكانت من عقاب الجوّ أصعب
 فمالت مثل بدر في ظلام على غصن على رمل مكثب

ومن قصيدة أخرى يتشوّق فيها إلى وطنه حضرموت وهو بالهند :

أهكذا ليت شعري كل ذي كرم يصبيه تذكاره المأوى ويقلقه
 يأبها الراكب الغادي إلى البلد جرعاًؤه خصبة المرعى وأبرقه
 ناشدتك الله والودّ القديم إذا ما بان من بان ذاك السفح مورقه
 وشاهدت عنك [الغناء] عادرها مخضلة باكيّاً الوسمى مغدقه
 أن تستهلّ صريحاً بالتحية عن باك من البعد كاد الدمع يفرقه
 يثير أشجانه فوج الصبا سحرأ وساجع الورق بالذكري يؤرّقه
 له فؤاد نزوع لا يفارقه حرّاً الغرام وجفن ليس يطبقه
 بالهند ناء أخى وجد يحن إلى أوطانه وسهام البين ترسقه
 إلى العراقيين من أقرانه وإلى حديتهم عبرات الشوق تخنقه

علي بن محمد الحبشي

ولد نسيم سنة ١٢٤٩ ، وتوفي بسيون بعد أن ذاع صيته ، وعظم أمره ، وكثرت
 تلاميذه ومريديه ، وله ديوان شعر مطبوع في جاوه ، ومن شعره قوله :

إيكم رأيت الشوق يجذبني جذبا ويوردني من ذكركم منهلاً عذبا

فيا نازلي ربيع الصفا لا برحمتي
فهل من سبيل لي إلى القرب منكم
تراعون لي حق المودة في القربي
رعى الله أياماً مضت لي بحكم
فأني أرجو الوصل ما عشت واقربا
متى تجمع الأيام بيني وبينكم
يتيه بها قلمي إذا ذكرت محبياً
وأحظى بوصول يغير الجسم والقلبا

ومن شعره في المذهب الصوفي :

إن في سرِّ عالم الأنفاس
يا لك الله يا أخا الذوق فيها
مشهداً للقلوب لا للحواس
كم رأيتك ذاكرًا المعاني
عند تحقيق علمها ما تقاسي
فابل اللين باقساوة حتى
وسفير الحياة في ذاكر ناسي
ظهر اللين منه في كل قاسي

محمد بن محمد با كثير

التوفي حدساً سيون

يعدّ من أقطاب الحركة الأدبية والعلمية بمضرموت ، تخرّج على يده كثير من رجال العلم ونبغاء الأدب ، وله ديوان شعر لم يطبع ، ومن شعره قوله : يستعطف سلطان الملكا ليأذن له في أخذ رسائله الموقوفة بسبب الحرب القائمة بين الساطنتين إذ ذاك :

أطيل السير في البید ارتحالا
وفي الشوق للبرح لي ظنون
لعلّي أن أرى الميمون فالأ
ومن قصد الملوك ورام خيراً
وقد فارقت أحمابي ودرسي
وتحقيقتي وتدقيقتي وجمعي
ووجئت تقودني الآمال فيكم
وتناواني من الأفق الهللا
تكن في العمود خيبته محالا
وتحريري وإنتأني الرجالا
وليس تلكم الآمال مالا

وما أملى سوى أنى أراكم وأدرك من محيّاكم نوالا
وإن لباتى أقصى مرأى لها فارقت ربي والعيالا
وقوفى بالرسائل واردات على ولم أنل منها وصالا
ولى قوم نأوا عنى قلبى بهم مضى وهمى قد توالى
وقطع رسائل الأحباب عنى كقطع الروح عن جسمى انفصالا
ولى قلب أقبه اصطبارا فلم يسطع على الصبر احتالا
وذا أرب يهون على علاكم وإن تجدوا جوانبه تقالا

وله فى تقرّظ كتاب :

قالوا شفت بذا الكتا ب وأمره أمر الكتب
قلت اتباع الحق حق فانظروا نحو السحب
بيض ومسود فى السما هل كل معترض يصب؟

عيدروس بن سالم السقاف

من أداء سيون وشعرائها

ومن شعره :

أخفى الأسى دعى وهم أسانى لما ورى رد الهوى بجبانى
هيات أن يخفى وادر شجو من نزل الهوى منه بكل مكان
عبث محاولة السلو لعاشق أصحى يكابد سجوه ويعانى
برجو التعال بالسلو سفاهة إن التعل بالسلو أمانى
حال الذى علق الغرام بهابسه سهر الدجى ونراكم الأسحان
يرتاح إن مرّ النسبم تعلاه إن النسبم بعلة الوهان

أو أن من شوقى غريب نازح سالت محاجره بأحمر قان
أوناخت الورقاء تندب إلفها سحراً على قن من الأفنان
تندى بذكرهم عروق فؤاده كالماء يُندى ذابل الأغصان

محمد بن شيخ المساوى

من أدباء سيون وشعرائها

ماذا على وقد جرى نفس الصبا أن أسبل الدمع الهتون وأسكبا
إن النسيم يجدد الذكرى لمن أضحى بطارقة الغرام معذبا
وافى رتيا من أحب لقاءه أهلا بما حمل النسيم ومرحبا
لم أنس تطواني وجر الدليل ما بين العالم والمنازل والرتبا
يا عادلى لمى فإنى واجد حرّ اللام من العواذل طيباً
طرباً إلى ذكر الحبيب ومن يكن صباً إذا ذكروا أحبه صبا

أحمد بن عوض بأفضل

شاعر رقيق ومتسل كبير

من شعره يرثى بعض العلماء

لمتل ذا الحطب تجود العيون بوابل الدمع الغزير الهتون
مرزئة هدت متين القوى فى جنبها كل الرزايا تهون
أوحشت الربع وسكانه وأذبلت للمجد غصن الغصون

أشد نخطب وقصه مؤلم يقدر في القلب زناد الشجون
ذهاب أهل التقى إنهم يهدون بالحق ، به يعدلون

محمد بن حسن بن شهاب

من صفوة أدباء تريم

ومن شعره ما قاله وهو بسنقافوره تحت عنوان :

المدنية والعصر

مدنية لكنها جفواء وحضارة لكنها أفياء
مرجت عقول الناس حيث استحسنت من صنعها ما استهجن العقلاء
تدعو التهمك والسفور فضيلة وتناج ذاك الشر والفحشاء
أوحت إلى الجنس اللطيف بأنه هو والرجال لدى الحقوق سواء
وبأن جبار السماء ورسله هضموا عليه حقوقه وأساءوا
قادت إلى السوق الفتاة وسوقها لم يخفهن عن العيون كساء
والنحر والمضدان والفيضان كل أولاء باد ما عليه غطاء
وبكفها المرأة تصلح شأنها كيف اشتهدت ومتى وحيث تشاء
وسط «الترام» وفي الطريق تهتكاً إن التهمك للفتاة شقاء
جزت غداؤها فصارت وفرة لا حبذا بالوفرة الحسناء
تلهو وترقص في «المراسح» مثلها تريج فوق غصونها الورقاء
يرتج منها كل رجراج كجد ول زئبق لعبت به نكباء
وهناك تعتنق الفتى ويحوظها بذراعها فتليهما الأهواء

بالاحتكاك وبالتلامس والتها مس والشذى تتكهرب الأعضاء
وإذا غشيت المستحم ترى من الجنسين أسراباً حواها الماء
جنباً إلى جنب تعوم وقد علا ذاك الفضاء الضحك والوضوء
فكان ميل الجنس جرد منهما أفا تقر من الذئاب الشاء ١٩
لا وازع يزع الفتاة كئتما ترع الفتاة صيانة وحياء
وإذا الحياء تهتكت أستاره فعلى العفاف من الفتاة عفاء

عبد الله بالخير



الأديب عبد الله بالخير

ولد في بلدة غيل بلخير سنة ١٣٣٣ وسافر إلى الحجاز سنة ١٣٤٥ والتحق بمدرسة
الفلاح بمكة حتى نال الشهادة النهائية ومن شعره ما قاله تحت عنوان :

ثلاثة أعياد

لَمَنْ مَوْكِبٌ قَدْ سَارَ يَتْلُوهُ مَوْكِبٌ بأوله سأل (النقا) و (المحصب) ؟؟
«أهازون» في الركب العظيم توافدت إليه الوري - أم سار في الجيش (يعرب) ؟؟
أم البطل «المنصور» ما جت بحيله البلاد أم الجمعان فيها «المهلب» ؟؟
أم (الفصل الغازي) تبدت شموسه فقامت له كل البلاد ترحب
تبدى فأمست كل عين قريرة وكل فواد بالشور مكهرب

قدوم به (أم القرى) قد زينت (في كل حي مهرجان وموكب)
ولم يعج (السيل) بالشعب يوم أن قدمت وكل للقا يترقب
لواني إليك «الحجر» يمشي مرحباً وسار يلاقيك «الفناء» المحجب !!
توات مسرات على الشعب منذ أن قدمت . فكل بالمسرة مطرب
«ثلاثة أعياد» قدومك سالما وإقبال «عيد الفطر» باليمن مغرب
(وعيد) جلوس العاهل المنقذ الذي تميس به (نجد) وتقديه (يترب)
فأنعم به يوماً . لذكراه كلما يرددّها «التاريخ» يزهو ويضطرب
هو النعمة الكبرى على العرب كيف لا وفيه ابتدا (عصر السعود) المذهب !!
وفيه خطونا خطوة . سجلت لنا على صفحات الدهر بالفخر تصحب !!
وفيه غضبنا غضبة مضرية بأمثالها الأمثال في الناس تضرب
وفيه أرينا الناس كيف أمحادنا فأمجب بروح المجد إن كنت تعجب !!
وفيه اتقى (نجد) بقطر (محمد) فسارا إلى القصد الذي نحن نطلب !!
إلى (الوحدة الكبرى) يفود نحوهم موحدهم (عبد العزيز) المحجب !!

مَلِيكَ لَه « تاج » (بنجد) مُرْصَعٌ « وعرش » عَلَى أُفُق « الحجاز » مُطَنَّبٌ !
دَعَائِمُهُ فَوْق « الحطيم » و « وزمزم » وَرَقَّتُهُ أَعْلَى . إِلَى الشَّمْسِ أَقْرَبُ !!
تَحْفُ بِهِ مِنَّا الْقُلُوبُ وَدُونَهُ يَلِدُ لَنَا الْمَوْتَ الزُّوَامُ وَيَعَذِّبُ !!

ومن شعره الذي حبي به الكشاف العراقي بمكة ما يأتي :

تحية شباب العراق

(شبه الجزيرة) موطني ، وبلادى من (حضرموت إلى حمى) (بغداد) !!
أشدو بذكراها وأهتف باسمها في كل جمع حافل — أو نادى
منها خلقت . وفي سبيل حياتها سعي . وفي إسعادها إسعادي !!
كل له في من أحب صباية وصبايتي في (أمتي) و (بلادى) !!!

يا مرحبا بيني (العراق) ومن بهم يعتر كل موحد (بالضاد)
بيني الذي ملك البلاد بأسرها هرون رافع راية الارتداد
رسل (السلام) إلى (العروبة) كلها وبناة (وحدتها) بكل بلاد
بمحررين بلادهم بسيوفهم والقاطعين للداير الإفساد
بمطهرين بلادهم من كل من عرّفوا بكل دعارة وعناد
بالسائرين إلى الأمام بشعبهم المهتمين بسنة الأجداد

يا (وحدة العرب) التي نسعى لها حتى نشيدها على الأعماد
هذي بوارق نهضة محمودة علقت مبادئها بكل فؤاد
ومشت (مواكبها) وأقبل (جمعها) و (الله) قائدها و (أحمد) حادي !!!
سارت تطالب في الحياة بحقتها بالسيف سلته من الأعماد

من بعد أن هثل اليراع ولم تجد أحداً يخلصها - من الأوغاد
وكذا (دساتير) الحياة تنص أن لا حق إلا للقوى العادي !!

صالح بن علي الحامد

من الأدباء المرموقين



الأدب صالح بن علي الحامد

ومن شعره قوله تحت عنوان :

قبتارة العيد

لا رلت حماق اللواء سعدياً تلي ما عيداً ، ونلس عيداً

في كل عام تستقل بنهضة
نادى العروبة لا لابرحت مزيداً
أصبحت في العيد الأغر كروضة
ترهو أزاهرها ، ويملاً دوحها
ويسرني إذ كنت روضاً زاهرا
فأقبل تهاني شاعر قد صاغها
تسرى لوقتها نسيما سحسبجا
وجهت تهنئتي إليك وإنما
الخاطبي العلياء ما بنحسوا لها
الطالبين العز كسباً طارفا
لم يكفهم مجد الجدود فأقبلوا

وتجوز شوطاً في العلاء بعيدا
وعلى التآزر والوثام مشيدا
غناء ، ألبسها الربيع برودا
شادي الطيور أغانيا ونشيدا
أن كنت فيك البلبل الفريدا
لك ضمن أكام القريض قصيدا
وتفوح مسكا في حماك وعودا
هنأت فيك : الناهضين الصيدا
مهراً ، ولا متوا لها مجهودا
من بعد ما ورثوه - قبل - تليدا
يتأثلون إلى القديم جديدا

يه ، بني النادى لقد أعليتمو
قد أصبح النادى بفضل جهادكم
فعلى أساس العلم فابنوا مجدكم
فالعلم ، والأخلاق هما استجمعا
ما كان أسفه من جهول طامع
واستجمعوا الآراء واسعوا للعلا
لا تحقروا داء التفرق إنه
يا أيها العرب الكرام ! تقطنوا
يا إخوة الإسلام إن لدينكم
هل ترقبون من السماء ملائكاً
انا لأجدر في الأنام بنصره
هذي صدور العرب وهي حصونه

ركن المعالى باذخا وشديدا
تاجا على فرع الملا معقودا
وابغوا له الخلق الكريم عمودا
للشعب أدرك شأوه المنشودا
في أن يعز بجعله ويسودا
صفا وضموا للجهود جهودا
قد كان داء للشعوب مبيدا
ماذا بدينكم الخفيف أريدا ؟
ذمما على أعناقكم وعهودا
يتزلون لنصره وجنودا
وبأن ندافع دونه ونذودا
كانت له عهد الرضاع مهودا

غذته من دمها فتيها بعدما
سرت الحياة إلى الشعوب ولم نزل
منحته أخلاق الجنان وليدا
في حلما نطوى الزمان رقودا
كنا ملوكا في الحواضر سادة
أمن الترقى أن نصير عبداً؟

ومن شعره ما قاله في تأيين ملك العراق فيصل الأول في النادي العربي بسنقافوره :

نَمْ إِنْ بَنَدِكَ خَافِقٌ مُنْشُورٌ !
تهفو القلوب له وتصحبه المنى
ما زال وهو الفاتح المنصورُ
أبدًا تُحَوِّمُ حوله وتُدورُ
وتمدن أجيال له ودهور
لك بالبقاء جهادك الأنور
بالنور في لوح الخلود سطور
يهفو عليك ظلالها والنور
وتطوف حولك في رباهها الحور
طرف الخيال يعود وهو حسير
وبكائك فيها ذكره المسطور
شقت صدور للأسى وستور
لك في النواظر والصدور قبور
ما كان قبرك في البسيطة واحداً
في الشرق لولا الدين ، دين محمد

ويح الأثير ! وما يردد موحه
يا يؤسه ! إذ قال : أودى فيصل
نبا دوى كالصور يخرق الفصا
صمّت له منا المسامع واغتدى
رجفت له أرض العروبة رجفة
لم لا تذوب لهوله مهج الورى ؟
خوت القلوب له وصوحت المنى
كم ذا يهيج من الأسى ويشيرا
بطل العروبة ، فردها المنظور
كادت جبال الشرق منه تمور
وصداه فينا رنة وزفير
منها المحنى رضوى وماد ثبير
ولو أنها بين الصلوع صخور
وتداعت الآمال ، وهي قصور

لم يرزأ الدهر العراق يفقده
الخطيب خطب الشرق قد أحسى له
في حضر موت أسى وفي مصر جوى
وكذلك في صنعاء والأردن بل
أما الحجاز فلا تسل عن حالها !
أم أصاب الشكل حبة قلبها
لو تستطيع لولوت وزفيرها
والشام يندب فيه شهماً طالما
ملكاً قدها بنفسه وبماله
لم يحدّه في ذاك حبّ تملك
صدقت عزائمّه وجد مصاؤه
لولا انشقاق عصى العروبة لم يكن

وله في الغزل :

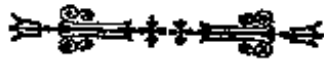
أنا يا هند في هواك قتيل
اتقى الله وارحمى لمشوق
أقترضين أن أموت غراماً
هند لا تسفكي دماء محبة
كيف تنسين عهد خلّ وفي

يا ابنة القوم هل إليك سبيل ؟
زفرات تعلو ودما يسيل
ودوائى رضا بك السلسبيل ؟
إن قتل المحبّ ذنب ثقيل
وبك ما هكذا يجازى الخليل

سدرات الوادى عليك سلام
حين نلهوم مع من نحبّ صغاراً
ولنا في ظلالكنّ أعان
هل لأيامنا المواضى رجوع

كم لنا في ظلالكن مقيم
تبع النوى منك حيث يميل
حين للطير في ذراك هديل
أم إلى من نهوى لقاء وصول

ما على الغادة البخيلة لوجا دت علينا وقد يجود البخيل
وأنتنا يوما وغاية ما نسال منها الحديث والتقبيل
كم سنين مضت لنا تلو أخرى وقوادى بهجرها متبول
أسأل الله كلما هل شهر أنها باللقاء فيه تنيل
هى فى الحسن ماها من شبيه وأنا فى الغرام مالى مئيل
ينحى حسن كل وجه وينحى إن بدا وجهها المليح الجميل
لست أدرى لحاظها حين ترنو أهى سحر أم أسهم ونصول
ملك أم حورية أم غزال حار فيها التشبيه والتمثيل



الشاعر الأديب علي أحمد باكثير



الشاعر الأديب علي أحمد باكثير

هو من أشهر الشعراء الحضرميين في العصر الحديث ، ومن أوسعهم خيالا
وأغزرهم بيانا ، وأقوام منطلقاً ، عالج مسألة الشقاق الحضرمي في المهجر ، وله في ذلك
قصائد عدة كان لها أثر عند الطرفين لأنه كان لا يتحيز إلى فئة دون أخرى .

من ذلك قوله في قصيدة :

أرى الإنصاف طبكم جميعاً
وليس كتلة الانصاف شيء
وما نيل السيادة بالأمانى
ولكن أهروها بالمعالي
ولم أر قط أسبح من عيين
ومادح نفسه بالحق يقلى
متى يا قومنا تتناصفونا
يفيظ على أصولهم البيننا
وما خلقت لقوم عاجزينا
تكونوا في الشعوب مسودينا
تسيد نفسها قطعت يمينا
فكيف بمادح في الكاذبيننا

مضى زمن الجود فودعوه
زمان ليس يعاو فيه إلا
وإن لنا مواهب ساميات
ألا فاستعملوها في المعالي
فقد اعبت بأدوار كبار
ولو ثقفت يوما (حضميا)
ووافقكم زمان العامليننا
عصامي جرى في السابقينا
- نى الأحقاف أدهشت القرونا
تنالوا في الورى الحد الأثينا
جدودكم الكرام الساقوننا
لجاءك آية في النابقيننا

وقال في قصيدة أخرى :

إذ لاح لى تبيح انقسام بنى أنى
فتمثلت لى صورتان : فصورة
بين الشعوب تجد في نهساتها -
شطوا وعالوا فى الشقاق وبنهم
ظلموا المبادئ إذ أساءوا هصمها
إن المبادئ لا تقيد ثمارها
فتصالحوا بيد الإخاء فأنما
وضعوا على أقدامكم ما قدمضى !
فيها بحيث تمايل العماء
قيد العيون ، وصورة نكراء !
اعبت بقومى - جهدها - البغضاء
دين ، ووحدة موطن ، وإخاء
يا للرجال المحسنين أساءوا !
ما لم يجدها الرفق والإغضاء
فوز العشير على العشير بلاء
ما بينكم ترة ولا أتلاء !

ودعوا السباب فإنه عار بكم إن كان يجمل بالكلاب عواء
قد آن أن تشفى الحقود . وتنتهى سنة الرقود . وتنبذ الأهواء
فإلى متى تبقون فى حال لها يبكى الخليم وتضحك السفهاء

وهو شديد الإيمان بالوحدة العربية ، وتكاد لا تخلو له قصيدة من هذه الروح ،
ونكتفى بأن نسوق للقارئ مثالا لذلك فى رثاء الملك فيصل بن حسين ملك العراق :

حائط العرب على العرب انهدم فعلى العرب سلام فى الأم !
طويت لما انطوى « فيصلها » ما بقاء الجيش من بعد العلم ؟

ومنها :

ليت شعرى سامع أسئلتى أنت ؟ أم فى مسع الموت صمم ؟
فيم ودعت - على أجزاها أمة العرب ولما نلتهم ؟
فيم عادت بى فحطان فى مرجل يغلى ، ونار تحترقهم ؟

ذالكم « فيصل » ابكوه وقد عاب عنكم شخصه والروح لم
من إذا ما عزم الأمر مضى وإذا ما أبصر الرأى عزم
وإذا ما قسدت زات به وقام يمشى - غير وان - يقدم
وإذا ما وقف الدهر مضى وإذا ما عبس الدهر ابتسم

ولما كان فى الحجاز وضع أقصوصته الشعرية التشيلية « همام ، أوفى عاصمة
الأحفاف » عالج فيها وجوه الإصلاح فى بلاده ، وانتقد فيها العادات السيئة ، والجمود
الخيم ، وتهكم فيها بالدجل والتخريف وقد طبعت بمصر سنة ١٣٥٣ .

ونورد فيما يلى نموذجا من شعره الفنى ، ونظن أن هذا يكفى لإعطاء القارئ
صورة مصغرة عن هذا الشاعر الشاب الذى لم يتجاوز بعد العقد الثالث من عمره :

بين الهدى والهوى

في طلوع الفجر الوأيد على الكون ، وإيدان ليله بالهروبِ
وهيوب الأنفاس من رُدِّي الصبح بروح يحيي النفوس وطيب
رنّ في مسمع الكون أذانٌ قُدُسيّ الترجيع والتشويب
سال - حتى عمّ الفصاء - حَنانًا ذائبًا في شعاعه المسكوب !
خافقًا عالمًا من النور والفتنة والسحر والجمال الغريب
رعشاتٌ من الغناء السماويّ (م) تخطّي الأسماع نحو القلوب !
إنما الدين الحقّ فنّ ظهور قد سما في معناه والأسلوب !

وقف (الشاعر) التقى يصلى في خشوع لدى الجلال المهيب
فرحًا قلبه يطير استنانًا في مجال من الأمان رحيب
مطمئنًا لو أنه احترق الكون ن جميعًا ما مسه ناهيب !
عمرًا بالهدى يكاد يرى الله (م) بعينه فهو جسد قريب
ربّ ! لم لا تراك عيني ؟ ألا تب دو لعينيّ عبدٍ إليك منيب
كليف بالجمال يصبو إلى المذبح مع عدد الأنبيوت فالأنبيوت !
فاطو عى الحجاب تشهد حفوني لحة من جمالك المحبوب

مرّة في سمعه خفيف استهم ناسب في فؤاده المنكوب
ما وعى السمع أودرى القلب إلا بعد حين من وقعه والنشوب
من رماه ؟ وأي نصل وعن أيّ (م) قوس رمى ؟ وفي أيّ حوب ؟
ولوى الجيد بسة فإذا هو مثال من الجمال النجيب
قرطالع عليه من الشرقة يرو إليه كالمذهب
لغنه الصلاة نحو المصلّي فادّراه بكلّ سهم مصيب

منك ، أم وهم ناظرٍ مكذوب؟
ونجاح المؤمن المطلب
ألك في موقف الصلاة الرهيب
بخشوعى إليك والترحيب
قلب، ويلاه! ربّ عافِ الذى بي!
بصالات شعره والنسيب!

بشهود الجمال غير قريب
فالتباعى كفارة لذنوبى
وقلدة من ذراعك المشبوب!
تنفِ عى متاعى ولغوئى
تنسم لى الحياة بعد قطوب»

لحكيم وشاعر وأديب
من يد الله ، ليس بالمحلوب
م نقايا تتأوب محبوب!!
علقت من أحلام لبل عجب!
ب ولكن أحلى من الترتيب!
آية من بدائع التذهيب!
أفم الجو من أريج وطيب
مرسل من غلائل وجيوب
فينعن بالبنان الخصب
فهلّا تمدّه بذنوب!
تلهى فى كفه بقصيب!
فى عروقى بهزة وهيب

ربّ! ماذا أرى؟ ألحة نور
أم مـلا كما بعثه بقبولى
ربّ! قلبى صبا إليه! كأن لم
أين ولى اطمئنان نفسى! ومن لى
ربّ! حل الهوى محل الهدى فى ال
وانتهى من صلاته وهو يهذى

«الهميى وحى الجمال! فهدى
إن تكن نظرتى لوجهك ذنباً
وابعتى لى - لتدقّى برّ دأى -
واصبّحى من خمر عينيك كأساً
وابسمى لى - والابتسام يسير -

«هى اغز يحلو التأمل فيه
هى فى إبسة التمثل حُسن
يالها حلوة عليها من النور
وبأهدايا خيوط صياء
مرسلاً شعرها على غير ترديد
خطّ فى خدها الوساد - سعيداً -
وأذاع النسيم عنها بلاعا
إن طيباً فى الحق ايس كطيب
بكرت تنصح الشجيرات بالما
وفؤادى أحق بالرى منهن (م)
وقفت وقفة الدلال أمامى
أرسلت ككهرباءها فتمشت

فكأننا (قُطبا عمود) ترى التَّيِّبَ يَكار فيه من جيئة وذهوب
(بين جهدى وجهدها أبداً فر ق) فما إن تكف عن تعذيبى
أيها (السالب) الجميل حنانى لك ترفق بمهجة المسلوب «

واستهل الصبح الجديد على الكون ن مُلِّقى بالبشر والترحيب
وأنى (الشاعر) الصلاة بقلب شاعر بالسلام والتثريب
مستنيب إلى الإله يُرَجِّى عفوهُ عن ضلاله والحبوب
فدوى فى أعماقه رَجَّعُ صوتِ كصدى الرعد أودوى الثوب
كيف يقوى على سنا (الرب) قلب جُنَّ لما رأى سنا (الربوب) ؟
والكلمات لا تنهى لدى الله فلا بد من بقاء الغيوب

النثر

النثر فى حضرموت سواء القديم منه أو الحديث قديم فى أسلوبه وخياله بسيط
فى أغراضه ومعانيه ، ولم ينل حظاً كثيراً ، ولا قليلاً من التطور الذى ناله الشعر ، وملكة
النثر عند الحضرميين ضعيفة ، وروح الكتابة خاملة كل الخمول ، إذ ليس هناك
صحف ينشرون فيها المقالات ، ولا أحزاب سياسية يؤيدون خطتها ، أو يحطون من
قدرها ، ولا نواد يتبارون فيها بإلقاء الخطب أو المحاضرات . ويسدون ما يجول فى
عقولهم من الآراء والأفكار ، فالظروف المحيطة بهم لم تساعدهم على تقوية ملكة النثر ،
ولم تهيئهم للبروز فى هذا الميدان الفنى الخطير ، ولكن نجد كتاباً منهم فى المهجر
فى أندونيسيا ، فقد ساعدتهم الظروف هناك إذ وجدت لهم صحف عربية ينشرون فيها
ما يكتبون ، ونواد يلقون فيها المحاضرات ، وكانت النتيجة من النزاع بين القديم
والجديد ، أو بين الأفكار العتيقة والآراء الحرة أن وجد حزبا الإرشاديين والعلويين
كل منهم يؤيد حزبه ، ويجاهد بالعمى والقلم لتبيان صلاحية مبدئه للمجتمع الحضرمي

فكان ذلك من أعظم الأسباب التي شجعت أفكارهم ، وأيقظت أذهانهم ، وهذبت إنشائهم ، وأمدت ثمرهم بشيء من روح الكتابة الفنية الحديثة .

اللغة العامية

واللغة العامية منتشرة انتشاراً عظيماً في الحواضر والبادي بين جميع طبقات الشعب المتعلمين منهم والأميين ، ولكنها على وجه العموم أقرب إلى اللغة الفصحى منها إلى العامية المتدنية ، هذا بالنسبة للغة العامية بمصر والشام والعراق والمغرب ، فهم يثبتون النون في الأفعال الخمسة سواء المذكر منها أو المؤنث إلا المثنى ، فيعبرون عنه بصورة الجمع ، وهناك كلمات عربية صحيحة كثيرة جداً ، ولكن طراً عليها بعض تغيير في النطق ، فهم يفتحون الحرف المكسور مثلاً أو يضمونه ، فكلمة الحزن ينطقونها الحزن بفتح الحاء والزاي ، والجهل بضم الجيم ، وينطقون حضرموت بضم الهم لا بفتحها ، والحضارم يعبرون عن كاف الخطابية بالشين ، فيقولون مثلاً هذا حوبس أى توبك ، واحل ذلك من قاي لغة بني أسد ، وهم يبدلون حرفي التسوييف بالباء ، فيقولون مثلاً : في الشهر الآتي باسافر إلى جاوه ، أى سأسافر ، وإذا أرادوا نقي شيء يقولون - ماهو - هذا ما هو طويل ، أى ليس بطويل ، ويعبرون عن الشيء الجميل بكلمة - زين - كما هو الشأن في العراق ، فيقولون : هذا الشيء زين ، أو - هورين ، وكلمة - عيف - أى قبيح أو رديء هي الشائعة عندهم وهم يستعملون [جيم] بدلاً من جدا ، فيقولون : طويل جيم ، و [لي] تقوم عندهم مقام أسماء الموصولة سواء المذكر منها أو المؤنث والمفرد أو المثنى والجمع ، فيقولون لي جاء أو لي جاءت أو لي جاءوا .

وتختلف اللهجة في البوادي ، أو ما يشبه البوادي كدوعن وعمد ومهد وغيرها عنها في الحواضر ، كبلدان السواحل ، وحضرموت الوسطى من الفرطة غرباً إلى عينات شرقاً ، ففي البوادي تجدد الحشونة تسود كل الكلمات ، وكثيراً ما يستعملون بحركات الأيدي

في التعبير لا يصلح المعاني إلى ذهن السامع ، ويتكلمون بسرعة وبصوت عال ، وإذا مرت بمجلس من مجالسهم خُيل إليك أنهم في معركة ، وذلك لأنه قد يتكلم اثنان أو أكثر من اثنين في آن واحد ، أما في الحواضر ففي كلامهم مسحة من الرقة والسلاسة ، ومن عيوب الحضريين أن كثيراً منهم ينطقون بالجيم ياء في التخاطب دون الكتابة ، وقد بدأت الكلمات الملايوية تتسرب إليهم لكثرة مواليد جاوه هناك ، فكلمة إزار يقولون عنها سارونق وتوآ تروس .

والشعراء باللغة العامية كثيرون جدا في الحواضر والبادي ، وأكثرهم يقولون الشعر ارتجالاً ، وأشعارهم تمثل الحوادث وتصف الأبطال وما قاموا به من الأعمال العظام وما أشبهها بالشعر القصصي ، وقد تشمل أشعارهم الهجو والتعبير لإثارة الحمية وإيقاظ الفتنة أو للأخذ بالثأر ، وقد تشمل النصح والموعظ ، وتشمل أيضاً الغزل ، ولبعض شعرائهم أمثال ابن زامل ، وعمر باعطوه ، وعبد الحق السنوني ، ويحيى عمر اليافي وغيرهم صفة الخلود ، فأشعارهم وأقوالهم تتلى من أمد بعيد إلى اليوم ، ولنأت بنماذج من الشعر باللغة العامية :

قال عمر بن محمد باعطوة يحيى السائح الألماني ليوهرش^(١) :

يا الله يارباه	ياجزل العطا	يا منطلع لحوال	لي مسروره
اغفر ذنوبى	ياعجيب الداعي	يامنشى البارق	وخصب ثغوره
في ساعة الحسبة	تعاون عبدك	على الشهادة	يجيبها تسبوره
ولا يفرغنا	نكير ومنكر	إذا عظامى	في الترب مقبوره

(١) جاء ليوهرش Leo Hirseh حضرموت سنة ١٨٩٣ ، ونشر رحلته في كتابه سنة ١٨٩٧ بعنوان : Sud - Arabien Mahra - Land und Hadramut ، وقد استمر سنة في طريقه إلى داخل البلاد وقد ذهب من عدن إلى البحر ، ثم إلى سيحوت فالسنن ثم إلى المكلا ، وهنا خاتمه شجاعته وآب إلى عدن واسكنه عاد ثانية مزودا بحماية الحكومة البريطانية إلى المكلا ، وهو أول أوربي وقع نظره على مدن سبام وسيون وترجم .

يقول باعطوه ضوانا طارش (١)
هو هرش من سلطان قوم الجرمل (٢)
يلا (٣) أصبحوا بالآلاتهم وأقوامهم
يلا مرا كهم تخوض الغبه
أهل المناور لى (٤) ثمتها على
ذا فيك يا مولى خيول صوافن
وأنت عمود الباب وأنت السده
خرج لوادى حضرموت يطوفه
عزك ورحب بك صلاح محمد
وبعد يا عانى بنخط مسطر
والترجمان أنشد عليه وقل له
يشير من له فى الرياسته مدخل
ذالى حتمل واعذر عمر باعطوه

من الولاية شاهره مشهوره
له البيارق كلها منشورة
تقع له الخانات والندوره
يا طرف ارفع يلا نفخ طنبوره
منتحسه والقوا عليها نوره
ذى فلك من ضرب الخصى مقدوره
وأنت قوام الباب واليسوره
فيه القعيطى ينكر المنكوره
ودولة الجرمل تبا (٥) تستوره
للصاحب إلى (٦) له بلد محزوره
لبر بيع معرفه ومنشوره
هرش الذى هى زائدات حزوره
تقاد يافع فى الفتن مذعوره

وتجلى النغمة الموسيقية فى شعر باعطوه ، وذلك لأن أكثر أشعاره تقال فى الأغانى الشعبية لاسيما تلك الأشعار التى تصف الحروب بين يافع وآل كثير والتى لها علاقة بالغزل ، وآل باعطوه وهم ينتسبون إلى بنى هلال أشهر قبيلة فى حضرموت دمشق الطرب وتحترف به .

وقال أبو بكر بن شهاب يرثى السلطان عوض بن عمر القعيطى :

سبحانك الله يا قيوم يا كافى
حكمت بالموت ما فى وعدك اخلافى
ساويت بين الخلائق ناعل وحافى
نطلبك يا ذا الكرم يا عالم الخافى

يا المنفسد بالبقا يا داييم السلطان
وكل من هو عليها غير وجهك ذن
ما باقى إلا أنت وحدك يا عظيم الشأن
تصفح عن الذنوب يا تواب يا منان

(١) أنا نا ضيف (٢) حرم (٣) إذا .

(٤) التى (٥) زيد (٦) الذى .

إلى أن قال :

ناول كتابي رفيع الرتبة الوافي
راقى سرير الرياضة كفوها الكافي
وصالح الصقر فوق الجيش هفافي
وصالح السيف مافي وعده أسوافي

إلى أن قال

بموته اهترت البلد والأطراف
والمخلق ضجت وبلت بالثغراف
سرح عوض بن عمر قفاز الاوافي
ضجت عليه الملا وكل الأصناف
والسادة أهل المعارف والتعاقف
والعلم وأهله شوافعهم والأحناف
حزن يافع على هزاع الاشمافي

إلى أن قال

شديد أسه على عاصيه والجافي
يكرم ويكرم ويتحنن على العافي
يلغ مراده ويمن كل محتفي
قسمه من اعزم واتمة وقع وافي

وهل الشاعر مهدي على أبو زيد القانص المتعبدة الآتية تحية لجلالة مايك العرب

عبد العزيز آل سعود :

أهدى من سخر جميع السحاب
و كما له فيما خلق من عجاب
ورتب عبيده كلهم في مراتب
بين السماء الأرض نسمع رعوها
وآيات يصخر من كفر عن ججودها
ذا في أسفل الدنيا والآخر عموها

راجيه يكفيه جميع المصائب
وصلوا على من نال خير المراكب
المصطفى حبيب رب الحبايب
وتم قال من قد بات ذا الليل غائب
يحكم قوافيه في الشعر راغب
وهاجسى تهيص يجيب الغرائب
بامدح وبانتى على الكرام الأطياب
إخوان من طاع العزيز المحاسب
هم فرقة التوحيد خير المذاهب
فانونها القرآن لى به تخاطب
يسوسونها فرسان خير المناسب
إلى أن قال

وعبد العزيز الرأس له رأى صائب
رجل الشجاعة والدهاء والتجارب
يغالب بأمر الله والله غالب
هو لى قيدها ويطلق قيوده
يعرف يصدرها ويحكم ورودها
وأمتة فى طاعته بلغت جهودها

الأغانى الشعبية

والأغانى الشعبية منشرة فى الحواضر والبوادي ، وأكثرتما تظهر آياه الرخاء حيث
تهدأ الهواجس وتطمئن الخواطر ، وللحوادث الخلية دخل كبير فى إبراز الأغانى وإداعتها
بواسطة الأفراد المنتقلين من مكان إلى آخر . فنزول الأمطار بكثرة وقدم السيل
وما ينتج عنه من خير أو تخريب والإصلاح بين المتحاربين ، وانتشار الأمن ، والسلام

بعد الخوف والجزع ، والقيام بالمشروعات النافعة العامة والكرم والعدل والبطولة والبروة كل ذلك يخلق أعاني شعبية يتغنى بها الرجال والنساء والولدان ، وكل الأشعار التي تقال للأعاني عامية ، ولكنها تمثل عواطف قائلها وأحاسيسهم بوضوح تام ، والنفحات حلوة عذبة ومتجددة في حضرموت الوسطى [حدرى] ، ولكنها في غير هذه المنطقة تسودها الحشونة والتذبذب ، وتكاد تكون الأصوات ذات نغمة واحدة والتجديد فيها غير محسوس .

ونورد هنا بعضاً من الأشعار العامية التي تقال للأعاني السائرة :

« بَلْرَبِيدَانُ تَحْتِ الطَّسِّ مَحْوِي ، وَبِنِ لِي نُهْمُ يَجْبُونِ العُضِيَّةَ . وادي العين يا حيا مسيره »
و بلربيدان : أحد كبار المرابين كان يسكن داراً على مقربة من وادي سَرِّ وصادف أن جاء سيل عظيم [سيل لكابن] سنة ١٣٣٥ ، وأحاط الماء بداره من كلِّ جانب وأخذت الجدران تتداعى للسقوط ، فاحتضن بلربيدان الطس ، وهو القدر الكبير ، وكان مملوءاً بالنقود التي ادخرها ، لثلا يكسحه السيل ، فيصبح فقيراً ، ولكن البيت اهدم عليه فالتائل يسأل الناس أن ينتشلوا جثة ذلك المسكين من تحت الأتقاض .
وقال آخر :

« وِشْ يَصْبِرُّكَ مِنْ خَلْتِ حَمْسَةَ أَيَّامٍ مَحْسُونَةٌ : ليلة السعد معروفه . »

فالتائل يصرح بأنه من الصعب أن يغيب الشخص عن حبيبته خمسة أيام .
وقال آخر :

« رَيْتِنَا قَعَّ شَارِحِ الحِرَافِ ، بَاتِكِي عَلَى السَّعْفِ وَبَاتِقِرِ المِقْرَافِ ،

وَ بَاتِقِرِ الفَرِيحِ وَالْقَبْرِ فِي نَحْرُهُ : يانسعب الحصيصة ريتنا حله »

وهذا نوع آخر من الغزل ، فهو يشبه حبيبته بالحراف ، وهو أحسن أنواع النخل ، ويتمنى أن يكون على مقربة منها لينال منها وطره ، ثم يموت بين يديها شهيد حبه .
وقال آخر :

أَلَا يَا طَيْرَ يَا نَخْضِرُ ، فِين مِمَّسَاكِ اللَّيْلَةِ ، أَنَا مِمَّسَاكِي عِنْدَ أَهْلِ وَائْتِهِ مِمَّسَاكُ بِالسَّيْلَةِ :
هو يخاطب حبيته التي شبهها بالطير الأخضر ، وهو أجل الطيور التي تأتي في
الربيع ويسألها في شيء كثير من التواضع أن تبيت عنده .
هذه هي أربعة أصوات من الأغانى الشعبية ، وكلها أصوات [حدرية] ، وكنا
نريد أن نكتبها بالنوطة الموسيقية ليفهمها غير الحضارم ، ولكن ليس في استطاعتنا ذلك .

الرقص

وآلات الطرب في حضرموت لا تتجاوز العود والمدراف والمزمار والطبل الصغير
[المرواس] ، والطبل الكبير [المهاجر] ، وتتألف الفرقة من واحد إلى خمسة ، وهم
يغنون بصوت واحد ، وعلامة الإعجاب عندهم قول : [الله] مع مدّ الصوت كما هو
الحال في مصر ، وقد يضيفون إلى لفظ الجلالة كلمة [وَوَلَّكْ] مرتين ، وعند ختام الغنوة
أو الدور يقولون للطرب [أحسنت] ، وهم لا يصفقون المطربين لإظهار سرورهم منهم
سواء عند الابتداء أو الانتهاء ، ويختلف الطرب عند النساء عنه عند الرجال ، فعند
النساء تتألف الفرقة الموسيقية من مطربة واحدة تغنى على ضربات الطبل الذي تحمله
بين يديها ، وجلّ ما تقوله المطربة من الشعر مدح العريس والعروس ، وأشهر
المطربين أو المحترفين بالطرب ، هم آل باعطوة وآل بطيق ، وعليهم تتوقف حفلات
الزواج وغيره ، وهم يتناولون في مقابل ذلك أجراً قد يكون كبيراً .

والرقص يخالف في أكثر مظاهره الرقص الأوروبي الحديث ، وكذا الرقص
الشرقي المعروف بهذا الاسم في مصر ، فهو في حضرموت نحو ثلاثة أنواع :

الأول : ويقال له [الزفين] ، وهو أن يرقص [يزفن] اثنان على نغمات الطبول
والعود ، ويتجهان في رقصهما إلى المطربين دون أن يتماسكا ، ثم يعودان إلى الخلف
مسافة خمسة أمتار تقريباً ، ثم يتجهان أيضاً إلى المطربين ، وهكذا حتى ينتهى الدور ،

أما المتفرجون فيجلسون على شكل مستطيل ، وبينهم فسحة واسعة للرقص ، وهذا النوع أحسن أنواع الرقص إذ عليه مسحة من الفن الجميل ويحتاج إلى شيء من المهارة .
الثانى : يقال له [التَّسْرِحُ] ، ويستعمل له طبل واحد فقط ، ويقف للمتفرجون على شكل دائرة كبيرة ، ويصفقون تبعاً لضربات الطبل ، ويغنون أغاني بصوت مرتفع جدا ، وفى وسط الدائرة يرقص اثنان قد يكون أحدهما امرأة ، فيمسك كل منهما يد الآخر ويرقصان وجهاً لوجه محاذيين محيط الدائرة ، وهذا النوع منتشر فى البوادي أكثر منه فى الحواضر ، وهو محبوب عند العبيد ، ويفرع من هذا نوع آخر يقال له : [الدحيفة] ، ويوجد بكثرة فى دوعن وعمد ووادي العين ، وهو لا يختلف كثيراً عن النوع الثانى فى مظاهره .

الثالث : هو المسمى [البرَّعةُ] ، وهذا لا تلتقى فيه أغاني ، وإنما تضرب الطبول المساة : [الطياله] ، ويقف المتفرجون على شكل دائرة كبيرة ، وفى الوسط يرقص اثنان أو أكثر من اثنين مشهرين الخناجر [الجنابى] ، ويتجهون فى رقصهم اتجاهات حلزونية .

الشبوانى

ويوجد نوع آخر من الألعاب يقال له لعب الشبوانى ، ولا تستعمل فيه شئ ، من آلات الطرب ، ولكن يتبارى فيه الشعراء ، ويرتجزون الشعر بحماسة شديدة ، ويتناول ما يقال من القصائد المدح والهجو ، وسياسة الحكم وقد الولاية ، فالشبوانى عبارة عن مدرسة يتعلم فيها الناشئون الشعر ارتجالاً هو من أكبر العوامل لسرعة البداهة ، وشحن الذاكرة ، وتقوية ملكة الشعر .

ظفار



مدينة ظفار

يمتد إقليم ظفار من سيحوت غرباً إلى حدود عمان شرقاً ، وهو عبارة عن هضبة يبلغ ارتفاعها ٣٠٠٠ قدم تتدرج نحو الشاطئ شرقاً وغرباً ، وتراجع في الوسط فتضم بينهما سهلاً يشبه في شكله الهلال ، وتهب على هذا الإقليم الرياح الموسمية الجنوبية الغربية صيفاً ، فتلطف مناخه ، ويسقط المطر على الجبال فتفيض خيراً ورخاء ، وفوق هذه الجبال تنمو أشجار الكندر الذي تشتهر به بلاد العرب ويصدرونه إلى بلاد الهند ليستعمل في معابدها ، ويحصلون بدله على الأرز والأقمشة والبن والطيب ، وهو مصدر ثروة ظفار منذ أمد بعيد ، وعلى الرغم من أن هذه الجبال تكوّنت هي وجبال حضرموت في عصر واحد ، وهو العصر القديم ، فإنها تخالفها من نواح جمة ، فهي هنا

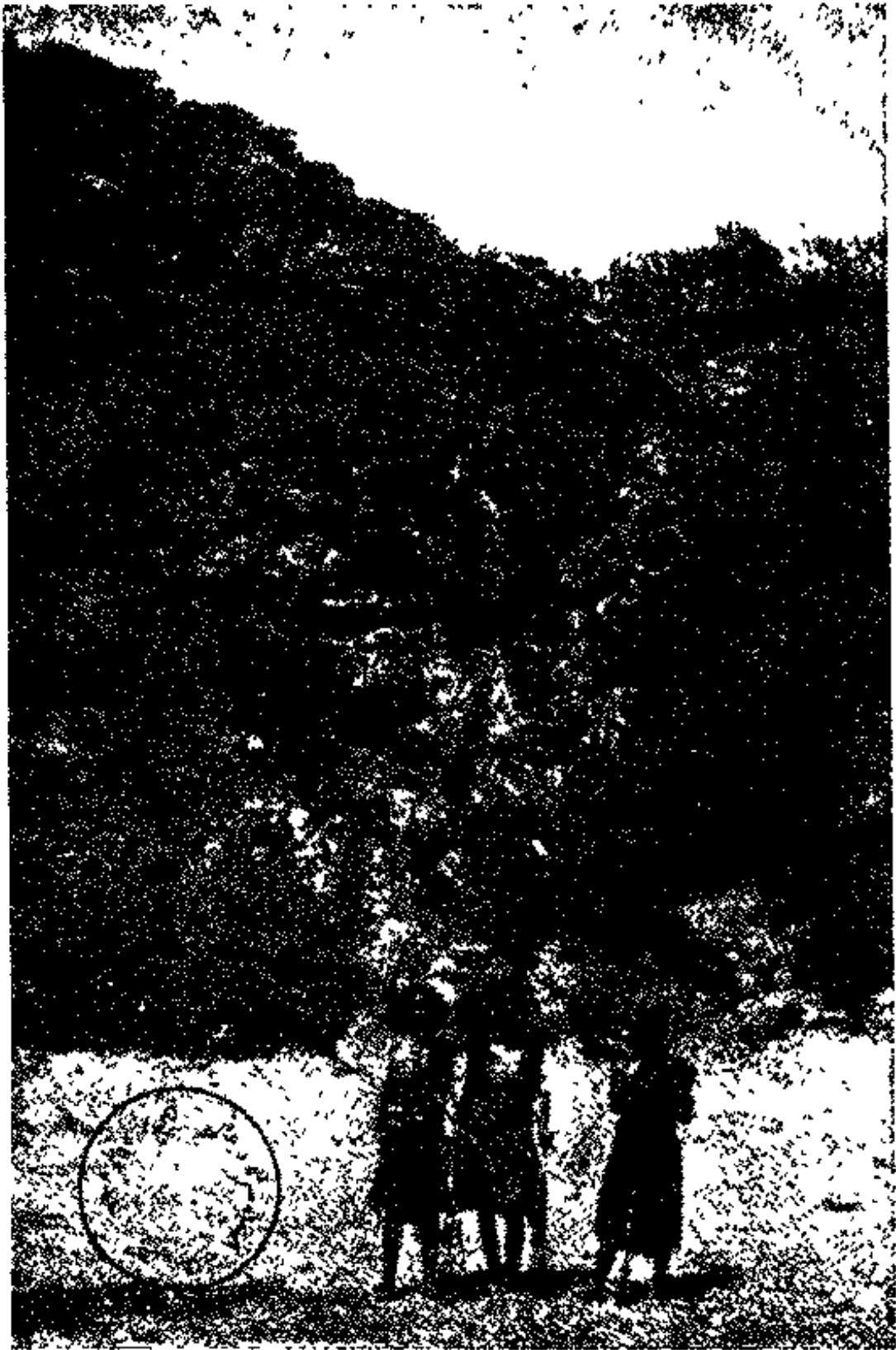
مقوسة الشكل تنحدر إلى الساحل وإلى الداخل تدريجياً ، وتضمّ بينها وبين الساحل سهلاً واسعاً ، والصخور الجيريّة تكاد تكون مفتتة مختلطة بالرمل وتشقها وديان طولية وعرضية ، وتكسوها الأعشاب ، تتخللها أشجار كثيفة .



جبال قرا

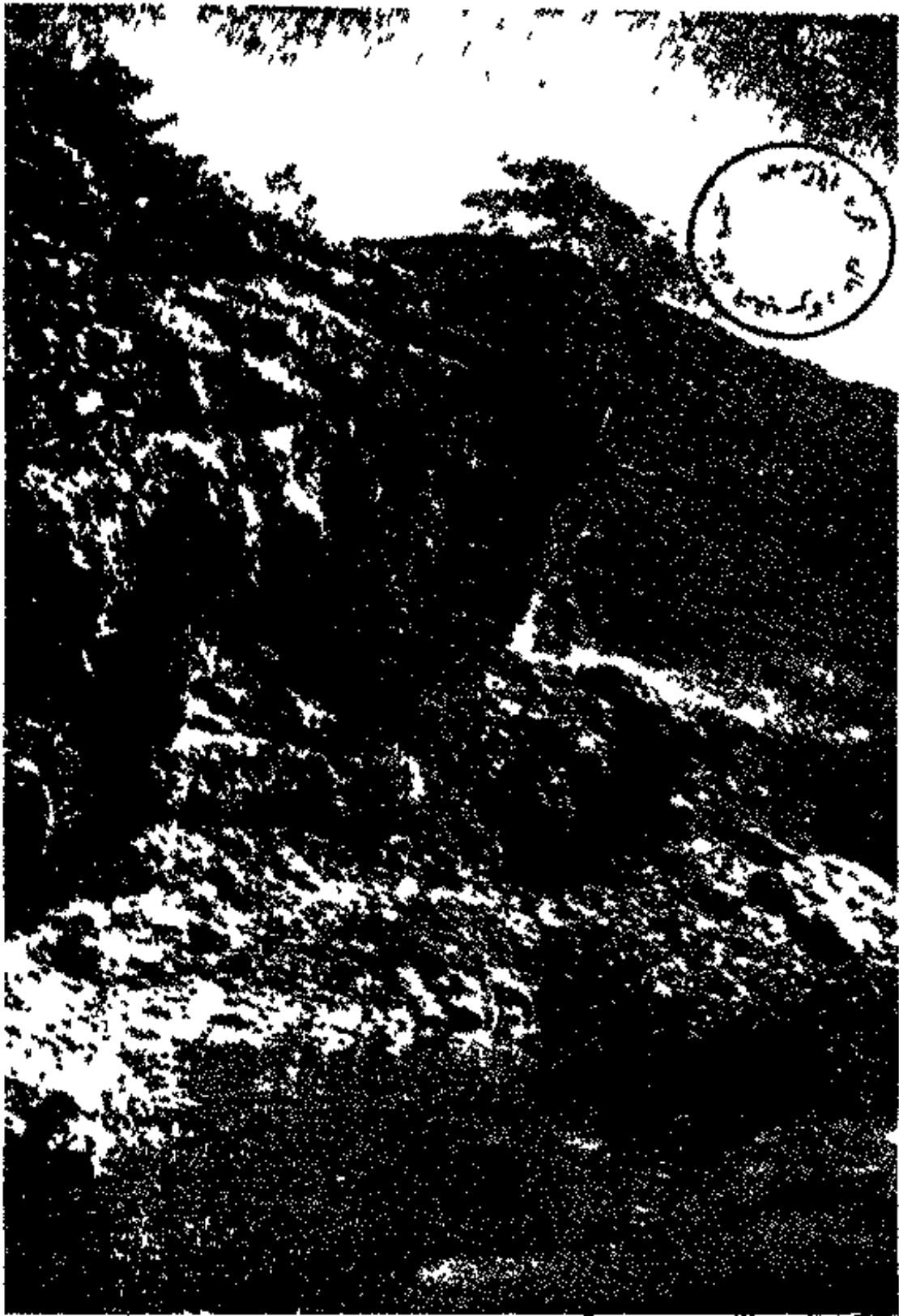
وجبال قرا تبدو كأنها مأوى طبيعي للأقوام النازحين قديماً الذين هاجروا تحت ضغط شعوب أكثر رجولة وشدّة منهم نحو الجنوب أو الشرق ، أو هوجوا من ناحية البحر ، بالروعة هذا البقعة من الأرض ! جبال طاعنات في السماء ترتفع إلى أكثر من ثلاثة آلاف قدم تشارف محيطاً يقع في المناطق الحارّة ومنحدراتها نحو الشاطئ أرجوانية ملأى بالأجوات .

وذراها زكية بالمراعى الصفراء ، ومن بعدها تنحدر الجبال نحو الشمال إلى منطقة الإستبس رمالها حمراء ، وتكثر هناك الصخور الحمراء يزيد ارتفاعها عن ثلاثمائة قدم ، ومقدم الصخور قد حضرت فيها الطبيعة فجوات ، ويكثر في هذه الجبال الضباع والذئاب



أجاص في قرا

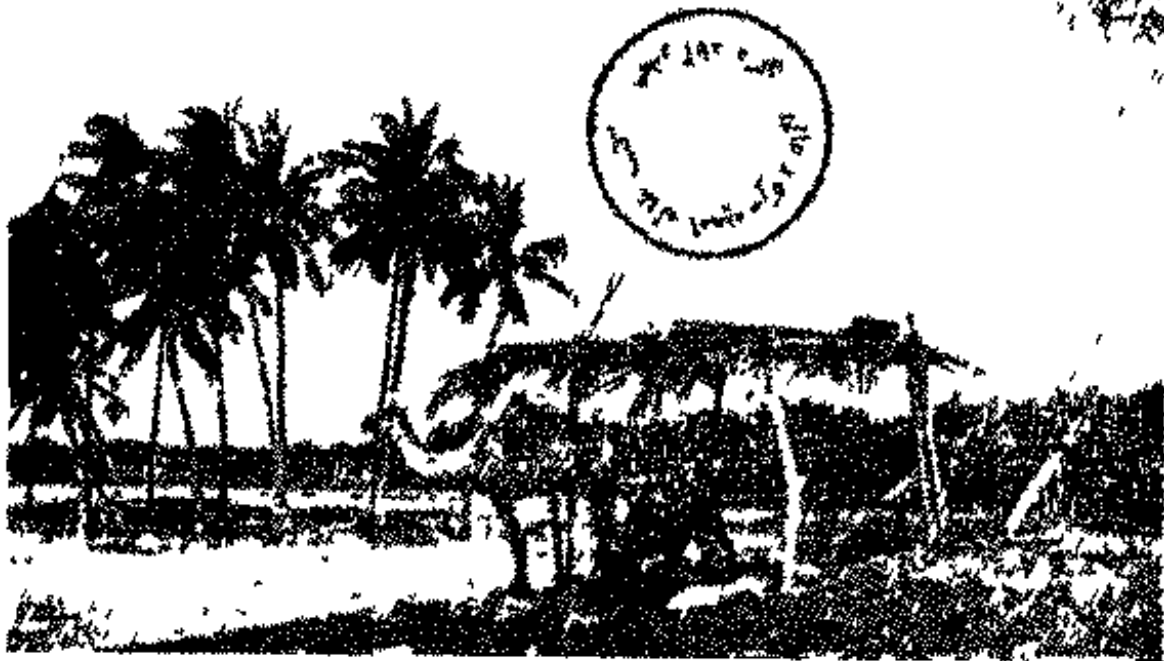
والأفاعي وغيرها من الزواحف ، وكثير من أنواع الطير والقراش والحشرات ، والماء



هــيرى حل تـوا

مـوحد بـكـترة أعـر مـما هـوى إنـلـم حـجر، هـ مـون الـى كـون الـ مـتـ
فـى الأودـية .

وأشهر هذه الهيرات نهر الريزات ، ويبع من كهف في بقعة مسطحة من المدرج الجبلى على بعد ميلين من بلدة العود ، وتدفق ماؤه في مركة متسعة تحف بها أشجار البوص في ارتفاع الإسان ، وبلوى الأهالى في هذا الهير مص الأظعمة ، وهى تمتل لديهم أرواح أسلافهم ، ويقولون : « نحن أساؤكم وبناتكم لاتلحقوا بنا أى أذى واطردوا عنا الأرواح الشريرة » ولهذا العادة حرافة شائعة لحواها أنه في عهد ولاية سليمان بظفار يقابل بيت رنان ، وهو فرع من قبيلة الشحارى مع نبي قرا على رعى الصحانا والندور في تلك المطعة ، واحتكوا اسلمان همصى بأنه سييدهم بالمواد اللارمة لعمله ، ويصح للحكومة نصيب في علة الأرض ، ولما حارب نبي قرا حرضوا عليه أجدادهم (المتثلين في ماء النهر) ، فأصبح النهر سير إلى أعلى الجبل ، تحف السهل ولم يبت شتاً فحسرت الحكومة ، وتحدثت في هذه القاع خرعملات كثيرة ترجع إلى



مزارع في طفار

أصل ونى ، في حُرْمب مثلاً يطوف قبل الحصاد بفترة حول الحقول ، ثم يدحونها ويريقون دماء في ماء الجدول ثم يقطعونها إربا ويرمونها في وسط الحقول ، والماء

العذب متوفر حول المدن على عمق قامة من سطح الأرض ، ولولا منافسة القبائل
لحفرت الآبار الارتوازية تجمل السهل جميعه نضيراً ، ويستخدم العبيد أو الثيران
أو الجمال لرفع الماء من الآبار لرى حقول القصب والقمح والذرة والقطن والنيلاج ،
وتستولى الحكومة على جزء من ستة عشر من المحصول كضريبة في السهل ، وعلى جزء
من خمسة من محصول الجبل ، ولكن قرارات الحكومة لاتسرى على أهل الجبل تماما .
وتقيم في هذا الأقليم قبيلتان : بنوقرا أو القريون في الجبال ، وتعيش على الرعى
وزراعة الكندر .



شجرة الكندر

وفى كثير في السهل ، وتعيش على صيد السمك والزراعة والتجارة ، وفى فصل
الصيف المطر عند ماتعذر الملاحة بسبب الأعاصير يصعد أهل السهل إلى الجبل لحصاد
الكندر ، والقبائل فى نزاع مستمر ، والقوضى ضاربة أطنابها فى طول البلاد وعرضها
تتخلها قنرات قليلة من الحكم القوى ، وليس للبلاد تاريخ مدون ، والجهل متفش بين

الناس بحيث لا تجد شخصاً يقص عليك ولو طرفاً مشوها من تاريخ بلاده إلا السكحول ، وعامة الناس مشاغبون محبون للحرب والقبائل متنافرة متنافسة ، ولهذا كان النظام والقانون أشق الأمور ، فالناس هناك يحبون الحرية الشخصية التي لا تعرف قيوداً أكثر مما يحبون الحياة ، ولم يخضعوا للحكومة غريبة عنهم إلا بعد معاناة الأمرين ، وبعد أن استنفدوا كل مجهوداتهم في مقاومتها يبدأ تاريخ ظفار فيما بعد الإسلام بحكم محمد بن أحمد المنجوى ، وما زالت بقايا عاصمته الدارسة قائمة في خورورى ، وهو اسم قديم لا يتداول إلا على شفاه هؤلاء الناس ، وهم يعززون كل تخريب في البلاد إليه .

وخلفه سليم بن إدريس الجبوضى سنة ٦٩٧ هـ و ١٢٧٩ م ، وأصله من حضرموت وفي القرن السادس عشر حكم البلاد سيف الإسلام الفسافى ، وهو من صنعاء اليمن ، وكانت قلعة بِلْدٍ مقرّ حكمه ، وهى اليوم أقم مخلفات سهل ظفار ، وبعد قرن من النزاع بين القبائل حكم شخص من بنى كثير تلاه عصر لا يعرف عن تاريخه شيء اللهم انه استمرّ طيلة القرن الثامن عشر ، ثم حكم شخص آخر من العلويين عشرين سنة فى أوائل القرن التاسع عشر حتى قتله بنوقرا ، وفى سنة ١٢٩٨ هـ قدم شخص يدعى فضول ابن عليوى ، وهو حضرمى الأصل ، وادعى أنه موفد من قبل الحكومة العثمانية ولكنه طرد ، فوجه أهل ظفار أبصارهم إلى البيت الحاكم فى مسقط ليحكمهم أيضا ، وقد استقرّ الحكم نوعا ما بالنسبة للبلاد الأخرى ولو أن أسسه قد وضعت بالدعاء ، وهى قصة تستحق الذكر لأنها تكون جزءا من التاريخ الحديث فحسب بل لأنها تلقى ضوءا على نفسية الحكام والمحكومين فى ذلك الصقع النأى من بلاد العرب .

كان سعيد تركى بن سعيد جدّ سلطان مسقط الحالى هو الذى طلب إليه أهل ظفار حكمهم ، وكان له عبد اسمه سليمان بن سويلم كان قد عينه قائداً لجيوشه ، وهو أمر مألوف فى بلاد العرب ، وكانت له شهرة واسعة بين قبائل عمان إذ اشتهر بالشجاعة والإقدام وشدة المراس ، وهو خير كفاء لحكم بلاد مضطربة كظفار ، ولذلك عينه تركى والياً عليها ، وقد أتى سليمان على رأس فئدة مكونة من ١٨ جندياً وضل إليها شردمة من الأرقاء وغيرهم ، واستطاع بذلك أن يستولى على قلعة مدينة

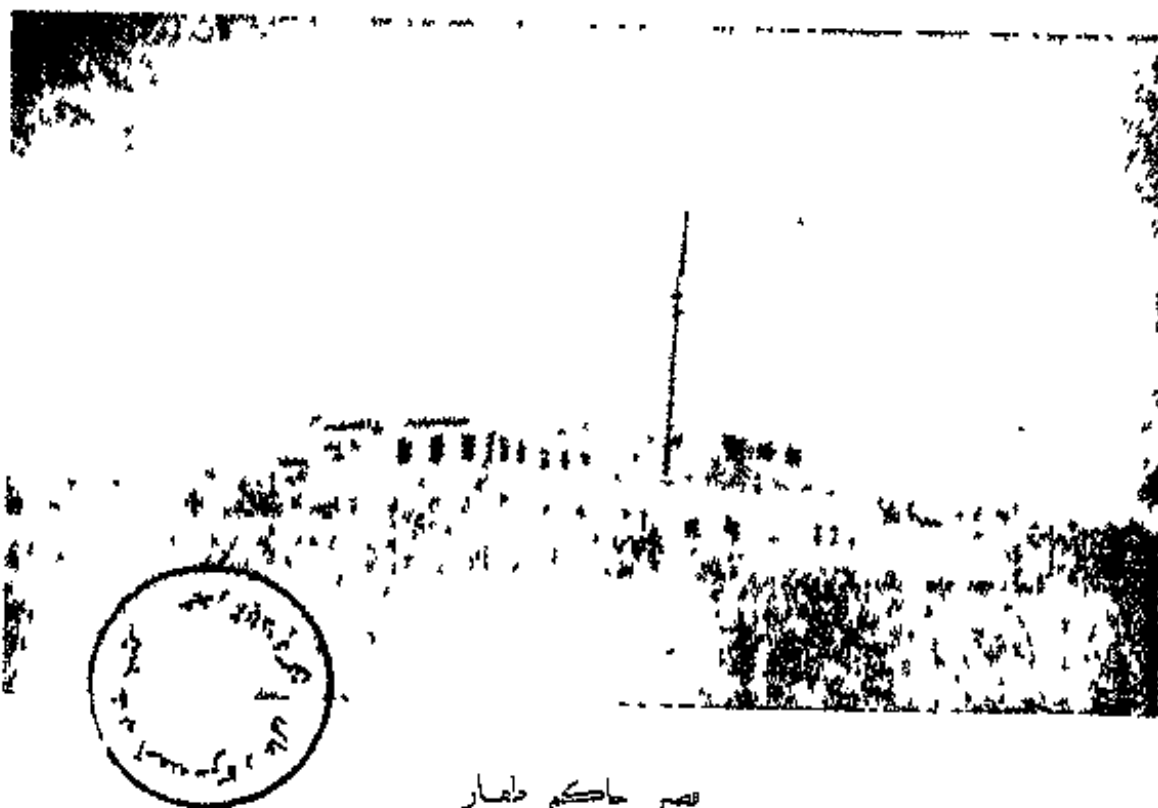
سلالا ، وهي أكبر مركز تجارى فى ظفار ، ولكن القبائل المتمردة لم ترض عن أحكام سليمان القاسية وجمعه الضرائب ، وسرعان ما تدمرت قبيلة قرا ، ولو كان شخص غير سليمان الجين ، ولكنه كان لا يعرف التراجع ، فظل على صرامته إلى أن قتل بنو قرا أحد جنده غدراً فى حران ، فاضطر لمنازلتهم وانضم إليه بنو كثير وحاربهم ، وكانت النتيجة فى صالح سليمان إذ أقسم بنو قرا يمين الولاء وقدموا له ١٠٠ رأس من الماشية هدية ، وبالرغم من كل ذلك ظل سليمان يتبع طريقه الإرهابية فى الحكم فثلاث قتل أحد أفراد القبائل بعد أن عذبه لأنه اعتدى على قافلة حتى يكون عبرة لغيره ، فبدأت القبائل تتدمر من جديد ، وانداع لهيب الثورة ، فاضطر لمحصرة بنى قرا فى الجبال بمنع السردين عنهم وهو طعام أساسى للجمال فى فصل الشتاء ، وبعدها ثلاث سنوات حافلة بجلائل الأعمال استدعى سليمان لعمان ، وبذلك نجح من سحق القبائل ونصب بعده ولديه على وسعد فاتهم الأهليون فرصة غيابه ، وعاثوا فى البلاد فساداً ، ومن ذلك أن قبيلة كثير دبرت مؤامرة محكمة للاستيلاء على مخازن الحكومة ، وهى مملأى بالزبدة والأرز والبلح من الضرائب والعشور ، وتنطوى هذه المؤامرة على أن يأتى شخصان من القبيلة يمتحنان إلى الوالى فى خصومة بينهما ويستدعيان شهوداً من القبيلة حتى يفص بهم مقر الحكومة ثم ينفذون المؤامرة ، وقد نجحت تماماً إذ فى صبيحة أحد الأيام جاس على وسعد عند باب القلعة وحضر المتخاصمان والشهود ، ثم أديرت على الجميع أقذاح القهوة وبإشارة من الزعيم انقص المتخاصمان والشهود على الواليتين ومن كان حاضراً من الجند ، لأن أغابهم كانوا قد انبثوا فى أرجاء البلد نقصاء عليهم اليومى ، واستولوا على ما فى المخازن وهدموا القاعة من أساسها ، ولم ينج من الجند إلا عبد اسمه بخيت ابن نوبى وأربعون جندياً هربوا إلى مرباط فى كنف صديق لهم من بنى قرا ، وكان هذا العبد مولى سعيد ، وهو أمر عادى أن يشتري العبد عبداً له ، ولكنه لا يتصرف فيهم بالبيع أو الهبة ، وإذا مات أصبحوا ملكاً لسيده ، وكان على بخيت أن ينتظر حتى تصل الأخبار إلى مسقط ويأتية المدد ، ولكنه تصرف بذكائه وكياسته فأقنع الثوار بأن خير منجاة لهم انضمامهم إليه ، ولم تسمح الظروف لسليمان بالحضور ،

فبعث السلطان مندوبا من لدنه على دارعة إنجليزية ، قضى على الثورة ، وبنى مقر الحكومة من جديد ، وعين بخت والياً على ظفار ، وقد ترك سليمان بعد مقتله تعليمات لبخت ، منها : إذا تركت أى رئيس من قبيلة كثير يعيش بعد انتخابه فثق أن رأسك ستقطع ، وفعلاً نفذ بخت تعليمات سيده ، فقتل عشرة رؤساء من بنى كثير فى خلال ولايته لمدة سبع سنوات مع أن مندوب السلطان كان قد أعان العفو العام إلا أن القدر عادة متأصلة فى نفوس القوم .

القريون

أصلهم وأوصافهم وعاداتهم

أصل القرين من حضرموت ، ولا يعرف بالضبط ابتداء هجرتهم ، ويسمى الناس القرين ، ولكنهم يسمون أنفسهم الحقالى ، ويسكن هؤلاء فى جبال القرا التى تقع فى وسط الجنوب من بلاد العرب بين خطى طول $٥١^{\circ} ١٠'$ و $٥٦^{\circ} ٢٠'$ ، ويجاورهم من الجنوب الغربى الشمالى الشحاريون ثم المهرة ، والشحاريون أعرق القبائل فى هذه البقاع وهم اليوم مضعفون منحلون ، لا يحتفل بهم أحد ، ولا يتزوج وياهم أحد ، سلالة فى قرا يجشون عاباتهم ويستخرجون مياههم ، وأهل قرا كانوا سادة ولا نزاع ، والبقايا المبعثرة التى تمخل بعض أراضيهم كلها أدلة ناطقة على وجود حضارة قديمة كما تدل الآبار الخربة وأنايب المياه ، وبقايا الحارث على وجود صناعة فى تلك الأزمنة الغابرة كما تدل الحاجر المنبثة هنا وهناك على استعمال الأحجار فى البناء إذ ذلك ويستخدمها الأهلون الآن للزراعة ، ويتبع سكان هذه الجبال سياسياً حاكم ظفار .



مركز بحري طمار

ولكن هذا لا يستطيع تنفيذ أوامره فيهم مهما كان من السدة والصراحة على جانب عظيم .

ولرجال الجبال هؤلاء طابع خاص تماماً ، فشررهم وسهم طويل خشن يقطع أحياناً عند القمة ، ولكن أكثر الأحيان يترك غزيراً ، ولا ينبت لهم شعر في العارضين إلا في طرف الذقن حيث ينبت شعر قليل خشن ، وكثيرون منهم لهم وجوه جميلة غير عربية الطراز ، وملابسهم هو ذلك الرداء الملون بالنيلة المفضل بحيث يغطي نصف الجسم ، ويجمع فوق الكتف ، وحول الحصر رنار من الجلد المدبوغ كأنه حزام يوضع فيه خرطوش السدقية ورءوسهم عارية إلا من سير من الجلد يحفظ دويبات شعرهم الطويلة من التفكك ، وسواعدهم السمراء وأرجلهم فيما تحت الركبة عارية تماماً ، وأغلبهم يلبسون قرطاً واحداً في الأذن اليمنى ، وسواراً واحداً فوق الكوع الأيمن ، ويمالون في ذلك المهرة والقبائل المحاورة .

ونروة أهالي جبال القرا تقدر ما يملكونه من رءوس المشاية ، وبعد من يملك ٣٠ رأساً متوسط الحال ، ولا يحتفظ الناس إلا بالاناث من الأبقار ، وييقون

ثوراً أو اثنين للفظيح كله ، وترى الجمال في الوديان التي بها عايات ، ولكن عددها محدود لأنها تحتاج إلى تكاليف باهظة ، ومجهودات شاقة ، ولا تستعمل البوق الحلوب للركوب غالباً بل ترى لتنتج الجمال التي تستعمل في نقل البخور من الجبال إلى الشاطئ ، ونقل السردبين من الموانئ إلى الجبال ليستعمل عاماً للماشية وقطعان الماسية كثيرة على حل القطوف وفي سهل جريد ، وفي إقليم زولول في سفح جبل سمجان وهي عادة من الماص فقط ، إذ يكره الجليون لحم الصان ، ولا توجد كلاب بالرة ، وسها عدد قليل من الحمير ، ويربها الشعاريون ونو كثير .

والقتل شيء عادي . والعداوات بين آل كثير وهي قرا والمهرا ، منهم لا يتربون بسلطان رئيس واحد ، وتغير علاقات الأفراد بعضهم بعض من وقت لآخر . ميزن حكومة ظفار قبيلة لها شيء من الرياسة .

ولحكم الخويز شأن عظيم عند أهل القبائل ، والخير هو رئيس القبيلة ، وهو مختص بفس جميع المشاكل ، إذ قلما تلجأ القبائل إلى الحكومة إلا في الأحوال الزرحية ، ولا تنفذ الحكومه حكم الشرع إلا في المدن الساحلية ، والغدر من شيمة الجلبين

وفدية القتل يتراوح بين ٤٠٠ ، ١٠٠٠ ريال ، وفي جبال قرا إذا كان الشخص المقتول فميراً جمعوا مبالغ من المال من قبيلة الفانل لمساعدة أهل القتل . أما الشعاريون والعبيد فلا فدية لهم إذ ليس لهم قبائل يأخذ بتأريم . ولكن هذه القبائل مستقرة غير رحالة ، فمئذهم نوع من ملكية الأراضي ، وهذا ما لا يعرفه البدو ، فالأشجار والمراعي ، ولو أنها نظرياً ليست لشخص معين إلا أن كل فرع من القبيلة يختص بملكه جزء منها ، والكهوف كذلك ملكها الأشخاص ويتوارسها ابناً عن أب . ويؤدي أهل الجبل فروضهم الحسة ، وهم لا يؤدونها بانتظام سواء في الحركات أو في القراءة بسرعة كبيرة ، ويقال ان النساء يؤدون صلواتهن أياً ، وفي رمضان يصوم الجميع رجالاً ونساء .

والسحر منتشر ، وغالباً ما يقتلون الكهول لاعتقادهم أنهم ما وصلوا إلى هذه السن المتقدمة إلا بمساعدة قوى غير طبيعية ، ويعتقدون أن الموت مسبب غالباً بسحر ساحرة .

وفي هذه الجبال قانون لا يمكن كسره : هو أن يذبح نحو نصف ما يملك الرجل من البقر بعد وفاته كتضحية ، وفي حالة الرجل الفقير يكتب ببقرة أو شاة واحدة ويضحي الغنى بعشرين بقرة (والغنى ما زاد ما يملك عن أربعين رأساً ، وقد يضحي بجمل ويضع خراف ، وفي يوم الدفن تذبح بقرة أو بقرتان على القبر ، وتلى هذه الكلمات « دى بي حدكتوس حصيل إر حصيل » تمرّ ليلتان وفي الثالثة تذبح بقرة أخرى ، وهذا يسمى ختوم ، وتمرّ فترة أخرى قد تكون أسبوعين ، وقد تمتد إلى ثلاثة أشهر ، وبعدها يحلّ موعد التضحية الكبيرة ، وهذه تتألف من عشر أو خمس عشرة أو عشرين بقرة ، وهذا يسمى يوم النحيرة ، ثم يبدأ توزيع الممتلكات بين الأقارب ، وفي جبال القرا وفي بيت كثير لا يحصل الدائنون على أكثر من ثلث ممتلكات الميت .

والعيراث في جبال القرا نظام خاص يخالف في كثير من نواحيه نظام الإرث في الإسلام ، فهو مرتبط بمراسم التضحية الميت والثروة هناك غالباً محصورة في الأبقار وفي حالة موت رجل يذبح نصف أبقاره كتضحية ، وللدائنين أن يطالبوا بعشر الميراث وما تبقى يوزع على الزوجات والأبناء والبنات ، والزوجات يأخذن العشر ، ومن خصائص هذه القبائل البدوية أنه إذا كان لامرأة بنت واحدة أو ثلاث بنات ، ولمس لديها ولد لا يرث أسد الذكر قرابة من أسرة الزوج المتوفى شيئاً ، وإذا كان لها بنتان فإنه يرث ، ومن هنا يبدو أن هناك معنى خاصاً للمرقين ١ ، ٣ ، ويختلف قانون الجبال عن قانون القبائل العربية الجنوبية في نقطة أخرى ، ولكنه يتفق مع نظام الشحاريين ، وهذه النقطة هي أن الزوجات ينلن أنصبة متساوية بصرف النظر عن أنجاب الأولاد ، والزوجة في هذه القبائل غالباً لا تترك الحزن على زوجها والأمهات والبنات والأخوات قد يبكين ، وقد يرفعن أصواتهن بالمويل ، وعند القرابين يرسلن شعورهن ويضربن رؤوسهن ويصببن عليها التراب ، وسكان الجبل يأكلون لحم الصبغ أو الثعلب ، ويحرمون على أنفسهم أكل البيض والكتاكيت ، وحين يمرض أحدهم تذبح بقرة أو نعجة وينثر دماها على كتفي المريض وصدره عندما تكون الشمس مرتفعة في السماء ،

ولا بد أن يكون الحيوان المذبوح أنثى ، وهذه التفرقة في الجنس لا تراعى عند التضحية في حالة الموت .

والشحاريون لا يتزاوجون مع غيرهم ولذا كانت مميزة عن غيرها ووجههم أعرض من جيرانهم ، ولهم سلام خاص ونادراً ما يحملون الغدارة وهم جنباء يرضون أن ينهبوا أو يتركوا واحداً منهم يقتل ، ولا يجركون ساكناً للدفاع عن أنفسهم .

ويزعم سكان الجبل أن الشحاريين من نسل أولئك القوم الذين قتلوا ناقة صالح عليه السلام ، ولذا فهم ينظرون إليهم بعين الاحتقار والإهانة ، والسلاح من مميزات القبائل عن بعضها ، فسلاح أهل الجبل يتكوّن من سيف مقوس ذى حدين وعصا مدببة الطرفين مصنوعة من خشب ثقيل جداً بحيث يغطس في الماء ولا ينبت أشجاره إلا في ظفار ، ويحمل أغنياء القرا غدارة وسيفاً .

والختان عندهم من أهم الأمور ، ويختن الذكر عند البلوغ والأنثى في يوم ميلادها وهذا عكس ما يحدث في بقاع أخرى من بلاد العرب ، ففي عمان يختن الذكر في سن السادسة والأنثى في العاشرة ويشبه ختان الذكور هناك الختان عند قدماء المصريين لأن الموميات التي عثر عليها في طيبة مختونة ، وللختان عند القريين حفلات عظيمة وشعائر لا بد من عملها في يوم الختان يجتمع عدد كبير من الرجال والنساء على شكل حلقة وفي الوسط يجلس الصبي على صخرة وفي يده سيف ، ثم يرمي السيف في الهواء ويتلقاه براحة يده ، وأمامه يجلس الرجل الذي يقوم بالعملية بخلفه عذراء غالباً ما تكون أخت الصبي أو بنت عمه وفي يدها سيف أيضاً ترفعه وتحفصه وتدقّ به على راحة يدها اليسرى ، ثم يقوم الرجل بالعملية والصبي رافع كفه بالسيف ، وبعد تمامها مباشرة يقوم والدم يسيل منه ويجرى حول هذه الحلقة يرفع السيف ويخفضه ، ويحكون على سجاجته بذلك ، وبينما هو يقوم بذلك تدقّ الطبول وتنشد الأناشيد الحماسية وترفع النساء ملابسهن فيكشفن عن صدورهن ، ولكن ختان البنت يحصل سرا .

ويترك الصبي خصلة من شعره في وسط رأسه تشبه لباس الرأس عند الهندوكيين ،

وربما كانت لها علاقة بالخصلة التي كان يتركها قدماء المصريين من أجل حوريس ، وتحلق هذه الخصلة في يوم الختان ، وبعد ذلك ينمو الشعر نموّه العادى ويحلق شعر البنت بطريقة غريبة ، وهى حلق منطقة من الشعر وترك منطقة أخرى ، وعند ما تحطب فى سنّ الثالثة أو الرابعة عشرة يتركون شعرها ينمو طبيعياً ، وبعد زواجها بشهر لى تدل على أنها ليست عذراء . يستأصل الشعر تماماً من وسط رأسها بقطع قطعة من الجلد تبلغ $\frac{1}{2}$ من البوصة بموسى ، فلا ينمو فيها الشعر أبداً وهى عملية مؤلمة قد تكون عاقبتها وخيمة .

وتطلى النساء وجوههن فى أيام الأعياد والحفلات بطلاء ملون أسمر وأخضر وأحمر ، فتصبح لوجوههن هيئة مضحكة كما تطلى حافة الوجه من عند الشعر والذقن والفك والحد بخطوط سمراء دائمة كما توضع خطوطاً سمراء من الأنف إلى الأذنين وتحت العينين وعلى الرقبة ، وقد يوضع تقطاً من طلاء قرمزى فى منتصف الجبهة وعلى الشفتين كما هى العادة عند الهنودوكيين ، وقد يوضع على ذقونهن هذه العلامة - ١ - كما تفعل النساء البلديات فى مصر والحلى كثيرة ، فى عهد الطفولة تنقب الأذن فى ستة مواضع تحلى كل واحدة منها بقرط أو تحلى جميعها بسلسلة من القضة ، وعند ما تصل البنت سن البلوغ تنقب طاقة أنفها اليسرى وتضع فيها خزماً ، وفى كل أصبع خاتم وحول رقبتها قلائد ، ولكنها لا تلبس أساور كما تفعل نساء المدن الساحلية ، ومن غرائب العادات أن السعوط [النشوق] عادة متفشية بين النساء لابن الرجال إذ يكتفى الرجال بالتدخين ولكن الرجال والنساء جميعاً يعضون خياطاً من الطباق والليمون الحامض ، ويقال إن له تأثيراً مخدراً . وطريقة السلام تختلف ، فقد يسلم الشخص على امرأة يصع يده فى أطراف أصابعها وتسحبها بسرعة ، ولكنه إذا ضغط على يد بنت كما يفعل الأوربيون يعتبر إهانة لها فيستأثر أهلها لها ، وسلام الرجال هو المصافحة والتقبيل على الخد الأيسر بينما تبقى اليد اليمنى على كتف الشخص الآخر وقد يحدث هذا وهم جلوس ، وإذا كان أحد المتصالحين شيخ قبله الآخر فى خده الأيسر وفى جهته ، وإذا كان المتصالحان من طبقة راقية قبلاً معهما ، ثم يقفان لحظة واحمين احتراماً واجلالاً قبل الجلوس .

والسن العادى للزواج للبنات والولد هو ١٥ سنة لهنهما من التخلق بخلق فاسدة وقد يتزوجان قبل هذه السن .

وطريقة الزواج عند هؤلاء الناس هو أن يتفاوض الزوج مع ولى أمر الزوجة على الصداق ويسونه الجيب ، وأكبر صداق هو ٢٠ بقرة [٤٠٠ ريال] وأقله بقرة أو عشرة ريالات ، ثم يذهبان إلى قاض فيعقد العقد وعند عودتهما يصحب الزوجة نساء من قبيلتها يمشى أمامهن ثلة من الرجال ، حتى تصل العروس إلى كهف زوجها ، وليس لها متاع سوى قطعة من البساط ، وقد يذبح الزوج بقرة أو اثنين للولية ويعنى الرجال واكنهم لا يرقصون كما يحدث فى حفلة ختان الصبيان - والطلاق من أيسر الأمور للرجل إذ يكفي أن يضايق الرجل زوجه فترحل إلى بيت أبيها وعند ذهابها يعطيها نصف بقرة ، ولكن الطلاق من جانب المرأة صعب إذ يجب عليها أن تعطي زوجها نصف صداقها ، ولا يحتاج الطلاق إلى مواقة القاضى ، ولذا كان منتشرأ ، وأغلب الرجال لا يتزوج أكثر من اثنتين ، وإذا أنجب الرجل من زوجه أصبح راضياً عن طلاقها ، فإذا أراد الزواج من غيرها أعطاها بقرأ مساويا لصداق زوجه الجديدة ، ولهذا كان للنساء ثروة خاصة . والزوج لا تحب البقر ولا تقوم بطبخ الطعام ، بل هذا من أعمال الرجل بل تقوم برعى الماشية ، وجلب الماء ، وجمع الوقود ، وعمل الفخار ، وجمع الدريس ، ولكن أهم أعمالها إنجاب الأولاد ، وفى إبان حملها تقوم بعملها العادى حتى يوم الوضع ، وهى تضع تحت شجرة أو فى كهف ، إما وحدها أو بمساعدة إحدى قريباتها أمها أو أختها غالباً ، وتستأنف عملها فى اليوم التالى . وإذا زنت المرأة ، وهذا نادر جداً يطردونها من القبيلة إلى الشاطىء ، ويتبعون الزانى حتى يخرجه بالسيف ، فإذا لم يتمكنوا قبضوا على أى قريبة من قريباته ، وارتكبوا معها نفس ما ارتكبه قريبها ، ولما كانت البنت تخطب قبل أن يتم تكوئنها جسمانياً وعقلياً ، فإن هذا يمنع اعوجاج سيرتها ، وفى زواجها لا يستشيرها أبوها ، وعند ما تطلق المرأة يصبح لها الحق فى اختيار أى زوج تشاء ما دام أبوها موافقاً ، وحق ابن العم فى زواج بنت عمه له

الاعتبار الأول في كل بلاد العرب ما عدا هذه الجبال إلا عند قبائل المhra ، فإن الأب هو الذي يقرر زواج بنته بمن يختار .

وللناس هنا خرافات وخرزعبلات ، ففي القرى الساحلية حيث يقيم السكان بيوتاً لسكناهم ، أول ما يعمله الشخص الذي يريد أن يبنى بيتاً أن يدق أوتاداً في البقعة التي سيبنى فيها المنزل لطرد عين السوء ، وعند ما يتم البيت يذبح شحماً على عتبة كما يفعل الفرنجة عند الاحتفال بإزالة السفينة لأول مرة في البحر بكسر زجاجة خمر ، وفي ظفار تذبح الشاة في أثناء عملية البناء ، ويأكل البناءون لحمها ويربون دماً على الحيطان ، وعند ما يدخل صاحب البيت لأول مرة يكسر بيضتين على عتبة الدار وآخرتين على السرج وآخرتين على الطابق الأول .

ويعزى الناس هنا عدم إدرار البقرة اللبن إلى عين السوء أو عين إبليس كما يسمونها ، ولطردھا يقوم صاحب البقرة بتبخيرها بإحضار وعاء به نار ، ويحضر ثلاثة قطع من البخور ، ويصق على كل واحدة منها مرتين ويلقيها في النار ، ويساعده اثنان في هذه العملية يمسك أحدهما بفك البقرة الأسفل ، ويرفع رجلها الأمامية عن الأرض ، ويمسك الآخر ذيلها .



ثم يقرأ صاصب البقرة التمويذة التالية ، وبينما يدير النار على رأسها : « انظري إلى قربانك بجور ونار من عين السوء من عين الإنسان قريباً أو بعيداً ، قريباً أو غريباً طردت إن كانت منى أو من أى شخص آخر من عين السوء رجل أو امرأة ، انظري إلى قربانك هذا بجور ونار » ، ثم يطلق رفاقه سراح البقرة لتلحق بزميلاتها في المرعى .

وللناس خاصية أخرى هي القسم بالأضرحة والحمة بالنار ، وهذا يقوم به الحوز ، والقسم باسم الله الذي يعتبره العرب جميعاً لا يعتد به بنو قرا إذ كثيراً ما يقسمون بها حائنين ، وقد يطلب المشتكى من خصمه أن يقسم على ضريح مقدس خير من أن يقسم بالله أو بالقرآن كما هي الحال في حضرموت ، ويعتقدون أن لهذه الأضرحة قوة الانتقام إذا كان القسم حائناً ، وأهم الأضرحة التي يقسمون بها هي :

المكان	الاسم
بين حسيك وراس نوس	صالح بن هو
ريوت	بير عربية
خور طاقة	الشيخ عيسى
حافا	النبي عمران
مرباط	بير على
طاقة	الشيخ عفيف
مرباط	زهير

أما الحمة بالنار أو التمريط أو البشعة كما يسمونها ، فيقومون بهذه العملية عادة بين

صلاة الفجر والظهر . وطريقتهما أن يحمى طرف الخنجر في النار حتى يحمر ، ويبرز لتهم لسانه ويقبض عليه الماشعة « القائم بعملية المحنة » بينما يتناول الخنجر بالأخرى ويمر على لسانه ، ويجعله يبصق في الحلال ، وبعد ساعتين يخرجون لسانه ، فإذا ظهرت عليه علامات الحروق أو احتقان في عنقه عد مجرماً ، وعليه أن ينفذ كل ما يطلبه خصمه ، وإذا كان العكس اتضحت براءته .

هجرة الحضارم إلى الخارج

هجرتهم إلى الأندلس

كان بدء هجرة الحضارم إلى أسبانيا في أواخر القرن الأول للهجرة ، وكان على رأس هؤلاء المهاجرين أسرة خلدون ، ويدعى خالد بن عثمان بن الخطاب بن كريب بن معديكرب بن الحارث بن وائل بن حجر الكندي ، وفي أواسط القرن الثالث كان لهم نفوذ كبير لاسيما لأسرة ابن خلدون ، وقد كانت عندئذ تقيم في إشبيلية . في سنة ٢٨٠ هـ خرج على حاكم إشبيلية أحد الحضارم ذوى الشخصيات البارزة اسمه كريب سليل لأسرة ابن خلدون ، واستولى على المدينة بعد كفاح وجهاد ، واستطاع بدهائه وسياسته أن ينشئ بلاطاً سطع بهاؤه إبان القرن الرابع ، وإلى نهاية حكم الأمويين ، وشغل أبنائه مناصب الوزارة بنى عباد في القرن الخامس^(١) ، ومن استهر من علماء الحضارم

(١) هاجرت أسرة خلدون إلى أفريقيا في القرن السابع ، والنعت بلاط بنى حمص في تونس ،

وفي رمضان سنة ٧٣٢ ولد ابن خلدون الفيلسوف الاجتماعي الشهير .

في الأندلس محمد بن إبراهيم الحضرمي من أهل إشبيلية يكنى أبا عبد الله ، ويعرف بالشرفي كان عالماً موصوفاً بالتمسك والعبادة ، وعبد العزيز بن الحسن بن سعيد بن عسكر الحضرمي محدث فقيه يكنى أبا محمد مولده سنة ٤٤٧ هـ سكن قرطبة وتوفي بها سنة ٥٢٦ هـ ، ونعمان بن عبد الله بن النعمان الحضرمي قتلته الروم حينما خرج غازياً ، وولى القضاء في إشبيلية معاوية بن صالح الحضرمي .

دخل الأندلس قبل دخول الأمير عبد الرحمن بن معاوية ، فنزل إشبيلية ، وكان من جلة أهل العلم ورواة الحديث ، روى عنه جملة من أئمة أهل العلم ، منهم سفيان الثوري وسفيان بن عيينة والليث ، وذكر أن مالك بن أنس روى عنه حديثاً واحداً ، وكان راوية لحديث أهل الشام ، وقال محمد أبو عمر ومعاوية بن أبي أحمد صالح بن عثمان المعروف بجريير بن سعيد بن سعد بن فهر الحضرمي ، وذكر محمد بن محمد بن وضاح قال لي يحيى بن معين : جمعتم حديث معاوية بن صالح ؟ قلت لا ، قال وما منكم من ذلك ؟ قلت قدم بلداً لم يكن أهله يومئذ أهل علم ، قال أضعمم والله علماً عظيماً .

لما قدم الأمير عبد الرحمن بن معاوية إلى إشبيلية وتمت له البيعة ، واتسقت له الأمور أرسل معاوية بن صالح الحضرمي إلى الشام ليأتيه بأخته أم الأصبغ ، فأبت عن الانتقال ، وقالت : كبرت سني وأشرفت على انقضاء أجلي ولا طاقة بي على سقّ البحار والقفار ، وحسبي أن أعلم ما صار إلي من نعمة الله ، ولما عاد من الشام ولاء القضاء والصلاة ، وغزا الأمير سرقسطة وغزا معه معاوية بن صالح الحضرمي ، فكان يحيى الليل بالصلاة حتى إذا أصبح لبس قباهه وسلاحه ، ومضى إلى الصف حيث القتال ، فلا يزال واقفاً في مركزه متراكباً على قوسه حتى تتجلى الحرب .

وخرج معاوية بن صالح الحضرمي حاجاً ، وخرج معه حينئذ زياد بن عبد الرحمن قلما قدما المدينة توجه زياد بن عبد الرحمن إلى مالك بن أنس ، فدخل عليه وأعلمه بقدم معاوية بن صالح ، فسأله أن يأتيه فأتاه فدخلا عليه ، فسأله معاوية بن صالح عن نحو مائتي مسألة ، فأجابه مالك عن جميعها ، فكشف زياد بن عبد الرحمن مالكا وقال

له : يا أبا عبد الله ، كيف رأيت معاوية بن صالح ؟ فقال له مالك : ما سألتني أحد قط
مثل معاوية بن صالح ، ثم سأل زياد معاوية عن مالك ، فقال له : ما سألت أحدًا
مثل مالك .

ومات معاوية بن صالح الحضرمي وهو قاض على إشبيلية ، وكان عظيمًا في موته ،
فقد خرجت لتشيع جنازته جموع غفيرة من الناس ، وفي مقدمتهم الأمير هشام بن
عبد الرحمن الأموي .

هجرتهم إلى مصر

كان بدء هجرتهم إلى مصر في أيام عثمان بن عفان رضي الله عنه ، ومن أعلامهم
الذين ولوا القضاء في مصر هو :

القاضي يونس بن عطية الحضرمي

أول من تولى القضاء في مصر العلامة يونس بن عطية الحضرمي في أيام
عبد العزيز بن مروان في جادى الأولى سنة ٨٤ كان من أكابر العلماء . ويحكى أن عبد الله
ابن مروان كتب إلى عبد العزيز بن مروان يُعلمه أن أهل الشام اختلفوا عليه في نفقة
المتوتة فاكتب إلى بما عند أهل مصر فيه ، فجمع عبد العزيز الأسياخ وسألهم ، وكان
يونس بن عطية الحضرمي في آخرياتهم ، فقال له فتكلم ، فأعجب عبد العزيز ، فسألهم
عنه ، فقالوا له : هذا من سادات حضرموت ، فولاه القضاء والشرطة ، ويروى الوليد
ابن سليمان عن أبيه سليمان بن زياد قال : سمعت عبد العزيز بن مروان يقول ليونس
ابن عطية الحضرمي : يا أبا كثير كيف أخبرتنى عن أمير المؤمنين عثمان رضي الله عنه ؟
فقال له يونس : نعم أصلح الله الأمير ، إن أبى وأعمامى هاجروا زمن عثمان رضي الله عنه
في آخر إمرته ، وكنت معهم وأنا غلام جبر أعقل ما أسمع فخرجنا من حضرموت في مائة

راكب حتى أتينا المدينة فأقمنا بها شهرا ، وكان أبي وأعمامى يجالسون أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : فدخلوا يوما على عثمان رضى الله عنه فاستأذنوه فى المصير إلى مصر فدخلت معهم ، فبينما نحن جلوس عنده إذ دخل على بن أبي طالب رضى الله عنه وكأنه غضبان فجلس ، فلم يفعل به عثمان ، فجعل على رضى الله عنه يقول : إن لى فقهاً وإسلاماً وهجرة وعثمان معرض عنه ، إذ دخل العباس بن عبد المطلب رضى الله عنه ، فضرب عثمان بمخصرته الأرض وقال : رب مفتخر بهجرته عرق هذا أطيب من عرقه ، يعنى العباس ، فتذمر على رضى الله عنه وقام غضباناً .

القاضى أوس بن عبد الله الحضرمى

وفى سنة ٨٦ ولى القضاء أوس بن عبد الله بن عطية الحضرمى من قبل عبد العزيز بن مروان يروى عن محمد بن يوسف قال : حدثنى يحيى بن أبي معاوية عن خلف عن أبيه عن جدّه قال : مرض يونس بن عطية فصرفه عبد العزيز عن القضاء والشرطة ، وجعل أوس بن عبد الله بن أخيه على القضاء ، وعبد الرحمن بن معاوية بن خديج على الشرطة فوليا شهرين الحرم وصفر سنة ٨٦ ، ثم مات يونس بن عطية فى ربيع الأول سنة ٨٦ ، فصرف أوس عن القضاء فوليا أوس شهرين ونصفاً .

القاضى يحيى بن ميمون الحضرمى

وفى يوم الأحد لتسع بقين من شهر رمضان سنة ١٠٥ ولى القضاء يحيى بن ميمون الحضرمى من قبل أمير المؤمنين هشام ، وكان يحيى بن ميمون هو القاضى الحضرمى الوحيد الذى لم يهتم برفاة من دونه من الكتاب الذين كانوا لا يكتبون قضية إلا رسوة ، روى قيس بن جُملة الغافقى عن ياسين بن عبد الأحد قال : حدثنى فضالة ابن المفضل عن أبيه قال : كان كتاب يحيى بن ميمون لا يكتبون قضية إلا برشوة ،

فكلم يحيى في ذلك فلم ينكره ، ثم كلفه مرة بعد مرة فلم يعزل منهم أحداً عن كتابته .
وعن أحمد بن دواد بن أبي صالح قال . حدثنا محمد بن أبي المغيرة عن أحمد بن قديد
عن أبي زيد أن يتبا من مراد كان في ولاية يحيى بن ميمون الحضرمي وهو على القضاء
فرد أمره إلى عريف قومه وكان في حجره ، فتظلم اليتيم بعد بلوغه من العريف إلى يحيى
زماناً فلم ينصفه منه ، وأتى اليتيم بيئته من قومه فشهدوا أنه مظلوم فلم يستمع يحيى منهم
فكتب إليه اليتيم بأبيات أبي شمر :

الأبليس أبا حسان عني بأن الحكم ليس بي هـ اكا
حكمتَ بباطل لم تأت حتماً ولم نسمع بحكمك . هل دا كا
وتزعم أنها حقّ وعدل وأزعم أنها ليست كذلك
ألم تعلم بأن الله حقّ وأنك حين تحكم قد يراكا

فبلغ يحيى بن ميمون ذلك فسجن اليتيم ، ورفع أمره إلى هشام ، فعظم ذلك عليه
وكتب بعزله ، وكان في كتابه إلى الوليد بن رفاعه : اصرف يحيى عما يتولاه من
القضاء مذموماً .

القاضي توبة بن نمر الحضرمي

ثم ولى القضاء توبة بن نمر الحضرمي يكنى أبا محجن وأبا عبد الله من قبل الوايد
ابن رفاعه ، وكانت ولايته مستهل صفر سنة ١١٥ يروي ربيعة عن غوث أن الوليد
ابن رفاعه أرسل إليه حين مات الجبار بن خلد ومعه امرأته عفيرة الأشجعية على سريره
وكانت امرأة برزة فولاه القضاء ، فقالت له عفيرة : أما والله يا توبة ما حاباك ابن رفاعه
بهذه الولاية ، ولو أنه وجد في قيس كلها من يسد مسدك ، أو استضع بهذا الأس
لآثره عليك وقدمه وأخره .

ويروي أبو سلمة عن يحيى بن عثمان عن لهيعة بن عيسى : أن توبة لما ولى القضاء
دعا امرأته عفيرة ، فقال : يا أم محمد ، أي صاحب كنت لك ؟ قالت خير صاحب

وأكرمه ، قال فاسمعي : لا تعرضي لي في شيء من القضاء ، ولا تذكريني بنخصم ، ولا تسأليني عن حكومة ، فإن فعلت شيئاً من هذا فأنت طالق ، وفي رواية : أن توبة لما ولي القضاء دعا امرأته ، فقال لها : كيف علمت محبتي لك ؟ قالت جزاك الله من عشير خيراً ، قال : قد علمت ما قد باينا به من الناس كلهم فأبت الطلاق فصاحت ، فقال : إن كلمتيني في خصم أو ذكرتيني به ، فإن كانت انزى دوايه قد احتاجت إلى الماء ، فلا تأمر بها أن تعد خوفًا من أن يدخل عليه في يمينه شيء .

وكان كاتبه منميت بن حضرموت ويروى عبد الله بن المسيب : أنه حضر توبة بن نمر قضا ، في مكاتب هلك سيده ، وقد أقام قبل ذلك حيناً لم يرد شيئاً ، ثم إن وردته الرجل أرادوا بيعه ، فلما رُفِع أمره إلى توبة ، قال توبة يؤخره سبعة على أن تودى مكاتبك ، فقال : أرأيت إن أدت هذه السنة ثم عجزت ؟ قال توبة إذن أبيعك ، قال المكاتب فبعتي كيف شئت الساعة فردّه إلى الرق وأمر ببيعه .

ويحكى أن رجلاً وامرأته اختصما عند توبة الحضرمي قاضي مصر فطلقها ، فقال توبة متعها ؟ فقال لا أفضل ، قال فسكت عنه لأنه لم يره لازماً له ، فأتاه الرجل الذي طلق امرأته بشهادة ، فقال له توبة : لست قابلاً لشهادتك ، قال ولم ؟ قال إنك أبيت أن تكون من المحسنين ، وأبيت أن تكون من المتقين ، ولم يقبل له شهادة ، وكان توبة الحضرمي يقضى يمين صاحب الحق مع شاهده في الشيء اليسير .

وعن ابن لهيعة أن قضاة مصر يقضون بعاهة الثلث من الحمي والنظر ، ويقضون بعاهة السنة من الجنون والجذام والبرص حتى كان توبة يثبت على عهدة السنة وطرح على عهدة الثلث إذ كان قاضياً .

ويروى أن توبة يقول للنخاسين أصحاب الرقيق : من اشترى منكم عيباً فهو لازمه ولست أرويه عنه لأنكم تبصرون ما تشترون ، فإن بعتكم سكتكم على العيب . وإذا كان في أيديكم أردتم رده على صاحبه فليستم كغيركم .

وعن أبي لهيعة أن أول قاض بمصر وضع يده على الأحباس توبة من نمر في زمن

هشام ، وإنما كانت الأحباس في أيدي أهلها وفي أيدي أوصيائهم ، فلما كان توبة قال ما أرى مرجع هذه الصدقات إلا إلى الفقراء والمساكين فأرى أن أضع يدي عليها حفظاً لها من الاتواء والتوارث ، فلم يمت توبة حتى صار الأحباس ديواناً عظيماً .
ويروى عن ربيعة بن أخي غوث الحضرمي : أن توبة بن نمر كان لا يملك شيئاً إلا وهبه ووصل به إخوانه وتفضل به عليهم ، فلما ولي القضاء كان يرى أن يحجر على السفهية والمبذر ، فرفع إليه غلام من حمير لا تحوى يده شيئاً إلا وهبه وبذره ، فقال توبة : أرى أن أحجر عليك يا بني ، قال : فمن يحجر عليك أيها القاضي ؟ والله ما يبلغ في أموالنا عشر معشار من تبذيرك ، فسكت توبة ولم يحجر على سفهيه بعد .
ومات توبة بن نمر الحضرمي ، وهو قاض على مصر سنة ١٢٠ ، فكانت ولايته على قضائها أربع سنين وشهر .

حفص بن الوليد الحضرمي^(١)

ولي حفص بن الوليد الحضرمي ولاية مصر من قبل الخليفة هشام بن عبد الملك ، وكان قبل ذلك ينوب عن الحر بن يوسف بن يحيى بن الحكم الأموي في ولاية القسطاس ، وكان أيضاً رئيساً على شرطة محمد بن عبد الملك أخى هشام وصرف حفص ابن الوليد بعد جمعتين ، وفي يوم الاثنين لسبع خلون من ربيع الآخر سنة ١٢٤ سافر حنظلة بن صفوان بن توبل ، وكان يومئذ والياً على مصر ليقوم بولاية إفريقية بأمر الخليفة هشام ، فاستخلف حنظلة حفص بن الوليد الحضرمي عليها ، وأقره هشام على الصلاة إلى ليلة الجمعة ثلاث عشر حلت من شعبان سنة ١٢٤ وجمع له هشام الصلاة والحراج جميعاً ، ولما توفي هشام يوم ١٠ من ربيع الآخر سنة ١٤٥ أقر الوليد بن

(١) هو حفص بن الوليد بن يوسف بن عبد الله بن الحارث بن جبل بن كلب بن عوف بن مطهر بن عمرو بن زيد بن مالك بن زيد بن الحارث بن عمرو بن ححر بن قيس بن كعب بن سهل بن زيد بن حضرموت اهـ من كتاب الولاية ص ٧٢ .

يزيد بن عبد الملك حفصاً على صلاحها وخراجها ، وأمره الوليد باخراج أهل الشام الذين بمصر إلى أجنادهم ، فأمرهم حفص بن الوليد الحضرمي بالخروج فامتنعوا ، وحاصروا حفصاً في داره ، فقاتلهم يوم الثلاثاء ١٥ من شهر رجب سنة ١٢٥ ، فظفر بزعيمهم ربيعة من موالى أهل حمص فقتله ، وأخرج أتباعه من مصر ، ثم وقد حفص بن الوليد على الوليد بن يزيد ، واستخلف على مصر عقبة بن نعيم الرعيبي ، ولما بويع يزيد بن الوليد بعد قتل الوليد بن يزيد اسلخ جمادى الآخرة سنة ١٢٦ أمر حفص بن الوليد الحضرمي باللاحاق بمجندة ، وأمره بفرض ثلاثين ألفاً فدخلها ، ففرض الفروض وخرج بيعة أهل مصر إلى يزيد بن الوليد عقبة بن نعيم الرعيبي ، والربيع بن عون بن خارجة ابن حذافة العدوي ، وحواس بن حميد الحمصي ، وهاني بن المنذر الكلاعي ، وعمر بن الحارث القتيبي مولى الأنصار ، وجعل حفص بن الوليد على فروضه قواداً ، وسماهم أصحاب الندبة ، وفرض حفص لفروضه في عشرين وخمسة وعشرين ، وهم الذين يقال لهم الحفصية ، وجعل حفص على العميد رجاء بن الأشيم الحضرمي ، وعلى مصر السفلى فهد بن مهدي الحضرمي

في صفر سنة ١٢٧ هـ كتب حفص بن الوليد الحضرمي إلى مروان بن محمد بن مروان يستغيبه من ولايته على مصر فأعفاه مروان ، فكانت ولاية حفص المرة الثانية ثلاث سنين إلا شهراً .

ولما ولي حسان بن عثاهية من قبل مروان بن محمد وحسان يومئذ بالشام كتب حسان إلى خير بن نعيم الحضرمي باستخلافه على مصر إلى قدومه ، ثم قدم حسان يوم السبت ١٢ من جمادى الآخرة سنة ١٢٧ ، وأسقط فروض حفص كلها ، ولما استقر حسان على ولايته وثب به قواد الفروض وقالوا : لا نرضى إلا بحفص ، فوامها حفص ابن الوليد الحضرمي للمرة الثالثة كرهاً أخذوه قواد الفروض بذلك ، وأقام عليها رجب وشعبان ، وعلى شرطه عقبة بن نعيم الحضرمي ، أما حسان بن عثاهية فقد لحق بمروان ثم عزل مروان حفصاً مستهلاً سنة ١٢٨ .

ولما قدم مصر حوثة بن سهل الباهلي ، وبصحبته سبعة آلاف شخص والياً عليها من قبل مروان خافه أهل مصر ، فبعثوا إليه يزيد بن مسروق الحضرمي ، فلتقاه بالعريش ، فسأله أن يؤمنهم على ما أحدثوا ، فأجابوا الحوثة إلى ذلك ، وبعث إليهم حوثة يستأذنهم في الدخول إلى مصر فأذنوا له وسار إليها حتى نزل المسناة وبعث إليهم إن كنتم في الطاعة فالقوني في الأردية ، فقال رجاء بن الأشيم الحضرمي لحفص بن الوليد الحضرمي : أطنني أيها الأمير وامنهم ، قال أكره الدماء . قال فدعني أقف في جبل ، فإن رأيت ما تحب تطرقنا ، وإن كان غير ذلك استعذناك منهم ، قال قد أعطاني ما ترى من العهد ولن أستظهر بغير الله ، فقال رجاء : والله لا رغبت نفسي عن نفسك ، فخرج إليه حفص ووجوه الجند حتى دخلوا عليه فسطاطه ، فقال لحفص ورجاء : ما أتما ؟ قالوا حفص ورجاء . قال : قيدهما وانهزم أهل مصر ، وأمر حوثة بقتل رؤساء الثورة ، ومنهم يزيد بن مسروق الحضرمي ، ورجاء بن الأشيم الحضرمي ، وحفص بن الوليد الحضرمي في يوم الثلاثاء لليلتين خلنا من شوال سنة ١٢٨ .

وقال مرسل بن حمير يكي حفص بن الوليد الحضرمي :

يا عين لا تبقى من العسرات	جودي على الأحياء والأموات
بصكى الذين مضوا فهم صادقوا	صدفات فأبطلت تارات ^(١)
يا حفص يا كهف العشيرة كلها	ياخا النوال وسائر العورات
إما قتلت فانت كنت عميدم	والكهف للأيتام والجارات
أوذى رجاء لا كمثل رجائنا	رجل وعقبه فارج الكربات
وشبابنا عمرو وفهد ذو المدى	وابن السليط وعامر الغارات
قتلوا ولم أسمع بمثل مصابهم	سروات أقوام بنو سروات
حلت دماؤهم فلم يمرج لهم	بين ولم يطلب لهم بجنات

ثم قدم إلى مصر عبد الله بن يحيى الكندي الحضرمي طالب الحق فدعاهم ، فبايع له ناس من نجيب وغيرهم ، فبلغ ذلك حسان بن عتاهية فاستخرجهم .

القاضي خير بن نعيم الحضرمي

ثم ولي القضاء بمصر خير بن نعيم من قبل الأمير حنظلة بن صفوان الكلبي في شهر ربيع الآخر سنة ١٢٠ ، ويروى أنه كان أفتة فقهاء مصر في زمانه ، وكتب إليه هشام ابن عبد الملك : إن أي امرأة أرادت قبض صداقها المؤخر على زوجها لن تعطاه إلا أن يكون شرطه عند الإملاك ألا يعطى إلا على شرط مسمى .

وجاء القاضي خير بن نعيم رجل تزوج امرأة وشرط لها طلاقها في شيء إن فعله ، قال له خير : أراض أنت بهذا الشرط ؟ فقال نعم ، فقال له خير : انظر فإن الشرط لازم لك وهو من الطلاق ، وقال خير في رجل دفع إلى رجل ثلاثة دنانير ، فسفها إلى رجل يتتاع بها حماراً ، فدفعا إلى رجل فلم يجد بالثلاثة حماراً إلا بأربعة ، فقال الرسول : أنا أدفع إليك الدينار الرابع ، فإن رضى الحمار أخذت منه الدينار ، وإن كره أخذت الحمار لنفسى ، فاشترى الحمار على ذلك ، فسرق بالطريق ، فقضى خير بن نعيم أن الحمار من الرسول ، وأن الثلاثة إلى صاحبها رد .

وحدث أن رجلاً هلك ولم يوص ، وعنده بضاعة لرجل وقبلة شرك لرجل في متاع ، وعنده وديعة لیتيم ، وعليه صداق لامرأته ، فقضى خير أن ما كان قبله من شرك أو بضاعة فإنها ترد إلى أصحابها ، وأن صداق امرأته والوديعة إذا لم توجد أسوة الغرماء .

وسئل خير عن مكاتب هلك له وولد أحرار من امرأة حرة ، فقال لا يرثه ولله الأحرار حين مات وهو مكاتب ، وكان خير يقضى فيمن اعترف لرجل بحق له عليه ، ثم ادعى أنه قد قصاه إياه ولا بينة عنده أنه يلزمه ما اعترف به ، وكان يقضى بالتمتع على من طلق امرأته ، وكان يقضى بشهادة الصبيان في الجراح التي تكون بينهم ، وكان يخير شهادة ذوى الرحم لرحمه إذا كان معروفاً بالعدالة ، وكان يسجن المديون ثم يكشف

عن أمره إذا ادعى العدم ، فإن شهد له جيرانه بالعدم أطلقه من ساعته .
وكان يطلق على العدم امرأته إذا خاصمته في النفقة عليها وقال : لا أجد ما أتفق ،
وكان خير يقبل شهادة النصارى على النصارى ، واليهود على اليهود ، ويسأل عن
عدائهم في أهل ذمتهم :

ووشى حسان بن عتاهية عند حوثة بن سهيل الباهلي ضد القاضى خير بن نعيم ،
وقال : لم يبق لحضرموت إلا هذا القرن ، فإن قطعت قطعتها يعنى خير بن نعيم ، فعزله
عن القضاء ، وذلك سنة ١٢٨ هـ .

ثم فى شهر رمضان سنة ١٣٣ ولى القضاء بمصر خير بن نعيم ولايته الثانية عليها
من قبل الأمير أبى عون عبد الملك بن يزيد ، وكان خير أول القضاة أدخل أموال
اليتامى فى بيت المال ، وقيل إن خير بن نعيم عرست له علة الجذام فنقل عليه كثرة
الجلوس للخصوم ، فكان كاتبه غوث بن سليمان الحضرمى يقضى بين الناس فى منزل
خير ، وأتى خير بن نعيم عبد الملك بن مروان بخاصم ابن عم له ، فعد على مفرشة ،
فقال قم مع ابن عمك كأنك وجدت علينا أن صيرناك كاتباً بعد القضاء ، وقام ولم
يخاصم ، وكان عبد الملك بن مروان النصيرى قد ولى خير بن نعيم ديوان الرسائل بعد أن
كان قاضياً .

ويحكى أن رجلاً من الجنود قذف رجلاً فخاصمه إلى خير ، وأثبت عليه ساهداً واحداً ،
وأمر بجس الجندى إلى أن يثبت الرجل ساهداً آخر ، فأرسل الأمير أبو عون فأخرج
الجندى من الحبس ، فاعتزل خير وجلس فى بيته وترك الحكم ، فأرسل إليه أبو عون ،
فقال لا حتى ترد الجندى إلى مكانه ، وهزل خير من القضاء فى شعبان سنة ١٣٥ .

القاضي غوث بن سليمان الحضرمي

ثم ولي القضاء بمصر غوث بن سليمان الحضرمي من قبل أبي عون يوم الأحد للنصف من شهر رمضان سنة ١٣٥ ، ولم يكن غوث بن سليمان الحضرمي بالفقيه لكنه كان أعلم الناس بمعاني القضاء وسياسته ، فكان أمره أحسن شيء وكان هوناً ، وكان كثيراً ما يستخلف مكانه يزيد بن عبد الله بن بلال الحضرمي ، فكان هذا يقوم بقسط وافر من القضاء ، ثم أقره خليفة له في جمادى الآخرة سنة ١٤٠ يحكم بين الناس وكان يكتب القضايا باسم غوث ، ولم يثبت اسمه على شيء منها ، ولما مات ابن بلال الحضرمي ضم غوث الديوان والودائع التي كانت قبله ورجع الخصوم إليه ، فلما كثروا على بابها قال : رحمة الله على أبي خالد ، فقد كان يسدّ عنا مسداً ، ثم عاد غوث إلى القضاء بعد موت ابن بلال .

وكان القاضي غوث أوّل من سأل عن الشهود في السرّ ، وكانت القصة قبله إذا شهد رجل عند أحدهم ، وكان معروفاً بالسلامة قبله القاضي ، وإن كان غير معروف بها أوقف ، وإن كان الشاهد مجهولاً لا يعرف سئل عنه جيرانه ، فما ذكره به من خير أو شرّ عمل به حتى كان غوث فسأل عنهم فن عدلّ عنده قبله ، ثم يعدّل الشاهد واحد من الناس لم يكن يوسم بالشهادة ، ولا يشار إليه بها ، وكان غوث أوّل من حكم في حبس مسكين ، وقسط السكّين على بنيه وأمهات أولاده ، راتهم غوث بمكاتبة أبي الخطاب الأباضي والأباضية ، فورد كتاب أبي جعفر على يزيد بن حاتم وهو على مصر يأمره فيه بحبس غوث محبس ثم أطلق سراحه وولى القضاء إلى أن صرف عنها في شهر رمضان سنة ١٤٤ .

وفي سنة ١٦٧ بعث إليه أمير المؤمنين أبو جعفر فحمل غوث إليه فقال له يا غوث إن

صاحبكم الحيرية خاصمتني إليك في شروطها ، فقال غوث الحضرمي : أيرضى أمير المؤمنين أن يحكمني عليه ؟ قال نعم ، فقال إن الأحكام لها شروط فيحتملها أمير المؤمنين ؟ قال نعم ، قال يأمرها أمير المؤمنين أن توكل وكيلا وتشهد على وكالته خادمين حرمين يعدّ لها أمير المؤمنين على نفسه ففعل ، فوكلت خادما وبعث معه كتاب صداقها وشهد الخادمان على وكالتها ، فقال غوث قد تمت الوكالة ، فإن رأى أمير المؤمنين أن يساوى الخصم في مجلسه ، قال فأنحط عن فرشك وجلس مع الخصم ، وودفع إلى الوكيل كتاب الصداق فقرأه عليه ، فقال يقرّ أمير المؤمنين بما فيه ؟ قال نعم ، قال غوث : أرى في الكتاب شروطاً مؤكدة بها تمّ النكاح بينكما ، أرايت يا أمير المؤمنين لو خطبت إليهم ولم تشترط لهم هذا الشرط أكانوا يزوجونك ؟ قال لا ، قال قلت فبهذا الشرط تمّ النكاح ، وأنت أحقّ من وفي لها بشرطها ، قال علمت إذ أجلسني هذا المجلس أملك تستحکم . قال قلت له أعظم جائزتي وأطلق سبيلي ، قال بل جائزتك على من قضيت له ، ثم أمر له بخلعة وجائزة ، ثم أمر أبو جعفر باحتباس غوث ليحكم بين أهله الكوفة ، فقال له غوث يا أمير المؤمنين ليس البلد بلدي ، ولا معرفة لي بأهلها ، فأذن له أمير المؤمنين في الرجوع إلى مصر .

تم ولى القضاء فيها وتوفي بها في جمادى الآخرة سنة ١٦٨ .

القاضي يزيد بن عبد الملك الحضرمي

في شهر شعبان سنة ١٤٠ ولى القضاء يزيد بن عبد الملك الحضرمي بالنيابة عن القاضي غوث بن سليمان الحضرمي ، ثم مات فجأة في ذي القعدة سنة ١٤٠ ونصدي للقضاء غوث بن سليمان .

القاضي عبد الله بن هبة الحضرمي

وفي مستهل سنة ١٥٥ ولى القضاء بمصر عبد الله بن هبة من قبل أمير المؤمنين أبي جعفر ، وهو أول قاض ولى مصر من قبل الخليفة ، وأجرى عليه ثلاثين ديناراً في كل شهر .

يروى أن وفداً من أعيان مصر كانوا بالعراق ، وهم : عبد الله بن عبد الرحمن بن معاوية بن خديج ، وعياش بن عقبة بن كليب الحضرمي ، وغوث بن سليمان ، وهشام ابن حميد وغيرهم ، فدخلوا على أبي جعفر المنصور يوماً ، فقال لهم : أعظم الله أجركم في قاضيكم أي خزيمة ، ثم التفت إلى ربيع فقال : ابنا لأهل مصر قاضياً ، قال عبد الله ابن عبد الرحمن بن خديج ما ذا أردت بنا يا أمير المؤمنين أردت تشهرنا في الأمصار ، فإن بلدنا ليس فيه من يصلح لقضاء بنا حتى تولى علينا من غيرنا ، قال فسم رجلاً ؟ قال فذكر له أبا معدان اليحصبي ، فقال إنه يختار واكن به صمم ، قال فبدا عبد الله بن هبة ؟ قال فابن هبة ، وكتب ابن هبة إلى أمير المؤمنين انه لا يجوز للحامل صدقة على وارث ، وعن علي بن عمر وابن خالد بن خيثمة عن أبيه قال : طلب الناس هلال شهر رمضان وابن هبة على القضاء فلم ير ، وأتى رجلاً فزعم أنهما قد رأياه ، فبعث بهما الأمير موسى بن علي بن رباح إلى ابن هبة ، فسأله عن عدالتهما فلم يعرفا ، واختلف الناس وشكوا ، فلما كان في العام المقبل خرج عبد الله بن هبة في نفر من أهل المسجد فمرفوا بالصلاح فطلبوا الهلال ، فكانوا يطلبونه بالجيزة ، فهو أول القضاة حضر في طلب الهلال ، ثم صرف ابن هبة عن القضاء في ربيع الآخر سنة ١٦٤ بعد ما وليه عشر سنين .

القاضي لهيعة بن عيسى الحضرمي

وفي شعبان سنة ١٩٦ ولى القضاء بمصر لهيعة بن عيسى الحضرمي من قبل عباد ابن محمد ، وعباد يومئذ يدعو للأمن بمصر . و يروى أن مواهيز مصر يعمرها أهل الديوان وطائفة من المطوعة ، وكانت أحباس السبيل التي يتولاها القضاة تجمع في كل سنة ، فإذا كان شهر أيب من شهور القبط بعث القاضي بما اجتمع من أموال السبيل ، ففرقت في مواهيز مصر من العريش إلى لوبية ومراقية ، ففرق على المطوعة ، ومن كان فقيراً من أهل الديوان ، فلما هاجت الفتنة أيام خلع محمد بن هاورن تشاغل السلطان عن عطاء أهل الديوان ، وتعطلت المواهيز ، وانقطع عنها المطوعة لما كان في الناس من الفتنة ، ثم ولى لهيعة بن عيسى الحضرمي ، فجمع أموال السبيل التي من الأحباس ، ففرض فيها فروضاً من أهل مصر ، وجعل فيها المطوعة الذين كانوا يعمرون المواهيز ، وأجرى عليهم العطاء من الأحباس ، فكان ذلك أول ما فرضت فروض القضاة ، فصارت سنة بعد لهيعة ، ولم يكن الناس يسمونها إلا فروض لهيعة حتى كان ابن أبي الليث ، فسأها فروض القاضي ، وفي ذلك يقول فراس المرادي :

لمرى لقد سارت فروض لهيعة إلى بلد قد كاد يهلك صاحبه
إلى بلد تقرى به اليوم والصداء تغاوره الروم العظام تجاربه
رشيد وإخنا والبرئس كلها ودمياط والأشنوم تقوى تغالبه
لهيعة قد حزت المكارم والثنا ومن عند ربي فضله ومواهبه
فقد عمرت تلك الثغور بسنة تعد إذا عدت هناك مناقبه

وظل لهيعة قاضياً على مصر حتى قدم المطلب بن عبد الله الخزاعي أميراً عليها ،
ف عزل لهيعة عن القضاء في شهر ربيع الأول سنة ١٩٨ .

ثم في سنة ١٩٩ ولى القضاء لهيعة بن عيسى الحضرمي من قبل المطلب وهي ولايته الثانية ، واستكتب سعيد بن تليد وأبا الأسود البصري ، وجعل على مسائله سعيد بن تليد ، وأمره أن يجدد السؤال عن الشهود والموسمين بالشهادة في كل ستة أشهر ، فمن حدثت له جرحة أوقفه ، واتخذ شهوداً جعلهم بطائمه ، وكان أحسن ما عمله لهيعة في ولايته أن قضى في أحباس مصر كلها ، فلم يبق منهم حبساً إلا حكم فيه ، وإماميته ثبتت عنده ، وإما بإقرار أهل الحبس .

وقال لهيعة بن عيسى الحضرمي إنه تاسع تسعة ولوا قضاء مصر من حضرموت ، وهم : يونس بن عطية ، وأوس بن عبد الله ، ويحيى بن ميمون ، وتوبة بن نمر ، وخير ابن نعيم ، وغوث بن سليمان ، ويزيد بن عبد الملك^(١) ، وعبد الله بن لهيعة ، ولهيعة ابن عيسى .

وعن محمد بن يوسف قال : حدثني يحيى بن أبي معاوية قال : حدثني خلف بن ربيعة عن أبيه قال : ولى قضاء مصر تسع رجال من حضرموت آخرهم لهيعة بن عيسى ، وولى برقة جمع من حضرموت على قضائها ، قال يحيى : آخرهم خير بن سعيد بن خير ، وولى على الأندلس : معاوية بن صالح الحضرمي ، وعلى فلسطين : ضمضم بن عقبة ، وعبد السلام بن عبد الله ، والنعمان بن المنذر ، وعلى حمص كثير بن مرة ، وجبير بن نغير ، وعلى دمشق يحيى بن حمزة . قال الشاعر :

ما من بلاد من البلدان تعلمه إلا وفيه من الأشياء والحدث
قضاة عدل لهم فضل ومعرفة مبرهون من الآفات والرفث
وقال آخر :

لقد ولى القضاء بكل أرض من الغر الحضارمة الكرام
رجال ليس مثلهم الرجال من الصيد الجحاجة الصخام
وقال يزيد بن مقسم الصدفي :

(١) ولى القضاء أربعة أشهر بالباية عن غوث بن سليمان ، ثم مات فجأة في ذي القعدة سنة ١٤٠ .

ياحضر موت هنيئاً ما خصت به من الحكومة بين المعجم والعرب
في الجاهلية والإسلام يعرفه أهل الرواية والتفتيش والطلب

وعن محمد بن يوسف قال : حدثني محمد بن روح بن شبل قال : حدثنا عبد الرحمن
ابن عبد الحكم قال : حدثنا أبو الأسود قال : أخبرنا ابن لهيعة عن الحرث بن يزيد
أن معاوية كتب إلى مسلمة بن مخلد وهو على مصر : لا تولى عمك إلا أزدرياً أو
حضرية فإنهم أهل أمانة .

وتوفى لهيعة وهو قاض على مصر مستهل ذي القعدة سنة ٢٠٤ ولها
خمس سنين^(١) .

هجرتهم إلى اليمن

بدأ الحضارة يهاجرون إلى اليمن في القرن الأول الهجري ، وكان عددهم قليلاً
جداً ، وكان غرضهم التجارة لا غدير ، وفي أوائل القرن الرابع نزح أفراد كثيرون إلى
اليمن ، فكان هذا من الوسائل التي وطدت العلائق الودية بين البلدين ، ثم انقطعت
هجرتهم فجأة في أواخر القرن السادس لتوالي حملات الزنجبيلي على حضرموت ، ولكن
في أوائل القرن السابع نشطت الحضارة للهجرة إلى اليمن ، فرحل أفراد منهم لطلب العلم
في زبيد ، وآخرون للتجارة ، وكان ممن اشتهر منهم : العلامة الأديب محمد بن حسين
ابن علي بن الحرم الحضرمي المتوفى في زبيد في ذي الحجة سنة ٦٨١ ، والإمام
إسماعيل الحضرمي وإليه انتهت رئاسة التفقه والفتوى في زبيد ، والعلامة عبد الرحمن
ابن محمد أبا حسان الشامي ، والعلامة أحمد بن أسعد الكلالي ، وهو حميري من آل
كلالي قيل له الكلالي نسبة إلى ذي كلال أحد ملوك حمير^(٢) .

(١) كتاب الفضاة للسكدي صفحة ١٠٦ .

(٢) راجع الجزء الأول صفحة ١٥٠ من كتاب (السلوك في طبقات العلماء والملوك) .

أما التجار منهم فلم يسمدهم الحظ لاضطراب الحالة السياسية في اليمن ، ولوعورة المسالك وتقلل الأمن فيها ، فاتجهت أنظار الحضارم إلى جزائر الهند الشرقية ، وتضاءلت هجرتهم إلى اليمن ، وانقطعت مواصلاتهم بها بعد احتلال الزيود حضرموت سنة ١٠٦٩ .

هجرةهم إلى الحجاز

يبانغ عدد الحضارمة في الحجاز نحو ١٠٠٠٠ شخص ، منهم نحو ٩٠٪ من مباحري وادى دوعن ، والبقية من وادى عمد وحضرموت السفلى ، ولما رتهم في الارتزاق ، ونشاطهم وذكائهم مسكوا زمام التجارة في الحجاز ، ولأمانتهم وحسن معاملتهم وثق بهم الناس كل الثقة ، فكان مركزهم الأول في الحجاز ، ولقد كان لهم نفوذ عظيم في عهد الترك الذين منحوهم امتيازات يتمتعون بها دون سواهم من طبقات الشعب ، وفي عهد الأشراف كانت وزارة المالية في أيديهم ، ففي عهد الشريف عبد المطالب وأولاده كان السيد عبد الله بامصفر الحضرمي وزيراً للمالية ، وفي عهد الشريف عبد الله بن عون وابنه علي باشا كان وزير المالية السيد عبد الله باناعمة الحضرمي ، ثم ابنه علي ، ثم ابنه عمر ، وفي عهد الشريف حسين كان وزير المالية السيد أحمد باناعمة ، ثم السيد أحمد باناجه الحضرمي .

ولما انبثق فجر الإصلاح وانتشرت المدارس هب الحجازيون يعيشون أبناءهم إليها إلا الحضارم ، فقد وقفوا بمعزل عن تلك المدارس ظلماً منهم أن الظروف التي ساعدتهم فيما مضى هي التي ستساعدهم في القرن العشرين ، ولم يدركوا أنهم أن الحياة أصبحت جهاداً وكاملاً المأثور فيها هم العاملون ، ولقد كانت النتيجة أن دحرهم الحجازيون عن الوظائف الكبرى ، فاضمحلت نفوذهم ، وتلاشى مركزهم السياسي .

ومن أعظم الأسباب التي قضت على نفوذهم آل باعلوي ، فقد كان هؤلاء هم المسيطرون عليهم وعلى كل ما يملكون ، حتى إن القضايا التي تحدث بينهم يفصل فيها

شيخ العلويين ، وكان إذا أراد المظالم منهم رفع قضيته لأمر مكة أحاله هذا إلى شيخ العلويين ، فيحكم فيها هذا الشيخ بما تمليه عليه نفسه ، والويل إذا عاند في الحكم ، فاضطر الحضارمة والحالة هذه إلى التذلل والخضوع للعلويين . فاندثرت شخصيتهم واندكت إرادتهم ، وزال منهم حبّ الظهور ، وحينما احتلّ النجديون الحجاز بذل العلويون كلّ مجهود في تغيير الحضارم عن الحكومة السعودية ، وقد نجحوا في ذلك لأن سلطنتهم الروحية متغلغلة في قلوب القوم ، مالكة لإراداتهم ووجدانهم ، ولما استقرت الحكومة السعودية في الحجاز رفع كثير من مواليد الحضارمة وتجارهم لجلالة الملك عبد العزيز عريضة يلتمسون فيها من جلالاته إلغاء تلك الامتيازات ، وطالبوا إاليه مساواتهم بالأهاليين في جميع الأحكام ، فأجابتهم الحكومة إلى ذلك .

هجرتهم إلى شمال أفريقيا

كان بنو هلال من أعظم أقباط كندة ، وأعزها رجالا ، وأفصحها لسانا ، وأشدّها ذكاء وفطنة ، هاجروا من هينن ومرخة في وادي جبر إلى شمال أفريقيا بسبب الجفاف والقحط ، إذ بيع التمر ظل بدرهم والطعام « مصر » بدينار ، وهذا أعظم قحط عرفته حضرموت في تاريخها الحديث . وأوّل من هاجر منهم أحد رؤسائهم يدعى أبو زيد الهلالي ، وبصحبته أبناء عمه حسن بن سرحان ، وهم مرعي ويحيى ويونس وأحد مواليه وقد مرّوا على اليمن في طريقهم إلى الحجاز ، وبلغتهم هناك أن برقة وقابس من أعظم مناطق أفريقيا خصوبة ورخاء ، فجذّ عزمهم على الرحيل إلى تلك البلاد ، وتوفى أحدهم وهو يونس بن حسن في أثناء السفر بتأثير لدغة أفعى ، ووصلوا برقة ليلا ، وكان الفصح قد آن أوان حصاده ، فأخذوا منه ما استطاعوا حمله ، وانتبدوا به مكانا قصيّا ، ثم دخل أحدهم المدينة لاستطلاع أحوال سكانها ، وقد بلغ أهل برقة سرقة القمح ، فخرج جماعة منهم يتجسسون ، والتقوا بأبي زيد الهلالي ورجاله ، فالتحمت الحرب بين

الثريقين ، وقتل مرعى بن حسن الهلالى ، وأسر أبو زيد ومن بقى من رجاله ،
وسجنهم أمير برقة ، وقد أعجبت ابنة أمير برقة بجمال يحيى بن حسن الهلالى
وبشاهانه فأحبهته ، وطلبت إلى أبيها الزواج منه ، فأجابها إلى ذلك ، أما أبو زيد
الهلالى ومولاه ، فقد استطاعا الإفلات من الأسر ، وعادا إلى حضرموت على أمل
أن يرحل أبو زيد بقومه بنى هلال إلى برقة وقابس حيث الرخاء والهناء ، ولكن
مولاه لم يشاكره في رأيه لبعده المسافة وطول الشقة بين البلدين ، فقتله سيده وجاء
هينن وحشر أعيان قومه ، وحبب إليهم النزوح إلى شمال أفريقيا للارتزاق ، وشجعهم
على ذلك بما قصر عليهم مما شاهدوه هناك من المزارع الخضراء والغلات الوفيرة ،
فأخذوا يندرون عنتهم للرحيل ، وبعد سنة رحلوا رجالا ونساء ووالدنا ، ولم يبق
منهم سوى آل تسيين في مرخة ، وآل فار وآل خليفة في الحاظنة ، وحطوا رحالهم
على مقربة من برقة ونصبوا خيامهم ، ثم سار عشرون فارساً منهم إلى برقة ليبحثوا عن
مكان يابق بهم ، والتفوا بجماعة من أهل برقة ، فبدأهم أبو زيد قائلاً باللغة العامية :

سلام غايكم وعلى الخيل والحزات والقنا وأتم قويم يا رجال المغاربه
فأجابه أحدهم :

لا قولك حيا ولا قول مرحباً وأتم قويم يا رجال المشارقه
وقال آخر :

والوعد والميعاد إلى حيد فابس ومن لا عرض للوعد حلاقة لشاربه
فقال أبو زيد :

والوعد والميعاد ولحين ساعة ويا محسن اللحم لى فى جلايه
تم تارت الحرب بينهم قتل فيها أمير برقة ، وانتصر بنو هلال واحتلوا برقة .

هجرتهم إلى زنجبار

لم يعرف بالضبط بدء هجرة الحضارم إلى زنجبار ، ويظهر أنهم جاءوها قبل أن يهاجروا إلى جزائر الهند الشرقية ، وكان همهم الوحيد التجارة ، ولكن فقر البلاد لم يساعدهم على إخماء ثروتهم كما ساعدتهم جزائر أندونيسيا ، ولقد زاد الحالة سوءاً عدم تألفهم وتناصرهم الأمر الذي شنت جمعهم ، ومزق شملهم ، وجعلهم أضحوكة بين العمانيين نزلاء زنجبار ، ولقد حاول قبيهم السيد ناصر بن عبد العزيز بن عبدات لم شعشهم ، وجمع كلتهم ، وتوحيد صفوفهم ، ونجح في مساعيه ، ولكن كانت الجبهة العمانية التي تماكسهم وتزاحمهم في المرافق الاقتصادية قوية .

وفي سنة ١٣٤٦ انفجرت براكين النزاع والخلاف بين الفريقين ، ووقعت الواقعة وسالت الدماء في شوارع زنجبار ، وعلى مرأى من الساطة البريطانية التي وقفت موقف التفرج ، وهكذا أصبح موقف الحضارمة حرجاً ، وأحاطت بهم الأخطار ، ولكن نفس السيد ناصر بن عبدات الأبية ، وشهامته العالية أبت أن تبقى الغلبة في جانب العمانيين ، فأشترى رماحاً كثيرة ووزعها على الحضارم استعداداً للطوارئ ، ولم تمض مدة طويلة حتى عاد الخصام بين الفريقين ، واشتبك الطرفان طعنًا بالسلاح الأبيض ، وانجبت الواقعة عن خمسين قتيلًا من العمانيين ، وبضع أشخاص من الحضارم ، وعدد الجرحى كثير ، وأخيراً تدخلت السلطة الإنجليزية بينهم ، ونفت من البلاد بعضاً من زعماء الحضارم ، ومنهم السيد ناصر بن عبدات ، وهدأت الحال ، وانصرف كل من الحضرميين والعمانيين في سبيلهم ، ولكن في شيء كثير من الحذر واليقظة ، وقد بدأت حالة الحضارم تتحسن من الناحية الاقتصادية ، وأنشؤا لهم جمعية تحت رئاسة السيد محسن بن غالب للدفاع عن مصالحهم ، والنود عن حقوقهم .

هجرةهم إلى الهند^(١)

هاجر الحضارم إلى الهند في الوقت الذي هاجروا فيه إلى جزائر الهند الشرقية ، أى في أواخر القرن الثامن الميلادى ، ولكن كان عددهم قليلا ، ولم يقبضوا زمام تجارة الهند ، ويمثلوا النشاط الاقتصادى ، ويكونوا مركزاً عظيماً ، بخلاف إخوانهم في جزائر جاوه حيث كوّنوا هناك تاريخاً مجيداً ، وأوجدوا لهم مكاناً في ميدان الحياة ، ولعل الظروف المحلية في الهند لم تكن لتساعد على إبراز شخصياتهم الجليلة ، ومراحة البيئات المحيطة بهم في التجارة ، وعلى التغلب عليها في إحراز الثروات الواسعة ، على أنه ظهر هناك بضعة أفراد ، أمثال القميطى اليافعى والعولقى وغالب بن محسن الكثيرى وغيرهم نالوا الشهرة الواسعة ، فقد تولوا مراكز سياسية كبيرة فادوا الجيوش في حيدرآباد وكانوا من أقرب المقربين لدى ملك حيدرآباد ، وأوثق الناس اتصالاً به ، وقد ساعدتهم الظروف على امتلاك الأموال والعقارات ، ولكن تلك الحال لم تدم طويلاً ، فقد انهار ذلك المركز الاقتصادى ، وتضاءلت تلك المنزلة السياسية ، ولم يبق من تلك الشخصيات البارزة سوى القميطى اليافعى .

يبلغ عدد العرب الحضارم اليوم في حيدرآباد نحو عشرة آلاف يشتغلون كجنود في الجيش الغير النظامى ، ويتعاطى العسكري الواحد معاشاً شهرياً قدره أربعة عشر روبية أى نحو جنيه ونصف جنيه ، ومنهم من يتولى حراسة خزائن الدولة ، وقصور سمو النظام ، وحرمة الخاص ، وقصور الكثير من الأمراء والنواب والحكام ، وكان الحكمدار على هؤلاء السلطان عمر بن عوض القميطى اليافعى ، المتوفى في شهر فبراير الفائت ، وتصرف له خزينة حكومة حيدرآباد نظير ذلك معاشاً شهرياً قدره ١٣٣٠ روبية .

(١) راجع هجرتهم قبل الإسلام في الجزء الأول صفحة ٤٤ .

أما حالتهم الاجتماعية فسيئة ، فهم يعيشون في عزلة تامة عن العالم الناهض ويندر أن تجد فيهم الرجل العالم للتقف الذي يفهم الحياة على حقيقتها سوى أفراد قليلين جداً ، وإقبالهم على تعليم أبنائهم في مدارس الحكومة يكاد يكون معدوماً .

هجرتهم إلى أندونيسيا

« جزائر الهند الشرقية »

ليس من شك أن هجرة العرب الحضارمة إلى جاوه وما حولها من الجزائر أعظم هجرة من نوعها في تاريخهم ، فقد اخترقوا الشرق الأقصى في وقت كان ذلك المحيط الخضم محفوفاً بالأخطار والأرزاء ، وخطوا رحالهم في تلك الجزائر الحضراء ، وكان من جلائل نتائج هذه الهجرة أن تلاشت ديانة بوذا ، وفام على أنقاضها الإسلام ، وأسنا هنا نريد أن نتكلم طويلاً ، ونعطي هذا الموضوع حقه من الشرح والتفصيل ، فذلك يستلزم كتاباً ضخماً قائماً بذاته ، ولكننا نحب أن نتكلم بشيء من الاختصار والإجمال لنعطي القراء فكرة عامة عن أعمال الحضارم في تلك البلاد النائية ، على أن هذا لا يمنعنا أن نتكلم بشيء من التفصيل حول نهضة الحضارم « الإرشاديين والعلويين » الفكرية الحديثة ، وما حدث بينهم من خلاف ونزاع ، فإن ذلك من أعظم الأعمال التي كان لها في عقلية هؤلاء القوم تأثير حسن ، وحوالت مجرى تفكيرهم من الجمود والخمود والممود إلى اليقظة والنشاط والانبعات .

لا يعرف بالضبط بدء هجرة الحضارم إلى جزائر الهند الشرقية ، ولكن من المحقق أنهم جاءوها في أواخر القرن الثامن الميلادي ، فهم إذن قبل البرتغاليين الذين سبقوا الهولنديين إلى هذه الأضقاع ، وكانت ممالك الجزائر أشبه بالأقطاعات في نظامها وكثرتها وعدد ملوكها ، وكانت ديانة بوذا منتشرة في كل طبقات السكان ، وكان من

المنتظر أن يلاقى الحضارم وهم المسلمون معا كسات ومقاومات من السكان لاسيما من أرباب السلطة وأصحاب النفوذ والسلطان ، ولكن قلوب هؤلاء كانت على جانب عظيم من السذاجة والصفاء ، ولم يروا من الحضارم النزلاء ما يبعث فيهم الخذر منهم ويعكر صفو الجوّ ، والحق أن الحضارم لم يهاجروا إلى هذه الجزائر لتأسيس ملك أو نشر دين ، ولكن غرضهم المنشود التجارة والارتزاق لا غير .

استطاع الحضارم بما أوتوا من جلد وصبر وذكاء وهمة عالية ، وأمانة في المعاملة ، وصدق في القول أن يشقوا طريقاً لهم في تلك البلاد النائية ، وينسابوا بين طبقات السكان الذين يخالفونهم جنساً ولغة وديناً وأخلاقاً وعادات ، استطاعوا أن يستميلوا إليهم القلوب ، ويتبوءوا مقعداً علياً .

اتسع نطاق تجارتهم اتساعاً أكثر مما يتوقعون ، ونمت ثرواتهم نمواً ما كانوا يحلمون به من قبل ، مسكوا زمام التجارة في البر والبحر ، وتسيطروا على المواصلات ما بين القرن العاشر إلى القرن الخامس عشر ، وكانت مراكبهم التي بلغت أكثر من مائة تجوب جزائر جاوه ، وتبحر إلى الهند ، وإلى سواحل الجزيرة العربية ، ثم تعود محملة بأنواع البضائع وأصناف المتاجر ، وكانوا يقودون تلك المراكب بأنفسهم ، وقد دامت سيادتهم على المواصلات البحرية زمناً ليس بقصير ، وفي سنة ١٨٥٥ م بدأت مزكهم تتناقص وتتضاءل بسبب منافسة المراكب البخارية لها .

وبالرغم عن تناقص مراكبهم ، فإن عددهم أخذ يزداد بسهولة المواصلات بين حضرموت وأندونيسيا ، وهذه الإحصاءات الرسمية الآتية تدلنا على ازدياد هجرتهم :

سنة	في جاوه ومدورا	في الجزائر الأخرى	المجموع
١٨٥٩	٤٩٩٢
١٨٧٠	٧٤٩٥
١٨٨٥	١٠٨٨٨
١٩٠٥	١٩١٤٨	١٠٤٤٠	٢٩٥٠٠
١٩٢٠	٢٧٨٠٦	١٧١١٥	٤٤٩٢١

وكانت الحكومة الهولندية تشدد في تطبيق قوانين المهاجرة عليهم فكانت تحصرهم في جهات خاصة ، ولا تسمح لهم بالتجول من بلد إلى بلد إلا بإذن خاص ، وبعد صعوبة شديدة ، وقد دام هذا الضغط والتشديد ستين عديدا ، وفي سنة ١٩١٦ تساهلت معهم الحكومة نوعا ، وفي سنة ١٩١٩ رفعت عنهم ذلك التضييق وأطلقت لهم العنان يسافرون من مدينة إلى مدينة ، ومن جزيرة إلى أخرى دون أن يجدوا أمامهم صعوبات وعراقيل .

حالتهم العلمية

لم تكن لهم جمعيات تذكر قبل عام ١٩٠٠ ، ولا مدارس سوى كتاتيب صغيرة قليلة لتعليم الكتابة والقراءة وقراءة القرآن الكريم وجزء ضئيل من الفقه ، أما اللغة العربية فلا تدرس ، ولذلك فكل مواليد العرب في أندونيسيا يجولون لغتهم كل الجهل اللهم أولئك الأفراد الذين أسعدهم الحظ لزيارة وطنهم حضرموت ، وكانت دراسة تلك المواد مقصورة على الذكور دون الإناث لأنهم كانوا يحرمون تعليم البنات حتى سنة ١٩١٥ ، وكان الإقبال على تلك الكتاتيب ضئيلا جدا ، ولذلك فالأمية كانت منتشرة انتشارا هائلا ، وهناك أفراد نالوا من تجارتهم تروات عظيمة ، وهم أميون لا يعرفون الكتابة ولا القراءة ، ولم تكن هناك نوادٍ ولا جمعيات رياضية ، لأن الآباء لا يتركون لأبنائهم فرصة لتكوين مجتمعات لهم ، ولا يسمحون لهم بممارسة الألعاب الرياضية ، وإنما كان كل همهم تدريب أبنائهم على التجارة حينما يبلغون سن الرشد ، أما الصحف العربية فليس لها أثر ألبتة ، على أن هناك أفراداً وهم قليلون جدا كانوا يطالعون بعض الصحف المصرية كالأهرام ومجلى الهلال والنار ، وكان العلماء جامدين كل الجمود ، ولم يكن لهم هم سوى قراءة الكتب الدينية ، وإلقاء المحاضرات في المساجد فيما له علاقة بالصلاة والصوم والحج ، وفي سنة ١٩٠٣ أنشأ جماعة من آل باعلوى وغيرهم « جمعية خير » في بتافيا واعلمها أولى الجمعيات العربية ، وفي سنة ١٩٠٥

أنشأت هذه الجمعية مدرسة وهي الأولى من نوعها ، ولوأن التعليم فيها لا يتجاوز الكتابة والقراءة ، ودراسة مبادئ اللغة العربية والدين .

وكانت الخرافات منتشرة انتشاراً هائلاً ، وكان العلويون وهم أصحاب السلطة الروحية يتمتعون بالملزايا التي يتمتعون بها في حضرموت ، فكان الفرد منهم سواءً كان صغيراً أو كبيراً عالماً أو جاهلاً صالحاً أو طالحاً يجب أن يحترم ويكرم ويعطى له المقام الأعلى ، ويجب أن تقبل يده عند المصافحة ، وأن تضاف إلى اسمه لفظة سيد أو حبيب وتقدم لبعض موتاهم القرابين والندور لدفع الكربات وجلب الرزق وإطالة العمر ، وما إلى ذلك من الخرافات والخزعبلات التي يمتقها العقل والدين ، ويتبرأ منها الله والرسول ، ويحرم العلويون تزويج بناتهم من غيرهم .

وحدث في سنقافورا سنة ١٩٠٥ أن تزوج هندي بعلووية ، فأحدث ذلك ضجة في المجتمع الحضرمي ، وهاج العلويون وماجوا وثاروا بأثرهم ، وقد استفتى أحد الحضارم بسنقافورا صاحب الفصيحة العلامة الشيخ محمد رشيد رضا صاحب مجلة المنار عن صحة ذلك الزواج ، فأفتى فصيحته بصحته في الجزء السادس من المجلد الثامن من المنار الصادر يوم ١٦ ربيع الأول سنة ١٣٢٣ الموافق يوم ٢١ مايو سنة ١٩٠٥ ، وقد أثار ذلك الفتوى غضب العلويين حتى إن الشيخ عمر بن سالم العطاس العلوي أصدر فتوى حرّم فيها تزويج العلووية لغير العلوي ولورضيت ورضى وإيها ، وحكم على الناس بالعبودية للعلويين .

ونحن هنا ننشر تلك الفتوى التي نشرتها مجلة « المنار » بمصر ، وردّ عليه

العلامة الشيخ محمد رشيد رضا :

فتوى الشيخ عمر العطاس

« تزويج الشريفة بنغير شريف وفضل أهل البيت »

سيدي ، هل هذه الفتوى المذكورة أدناه صحيحة ، ويجوز العمل بما فيها أم الأصح خلافها ؟ أفيدونا لا زلتم خير خلف خير سلف عن جوهر الإسلامية ، وأرجو من حضرتكم الكلام عنها في المنار ، وهي : ما قولكم فيمن يستحلّ تزويج الشرائف بمن ليسوا بأشراف ، بل لو كان بعضهم يزعم أنه هاشمي أو مطلبّي أو من بقية قريش ، فهل يصحّ تزويجهم بالأشراف أو لا ؟ .

الجواب - والله أعلم بالصواب -

اعلم أن مراعاة الكفاءة في النكاح واجبة ، وهي في النسب على أربع درجات : [كذا] . الأولى : العرب . لا يكافئهم غيرهم من العجم . الثانية : قريش لا يكافئهم غيرهم من بقية العرب . الثالثة : بنو هاشم لا يكافئهم غيرهم من بقية قريش . الرابعة : أولاد فاطمة الزهراء بنو الحسن والحسين رضي الله عنهم لا يكافئهم غيرهم من بنو هاشم . والدليل عليه كما في التحفة والنهاية وغيرها خبر مسلم أنه صلى الله عليه وسلم قال : « إِنَّ اللَّهَ أَصْطَفَى مِنَ الْعَرَبِ كِنَانَةَ ، وَأَصْطَفَى مِنْ كِنَانَةَ قُرَيْشًا ، وَأَصْطَفَى مِنْ قُرَيْشٍ بَنِي هَاشِمٍ » ، والأحاديث الواردة في فضل العرب وفي فضل قريش وفي فضل بنو هاشم كثيرة جدا . وقال ابن حجر في التحفة والرملي في النهاية : أولاد فاطمة لا يكافئهم غيرهم من بقية بنو هاشم ، لأن من خصائصه صلى الله عليه وسلم أن أولاد بناته ينتسبون إليه في الكفاءة وغيرها كالوقف والوصية كما صرحوا به لأنهم

أبناؤه كما ثبت في قصة المباهلة في قوله تعالى : [نَدْعُ أَبْنَاءَنَا وَأَبْنَاءَكُمْ] ، فإنه ورد أنه خرج ومعه الحسن والحسين وعلي وفاطمة .

وروى الحاكم ، قال صلى الله عليه وسلم : « لِسُكُلِّ بَنِي أُمِّ عَصَبَةٍ إِلَّا أَبْنَاءَ فَاطِمَةَ فَأَنَا وَلَهُمْ وَعَصَبَتُهُمْ » .

وأخرج الترمذي عن أسامة أنه صلى الله عليه وسلم أجلس الحسن والحسين يوماً على فخذه وقال : « هَذَانِ أَبْنَاؤِي وَأَبْنَاؤُ بَنِي . اللَّهُمَّ إِنِّي أَحِبُّهُمَا فَأَحِبَّهُمَا » .

وأخرج الطبراني وغيره أنه صلى الله عليه وسلم قال : « كُلُّ بَنِي أُمِّ يَنْتُمُونَ إِلَيَّ عَصَبَةٍ إِلَّا وَالدَّ فَاطِمَةَ فَأَنَا وَلَهُمْ وَأَنَا عَصَبَتُهُمْ » .

قول الشارع نص ، ويترتب عليه أحكام النبوة في الأشباح والأرواح كالحسن والحسين وأولادهما ، والتشريف ببعض خصائصه صلى الله عليه وسلم كوجوب الصلاة عليهم ، ودخولهم في آية التطهير ، وتحريم الزكاة عليهم ، واقتراض محبتهم على الأمة ، وغير ذلك .

ثم اعلم أن الشرف قسمان : ذاتي ، وصفاتي . وقد اصططح العلماء على أن الشرف الذاتي للنبي صلى الله عليه وسلم بالنسبة لدرجته ، فكما كانت ذات النبوة مختارة إليه من الوجود جعلها الله معدناً لكل نعت محمود ، ولم يزل يسرى منها في شعبها مظهرها في المعدن ، ومع ذلك فقد بالغ الجليل الكبير في كمال التطهير لها كما قال : [وَيُطَهَّرُكُمْ تَطْهِيراً] ، لا يعمل عملوه ، ولا يصلح قدموه ، بل بسابق عناية من الله لهم ، فتأثير البضعة النبوية لا يدركه أكبر الأولياء من غيرهم ، ولو جاهدوا أبد الآباد ، ولهذا السر قال الله تعالى : [قُلْ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَى] .

إذا عرفت ذلك واتضح لك أن مقام ذات النبوة وقدرها لا يدرك ، وعرفت أن الكفاءة عند العرب بل وغيرهم أمر مرعى ، وقد جاء الشرع في ذلك على موافقة عاداتهم وعرفت أن تزويج الأذنَى بمن ليس كفوها لها يلحق عاراً على عصبتها كما صرح به

الفقهاء الواصل ذلك العار عند تزويج الشرائف بغير الأشراف إلى مقامه صلى الله عليه وسلم ، تحقق لديك أن الجراءة على ذلك إيذاء للنبي صلى الله عليه وسلم ولتدريته .

وأى إيذاء أعظم من إلحاق العار ، فقد قال صلى الله عليه وسلم : « مَنْ آذَى أَهْلَ بَيْتِي فَقَدْ آذَانِي ، وَمَنْ آذَانِي فَقَدْ آذَى اللَّهَ » .

وقال عليه الصلاة والسلام : « لَا تُؤْذُونِي فِي أَهْلِ بَيْتِي » الخ .

وفال عليه الصلاة والسلام : « أَحْفَظُونِي فِي أَهْلِ بَيْتِي فَإِذَاؤُهُمْ مِنْ أَكْبَرِ الْكِبَايِرِ ، وَمَنْ أَسْتَحَلَّهُ كَفَرَ » .

فلا يجوز تزويج غير السيد بالسيدة ولورضيت وأسقطت الكفاءة أورضى وليها ، لأن الحق ليس لهما ، لأنه شرف ذاتي ليس من كسبها حتى يستعطاء ، بل له صلى الله عليه وسلم وكافة أبناء الحسين ولا يتصور رضاهم ، وقد ثبت أنهم موالٍ على ماسواهم من كافة الخلق بنص حديث « مَنْ كُنْتُ مَوْلَاهُ فَعَلَيْ مَوْلَاهُ » ، وهل يجوز تزويج العبد مولاته ؟ ! لا قائل به ، بل قد منع خليفة الزمان السلطان عبد الحميد خان أيده الله تعالى أسفه تزويج السيدات بغير السادة ، وأمر الخليفة يجب العمل به في المباحات فضلاً عن الموافق للحكم الشرعي .

وأما مانسب إلى الإمام مالك عالم دار الهجرة رضى الله عنه من أن المسلمين كفاه . فلا يبعد أنه مقول عليه لأنه ثبت عنه أنه امتنع من لبس النعال في المدينة ، قال : « أَسْتَحْيِي أَنْ أَطَأَّ بِنَعْلِي أَرْضًا وَطِئَهَا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِقَدَمِهِ » ، من استمضم واستسرف أرضاً وطئها رسول الله صلى الله عليه وسلم بقدمه يباح ويستحل اقتراش ووطء بضعته صلى الله عليه وسلم ، يجلب قدره عما نسب إليه رضى الله عنه . وفي هذا القدر كفاية لمن من الله عليه بالهداية . ومن قال بخلاف ما ذكر ، فإما من علم اضلاع ، وإما جهل بقدره صلى الله عليه وسلم وقدر أهل بيته ، بل من تجرأ وارتكب ذلك بعد اطلاعه على ما ذكر فهو ضعيف إيمان ، بل مسلوبه لمراغمته ومعاندته

للشرع ، يخشى عليه من سوء العاقبة [وَمَنْ يُضِلِّ اللَّهُ فَلَا هَادِيَ لَهُ] . حفظنا الله من ارتكاب الموبقات وعصمنا من الهجوم على الخطيئات وعرفنا قدر نبيه وأهل بيته السادات ، إنه وليّ التوفيق .

غير أنه معلوم لدى كل ذى عقل أنه للضرورات تباح المحظورات وارتكاب أخف الضررين لدفع الأشد متعين ، فلا يلزمك العناد وارتكاب الفساد والعدول عن سبيل الرشد . وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم .

قاله بقمه ، وكتبه بقلمه ، أضعف الناس ، عمر بن سالم العطاس ، عفا الله عنه آمين ، وذلك في شهر محرم سنة ١٣٢٣ .

[ج] سبق لنا أن نشرنا في هذه المسألة سؤالاً لأحد القراء في سنغافوره في واقعة حال هناك ، ثم جاءنا من سنغافوره رسالة بتوقيع أحد الحضارمة رغب إلينا مرسلها أن نرمل له بحر في ع . ب . قال فيها بعد الثناء والإطراء إن ما نشرناه في الواقعة [في ج ٦ م ٨] لم يكن السؤال فيه مطابقاً للواقع ، وأن الشريفة التي تزوجت بالسيد الهندي قد زوجها وليها الشرعي برضاه ورضاهما مع علمهما بأن الزوج مطعون في نسبه ، على أنه قد شهد ١٢ شاهداً من أهالي بلده وغيره بالسيادة له ، وأن ما ذكره السائل أيضاً من طعن ذلك الرجل بكتب الشرع غير صحيح .

وطالب منا هذا الكاتب أن نذكر الحكم في الواقعة على ما قرره هو من تزويج وليّ الشريفة لها برضاه ورضاهما . على أنه لا حاجة إلى ذلك ، فإن الجواب الأول ناطق بصحة العقد في هذه الحالة .

وقد فهمنا من الرسالة ومن مجموع ما كتب إلينا في معناها من تلك الجزيرة أن سبب الاهتمام بهذه المسألة هو أن بعض السادات المضميين الذين يوجد منهم طائفة هناك عاتون في التفاخر بأنسابهم والإدلال بأحسابهم ، ولذلك ذهبوا في الغلو إلى ما تراه في فتوى الشيخ عمر بن سالم العطاس التي سألتنا عنها أحد القراء في سنغافوره ، وقد أرسلت إلينا صورتها مطبوعة ، فعلمنا أنهم طبعوها ووزعوها لإثبات اعتقادهم في أنفسهم .

أما الحق في مسألة الكفاءة فهو ما بيناه في الجزء العاشر من المجلد السابع أيام حادثة الشيخ على يوسف صاحب المؤيد ، وقد نقل المؤيد ما كتبناه يومئذ ، فاطلع عليه الأستاذ الإمام مفتي الديار المصرية رحمه الله تعالى ، وكان في مصيف رأس البر ، فكتب إلي : (اطلعت في المؤيد على ما كتبت في الكفاءة والأولياء واستحسنته) . وإنما اطلع عليه في المؤيد لأنه نشر فيه ما كتبت قبل أن أرسل النار ، ولذلك كتب إلى الإمام في ذلك الرقيم : (كنت أنتظر أن يصل إلي النار هنا ليكون مما ألقى عليه نظري إذا أرجعته عن أمواج البحر الأبيض ولم أطلقه إلى بساط النيل الأحمر ، فإني جالس طول يومى بين البحرين) ، والمقصود أن الأستاذ الإمام قد أجاز ما كتبت في الكفاءة ، فكأنه أفتى به .

أما المنزع الذى روى عنه الشيخ عمر بن سالم العطاس فهو غريب وأوغله في الغربة والغرابة جعل الكفاءة في الشرفاء حقاً للنبي صلى الله عليه وسلم ، ولجميع أبناء الحسين ، بحيث لا يصح تزويج الشريفة بغير شريف ولو رضيت ورضى وليها ، إذ لا يتصور أن يرضى النبي صلى الله عليه وسلم ، وسائر الشرفاء في مشارق الأرض ومغاربها ، واستدلالة على ذلك بكونه إيناء للنبي بإيناء أهل بيته ، قال وإيناءهم من أكبر الكبار يكفر مستحله ، ثم استدلاله أيضاً بحديث : « مَنْ كُنْتُ مَوْلَاهُ فَعَلِيٌّ مَوْلَاهُ » على كون ذرارى على موالى على من سواهم من جميع الخلق بالنص ، وخروجه من ذلك إلى أن جميع الناس عبيد لهم ، وأنه لا قائل بجواز تزويج العبد لمولاه . نعوذ بالله من هذا الغلو والغرور .

يستدل الشيعة بحديث : « مَنْ كُنْتُ مَوْلَاهُ فَعَلِيٌّ مَوْلَاهُ » على أن علياً أحق بالخلافة من سبقه فيها ، ولا أعرف عنهم أنهم بعدوا في الاستدلال إلى جعل جميع الناس عبيداً له ولذريته ، بل لم يقل مسلم بأن الناس عبيد للنبي صلى الله عليه وسلم ، بل الإسلام يمنع هذا ، فمن أين جاء به العطاس؟ رحمه الله ويصلح باله ، وكيف يتفق استنباطه هذا مع ذكره السلطان عبد الحميد بلقب الخلافة ؟ .

وإذا كان غير الشريف العلوي الفاطمي لا يجوز أن يكون زوجاً للشريفة لأنه عبدها ، فكيف يكون العبد خليفة على ساداته ومواليه الذين لا يحصى عددهم !؟ والخليفة مولى لرعيته يجب عليهم طاعته في كل معروف ، وأما الزوج فليس مولى لامرأته بهذا المعنى ، بل يقول جماهير الفقهاء إنه لا تجب عليها طاعته إلا في المكث في البيت والتمكين من الاستمتاع .

والحق أن لفظ المولى في الحديث معناه الناصر كما قال الجوهري في الصحاح ، ويطلق في اللغة على صاحب القريب والجار والحليف والنزيل والشريك والعبد والمعتق والمعتق . فكيف يسمح لنا الذين أن تتخطى هذه المعاني ، ونقول إن الحديث نص في أن الناس عبيد لذرية علي ؟ !

هل كان أبو بكر وعمر والعباس وغيرهم من الصحابة وسائر المسلمين عبيداً لعلي في حياته ؟ وهل ملك أولاده من بعده الناس بالإرث ، أم نص الحديث دال على أنهم يملكونهم بالاستقلال في كل زمان ؟ ظاهر قول العطاس الثاني ، وكل مسلم يبرأ إلى الله من الأول والثاني .

كان الشرفاء وما زالوا يزوجون بناتهم من غيرهم ، وجميع العلماء يستحلون هذا مع التراضي وسائر الناس تبع لهم فيه ، فهل يقول العطاس إن جميع من استحل ذلك كافر ، حتى المزوجون والمتزوجات بالرضى والاختيار ، فيكفر الشرفاء بمبالغة في تعظيمهم ؟ ؟ ؟

ليس هذا المنزع الذي رأيت بأغرب من منزعه الآخر في جعل النسبة إلى الحسن والحسين في معنى نبوة النبي عليه الصلاة والسلام ، من حيث أن شرفها ذاتي غير مدرك وأنها من اختيار الله تعالى وأنها منبع لكل نعت محمود ، وأن أكبر الأولياء لو جاهدوا أبد الآباد لا يلحقون لشريف أثراً ، لأن الله تعالى بالغ في كمال تطهير آل البيت إذ قال : [وَيُطَهِّرُكُمْ تَطْهِيراً] لا يعمل عملوه ، ولا بصالح قدموه بل بسابق عناية من

الله لهم . ثم قال : ولهذا السبب قال الله : [قُلْ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَى] .

فانظروا أيها المنصفون كيف يلعب بكتاب الله ويحرف كله عن معناه ، يدعو الاهتداء بهديه والعمل بأمره ونهييه ، وإنما هو اتباع الهوى شرد بالغالين عن معهدي الهدى ، وأحد الله تعالى أن جعلني شريفاً غير مفتون ، وجنبتني وقومي مزال الغرور .

فأما قوله تعالى : [إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا] - سورة الأحزاب - ، فقد ورد تعقيباً لآيات في خطاب نساء النبي عليه الصلاة والسلام يأمرهن الله تعالى بها وينهاهن ويعلمهن بأن جزاءهن على الخير والشر مضاعف ، لأنهن لسن كسائر النساء ، وهذا ظاهر معقول المعنى ، فإن بيت المرشد الكامل قدوة في الهدى والرشاد ، ولو ظهر العمل السيئ من ذلك البيت الذي جعله الله منبعاً للهدى ومشرفاً للوحى ، لكان أعظم منفر عن الاهتداء والإيمان

فقوله تعالى بعد تلك الأحكام : [إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ] الخ تعليل وبيان للحكمة في كون نساء النبي لسن كسائر النساء ، وكونهن جديرات بمصاعفة العذاب على المعصية ، والثواب على الطاعة لمكان القدوة ، كقوله تعالى بعد ذكر أحكام الصيام وما فيها من الرخص : [يُرِيدُ اللَّهُ بِكُمُ الْبُخْرَى وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ الْعُسْرَ] وإنما قال : [عَنْكُمْ] ، لأن النبي صلى الله عليه وسلم في البيت ، وهو المقصود بالتطهير أولاً وبالذات ، لأن كمال نساءه ينسب إلى هدايته صلى الله عليه وسلم .

وأما قوله تعالى : [قُلْ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَى] ، فليس معناه أنه يطلب من الناس مودة قرآته أجرة لتبليغه أحكام ربه . حاش لله ! ما كان لنبي أن يطلب على التبليغ أجراً كما نطق القرآن ونهض البرهان ، وإنما الاستثناء منفصل ، ومعناه : لا أسألكم أجراً على ما جئكم به ، فتوهوا أنى طالب منفعة لنفسى ، وإنما أسألكم ما هو نافع لكم وهو المودة في القرابة ، أى أن تودوا ذوى القربى منكم .

فهو إذن بمعنى ما يؤثر عن الإنجيل من الأمر بمحبة القريب ، أو أن تؤذوني في قرابتي منكم ، لا لأنى بشت هدايتكم ، فاملوني معاملة سائر الأقربين ولا تؤذوني .
وأما الدين فلکم دينکم ولى دين ، لست عليه بجبار ، وإنما على البلاغ وللناس الخيار .
وعقب هذا بقوله : [وَمَنْ يَتَرَفَّ حَسَنَةً نَزِدْ لَهُ فِيهَا حُسْنًا] ، والآية من سورة الشورى وهى مكية من أول القرآن نزولا ، وأمثال هذا الخطاب فى الدعوة والاستمالة إلى الحق كثيرة . ولا يمكن أن يحمل لفظ القرى فيه على ذرية فاطمة عليها السلام لما تقدم ، ولأنها لم تكن تزوجت ولا ولدت فى ذلك العهد .

سبق للمناقش قول فى تفسير هذه الآية ، وفيه أن الشيعة هم الذين اتحلوا لها هذا المعنى ، غافلين عما وراءه من الطعن فى الرسالة ، واحتجاج الكافرين على المؤمنين بأن الرسول كان يطالب بدعوته الدنيا لندريته كالملوك والأمراء ، وأن القرآن بجملته وتفصيله وسيرة النبي صلى الله عليه وسلم فى نفسه وأهله ومعاملته للناس وتوليتهم الأعمال ، كل ذلك مما ينسف هذه الشبهة نسفاً .

أى غلو العطاس يرحمه الله ويصلح باله لئس ناغريب ؟ إنكاره قول الإمام مالك إن المسلمين أكفاء واحتجاجه على ذلك بما كان من أدب هذا الإمام مع النبي عليه السلام ، إذ كان لا يظن أرض المدينة بالنعال واستنباطه منه عدم إباحة اقتراش البصعة النبوية ووطئها ، أظن أن الإمام مالكا كان يحرم أن يمشى الناس فى المدينة بالنعال ، أو أن ترك فيها الحمير والنغال ؟ أظن أنه يقبس اتخاذ المرأة زوجا وقرينة للرجل تشاركه فى نعمته ، وتتحد معه فى معيشتته على وطء الأرض بالنعل أو بغير النعل ؟؟ ما هذا الفقه المقلوب ؟؟

سهل على من سلك مسلك هذا المفتى فى الاستنباط أن يستخرج من كلامه ما يعده الفقهاء من المكفرات فيكفره كما كفر من يخالف فتواه ، أو كاد يكفر بها جميع المسلمين ، والحق أنه لا يحكم بكفر أحد من أهل القبلة إلا بقول ، أو عمل يدل دلالة

قطعية على أنه لا يؤمن بالله وبما جاء به رسول الله صلى الله عليه وسلم مما هو متواتر
يجمع عليه معلوم من الدين بالضرورة

فمن آذى شريفاً من آل البيت لحظ من حظوظ الدنيا يكون عاصياً لله كما لو آذى
غيره ، لأن الإيذاء حرام . وأما من يؤذى الشرفاء لأنهم ينتسبون إلى النبي صلى الله
عليه وسلم فالأقرب أن يكون إيذاؤه إياهم بهذا القصد معلولاً لكفره به لا علة له ، إذ
لا يعقل أن يقصد المؤمن ذلك ، ولا يظهر هذا إلا فيمن يؤذى كل من قدر على إيذائه
منهم ، ففتى خص فرداً أو أفراداً علم أنه لا يؤذيه لأجل النسبة .

وجملة القول أن الشريعة الإسلامية شريعة عدل ومساواة ، لا شريعة تقسيم
ومحابة ، وأحكامها عامة ، مدار العبادات فيها على تزكية النفس وتحليلتها بالفصائل ،
ومدار المعاملات على درء المفسد والمضار وجاب المنافع وحفظ المصالح ، وليس لأحد
أن يخص الشرفاء أو غيرهم بأحكام شرعية تؤخذ بالتسليم على أنها من التعبد .

فأبناء الحسين وغيرهم من الناس سواء في أحكامها . وما ورد في تخصيصها آل
النبي صلى الله عليه وسلم ببعض الأحكام كتحریم الصدقة عليهم معقول المعنى ، ولا يجوز
لأحد أن يزيد عليه لأن التخصيص خلاف القياس فلا يقاس عليه . وفي الحديث
الصحيح : إن الآل في باب تحريم الصدقة هم بنو هاشم وبنو المطلب ، لا ذرية
فاطمة خاصة .

وإن الكفاة في النكاح لا يستدل عليها بالفصائل والخصائص ، وإنما يرجع فيها
إلى نص الشارع أو القياس الصحيح . أما نص الشارع فلم يصح منه في مسألتنا
شئ . قال الحافظ ابن حجر في شرح البخارى : لم يثبت في اعتبار الكفاة بالنسب
حديث ، وأما ما أخرجه البرار من حديث معاذ رفته : « العَرَبُ بَعْضُهُمْ أَكْفَاهُ
بَعْضٍ ، وَالْمَوَالِي بَعْضُهُمْ أَكْفَاهُ بَعْضٍ » فإسناده ضعيف اه .

وإنما الكفاة الثابتة في السنة خاصة بالدين والحرية والأخلاق والديار ، وهذا

ما كان عليه أكثر أهل الصدر الأول . ومن قال من الفقهاء باعتبارها في النسب فحجته الصحيحة القياس ومداره على دفع العار . فإذا لم يكن هنالك عار فلا اعتبار بالنسب في الكفاءة ، وعلى هذا أكثر البلاد الإسلامية فيما تظن ، وإذا رضيت امرأة شريفة هي وأولياؤها بالتزوج بمن ليس بشريف في بلاد يعد ذلك فيها من العار ، فلا حرج عليهم لأنهم أعلم بمصلحتهم ، وأحرص على شرف أنفسهم ، والأمر ليس بتعبدى .

ولو كان ما ذكره العطاس من فضل أهل البيت يجعل امتنابته صحيحاً وداخلاً في الأحكام التعبدية لكان لنا أن نقول مثله في العلماء ، فإن ما ورد في الكتاب والسنة في مدح العلم وال العلماء أعظم وأظهر مما ورد في آل البيت ، فهل نقول إنه لا يحلّ للعالم أن يزوج ابنته بمن ليس بعالم لأن ذلك إهانة للعالم الذي عظمه الله تعالى ، فالأمر فيه ليس إليه ، وإنما هو متعبد بذلك ؟ .

كلا ! إن الزواج من العاملات التي تبنى على أساس المصلحة ، وكلّ قوم أعلم بمصلحتهم ، والشرع لم يحجر عليهم في اختيار الخير ، وإنما حرّم عليهم الإيذاء ، والله أعلم وأحكم .

هذا وإننى لا أظنّ بالشيخ عمر بن العطاس إلا الخير وحسن النية ، وأشكر له حبه للشرفاء ، ولو أن فتواه طبعت لما رددت عليها في المنار ، وأسأل الله تعالى أن يحفظنا وإياه من الغلو ويهمننا رشدنا أجمعين » انتهى .

ليس من شك أن هذه الحادثة هي الهزّة الأولى لأفكار الحضارم بجزائر الهند الشرقية ، وليس من شك أن هناك أفراداً تسرب إلى إذهابهم شيء من روح المساواة الشرعية ومن حرية الفكر ، ولا ريب أن الفضل في ذلك إنما يعود لمجلة المنار الحرة الغراء ، ولكن تلك الهزّة لم تكن عنيفة إذ سرعان ما تضاءلت ، وآلت حركتها إلى الخود ، وأولئك الأفراد الذين أصابهم حطلّ من روح المساواة لم يستطيعوا البروز والظهور لأن الظروف لم تكن تسمح لهم بذلك تم إنهم لم يجدوا لفكرتهم أنصاراً ولا أعواناً .

العلامة الشيخ أحمد السوركتي

زعيم النهضة الدينية الحرة



العلامة الشيخ أحمد السوركتي

ولد العلامة الشيخ أحمد محمد السوركتي الأنصاري ببلدة أدفو من أعمال دنقلا سنة ١٢٩٢ هـ من أبوين ينتسبان إلى قبيلة الجوابرة نسبة إلى جابر بن عبد الله الأنصاري ، وكانت هذه القبيلة ساكنة في صعيد مصر ، ولما احتل السلطان سليم مصر دعا الجوابرة إلى الطاعة فرفضوا فجهر عليهم ، ولما رأوا أنهم لا طاقة لهم بجنود السلطان قهقروا إلى السودان ، وهناك حطوا رحالهم وصار لهم نوح روي ومادى ، ولا تزال لهم في بلاد السودان آثار من حصون وقلاع وقباب وخرافات وترهات طويلة عريضة ، وكلمة السوركتي لقب لأحد أجداد الشيخ أحمد ، وهي من لغة أهالي تلك البلاد ، ومعناها كتير الكتب ، والسبب أن حذو رحل إلى مصر لطلب العلم ، وعاد من سفره بكتب كثيرة فلف بهذا اللقب ، لأن سور عدهم الكتاب وكفى للمصانفة في الكثرة ، ولما مات أبو الشيخ أحمد استوحش من البلاد لفقدان والديه ، وتنقل في بعض المعاهد العلمية الدينية في السودان ، وحفظ القرآن الكريم على فراءة نافع ودرس الفقه والتوحيد ، ثم رحل إلى الحجاز سنة ١٣١٤ هـ ، وأقام بالمدينة أربع سنوات محذو في طب العلوم الشرعية واللغة العربية ، ثم احتار مكة محذو في الطلب حتى نال الشهادة العالمية ، وأسس هناك مدرسة أهلية ، واستمر في التدريس فيها وفي الحرم المكي ، وكان لمدرسته إقبال مدطع الطير .

وفي سنة ١٣٢٩ هـ أتاه طاب من جمعية خير في تدمر لإدارة التعليم في مدرستها ، وكان الوسطة لذلك العلامة السبيح محمد بن يوسف الحياط ، والعلامة السبيح حسين بن محمد الخنشي ، فسار العلامة السبيح أحمد السوركتي إلى حاوه ، وبصحته معلمين ، ومندوب جمعية خير السيد عبد الله بن عبد المعبود الموصلي ، ولما وصلوا تافيا قابلهم العلويون وغيرهم بكل إحلال واحترام ، واحتضنوا بهم احتفاء يعرض وصفه البيان ، ولقد سحر القوم السبيح أحمد السوركتي بما طبع عليه من الخلق الكريم ، والأدب الحم ، وما اتصف به من الصلاح والورع والعلم والحلم والتواضع والتسامح ، وكان

الشيخ محمد بن عبد الرحمن بن شهاب العلوي^(١) الذي أصبح بعد ظهور جمعية الإرشاد
ألد أعداء الشيخ أحمد السوركتي ، يجلب الشيخ كل الإجلال ، ويحترمه كل الاحترام
ويدعو الناس لتعظيمه وتكريمه .

بدء نفور العلويين من الشيخ أحمد السوركتي وتحاملهم عليه

حدث أن سأل السيد عمر سعيد بن سنكر الأستاذ الشيخ أحمد السوركتي ، وكان
في مجلس من مجالس العرب بمدينة صولو عن جواز زواج العلوية من غير العلوي ،
فأجاب فضيلته بالجواز ، وحيث أن العلويين وغيرهم من الحضارمة يعتقدون تحريم
زواج العلوية لغير العلوي ، فقد أخذ القوم يتهامون في شيء كثير من السهنة والحيرة
وذاعت فتوى الشيخ في بتافيا وغيرها من بلدان جاوه ، ولم يكف يعود الشيخ أحمد
السوركتي من رحلته إلى بتافيا إلا وقد أصبحت وجوه العلويين عابسة ضده
ينظرون إليه نظرات كلها مقت وغل ، لم يجد الشيخ عشر معشار ما كان يلقاه من
القوم من الاحترام والإجلال ، بل وجد منهم إعراضاً وإدباراً وتعبساً ونفوراً ، وليس
للشيخ ذنب سوى أنه أفتى بصحة زواج العلوية من غير العلوي ، واضطر الشيخ لذلك
أن يقدم لجمعية خير استقالته يوم ١٥ شوال سنة ١٣٣٢ - ٦ سبتمبر عام ١٩١٤ .

(١) كان هذا الرجل من أكبر زعماء آل ناعلوي ، وأكبر عملا لمصلحة عشيرته ، ذكيا شديدا
الذكاء ، واسكنه هادئته في الوقت نفسه ، كان عالما وأديبا ، وخطيباً بليغاً ، وافتد كات وفاه خسارة
كبيرة على العلويين .

جمعية الإصلاح والإرشاد

لم يرد الله أن تبقى سلطة العلويين الروحية حاكمة على الحضارة مائلة لمشاعرهم وعواطفهم ، لم يشأ أن تبقى تلك الأفكار جامدة ، والأذهان هائمة ، والأبصار عشواء ، والقلوب عمياء ، بل أراد أن يمرر تلك النفوس من عبوديتها ، وتلك العقول من خبالها ، أراد أن يحطم تلك الخرافات والنزعات والبسوع والأوهام التي لعبت بعقول القوم مئات السنين ، لذلك هدى جماعة من أعيان الحضارة لتأسيس جمعية الإصلاح والإرشاد في بتافيا سنة ١٩١٤ ، وكان من أكبر القائمين بتكاليفها وتشكايف مدرستها التي أنشئت أوائل سنة ١٩١٥ قبيب العرب بيتافيا السيد عمر منفوش ، والسيد سعيد مشعي ، وكان العلامة الأستاذ أحمد السوركتي هو القائم بإدارة التعليم في مدرسة الإرشاد ، ويساعده في التدريس العلامة الأستاذ محمد عبود الحضرمي وجماعة من السودانيين ، منهم العلامة الورع الأستاذ أحمد العاقب ، وجمعية الإرشاد فانون أساسى هذا نصه :

الفصل الأول

هذه الجمعية اسمها : [جمعية الإصلاح والإرشاد العربية] ، ومركزها بيتاوى .

الفصل الثانى

غرض هذه الجمعية جمع الأموال وصرفها فيما يأتى :

١ - السعى في إصلاح وترقية الأمة الإسلامية عموماً والعربية خصوصاً أدبياً واقتصادياً
نشر الدين الإسلامي ، وبث الآداب ، والأخلاق الفاضلة ، ونشر العلم
واللغة العربية .

٢ - القيام بالمشاريع الخيرية : كالمدارس وبيوت الأيتام والأرامل والمعجزة
والمستشفيات ، وتتوسل الجمعية إلى أغراضها بالتأليف والنشر ، وعقد
الاجتماعات ، وإلقاء المحاضرات ، وإرسال البعثات ، وإنشاء النوادي والمكاتب
العمومية ، ومساعدة الجمعيات التي تنفق مع هذه الجمعية في المقصد بشرط أن
يكون كل ذلك غير مخالف للدين الإسلامي ، ولا لقوانين الحكومة المحلية .

الفصل الثالث

هذه الجمعية أقيمت لمدة تسع وعشرين سنة وتسعة أشهر ، ويعتبر ذلك من ابتداء
صدور فرمان الإذن المصادق عليه من نخامة الوالي العام ، ومن ذلك الحين صار لها
الحق في ابتداء إدارة الأشغال .

ويجوز للمركز أن يفتح له فرعا في مدة يكون أعضاؤها عشرة سواء كانت في
هندنا بيدرلند أو في غيرها من الأماكن ، وإدارة الفرع تكون من أعضاء ذلك
الفرع نفسه .

الفصل الرابع

كل شخص من الأمة الإسلامية عليه أن يقدم طلباً خطياً إلى الإدارة المركزية
أو وكلائها ، أو إلى مدير الفرع الذي في مدينته ، موصحاً فيه اسمه وحرفته ومحل
إقامته ، وللإدارة المركزية أو وكلائها أو مديري الفرع حق القبول والرفض ، والمجالس
المذكورة رفع أعضاء شرف من الذين يتبرعون لها بحال كثير ، أو يقومون لها بعمل

عظيم النفع، وكلّ عضومن أعضاء هذه الجمعية يمكن للاجتماع العمومى، وللادارة المركزية رفقه من العصوية متى تبين وثبت أنه يسعى ضدّ مصالح الجمعية .

الفصل الخامس

القيادة العامة للجمعية هي بيد الإدارة المركزية التي لا يقلّ أعضاءها عن أحد عشر نفراً ، [أى رئيساً ونائبه ، وكاتباً أولاً وكاتباً ثانياً وأميناً للصندوق ومفتشين ومستشاراً واحداً] ولا يزيدون على سبعة عشر نفراً ، ويكون انتخابهم بواسطة الاجتماع العمومى لمدة ثلاث سنوات ، ولا مانع من إعادة انتخابهم مرة أخرى ، وللادارة حقّ رفع مساعدين وإقامة لجان وهيئات متى بدت الحاجة .

أما إدارات الفروع فلا يقلّ أعضاءها عن ٤ أفراد بما فيهم الرئيس والكاتب وأمين الصندوق والمفتش ، ولا يزيدون على أحد عشر نفراً ، وانتخابهم كعزلهم موكل إلى أعضاء ذلك الفرع نفسه ما لم يخالفوا القانون الأساسى [و إلا فللادارة المركزية حقّ عزلهم] ، ويجب فى الحال رفع معلومات كتابية إلى الإدارة المركزية ، وعليها المصادقة ما لم يخالف ذلك القانون الأساسى ، وانتخابهم لمدة سنة ، ويجوز انتخابهم مرة ثانية . والمركز مسئول فى تنفيذ نظام الجمعية ، وعليه أن يفكر فيما يرقبها ويحقق مقاصدها ، وكلّ إدارة تنوب عن الجمعية التى تديرها أمام المحاكم وغيرها كما أن لها أن تنيب من تشاء .

وفى كلّ سنة يجب على المركز عقد اجتماع عامّ يدعى إليه أعضاء إدارات الفروع للنظر فى أعمال الجمعية وميزانيتها و ثروتها وبروجرام عملها للسنة القادمة ، وليس للمركز حقّ إيقاف أى فرع من فروعها إلا إذا خالف القانون الأساسى وأصرّ على المخالفة ، وفى حين حدوث خلاف بين الفرع والمركز يحكم بينهما الاجتماع العام لإدارات الفروع والمركز ، ويكون حكمه نافذاً مقبولاً .

وأية إدارة أخلت بواجبها يجوز عزلها قبل انتهاء مدتها المقررة بواسطة اجتماع
عمومي لهذا الغرض وحده يعقد في البلدة التي فيها الإدارة المحلية .
ولا يجوز لأحد من آل باعلوي أن يكون عضواً من أعضاء الرئاسة أو وكيلا لها^(١) .

الفصل السادس

كل كتاب يصدر عن إدارة الجمعية يجب أن يكون ممضى عليه بإمضاء الرئيس
والكاتب المعتمد .

الفصل السابع

بقية الشئون المتعلقة بالجمعية تستطر في قانونها الداخلي الذي يجب إبرامه أو إبطاله
بواسطة اجتماع أعضاء هذه الجمعية ، وحينئذ يجب الخضوع له ما لم يكن مخالفاً لقوانين
الحكومة المحلية .

الفصل الثامن

هذا القانون لا يجوز تغييره ولا تبديله إلا بموافقة ثلاثة أرباع أعضاء هذه الجمعية
الحاضرين في الاجتماع وقبول الوالي العام لذلك .

(١) السب لمع العلويين عن رئاسة الإرشاد : هو أن هؤلاء كانوا يقولون عند بدء حركة
الإرشاد : إن الحضارم من غير العلويين لا يستطيعون أن يقوموا بمسروع إن لم تكن إقامتهم عنوية .
فأراد هؤلاء أن يرضوا بالقدره والسكفاء على العمل .

الفصل التاسع

للإدارة المركزية وإدارات الفروع أن يتناوعوا للجمعية العقارات ، ولهم حق بيعها وإيجارها ، وإيسر للإدارة المركزية حق التصرف في مالية الفروع ، وعند سقوط أى فرع من فروع الجمعية يكون جميع ماله وممتلكاته للمركز بعد دفع ما عليه من الدين ، والمركز فى أى حال من الأحوال غير مسئول عن دين الفرع .

الفصل العاشر

مالية الجمعية تتكون من الاشتراكات التى يدفعها الأعضاء ، ومن الإعانات والصدقات والأوقاف والوصايا ، وللمجلس الإدارة المركزية أن يوسع موارد الجمعية بالطرق المشروعة الشريفة ، وكل من وهب أو أوصى أو وقف شيئاً على الجمعية ، فليس له ولا لورثته الرجوع فيه مطلقاً فى أى حال من الأحوال .

الفصل الحادى عشر

لا يجوز إيقاف الجمعية قبل تمام المدة المأذون فيها بموجب ما ذكر فى الفصل الثالث إلا إذا اتفق تسعون فى المائة من أعضائها على إيقافها ، ويجب عليهم حينئذ أن يراعوا حقوق الديون على حسب القانون ، وإذا بنى بعد ذلك شىء من المال ، فعلى أعضاء الإدارة أن يوزعوه على المشروعات الخيرية الإسلامية على حسب تقرير الاجتماع العمومى .

وأما الفرع فسقوطه يكون بتوقيف المركز له كما هو مذكور فى الفصل الخامس أو باتفاق ثلاثة أرباع أعضاء ذلك الفرع نفسه اه .

لقد أثار ظهور جمعية الإصلاح والإرشاد غضب العلويين لأنهم يعلمون أنها مستتفى على سلطتهم الروحية ، وعلى تلك الامتيازات التي يتمتعون بها ، فأخذوا يتكلمون ضدّ الشيخ أحمد السوركتي وضدّ أنصاره في مجالسهم ، ويحطون من قدرهم ، ويرمونهم بالزندقة والكفر ، لينفروا الناس عنهم ، ويحولوا بينهم وبين الانضمام إلى صفهم ، وأخذوا يكتبون في الصحف الجاوية ضدّ الشيخ ، ويوجهون إليه الأسئلة لقصد تعجيزه ولكن الشيخ ردّ عليهم ببيان نشره بالعربي ، ووزعه على الناس كان له الأثر الحسن فيهم حيث انضمّ إلى جمعية الإرشاد جمع كثير ، وسحب بعض العرب أبناءهم من مدرسة جمعية خير ، وألقوهم بمدرسة الإرشاد ، وهذا نصّ البيان :

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله ، وبه نستعين ، وصلى الله وسلم على رسوله الصادق الأمين .
حضرة الفاضل مدير جريدة [صولوه هنديا] المحترم ، تولاة الله آمين .
بعد تقديم صحف الاحترام نعرض أننا قد قرأنا بواسطة الترجمان في جريدتكم الفراء عدد ٢ صحيفة ٢ الصادرة في ٢٨ اكتوبر سنة ١٩١٥ مقالا صادراً عن بعض الإخوان المتحمسين من ذكر المساواة بين المسلمين ، تحت إمضاء حرف $\frac{1}{2}$ ، فهذا الأخ الفاضل قد رمز إلينا في مقاله هذا ، وأتى فيه بما لا يليق وهوّل الأمر في موضوعه ، وأطال التشنيع ، وخرج عن جادة الإنصاف ، وسلك طريق التشفي والافتراء ، فنزل بذلك عن مرتبة من يستحق منا الجواب . ولعله يريد زيادة حطب في نار العصبية التي أوقدها بعض الجهال .

ولما كان مقاله هذا يشفّ عن عدم إدراكه لحقيقة هذه المسألة وعن عدم حفظه لشروط المباحثة وفانون الأدب ، وكان مقصوده به هتك أعراض المسلمين المصونة فقط ، عدلت عن جوابه ، وضربت عنه صفحاً ، وأكرمت نفسي بعدم مجاراته في هتك

الأعراض ، ومقابلته بمثل كلامه كما صفحت عن غيره من قبل ممن سبّ وصاح واخترع الأكاذيب وأشاع وأذى بما استطاع ، ولست عائداً إلى مخاطبته ، لأن التصدي لردّ الكلام الذي ليس مبنياً على أساس العقول ، ولا معضداً بحجج المنقول عبث وضياع وقت ، فلا يشتغل به إلا من لا شغل له كما أنه لا يعتمد على مثله إلا من لا عقل له .

ولكن سؤال حضرتكم عن الحق ، واستفساركم عن الحقيقة ، ضغط على ضميري ، وقهره على إجابته ، وساقه إلى كتابة هذه الكلمات بزجر قوله تعالى : [وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ لَتُبَيِّنُنَّهُ لِلنَّاسِ وَلَا تَكْتُمُونَهُ] ، وقوله تعالى : [إِنَّ الَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَا أَنْزَلْنَا مِنَ الْبَيِّنَاتِ وَالْهُدَىٰ مِنْ بَعْدِ مَا بَيَّنَّاهُ لِلنَّاسِ فِي الْكِتَابِ أُولَٰئِكَ يَلْعَنُهُمُ اللَّهُ وَيَلْعَنُهُمُ اللَّاعِنُونَ ، إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا وَأَصْلَحُوا وَبَيَّنَّاهُ لَكُمْ فِي الْكِتَابِ لَعَلَّكُمْ تَعْلَمُونَ] ، وقوله صلى الله عليه وسلم : « مَنْ سئِلَ عَنْ عِلْمٍ يَعْلَمُهُ فَكْتَمَهُ أَجَبَهُ اللَّهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ بِلِجَامٍ مِنْ نَارٍ » .

غير أني أتأسف كثيراً من خفاء مثل هذا الأمر المعلوم من الدين بالضرورة على أمثالكم ، ومن توهمكم في دين الاسلام المقدس عدم المساواة بين المسلمين ، وإضاعة حقوق الأعمال بمراعاة الأنساب ، حتى احتجتم إلى السؤال عنه ، ومع ذلك فإني أشكركم على طلب الحقائق ، وأبشروا فقد وافاكم الحق نزيهاً يسيراً وسألتم عنه خبيراً . إن النكاح بين المسلمين ، كالبيع والإيجار من جهة أنه متى عينت المنفعة المقابلة من المهر أو الثمن أو الأجر ، وسمح من بيده الأمر ، وقبل الآخر ، صح العقد ، وحلّ بذلك الانتفاع والتمتع ، ولا خلاف في ذلك بين علماء الأمة الحمديّة المعتبرين ، وكلا الفريقين حرّ مختار فيما في يده أو تحت حكمه قبل المعاقدة ، وقد ينوب عن صاحب السلعة وليه أو وكيله ، إذا كان ناقص الرشد أو المعرفة لدفع المغابنة .

ولما كان جلّ ذلك معلوماً عند حضرتكم بالضرورة ، ولم يداخلكم الشك إلا في مسألة النكاح فقط من جهة حكم الدين ، فإني أذكر لكم في هذه الأسطر بعض ما بلغني من قضايا الرسول صلى الله عليه وسلم وأصحابه في ذلك لتعلموا حكم الدين الحقيقي وعدله

ورأته عن الأدناس والفساسف السياسية ، لأن ما جاء به الرسول وما فعله وما أمر به وما أقر عليه هو الدين لا غيره ، وإليه التحاكم وإليه الرجوع لقوله تعالى : [فَإِنْ تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ إِنْ كُنْتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ، ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا] ، وقوله تعالى : [وَمَا اخْتَلَفْتُمْ فِيهِ مِنْ شَيْءٍ فَحُكْمُهُ إِلَى اللَّهِ] وقوله تعالى : [وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا] وقوله تعالى : [قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ] .

ثم إن شتم بعد ذلك مزيداً من أقوال أهل العلم المتبعين لآثار الرسول أذكر لكم من نصوص علماء الأمة المعتبرين من أهل المذاهب الأربعة ما يكون به الاقتناع وينكشف به الاقتناع في مقالة أخرى إن شاء الله تعالى ، لأن الأئمة الأربعة المجتهدين متفقون على أنه إذا رضيت المرأة ووايها الأقرب أو أولياؤها الأقربون لترويج مسلم وعين المهر وحصل الإيجاب والقبول بغير شرط بحضور شاهدين صح النكاح بدون نظر إلى شيء وراء ذلك ، وتبعمهم على ذلك علماء الأمة المعتبرون ، وأما من شذ وخرج عن هذا المنهج الذي أجمع عليه النبي وأصحابه والأئمة المجتهدون وعلماء الأمة وحكامها والمعتبرون ، وغض النظر عن حكم الشرع لمجاعة عادة أو لارضاء ذى سلطان أو عصبية ، فليس منا ولسنا منه .

[قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللَّهِ عَلَى بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِي وَسُبْحَانَ اللَّهِ وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ . وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَنْ سَبِيلِهِ ، ذَٰلِكُمْ وَصَّاكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ] .

كل ذلك مبنى على عدل الإسلام ومساواته بين المسلمين ، ومحافظته على حقوق الشعوب المتشرقة بتبني ظلاله ، وهالك من كتاب ربك برهانا على ما أذعبه ، وسراجا يضيء لك ما تبغضيه . قال تبارك اسمه : [يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا ، إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ ، إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ] .

إن تقسيم القبائل والشعوب أو تسميتها بالأسماء المختلفة إنما هو لأجل التعارف .
كتسمية الأشخاص من أبناء الرجل الواحد لتيزمهم عن بعضهم فقط ، وهي كتقسيم
البحار والرياح والأقطار ، ولا تفاضل بينها إلا بالنتائج والآثار .

إن جميع أهالي الأديان متفقون على أن أصل جميع الناس واحد بلا خلاف ،
ولأفضل لأحد على أحد بذات دمه ولحمه ، ولكنهم يتفاضلون بالصفات والآثار وحسن
التربية ، كالأثمار المأخوذة من شجرة واحدة فإنها تتفاضل في حلاوة الطعم وعظم المقدار
والسلامة من الفساد ، وكذلك الناس يتفاضلون في العلم والعمل وحسن الأخلاق .

وكما أن البذرة المأخوذة من الشجرة الصغيرة تنتج بحسن التربية والعناية شجرة
كبيرة ذات أثمار عظيمة فائقة على أصلها في الحلاوة والنضارة ، كذلك البذرة المأخوذة
من الشجرة العظيمة الجيدة من ذلك النوع يصغر ثمرها ، وتنقص حلاوته ويفسد إذا
ساءت التربية ونقصت العناية بها .

فكذلك الحال في بني آدم وفي بني كل رجل فاضل عظيم من البشر ، فإن ابن
الكريم العالم الفاضل الحسن الأخلاق يكون بليداً جباناً خسيماً سيئ الأخلاق إذا
ساءت التربية ، ويكون ابن البليد الأحمق الخسيس الجاهل كريماً شجاعاً فاضلاً عالماً
حسن الأخلاق إذا حسنت تربيته ، فلا محل للاعترار بالانتساب إلى كريم أو عالم أو
نبي من الأنبياء .

ولتقرير هذا المبدأ وإقناع التوهمين خلاف ذلك قال رسول الله صلى الله عليه وسلم:
« مَنْ أَبْطَأَ بِهِ عَمَلُهُ لَمْ يُسْرِعْ بِهِ نَسَبُهُ » ، وقال صلى الله عليه وسلم : « لَيْسَ
لِأَحَدٍ فَضْلٌ عَلَى أَحَدٍ إِلَّا بِدِينٍ أَوْ عَمَلٍ صَالِحٍ » ، وقد أخرج الله كنعان بن
نوح من آل نوح حينما ساء عمله مع رجاء أبيه وشفاعته فيه بقوله الأسمى : [إِنَّهُ لَيْسَ
مِنْ أَهْلِكَ إِنَّهُ عَمَلٌ غَيْرُ صَالِحٍ فَلَا نَسْتَلْنِ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ ، إِنِّي أَعِظُكَ أَنْ
تَكُونَ مِنَ الْجَاهِلِينَ] ، فزجره الله بذلك عن إلحاق من لا يعمل مثل عمله . وقال

تعالى : [وَالَّذِينَ آمَنُوا وَاتَّبَعَتْهُمْ ذُرِّيَّتُهُمْ بِإِيمَانٍ أَلْحَقْنَا بِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ] ، فقيد الله الإلحاق في الدرجة بالإيمان والأتباع .

لست أعنى الإلحاق اللحى الموضوع لأجل التمييز والتشعيب ، أى أن يقال فلان ابن فلان ، ولكنى أعنى الإلحاق في المضيئة . فإذا فهمت ذلك فاعلم أن شرط الإيمان بالله ورسوله أن يكون هوى المؤمن تابعا لأحكام الله ورسوله بدون تردد ولا اختيار ، ولا نظر إلى ما يحبه ، أو يتخيله مصلحة له ، أو تكليفاً عليه ، لقوله تعالى : [فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا] وقوله تعالى : [وَمَا كَانَ لِلْمُؤْمِنِينَ وَلَا الْمُؤْمِنَاتِ إِذَا قَضَىٰ اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمْرًا أَنْ يَكُونَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ ، وَمَنْ يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ قَدْ ضَلَّ ضَلَالًا مُّبِينًا] .

وعليه فلا يظهر إيمان المرء وقوته إلا عند ما يأتي حكم الله مخالفاً لما يهواه أو لما يتخيله مصلحة له ، فإن رأيته خاضعاً لحكم الله مسلماً له بالقلب والقالب ، فذلك برهان إيمانه ، وإن رأيته حرج الصدر متضجراً من الحكم متعاضماً عليه يتطلب التخلص منه بالاحتيال أو بالتأويل إلى ما يناسب هواه أو بتغطيته على الناس ، فهو عبد هواه ولم يبرهن على إيمانه بالله ورسوله .

ولا ينعه حينئذ ما يعمله من الأعمال الدينية الواهية لهواه ، لأن دينه حينئذ يكون تابعا لشهواته لا متبوعا لها فيكون داخلا في مضمون قوله تعالى : [وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يُعْبِدُ اللَّهَ عَلَىٰ حَرْفٍ فَإِنْ أَصَابَهُ خَيْرٌ اطْمَأَنَّ بِهِ وَإِنْ أَصَابَتْهُ فِتْنَةٌ انْقَلَبَ عَلَىٰ وَجْهِهِ خَسِرَ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةَ ذَلِكَ هُوَ الْخُسْرَانُ الْمُبِينُ] .

فإذا تأملت فيما ذكر يظهر لك أن الإلحاق في المضيئة مشروط بالإيمان والاتباع في الأعمال الصالحة ، وأن الإيمان شرطه التفويض لأحكام الله ورسوله ، وأن الفضل بالأعمال والآثار ، لا بالأنسب والأحساب .

ولو كان الفضل بالتوارث والانتساب لما رأيت في بني آدم ساقطاً ولا جاهلاً ولا شريراً ، لأن انتساب جميع الناس إلى آدم وإلى نوح عليهما الصلاة والسلام ، وهما أبو الرسل والأصفياء والعلماء والحكماء والملوك والأمراء ، وهما أيضاً أبوا القاسقين والمعونين والجهال والحقهاء والساقطين .

وانظر إلى آل إبراهيم وآل عمران الذين اصطفى الله منهم الرسل المقربين كعيسى وعيسى ويحيى وإسماعيل ومحمد عليهم الصلاة والسلام ، فانظر كيف لعن الله المعتدين منهم والعاصين الذين لا يتناهون عن المنكر بقوله تعالى : [لَعْنَةُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ عَلَى لِسَانِ دَاوُدَ وَعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ ، ذَلِكَ بِمَا عَصَوْا وَكَانُوا يَعْتَدُونَ . كَانُوا لَا يَتَنَاهَوْنَ عَنْ مُنْكَرٍ فَعَلُوهُ ، لَبِئْسَ مَا كَانُوا يَفْعَلُونَ] .

فالمدح والذم والفضل والنقص تابعة للأعمال لا لدم مخصوص ولا لنسب مخصوص ، فقد أفلح من زكى نفسه بصالح الأعمال وقد خاب من دساها .

وأما دين الإسلام فكما علمه كل من اطلع على قواعده العالية وأصوله الشريفة هو دين العدل والمساواة ، هو الدين الذي يمكن للعقل أن يرضى لأحكامه بدون ضغط ولا إجبار ولا تخويف ، وهو الذي جعل الحكم والتمييز في الأمور للعقل والعلم خاصة ، وجعل التفاضل بين الناس بالعلوم والأعمال فقط .

هو الدين الذي لا يؤاخذ فيه الوالد بذنب الولد ولا الولد بذنب الوالد . هو الدين الذي يقول شارعه على رموس الأشهاد : « لَا فَضْلَ لِعَرَبِيٍّ عَلَى أَعْجَمِيٍّ وَلَا لِأَعْجَمِيٍّ عَلَى عَرَبِيٍّ إِلَّا بِالتَّقْوَى ، وَلَا لِأَسْوَدَ عَلَى أَحْمَرَ وَلَا لِأَحْمَرَ عَلَى أَسْوَدَ إِلَّا بِالتَّقْوَى » . ولو كان الإسلام دين سياسة أو تفضيل أشخاص وأنساب بغير عمل أو كان يميز قريباً عن بعيد في حكمه ، لما انتشر هذا الانتشار الذي لم يعهد له مثال في الأديان بغير دعاة ولا سعاة مع فقر أهله وسقوطهم وفشلهم في هذا الزمان . ليس ذلك إلا ليرامى العقول والقلوب عليه بسهولة مبادئه وعنده وإنصافه وسماحة قواعده .

فإذا فهم ذلك فالقول بأن بعض الشعوب أفضل من غيرهم لذات دعاتهم ولحومهم بدون اعتبار عمل أو علم ، ونسبة هذا القول إلى الشرع الشريف تلويث له بما لا يناسب شيئاً من أصوله ، وإيقاظ لفتنة عظيمة بينه وبين العقل الذي جعله الله ميزاناً لكل شيء ، وإثبات لدعوى أعدائه المتعنتين عليه ، فمن دس على الدين شيئاً من ذلك فهو مردود عليه ، والله ورسوله براء منه ، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « مَنْ أَدَّخْتُ فِي أَمْرِنَا هَذَا مَا لَيْسَ مِنْهُ فَهُوَ رَدٌّ » .

وأما مسألة الكفاءة بين المسلمين التي خاض فيها بعض العلماء ، فليست مبنية على تفصيل أحد ولا على تنقيص أحد ، وإنما النظر فيها إلى وسائل حسن المعاشرة والاتفاق بين الزوجين والنظر في حالة معاشهما .

فإن بنت الغنى التي تلبس كل يوم فستاناً جديداً ، وتأكل كل يوم ألواناً كثيرة وتبيت على الفراش اللين الناعم إذا دخلت في بيت فقير لبس عنده شيء من ذلك فإنها تتكدر وتسمى حالتها ، فيجر ذلك إلى بغض الزوج واحتقارها له فيكون ذلك سبباً لعدم الاتفاق ولسوء المعاشرة ، فرأوا أن المناسب أن يتزوجها من يناسب حالتها ، وكذلك الحال بين المتعلمة والجاهل ، وبين المترية وقليل التربية وغيرها مما لا مناسبة بين أحوالهم وأخلاقهم .

ولما كان هذا الاعتبار تاماً لأمر المعاش والمعاشرة كان ساقطاً عند حصول رضا المرأة مع العلم بحال الرجل الخاطب إذا كان مسلماً ، وإذا كانت رشيدة تمير بين محاسن الرجال ومساوئهم ، لأنه ربما كان رضاؤها به مع ما ذكر لمزية أخرى تعادل ما فقدته من خصوبة العيس ونعومة اللباس والفراش والعلم والحضارة وشرف المحتد ، كالقوة والشباب وحسن الأخلاق وحسن المنظر وغير ذلك من الصفات التي ترضى النساء .

ولذلك جعل الشارع المدار على رضاها مع الرشد ، فإن لم تكن رشيدة كان أقرب الناس إليها نائباً عنها في ذلك ، ومن ادعى على الشارع شيئاً وراء ذلك ، فقد افترى عليه ما هو بريء منه .

هذا حكم الله وهذا حكم رسوله ، فمن اتبعه وأسلم وجهه فقد استمسك بالعروة الوثقى ، ومن تكبر على أحكام الله وأعرض عنها فليبتغ نفعاً في الأرض ، أو سلماً في السماء ، فالله يحكم لامعقب لحكمه ، وهالك أمثله من قضايا رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه في ذلك ، لتكون على بينة من أمرك :

[أولاً] : زَوْجُ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ زَيْنَبُ بِنْتُ جَحْشِ بِنْتِ عَمَتِهِ أُمِّيَّةَ بِنْتِ عَبْدِ الْمَطْلَبِ مِنْ زَيْدِ بْنِ حَارِثَةَ مَوْلَاهُ ، وَكَانَتْ قَدْ اسْتَنَكَمَتْ مِنْ ذَلِكَ عَلَى عَادَةِ الْجَاهِلِيَّةِ فِي أَوَّلِ الْأَمْرِ ، فَأَنْزَلَ اللَّهُ فِيهَا وَفِي أُخْيَاهَا قَوْلَهُ تَعَالَى : [وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمْرًا أَنْ تَكُونَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ ، وَمَنْ يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا مُبِينًا] ، فَلَمَّا نَزَلَتِ الْآيَةُ رَضِيَتْ بِهِ ، وَالْقِصَّةُ مَشْهُورَةٌ فِي الْفَرَّانِ وَفِي التَّفَاسِيرِ .

[ثانياً] : زَوْجُ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَيْضًا زَيْدُ بْنُ حَارِثَةَ الْمَذْكُورِ بَعْدَ طَلَاقِهِ لَزَيْنَبَ مِنْ أُمِّ كَلْثُومَ بِنْتِ عَقْبَةَ بْنِ أَبِي مَعِيْطٍ الَّتِي وَهَبَتْ نَفْسَهَا لِلنَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، فَأَنْزَلَهُ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي مَنْزِلَةِ نَفْسِهِ فِي زَوَاجِهَا وَهِيَ قَرَشِيَّةٌ .

[ثالثاً] : زَوْجُ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَاطِمَةُ بِنْتُ قَيْسِ الْقَرَشِيَّةِ بِأَسَمَةَ ابْنِ زَيْدٍ كَمَا فِي صَحِيحِ مُسْلِمٍ ، وَقَدِمَهُ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَلَى مَعَاوِيَةَ بْنِ أَبِي سَعْيَانَ وَعَلَى أَبِي جَهْمٍ ، لِأَنَّ الْأَوَّلَ كَانَ صَعْلُوكًا لَا مَالَ عِنْدَهُ فِي ذَلِكَ الْوَقْتِ ، وَكَانَ أَبُو جَهْمٍ كَثِيرَ الضَّرْبِ . وَلَمْ يَعْصِ أَسَمَةَ كَوْنَهُ مَوْلَى فِي نَظَرِ الشَّارِعِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ .

[رابعاً] : زَوْجُ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ابْنَتِيهِ رَقِيَّةُ وَأُمُّ كَلْثُومَ مِنْ سَيِّدِنَا عُمَانَ بْنِ عَفَّانَ عَلَى التَّمَاقِبِ ، وَهُوَ غَيْرُ هَاشِمِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ .

[خامساً] : زَوْجُ سَيِّدِنَا عَلِيٍِّّ عَلَيْهِ السَّلَامُ هِيَ أُمُّ كَلْثُومَ مِنَ السَّيِّدَةِ فَاطِمَةَ عَلَيْهِمُ الرِّضْوَانُ [مِنْ سَيِّدِنَا عَمْرِو بْنِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وَهُوَ غَيْرُ هَاشِمِيِّ أَيْضًا .

[سادساً] : زوج عبد الرحمن بن عوف أخته من بلال الحبشى رضى الله عنهم ،
كما فى كتاب زاد المعاد .

[سابعاً] : زوج أبو حذيفة بن عتبة بن ربيعة القرشى ، وهو أحد الصحابة
البدرين سالما من بنت أخيه هند بنت الوليد بن عتبة القرشى ، وكان سالم هذا مولى
لامرأة من الأنصار كما فى صحيح البخارى

[ثامناً] : فى سنن الترمذى عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه قال : « إِذَا جَاءَكُمْ
مَنْ تَرْضَوْنَ دِينَهُ وَخُلُقَهُ فَأَنْكِحُوهُ ، إِلَّا تَقَمُّلُوهُ تَكُنْ فِتْنَةً فِي الْأَرْضِ وَفَسَادٌ
كَبِيرٌ » . قالوا يارسول الله ، وإن كان فيه ما فيه فقال : إِذَا جَاءَكُمْ مَنْ تَرْضَوْنَ
دِينَهُ وَخُلُقَهُ فَأَنْكِحُوهُ (ثلاث مرات) أيضاً ، فيه أن النبى صلى الله عليه وسلم قال
لبنى بياضة : « بَنُو بِيَاضَةَ بَطْنٌ مِنَ الْخَزْرَجِ أَحَدِ قَبِيلَتِي الْأَنْصَارِ » . « أَنْكِحُوا
أَبَا هِنْدٍ وَأَنْكِحُوا إِلَيْهِ » ، وكان حجاما .

فهذه قصايا سيد المرسلين وإمام المصلحين محمد صلى الله عليه وسلم وقضايا أصحابه ،
تقدمها لمن يريد أن يتبعها ، [وَمَنْ يَشَاقِقِ الرَّسُولَ مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ الْهُدَى
وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ الْمُؤْمِنِينَ نُوَلِّهِ مَا تَوَلَّى وَنُصَلِّهِ جَهَنَّمَ وَسَاءَتْ مَصِيرًا]
ومن ادعى أن الله حرم إنكاح مسلم مسلمة مع حصول التراضى بين القرينين لأجل اختلاف
نسب أو غيره ، فليأتنا ببينة من كتاب الله أو من أحكام رسوله فإنما عبید الحق وأنصاره .
ومن رد أن يجعل رأيه أو رأى أحد من الناس فوق حكم الله وحكم رسوله ، فإنما
برآء منه ، ومن حكمه : [وَمَنْ يَبْتَغِ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِينًا فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي
الْآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ ، وَمَنْ لَمْ يَحْكَمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ] .

فصل

يلمزننى الجهال ويعيبوننى بالاشتغال بصناعة التعليم ، ويقولون لى : كن معلماً
وما أنت إلا معلم ، على سبيل التنقيص ، فيأتى إذا كان ماأنا فيه من تعليم الدين عيباً
أكون بسببه محتقراً ، فأى صنعة أشرف منها أكون عظيمًا محترماً إذا تمسكت بها ؟ ،
ويأليت شعرى إذا كانت إجابتى عن مسألة دينية سئلت عنها على مقتضى ما علمت
قد عدت غلطاً وفضولاً وخوضاً فيما لا يعنى ، فقها إذا أكون معلماً ؟ .

إن من احتقر صنعة التعليم وأهلها ، فقد احتقر ما عظمه الله وصغر ما كبره الله ، إن
أفضل الفضائل هو الاشتغال بتعليم الناس وهو صنعة الأنبياء والمرسلين ، ومحمد رسول الله
صلى الله عليه وسلم يقول : « إِنَّمَا بُعِثْتُ مُعَلِّمًا » .

وعنه صلى الله عليه وسلم أنه قال : « خَيْرُكُمْ وَخَيْرٌ مَنْ طَلَعَتْ عَلَيْهِ الشَّمْسُ
الْمُعَلِّمُونَ » .

وعنه صلى الله عليه وسلم : « خَيْرُكُمْ وَخَيْرٌ مَنْ يَمْشِي عَلَى ظَهْرِ الْأَرْضِ الْمُعَلِّمُونَ »
وعنه صلى الله عليه وسلم : « خَيْرُكُمْ مَنْ تَعَلَّمَ الْقُرْآنَ وَعَلَّمَهُ » .

والتعليم هو أساس كل تقدم ومبدأ كل مجد ، والسبب الأول لكل نجاح فى
العالم ، فلا يحقر أهله إلا جاهل غيبي ، فكل أمة عزت فيها المعلمون عزت وسادت ،
وكل أمة ذلت فيها المعلمون ذلت وشقيت ، وكل أمة تهاون بأمر تعليم ناشئها فصيورها
إلى سجون الذل والصغار ، ووادى الحسف والدمار ، تلك سنة الله فى خلقه ، وَكَانَ تَجِدَ
لِسُنَّةِ اللَّهِ تَبْدِيلًا .

إن من أصول الدسائس التى بها سقط المسلمون من منعة الجدد ، ومنها استولى
عليهم الجهل استيلاء النار على الخشب ، احتقار المعلمين ورخص قيمتهم . فبسبب ذلك

هربت النفوس الكبيرة من مباشرة التعليم ، واستنكف أهل الهمم العالية عن النظر في تربية الناشئة وإصلاحها .

قُشب الشبان في حضانة الجهل وكفالة الغباوة، وسابوا في دائرة محيط الغرور، فأصبحوا بذلك أعداء العلم وأنصار الجهالة ، فرانت القلوب واستعدت لقبول الأباطيل والخرافات ، هاغتمت القرصة جمعيات القرمس واليهود والرومان السرية لبث أنواع الدسائس المفسدة للوحدة الإسلامية القاتلة لروح الإسلام في قلوب المسلمين .

وقد أصابوا المقتل - لا رحمهم الله - حيث تمكنوا من زرع هذا السم في قلوب من ييئد قيادة الأمة من الفقهاء ، وأهالي البيوت الكبيرة من أهل الأحساب ، والأنساب المحترمين ، وأهل المناصب المعتقدين ، انعميم هذا الداء ، حتى جعلوا المسلمين كالمخانين يلعبون بقطع الأخشاب ، وياتمسون الأرزاق والوظائف من سكان القبور ، ويستنجدون في مهمات أمورهم أقطاب الأوهام ، وينسبون كل داهية تنزل بهم إلى أغواث الخرافات ، حتى وصلوا إلى دركة يتفاخرون فيها بالتحول ويتسابقون في التكاسل والتماوت ، حتى صاروا يرون العلم قصاً والعمل عبثاً ، واستلذوا بالذل والمسكنة ، واستأنسوا بالهمجية .

فانخطوا بذلك إلى أسفل السافلين ، فسبقتهم الأمم بصنائعها وعلومها وسادتهم بفضائلها وعقولها ، وتركتم في ظلمات الجهل مبلسين ، وفي سلاسل الخرافات يسحبون ، ونسوا ما ذكروا به من الكتاب وما هذبوا به من السنة، ومارفَعوا به من قبل من الأصول الشريفة ، وما أمروا باتباعه من الحكمة والأحكام الجامعة لأنواع السعادة .

أفتمتد في هذا الضلال مع علمنا به وترك كتاب الله وراء ظهورنا؟! أقبالباطل تؤمن، وبنعمة الله تكفر؟! أوترضون أن نبيع ديننا ببناء الناس وإرضاء المغفلين من الأمة؟! أوترضون أن تموت الأمة بين أيدينا ونحن نضحك وتلعب وتتعطر وتبختر؟ ما هذا إلا خسف وخذلان .

نعوذ بالله من شرور الأفسس ونزعات الأهواء ونسأله اللطف فيما قدر والصبر على ما ابتلانا به ببدله، والثبات والتأييد على ما وفق إليه فضله ، إنه قريب مجيب . كاتبه

أحمد محمد سوركتو

أخذ مبدأ المساواة الشرعية ينجو ويترععرع ، وأخذت الفكرة الحرة تتمدد وتندفع إلى الأمام ، وتسرى تياراتها بسرعة عظيمة ، فاتجه الناس إلى جمعية الإرشاد أفراداً وجماعات محطمين تلك الأغلال التي طوقتهم قروناً ناقلين على تلك الحطب التي قصوها في العبودية ، على أن حزب المحافظين وهم العلويون وأتباعهم هو الحزب الأكبر عدداً وأكثر أنصاراً ، وبالرغم من أن مقاومتهم كانت عنيفة شديدة ، فإنهم لم يستطيعوا خنق حركة جمعية الإرشاد ويعرقلوا سيرها ، فقد انتشرت فكرة المساواة ليس فقط في بتافيا بل في غيرها من بلاد جاوه ، وأخذ الناس يؤسسون فروعا للجمعية ، وينشئون المدارس تحت اسم الإرشاد وعلى مبدأ الإرشاد ، ولكن الخلاف ازداد وانسع نطاق الشقاق والعراك ، وصارت جريدة الإقبال وهي لسان حال العلويين تدافع عن مركز هؤلاء ، وتحمل حملات شديدة على الإرشاديين كما أخذت جريدة الإرشاد ، وهي لسان حال الحزب الآخر تبذل كل مجهود في الدفاع عن الإرشاديين ، وتسى بكل مستطاع في نيلان حقيقة مبدأ جمعية الإرشاد للناس .

السعي لتوحيد صفوف العرب

على أنه ظهر من بين الحزبين المتنازعين أفراد آلمهم اقتراق الحصارم أشد الألم ، وسعوا لجمع شملهم ، ولم شعنهم ، واتحاد كلنهم ، وتوحيد صفوفهم ليستطيعوا القيام بالعمل للمصلحة العامة وللدفاع عن كيانتهم بين الجاليات المحيطة بهم ، وللمطالبة حقوقهم من الحكومة الهولندية ، وقد تألفت لجنة لذلك الغرض في ربيع الثاني سنة ١٣٣٧ - ، يناير سنة ١٩١٩ تحت رئاسة الشاب المثقف السيد إسماعيل العطاس ، وأذاعت منشوراً عاما لكافة العرب بجاوه تدعوهم فيه إلى التكتف والتناصر والاتحاد والوثام ، وهذا نص المنشور :

« لأئحة لجنة الإصلاح يتاوى »

« من لجنة الإصلاح يتاوى إلى رؤساء العرب وإلى رؤساء الجمعيات العربية وأعضائها وإلى عموم إخواننا العرب بالبلاد الجاوية :

حضرات الأفاضل المحترمين ! مع هذا تتشرف لجنة الإصلاح يتاوى بإرسال قانونها إليكم ، وكما ترون فيه أن الغرض الذى ترمى إليه لجنتنا المؤقتة هو بحث الطرق القانونية التى تؤدى بأسرع ما يمكن .

[أولاً] : إلى عقد مؤتمر عربى يحضره نواب العرب فى جاوه « أى نواب الجمعيات العربية الموجودة ، ونواب القبائل ، ونواب العرب الآخرين الغير الداخلين فى الجمعيات » وكل من يهتم بهذه المسألة من العرب .

[ثانياً] : إلى إنشاء وحدة عربية فى جاوه « كما هى مبنية فى قانون اللجنة » . والاتحاد التام بين العرب فى كل البلاد الجاوية « وفيما بعد لجميع الجزائر الهندية الشرقية الهولندية » للعمل معاً لما فيه مصلحة الجميع ، وللدفاع عن حقوق العرب ، واطلب الإصلاحات .

وبما أن مجلس الأمة « أى مجلس فولكسراد » سيجتمع على الأغلب فى ١٥ فيبروارى الآتى ، وحيث إن هنالك مسائل مهمة جداً تخص عموم العرب على السواء ، وبما أن إحدى تلك المسائل هى المسألة العسكرية أو التجنيد العام الذى سيبحث فيه مجلس الأمة ، فاللجنة رأت ضرورة سرعة العمل ولزوم إتمامه قبل انعقاد مجلس الأمة .

لذلك تتشرف لجنة الإصلاح بدعوتكم لإرسال نوابكم إلى المؤتمر العربى الذى

سينعقد في بيت مدرسة جمعية خير الكائن بحارة طانه ابغ بيتاوى ، وذلك في يوم الأحد ٨ شهر جمادى الأولى ١٣٣٧ ، الموافق ٩ لشهر فيبرواى ١٩١٩ ، الساعة ٨ صباحا المشاورة والتباحث ، وأخذ القرارات فى المسائل الآتية :

[أولاً] : إنشاء الوحدة العربية الكبرى للدفاع عن مصالح عموم العرب وانتخاب أعضاء لجنتها .

[ثانياً] : مسألة العرب المهاجرين إلى هذه البلاد ، ورفض قبول كثير منهم وإخراج كثير من الذين سكنوا هذه البلاد والصعوبات التى يلاقونها .

[ثالثاً] : مسألة العسكرية أو التجنيد العام لأن الحكومة عملت ابتداء قانون للعسكرية ، وبموجبه يلزم على العرب أن يصيروا عساكر ، فنحن نريد أن نعرف فكر العرب المجتمع عليه إذا كانوا راضين بالعسكرية أم لا .

[رابعاً] : مسألة إنشاء جريدة بالملايو لتسكون لسان حال العرب للدفاع عن مصالحهم ، ولإظهار ما يرغبون وما لا يرغبون .

هذه هى المواضيع التى ستتكم عليها نواب العرب فى المؤتمر ، وهى كما ترونها من الأهمية بمكان ، وتخص العرب جميعاً على السواء ، واللجنة قرّرت باجتماع الأصوات سمر الأعضاء الآتية أسماؤهم ، وهم : السيد محمد بن عبد الرحمن بن شهاب ، والشيوخ أحمد محمد سوركتى الأنصارى ، والشيوخ غالب بن سعيد بن تبيع تحت رئاسة رئيس اللجنة السيد إسماعيل بن عبد الله العطاس لبيان المواضيع السابقة ذكرها ولدعوتكم إلى المؤتمر العربى ، وإنشاء الوحدة العربية الكبرى التى نرجو الله منها الخير العميم للعرب ، والرئيس والأعضاء المنتخبين للسفر المذكورة أسماؤهم أعلاه قبلوا طلب اللجنة .

فنحن أعضاء لجنة الإصلاح بيتاوى الواضعين أسماؤنا أدناه « والواضعين إمضاءاتنا فى دفتر التقرير فى الصحيفة السابعة المثبت فيه قرار اللجنة بسفرهم لتلك الذى سيأخذونه معهم » ، فقدم لكم رئيس اللجنة والأعضاء المسافرين الذين أعطيناهم الحق للتكلم بأسمنا جميعاً ، ونرجوكم أن تعاونوهم قلباً وقولاً وعملاً .

وقد تقرر أن يكون سفرهم من بتاوى يوم السبت ٢٢ ربيع الثانى سنة ١٣٤٧
الموافق ٢٥ لشهر جنوارى سنة ١٩١٩ ، ويكون مجيئهم إلى البلدان الآتية أسماؤها
فى الأيام الآتية بالتقريب :

فى سربايه يوم الأحد ٢٣ ربيع الثانى - ٢٦ جنوارى ، وفى الصولو يوم الثلاثاء
٢٥ ربيع الثانى الموافق ٢٨ جنوارى ، وفى سماراغ يوم الأربعاء ٢٦ ربيع الثانى -
٢٩ جنوارى ، وفى فكالوغان يوم الجمعة ٢٨ ربيع الثانى ٣١ جنوارى ، وفى النقل
يوم الأحد ١ جمادى الأولى - ٢ فيبروارى ، وفى شربون يوم الاثنين ٢ جمادى الأولى -
٣ فيبروارى ، وأما وقت وصولهم بالمضبوط فسـيخبر رئيس اللجنة أحكم
بذلك لتغرافيا .

وللتسهيل والسرعة قررت اللجنة أن يكون لكل جمعية عربية من كل بلدة الحق
فى إرسال ثلاثة من نوابها مع حق التكلم باسمها ، وأما البلدان التى ليس بها جمعية عربية
فلعرب كل بلدة من هذه البلاد الحق فى إرسال ثلاثة نواب كذلك ينوبون عنهم للتكلم باسمهم .
وتسهيل العمل أيضاً نرجوكم إذا أمكنكم انتخاب نوابكم من الآن قبل مجيئنا
إلى البلدان المذكورة ، وأما البلدان الأخرى التى نتأسف لعدم إمكاننا زيارة أعرابها
لضيق الوقت ، فنرجو من رجالها العاملين تفهيم الآخرين هذه المسائل ونرجوهم أن
يرسلوا نوابهم إلى المؤتمر العربى فى اليوم الموعد

ونرجو أيضاً من الجمعيات العربية ومن اخواننا العرب الساكنين فى البلدان التى
ليس بها جمعية عربية أن يخبروا رئيس اللجنة السيد إسماعيل بن عبد الله العطاس
بجواب عن أسماء نوابهم قبل يوم المؤتمر بعنوانه فى جاتى نمرة ٢ ولتغريدن ، ونرجوكم
أن تفرقوا هذه الأوراق لإخواننا العرب العاملين ، وتنشروا فيهم هذه الفكرة والسلام .
من الرئيس : السيد إسماعيل بن عبد الله بن علوى العطاس ، والكاتب : الشيخ
عبد الرحمن بن عمر جواس ، ومن الأعضاء الشيخ : عمر بن يوسف منقوش ، والسيد
أبو بكر بن عبد الله العطاس ، والشيخ سالم بن عوض بلوعل ، والسيد أبو بكر بن على
ابن شهاب ، والشيخ سعيد سالم مشعبى ، والسيد محمد بن عبد الرحمن بن شهاب .

والشيخ عوض بن عبد الله باسلامة ، والسيد عبد الله بن علي العيدروس ، والشيخ
عالب بن سعيد بن تبيع ، والسيد محمد بن عبد الله بن علوي العطاس ، والشيخ محمد بن
علي باجنيد ، والسيد محمد بن عبد الله الشاطري ، والشيخ محمد بن عبيد عبود ، والسيد
محضار بن حسين العيدروس ، والشيخ أحمد محمد سوركتي الأنصاري ، والشيخ سعيد
ابن عبد الله باسلامة ، والشيخ محمد بن سالم عسكر ، والشيخ عوض بن سالم بن
عيلي بن سعيد » انتهى .

ولكن أكثر العلويين عارضوا ذلك ونفروا من لجنة الإصلاح كل النفور لأن
الشيخ أحمد السوركتي زعيم الإرشاديين عضو في اللجنة ، واجتمع أعضاء إدارة جمعيتهم
بسرابايا يوم ٢٥ ربيع الثاني سنة ١٣٣٧ وقرروا في جلستهم ما يأتي :

« سرابايا في يوم الثلاثاء ٢٥ ربيع الثاني ١٣٣٧ .

اجتمعت هيئة رئاسة الجمعية الخيرية العربية بسورابايا المفاوضة والمداولة بشأن
مادعاها إليه رئيس لجنة الإصلاح يتاوى السيد الغيور إسماعيل بن عبد الله العطاس
من الاشتراك في عقد مؤتمر لإقامة لجنة الوحدة العربية الكبرى ، وبعث مندوبين
لحضور عقدها المؤتمر ، وبعد المناقشة والمباحثة تقرر لديهم أنهم لا يتدخلون باليد في هذه
اللجنة ما دام أحمد السوركتي السوداني عضواً فيها . كاتب الجمعية الخيرية

محمد بن حسن بن محمد بارجا

نشر ذلك في « الإقبال ٢٠ » وكتب محرر هذه الجريدة لتنفيذ الناس من
مشروع الإصلاح ما يأتي :

« . . وقد فابلنا جملة من رؤساء وأعضاء جمعية مراعاة الإخوان وجمعية اتحاد الإخوان
بسرابايا ومكارم الأخلاق بقرسى ، وأظهروا لنا مزيد ارتياحهم من قرار الجمعية الخيرية
العربية وكونهم مستعدين لعقد اجتماع وتقديم قرار علي شاكلة أهل سرابايا متى اقتضى
الحال ، ولولا إدخال السركتي في اللجنة وقدمه مع الوفد لاستقبلتهم كل الجمعيات
بأحسن الاستقبال ، ولرجعوا ظافرين بما يؤملون .

وقد استاء كل أهل الجمعيات الشهيرة وشاركهم في ذلك السواد الأعظم من أهل سرايا ونواحيها من إصغاء السيد إسماعيل العطاس لأتباع السركتي وتخلفه لعقد اجتماع في فرع الإرشاد الذي لم يكن موجوداً حتى يوم الأربعاء الذي أخبر السيد إسماعيل أنه متوجه فيه إلى الصولو .

ومع تخلفه وإلجام السركتي عن الخطابة فإنه لم يحضر تلك الجلسة التي عقدت في فرع الإرشاد الحادث في تلك الليلة [أي ليلة الخميس] سوى مئة شخص تقريباً ، ولم يصوت على انتخاب مندوبين سوى عض الذين حضروا ، لأنه حيناً تمّ السيد إسماعيل خطابه التي شرح لهم فيها المواد التي سيعقد المؤتمر من أجلها فام على أثره إبراهيم الملا حيث إن هذه الجلسة الافتتاحية لفرع الإرشاد كانت في بيته [ووال ماغال] وحيناً أمّ الملا خطابه نهض السيد إسماعيل للخروج ، وخرج معه كثير من الذين حضروا حيث كانت الدعوة عمومية . ولم يبق إلا البعض وهم الذين أعطيت لهم الحرية في انتخاب مندوبين من قبلهم لحضور المؤتمر بتاوى .

ومما تقدم يظهر للفارى أن تأخر كل الجمعيات الشهيرة قاطبة وسائر السواد الأعظم من أهل سرايا ونواحيها سببه إدخال السركتي في هذا العمل ، وهو جرثومة الخلف وأصل الاقتراق . وقد أخطأت لجنة الإصلاح بتاوى في إدخالها هذا الرجل في اللجنة وإرساله مع الوفد .

وإن مالدينا من البراهين والإيصاحات يدل على أن الاستياء من تداخل السركتي ليس في سرايا ونواحيها فقط ، بل هو عام في جميع هديا نيدرلند ، بل في بتاوى نفسها بل وعند أعضاء اللجنة ، وما نشر بهذا العدد عن استقالة السيد عبدالله بن علي العيدروس وما تلقنا عن الكثير من أعضاء اللجنة أنهم سيقدمون استقالاتهم في هذه الأيام ، دليل واضح وبرهان ساطع على أن إدخال السركتي أفسد أعمال اللجنة بالكلية ، وأساء سمعتها ، وصير أتباعها هباءً مشوراً انتهى .

وجاء الشيخ عبد الله العيدروس ، وزاد الطين بلة ، والحرق اتساعاً فقد نشر كتاباً مفتوحاً موجهاً لأعضاء لجنة الإصلاح ، وهذا صه :

كتاب مفتوح

كيف يتم الاتفاق ؟ ؟

الحمد لله ، والصلاة والسلام على أشرف خلق الله ، وعلى آله وصحبه وسلم .
إلى جناب رئيس لجنة الإصلاح العربية وأعضائها الكرام ، وقتني الله وإياهم إلى الحق والصواب .

بعد السلام عليكم ورحمة الله وبركاته ، أفيدكم أني أعدت نفسي منفصلا عن عصوية اللجنة السابق ذكرها التي انتخبت في إدارتها بالمجلس الأساسي الأول ، وإن لم أكن قد حضرت جلسة من جلساتها .

أما الأسباب التي ألزمتي الانفصال فلا بد أنكم تعلمونها كما يعقلها العاقلون .
وما العائدة من قولنا للأجانب إن انا لجنة وأنا اصطلاحنا ، مادامنا نعلم والأجانب يعلمون أن هذا القول منمق عبارات مزوقة . كيف الاتفاق والله يعلم والناس أجمعون أن الفصل السابع من قانون جمعية مدرسة الإرشاد العربية يقول بما معناه : لا يجوز للأعضاء تولية أحد من السادة في إدارة الجمعية

يعني يحرم في قانون هذه الجمعية العربية لالحضرمية تولية فرد من الأفراد يكون من آل فاطمة الزهراء في إدارتها ، ومن أغرب الغرائب أن هذه الجمعية أقيمت بأموال آل كثير الحضرميين ورئيسها كثيرى حضرمي الميلاذ ، غير أن معلم المدرسة كما تعلمون سوداني .

ولا يخفى كم أن الإصلاح الذي نشده لاند له من أسباب هبئة وأسباب متممة .
فالأسباب الهبئة للإصلاح والاتفاق : إلغاء الفصل المذكور أعلاه من القانون الأساسي لجمعية مدرسة الإرشاد الحضرمية ، ونزع كلمة جمعية السادة وجمعية المشائخ من أفكارنا ، وعدم اعتبارها بل عدم ذكرها وكتابتها .

والأسباب النعمة للاتفاق بل والاتحاد . ما فرارنا من الدجالين الذين هم رأس
التحزب والانشقاق والفتنة بما يشونه في أفكار البسطاء من إخواننا الحضارم ايعشوا
في الماء العكر [لَوْ خَرَجُوا فِيكُمْ مَا زَادُوكُمْ إِلَّا خَبَالًا وَلَا أُضْعَوْا خِلَالَكُمْ يَبْغُونَكُمُ
الْفِتْنَةَ وَفِيكُمْ سَمَّاعُونَ لَهُمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالظَّالِمِينَ] .

وتقف في وجه كل من يحاول أو يسعى للتفريق وإلقاء الشقاق بيننا ، لأننا من
وطن واحد ، ودين واحد ، ومذهب واحد ، وعقيدة وطريقة واحدة ، وحث الخطباء
ورجال العلم الصحيح وكتبة الجرائد على تناول هذا الموضوع ، ونزع التعصب من أدمغة
الجهلاء والبسطاء وتفهيمهم أن ذلك يضرهم في دينهم ودنياهم ويجعلهم لقمة سائغة
للدخلاء والدجالين .

بهذه الوسائط يمكن نيل المطلوب من أقرب الطرق بينما ننشر العلم بين طبقات
الأمة ويصحل الجهل . ومتى جعلنا الإخلاص رائدنا في كل الأحوال ولا نخاف لومة
الائم ، فبشرنا بالإصلاح المطلوب ، والعاقبة للمتقين .

تحريراً في بتاوى ٢٣ جنوارى سنة ١٩١٩ كاتبه الفقير إلى ربه

عبد الله بن على بن شيخ العيدروس

أما الإرشاديون فقد قابلوا اللجنة بكل احتفاء وإجلال ، ولم يخرج عن الجماعة
واحد منهم ورحبت جريدتهم « الإرشاد » باللجنة ، وأبدت كل ارتياح نحو أعضائها
بل حثت الناس على مناصرة اللجنة في مشروعها ، ودعتهم إلى الانضمام تحت لواء
الوحدة العربية ، فقد جاء فيها ما يأتى :

«وليسمح لى كل حضرمى غيور على حضرميته أن ألاحظ أن رجال الحركة اليوم
على اختلاف أحزابهم يجب أن يكونوا كأفراد جيش واحد فى ساحة هذا المعترك
ولينتهوا إلى حياتهم الاجتماعية ، ولا يبنى لهم إن كانوا عقلاء أن يقع بينهم أى نزاع
أو تخاذل ، ومن يسبب ذلك النزاع أو يشترك فيه فهو خائن لأمتة ووطنه يجب نبذه
وإبعاده ، إذا صح بالقرينة أنه سى القصد ، شعر أولم يشعر ، وإن تظاهر بالإخلاص .

فالعودة والتعاقد اليوم أمر محتم على كل من يسمى نفسه حضرميا ، وبدون ذلك لا بد أن تدور الدائرة عليهم بشؤم المشاحنات التي ستزلزل أقدام العاملين ولم تثبت بمد على الوضع النظامي سوى الذهاب في حبّ الجمعية الفارغة كل مذهب ، والله المهادي إلى سواء السبيل . (الإرشاد ٤٣)

« وقالت يرحب الإرشاد والإرشاديون بهذا المؤتمر ، ويودون من صميم أئنتهم لو يحقق ، فوالله إنه لما يجيبنا ويرغبنا في أن نضع أيدينا في أيدي إخواننا ، فمن لنا بمن يمدّ يده فنصاحه على هذا .

هلوا يا كرام ، واجمعوا كلتكم ، ولموا شمشكم ، ووحدا آراءكم ، واعملوا لأمتكم كي يتشبع عنها جهام الجهل والغبوة ، وليصح كل منكم يده في يد أخيه ويبارئه ويساعده ويشاركه في العمل للصالح العام » . (الإرشاد ٣٩)

اتسع نطاق معارضة كثير من العلويين لدعاة الوحدة ، وانتشرت من سرايا وقرسى وفكلوغن وبتافيا وغيرها ، واستطاعوا أن يقضوا على تلك الحركة وهي في مهدها ، فعاد أعضاء لجنة الإصلاح من سرايا حائين ، وازداد النزاع والخصام بين الفريقين .

محاولة ابن عابدين الصلح بين الارشاديين والعلويين

وحاول السيد حسين بن عابدين من سنغافوره الصلح بين الحزبين ، فبعت كتابا لجمعية الإصلاح والإرشاد ، وهذا نصه :

سنغافوره في ٥ فبراير سنة ١٩٢١

« حضرات الكرام مديرو ومستشارو جمعية الإصلاح والإرشاد العربية بجاوة . السلام عليكم ورحمة الله وبركاته - صباح يوم تاريخه قابلت أحد كبار رجال الحكومة هنا ، وكان معي حضرة الشيخ سليمان بن مرعي ، وتحدثنا بخصوص الإصلاح ما بين السادة والمشائخ بجاوة وتصريح حكومة مستعمرات البواغيز « حكومة سنغافوره » للإرشاديين بالدخول لبلادها وبلاد الملايو أسوة كغيرهم .

وقد وافقت الحكومة على عدم لزوم تقبيل يد السيد « الشمة » ، وعدم لزوم احترام من لا يستحق الاحترام سواء كان علوياً أو شيخاً ، وعدم التعصب في مسألة الزواج ، فلكل الحرية في تزويج بنته أو أخته أو غيرها لمن يريد ، لا فرق في ذلك بين السيد والشيخ .

وطلبت الحكومة الإنجليزية أن يبدى لها الإرشاديون الصداقة ، وطلبت أيضاً أن جميع المدارس العربية يجاوزه تقبل جميع الطلبة على حد سواء ، أولاد سادة كانوا أو أولاد مشايخ ، وأن لا يسعى المعلمون في تعليم الأولاد التفرقة ما بين الأمة العربية وغيرها ولا بين أفرادها ، بل يعلمونهم الاتحاد والمساواة وحب العلم ، وأن لا تكتب جريدة الإرشاد شيئاً ضد المشايخ ولا ضد السادة ، بل تكون موادها كمواد جميع الجرائد الأخرى .

فإن رضيت بذلك أرجوكم إفادتي تفرافياً لأحضر اطرفكم وأجمع بينكم ، وأعرض شروط الحكومة المذكورة أعلاه عليكم ، وسيحضر جلسة الوفاق والصلح جناب قنصل بريطانيا ليكون شاهداً على الطرفين ، ومتى حضرت اطرفكم سنفتق على جميع الأمور ، ولا بد من علمكم أن حضوري سيكون رسمياً بمعنى الكلمة ، وقد حاولت أن أحضر معي الشيخ سليمان بن مرعي ، لكنه أبنى ، مع أن الحكومة تعهدت بإعطائه ضماناً في رجوعه ثانياً لسنغافوره ، ومتى عزمت على السفر سأخبركم تفرافياً ، ولى أمل في أن تقبلوا ، والسلام ما » الخ

حسين عابدين

وبعث الجمعية إليه ردّاً ، هذا نصه :

بتاريخ ١ من شهر مارس سنة ١٩٢١

إلى جناب المكرم السيد الماجد حسين أفندي عابدين دامت معاليه آمين :

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته ، بعد تقديم ما يليق بمقامكم السامي وأياديكم العظيمة من الشكر والإجلال ، ننهي إلى مسامعكم الكريمة أن كتابكم العزيز رقم ٥ فيرواري

سنة ١٢٩١ قد وصل ووقع منا موقع القبول والانشراف . وبناء على ما تضمنه كتابكم المذكور من المطالب والشروط الإصلاحية التي هي عين مطالب كل مصطلح منصف ، نجيبكم بما يأتي موافقين على ما قدمتموه من الشروط .
فقول ونحن الواضعون أسماءنا أدناه من مديري جمعية الإصلاح والإرشاد العربية ومستشاريها :

إننا مراقبون على عدم لزومية تقبيل أيدي العلويين أي الشمة ، وعلى عدم لزومية احترام من لا يستحق الاحترام سواء كان علويًا أو غيره ، وعلى عدم التعصب في مسألة الزواج ، فلكل الحرية في تزويج بنته أو أخته أو غيرها لمن يريد ، كما أن له أن يتزوج من أي جنس كان ، لا فرق في ذلك بين العلوي والشيخ وغيره إذا رضوا به .

وعلى أن تكون جميع المدارس العربية بجاوه حرة تقبل جميع الطلبة على حد سواء ، سواء كانوا أولاد علويين أو أولاد مشايخ أو غيرهم . وأن لا يسعى المعلمون في تعليم الأولاد التفرقة بين الأمة العربية وغيرها ولا بين أفرادها ، بل يعلمونهم الاتحاد والمساواة وحب العلم كما كانت جارية عليه خطة جمعيتنا الإرشادية منذ أسست ، وكما هو صريح قانونها .

ونبدي للحكومة البريطانية استمرار صداقتنا بكل إخلاص واحترام . وأما جريدة إرشاد فهي شركة تجارية مستقلة ولا تعلق لها بجمعية الإصلاح والإرشاد العربية . هذا ، وفي الختام اقبلوا قائلق احترامنا ، ونسأل الله أن يوفق الجميع لما فيه صلاح الدنيا والدين ، والسلام .

فرصيدنت سكتاريس أمين صندوق مستشار

غالب بن تبيع محمد عبود عبد الله بن هرهرة عوض بن سالم بن سنكر

ولما رأى ابن عابدين رغبة الارشاديين في الصلح وإقبالهم على السلم جاء جاره وبذل كل مجهود لدعوة العلويين للصلح ، فلم يصغوا إليه ولم يمرره التفاتاً فعاد إلى ستغافوره خائباً .

مساعي العلويين لدى الحكومة الهولندية ضد الارشاديين

لم يسكت آل باعلوى عن إصاق التهم بالارشاديين ، ولم تهدأ أقلامهم عن الحملات القاسية على الشيخ أحمد السوركتى وأنصاره ، وكان حمود الارشاديين عن الدفاع عن أنفسهم والنود عن حياضهم من أكبر العوامل التي دفعت رجالات العلويين لمضاعفة جهودهم لقتل حركة الارشاد ، وكانت جريدة « الإقبال » هي الطائفة التي يقون بها قنابلهم على الإرشاديين ، ولم يقفوا عند هذا الحد ، ولم يكتفوا بالدعاية الواسعة لدى الجمهور ضد الارشاد ، وكتبوا المقالات الطوال في الإقبال وفي بعض الصحف الملايوية وتكلموا كثيراً في المجالس ، وخطبوا في المحافل والمساجد ضد الارشاد ، قالوا إنها نصرانية أسست للتبشير بالديانة المسيحية ، وقالوا إنها شيوعية أقيمت على حساب روسيا لإثارة الأفكار ضد السلطات العامة ، ولتحرير النفوس من كل قيد . قدموا للحكومة الهولندية عرائض ضد الارشاد ، ووشوا بالارشاديين لديها ، ولما لم تجد الحكومة ما يؤيد تهمهم ضد هؤلاء لم تقم لتلك العرائض وزناً ولم تصغ لأقوال الواشين ، فحانت آمال آل باعلوى وعادوا بالفشل والخذلان .

مساعيهم لدى الانجليز

لما رأى العلويون أن وشاياتهم ذهبت جفاء ولوا وجوههم شطرا الانجليز فوشوا لدى القنصل الانجليزى بيتافيا ضد الارشاد ، وقدموا له عرائض بواسطة علي بن شهاب^(١)

(١) بدل علي بن شهاب كلّ محمود لدى الدولة العمارة لسحق حكومتى حصرموت وإثناء ولاية عثمانية جديدة ، وكانت لذلك السلطان عبد الحميد ، ووشى لديه ضدّ قبائل حصرموت ، وسعى لدى كمال بك ومبسل تركيا في تنافيا للحصول على امتياز خاصّ به يقوم بدعوة الحضارة في حواه للسعس بالحندية التركية ، ولكنه فشل .

ومحمد الجنيّد قالوا له : إن جمعية الارشاد أسست لمناوأة السياسة الانجليزية في الشرق
وأنها تساعد المانيا ضد بريطانيا ، واستطاع العلويون بمجهودهم المتواصلة أن يؤثروا على
القنصل الانجليزي ، وحيث إن الانجليز يعدّون حضرموت داخلة في حمايتهم ، فقد
أرسلوا تنبيهاتهم لسلطين حضرموت ليأخذوا حذرهم من الارشاديين ، وبث أولئك
السلطين بلاعآل جعفر بن سالم في سرايا ليطبعمه وينشروه لكافة الحضارم ، وهذا
نصّ البلاغ :

بلاغ رسمي

إلى كافة الحضارم المقيمين بجاوه ونواحيها

إننا تلقينا كتابا من عدن رقم ١٧ رمضان سنة ١٣٣٧ من السلطان غالب بن
عرض الفيضي ، ومن السلطان علي بن المنصور بن غالب الكثيري بعد وصولهم إليها
لاتمام إصلاح القطر الحضرمي بأجمعه بواسطة دولة بريطانيا العظمى ، وقد تمّ ذلك
وضمن الكتاب بلاغ رسمي أزمونا بطبعه ونشره بين كلّ الحضارم بهاته الجهات ،
فرجاؤنا من الجميع أن يقدروا هذا البلاغ قدره ليسلموا ويشكروا .

سرايا ٢٠ شوال سنة ١٣٣٧ [آل جعفر بن سالم بن طالب]

وهذا نصّ البلاغ :

إنه بتوسط الحكومة البريطانية وجميل سميتها قد تمّ الوفاق والاتحاد والمخالفة منها ،
فصرنا شبتا واحدا ، وتعاهدنا على نصر التربة ومشرعها وأهل بيته ، وصمما العزم
على تنظيم حضرموت كلها برمتها وفتح الطرق فيها ، ونشر العدل والأمن ، واجتثاث

عروق التفرق والمشاجرات منها ، والسعى في توسيع دائرة الزراعة ، واستنطاق العيون ، واستخراج المعادن ، وما يجري مجرى هذا .

وقد عمدنا النية على الاهتمام بكل ما يصلح الحضرميين عامة وأهل البيت خاصة في حضرموت والمهجر . وهالنا ما بلغنا عن الواصلين ، وما رأيناه في جريدة الإقبال من التنازع والتنافر الجارى في جاوه بين الحضارم بسعى السخلاء وأهل الأغراض والأهواء . وقد تلقينا تعليمات صارمة من صديقتنا الحكومة الإنكليزية توجب السعى في الإصلاحات النافعة ، وفي منع وصول جرائم داء الشقاق وموجبات التفرق ومثيرات الأضغان والأحقاد إلى حضرموت لئلا يتفشى المرض فيها بالمدوى ، فيحتاج في استئصاله إلى عملية جراحية .

ولذلك قدمنا نصحنا وتحذيرنا لجميع الحضارم من الاسترسال في اتباع الدسائس التي تنخر وحدتهم ، وتفرق جماعتهم ، وتجعلهم شيعاً يعادى بعضهم بعضاً ، ويلعن بعضهم بعضاً ، حرصاً على الوئام والاتفاق التام ، وتناسى ماضى ، والتبرى من أهل الأغراض والأهواء ونبذهم والبعد منهم .

وقد أزمنا بعض خواصنا أن يتبعوا البحث بكل دقة عن أسماء من يصر على موالاتة دعاة الفتنة والبقاء في حزبهم من بعد نشر هذه النصيحة ، ومن لم يصغ للنصح وأصر ، فحينئذ يحسب عدواً لوطنه ولموطنه عاقاً لهم مخالفاً لجماعتهم في كل مقوماتهم ساعياً في تسميم عقولهم وأفهامهم .

وهذا بعينه هو المحاربة لله ولرسوله ، والسعى بالفساد في الأرض ، ورننا جل وعز يقول : [إِنَّمَا حَرَّمَ الَّذِينَ يُحَارِبُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَسْعَوْنَ فِي الْأَرْضِ فَسَادًا ، الْآيَةَ . فَلْيَحْذَرِ الَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ أَنْ تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ ، الْآيَةَ . وَاتَّقُوا فِتْنَةً لَا يُصِيبَنَّ الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْكُمْ خَاصَّةً ، الْآيَةَ] .

السلطان

السلطان

غالب بن عوض القعيطى على بن المنصور بن غالب الكثيرى

مساعيتهم لى حكومة الحجاز

وحاولوا منع الإرشاديين من تأدية فريضة الحج ، فكتبوا ملك الحجاز «الشرىف . حسين» بأن الإرشاديين يبخضون الرسول صلى الله عليه وسلم وأهل بيته ، وأنهم يدمسون الدسائس ضد حكومته ويوقدون الفتن ، واتمسوا من جلالة منع الإرشاديين من دخول الحجاز كما طلبوا إليه إمامة وكيل عن حكومته بجاوة للدفاع ، ولكن الملك لم يجهم إلى طلبهم ، بل فصهم على ره وس الأشهاد ، حيث نشر عريضتهم فى جريدة « القبلة » فى شهر ذى الحجة سنة ١٣٣٨ ، وهذا نص العريضة :

الحمد لله ، والصلاة والسلام على سيدنا محمد وآله وصحبه ومن والاه .

يقبل الأرض بين يدى مولانا المعظم تاج العصاية الهاشمية ، ملك الأقطار الحجازية ، أو الأملاك مولانا الشرىف الحسين بن على ، أدام الله سعده وتوفيقه وتسديده آمين .
وبعد : فإن شيعتكم ومحببكم من العلويين وأنصارهم يقدمون لكم وافرا التهئة بالعيد المجيد ، وبما تم من الإصلاح على عهدكم السعيد ، وينهون إلى مقامكم السامى أنها نجت منذ مدد قريبة فرقة من الخوارج فى هذه الدبار ، عقيدتها بغص أهل البيت الطاهر ، وتمخبر النبى صلى الله عليه وآله وسلم ، وث الدسائس ، وإيقاد الفتن ، ولهم من المنشورات الحجة ما يبين خبيث قصدهم ، وقد نشروا جريدة سموها «السلام» لتكون لسان حالهم ، وتكفى نظرة بسيطة فيما حواه العدد الأول للرسل مع هذا للحكم عليهم ، فاقضى الحال أن نطلب مكم :

أولاً : إقامة وكيل لكم بهذه الجهات يدافع عن حقوقكم المقدسة وحقوق رعاياكم ومصالح الحجاج ، ويعطى كل مسافر إلى الحجاز جوازاً قانونياً .

ثانياً : لثلا تسرى عدوى دائهم العصال ، ولكى لا يتصلوا بإخوانهم من أهل البغى والغبى والصلال يلزم منعهم عن دخول الحجاز فلا يفرجوا للمسجد الحرام ولا فى عامهم

هذا ، وقد علمتهم إمبراطورية البحار بالمنع من دخول بلادها رحمة برعاياها ، وصيانة لهم عن سريان الفتن والشر :

فإن النار بالعودين تذكى وإن الحرب أوتها الكلام
وفي حسن نظر مولانا المعظم ما يغني عن الإطالة ، ونسأل لكم ولأنجالكم النصر المؤيد ،
وأن يجعلكم أوتاداً للغة الإسلامية ، ورجوماً لأهل الدسائس من أعداء الإنسانية ،
والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته .

حرر في مدينة شاولي ٥ ذى الحجة سنة ١٣٣٨

السيد يحيى بن عثمان بن عقيل بن يحيى . السيد محمد هارون العطاس . السيد
علوي بن عبدالله الصليبية العيدروس . السيد علي بن أحمد بن محمد بن شهاب الدين .
عبد القادر بن علي* الشويح . السيد عقيل بن سالم العطاس . السيد علي* بن أحمد
الخبشي العلوي . السيد علوي بن محمد خرد . السيد حسين بن سالم العطاس . السيد
محسن بن هادي الخبشي العلوي . السيد محضار بن حسين العيدروس العلوي .
السيد عيدروس بن شهاب الدين . السيد حسين بن شهاب الدين . السيد محمد بن
عبد الرحمن بن شهاب الدين . السيد عبد الله بن أبي بكر الخبشي العلوي . السيد
علوي بن عمر عيديد . السيد محمد بن عقيل بن عثمان بن عبد الله بن يحيى . السيد
شيخان بن شهاب . السيد شيخ بن علوي بن شهاب . السيد حسين بن أحمد
ابن شهاب . السيد محمد بن هاشم بن طاهر .

تأثير مساعيهم على المحضار وزير حكومة حضرموت

ولكنهم نجحوا في وشاياتهم محضرموت ، واستطاعوا أن يؤثروا على السيد حسين
حامد المحضار وزير الحكومة القعيطية ، ويوجدوا في قلبه السكره ضد الإرشاديين
وقد قام بأعظم قسط من تلك الوشايات الشيخ محمد المحضار بيندوسو ، فقد كان
يبعث للوزير وهو أحد أقربائه الرسائل لعرقلة كل إرشادي يأتي إلى حضرموت ،

وإيقاع الأذى به ، ولقد ضيق الوزير الخناق على الإرشاديين وعاملهم بالشدّة والقسوة ، فكان الإرشادى إذا نزل ميناء المكلا أو الشحر يعامله كما يعامل الجاسوس ضدّ الحكومة القميطية ، ويدقق التفتيش عليه حتى إذا لم يجد فى أمتعته ما يشمّ منه كراهية ضدّ الحكومة ، أو يقلق الأمن ، ويسبب الفتن ، استمرّ فى ضغطه بمحنة التحرّى فى التفتيش ، وكذلك عمل السيد عمر بن أحمد باصرة والى دوعن ، فقد شدّد الخناق على كلّ من يأتى دوعن من حزب الارشاد وأنزل به الأذى ، وقد شجعه على ذلك وزير الحكومة نفسه .

عريضة فرع الارشاد بسرايايا للحكومة القميطية

ولما رأى حزب الإرشاد تقاوم الفتنة التى أيقظها الحزب العلوى ، وامتدّ لها إلى حضرموت الأمر الذى ألبأ بعض ضعاف الإيمان من الإرشاديين الانسحاب من جمعية الإرشاد .

لما رأى مجاح مساعى رجالات آل باعلوى صده رفع جماعة منهم وهم بعض القائمين بفرع الإرشاد بسرايايا عريضة إلى السلطان غالب بن عوض القميطى اليافى بينوا له فيها أغراض أعمال آل باعلوى ضدّهم كما بسطوا له مقاصد جمعية الإرشاد ، وما تقوم به من الأعمال للمصلحة العامة ، وهذا نصّ العريضة :

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

فاتحة جمادى الأولى ١٣٣٨ .

الحمد لله المطاع أمره ، القاهر فرق عباده ، العدل حكاه ، الذى جعل فى الأرض

ملوكا ، واستخلفهم فيها ليحكموا بين الناس بالعدل ولينظر كيف يعملون ، والصلاة والسلام على سيد الأنام ، وخيرة الأنبياء والرسل الكرام ، الذي بلغ الرسالة ونصح الأمة وجاهد في الله حق جهاده ، صاحب الشريعة الغراء والمنهج القويم ، الهادي إلى الصراط المستقيم ، سيدنا محمد بن عبد الله ، وعلى آله وأصحابه الذين جاهدوا معه في الله وقلته ، وصدقوا وصدقوه ، ونصروه وعزروه ، فاتبعوا النور الذي أنزل معه فكانوا من المفلحين .

تشرف بتقديم هذه السطور نيابة بالمثل عنا ، وتقديمه إلى جناب جلالة مولانا وحولتنا السلطان المعظم ، حامي الأقطار الحضرمية وسواحلها ، ناشر لواء العدل والميزان بين الرعية ، درة العترة الحاكمة ، وممثل السلطنة القعيطية ، السلطان غالب بن عوض ابن عمر القعيطي ، لازالت دولته باهية ، ورايات عدله على الأقطار الحضرمية منشورة ، ولا زال مؤيداً ومنصوراً من الله آمين .

أبها السلطان المعظم ! بكل رجاء وأمل في سبب جلالكم تقدم شكوانا ، ونستمنح العدل والرأفة والحنان ، والمصل فيما سنمليه الآن .

نعرض على جلالكم أننا المصين تحت هذه السطور من جملة من تكتنهم رعايتكم ، ومن عداد رعاياكم ، ومن الدين لا يميلون عن محبتكم ونصرتكم من أهل وادي ليسر ودوعن المهاجرين بالأقطار الجاوية ، والمضمين إلى جمعية الاصلاح والارشاد ، فلا رتياب في أنه يهكم العاية بنا ، والتمقد لأحوالنا على كل حال ، والاستماع لشكوانا ، فأتم رعاتنا ، وكل راع مسئول عن رعيته .

نعرض على جلالكم التنسكي مع الايصاح لما نالنا من الضرر ونال إخواننا في الوطن ومن معاملة واليكم الخالي ، إنصافاً منه لما اقترى به علينا المفترون والمزورون ونسبوه إلبا من أنواع الأباطيل والأكاذيب التي لا توجد لها حقيقة بتاتا ، ولئن صح وصدرت هذه المعاملات والأحكام القاسية بغير ذنب صدر منا وبغير فحص وتدقيق وتصور وإمعان ، فإنه مما يسبب لنا الأسف ويسىء غيرنا كما يسىء سمعة حكومة جلالكم .

وإنا لا نصدق أن تصدر مثل هاته المعاملات لحسن ظننا في عدل جلالكم ، كما أنه لا نتصور أن حكومة إسلامية مثل حكومتنا السنية تعاملنا بالتساوة بغير ذنب جنيناه ولا مخالف للشريعة السمحاء أتيناها ، ولئن قيل ما قيل عنا فإن الحقيقة لا يمكن أن يسدل عليها الغطاء بالاختلاق والافتراء ، ولا محل للتأثر لأن الأيام والليالي كقيلة بإظهار الحقائق . ويحسن من جلالكم ومن بيده وظائف الأحكام ومن يهيمه أمر الرعية أن لا يتخذ العجلة .

إن كل عاقل يعلم أن أعداء الحقيقة يفتنون جميع الزور والبهتان كما اختلق علينا المفترون أمثال هذه الطريقة لأجل تفتير الناس منا ، انتقاما وتشفيا وحسداً من أنفسهم . وما دروا أن أعمالهم هذه مما تعود عليهم بالخسران ، تبلى السرائر وتظهر الحقائق ، أو كأنهم غير عالمين أن مطية الكذب زاحفة ، وأن الساعى بالميمية والغيبة ، وإلحاق الضرر والأذى بالمسلمين لا يجيزه الشرع الخفيف ، ولا تميل إليه الطباع الشريفة والأخلاق الكريمة ، وإن إزعاج خاطر المسلم وإدخال الخوف على قلبه بغير ذنب أتاه مما بقصب الربّ ويشقّ على الرسول عليه الصلاة والسلام .

وبما أننا نحب دوائنا ونتمنى لها النجاح ، فلا نرتاب في أن ممثلا مولانا السلطان يجبنا وأمته من صميم فؤاده ، ويتمنى لها العلاح والارتقاء ، ودليله الأنباء المبشرة السابقة المعلنة بإتمام الانفاق والصلح بين سلاطين القطر الحضرمي ، وتصالحهم على تأمين القطر وتقديمه ، وعلى إصلاحه وترقيته .

ولكن سرعان ما اختلجت الشكوك صدورنا من الأنباء الأخيرة ، غير أن لنا حسن الأمل في جلالكم في أن تعحصوا كل مسألة بغاية التروى والإيمان ، وتصدرون في ذلك كل حكم عدل ، وتجاوزون كل مخطيء ، وندانون كل مصيب .

وعليه ، فقبل كل شيء نعلم جلالكم أن المنصمين إلى جمعية الإصلاح والارشاد بجأوا ليسوا من أهل ليسر ووادى دوعن فقط ، بل هم من كل فرقة من القبائل والمشائخ على اختلاف أجاسهم ، وليسوا من العامة بل فيهم الفقيه والعارف والفقير والفقير والمتوسط والمتعلم وغيرهم .

ونعيدكم ونشهد الله على قولنا أن الجمعية لم تؤسس إلا لعمل خير يرضى الله ورسوله . أسست لتعليم أبنائنا وأبناء المسلمين قاطبة بغير نظر إلى الجنسيات ولا العصبية ، ويشهد بذلك أعمالها الجارية على مقتضى قانونها ، والمصادق عليه من حكومة هولندا .

وليس من العجب أن تمسّ الجمعية وتمسّ بأعضائها وأفرادها من غوائل الزمان وتشفيات الحاسدين ، فإنما ذلك دليل تقدمها وبجاحها وبرهان صوابها ، والباطل لا يزال ولن يزال يصارع الحقّ ، ولكن أخذ الله على نفسه أن يجعل الباطل زهوقاً .

على أننا كنا نتمنى أن تكون انتقادات المصادين لنا وهذه الجمعية منية على الصحة ومؤسسة على قواعد الحقّ والعدل ، بذلك يكونون ماشين على سنن الانتقاد الحقيقي الذي يرجى من ورائه نفع الأمة والوطن . فلا يفترون علينا بالكذب ولا يلصقون بنا ما نحن بريئون منه ، بل يصارحونا بالصدق وينظرون إلينا بالعين التي نظرها الدين الإسلامي إلى عموم المسلمين صغيرهم وكبيرهم ، عالمهم وجاهلهم . فلا يحقرّوا أحداً ولا يظلموا الناس حقوقهم .

وقد سمينا في إحماد نار الافتراق ، وحذرنا الذين يروق لهم الاصطياد في الماء العكر من أسيال القول جزافاً ، ومسّ الأعراض ، وهتك الحرمات ، ونفث السموم بين الناس ، ونهناهم خطورة العاقبة واتساع الخرق ، ويشهد بذلك منشورنا الأوّل الصادر بطيّ هدا .

فإنا وجهنا القول فيه إلى من كانوا جرثومة هذه الفتنة ، وهم صاحب الإقبال ومن ينشر مقالاتهم بشأن جمعية الإرشاد تحت إمصاتهم الصريحة والمرموز عنها . وأعلنا للعموم أن هؤلاء لا يقصدون من وراء كتاباتهم في الإقبال وغيرها إلى توسيع الخرق واشتداد الفتنة ، وإيقاع سوء التمام .

وقد رجونا بذلك المنشور تنهيم العقلاء فيتلافون الأمر قبل استفحاله ، ويحسمون الخلاف قبل امتداده ، غير أن ذلك المنشور قد ذهب كنفخة في رماد أو كصبحة في واد .

وباليتهم سكتوا ولم يتعرضوا لما فيه ويؤثرونه حسب أهوائهم وأغراضهم ، فيقف
الخلافاً عند قطعه الأولى . بل ناروا ثورة الأسود من مراضها ، وجالوا بأقلامهم على
صفحات الإقبال والجرائد الوطنية الملايوية والإفريقية ، وملأوا أهرها بما حسنته لهم
أهواؤهم من سبنا ولعننا وتكفيرنا وجرح عواطفنا كما تشهد بذلك أعداد الإقبال
ومنشوراتهم الأخرى . و بطنى هذا واحد منها ، وهو الجواب عن منشورنا الآنف .

والأمل من جلالكم أن تصفحوا العدد ومنشورنا ، لتتنظروا من منا المخطئ . وقد
قالوا لما عجزوا إنا في أقوالنا غير صادقين ، وأن بواطننا تخالف ظواهرها ، وإنا لم نقصد
من منشورنا إلا ذر الرماد في العيون وتغطية الحقيقة بحجاب من الباطل .

وهذا القول لا يقبله العقل ، ولا يسوغه لضم الشرع ، ولا يقوله إلا كل مقتر
كذاب لما فيه من منافاة ذات الواقع ومغاظة القواعد التي أسست عليها أعمالنا ومخالفة
الحس والعيان ، إذ لو كان باطننا كما يقولون لظهر ذلك على فلتات أسنتنا ، وأسلات
أقلامنا ، وتجسم في حركاتنا وسكناتنا ، لأن الظاهر عنوان الباطن .

ولا تنكر أن المنافق يتلون ويقول ما لا يفعل ، غير أنه إذا امتحن حاله أسفر عن
كذب ورياء ، وإن طلب منه التطبيق امتنع وتعلل .

أما نحن فقولنا شاهد علينا ، فإن كانوا طالبين حقا وناشدين حقيقة ، فما عليهم
إلا أن يصالحونا ولنصالحهم على خدمة وطننا ودولتنا ، ونشر لواء العلم والتعليم في مهجرنا
ووطننا مع بذ التعصبات الجنسية والمفاخرات الشخصية ، وترك كل ما نحن عليه من
العوائد السيئة والأخلاق الذميمة ، والعمل يداً واحدة على اتباع السنة
والكتاب الكريم .

فإنه يأمرنا بالتماضد والتكاتف والاعتصام بحبل الله والاتباع لرسول الله في أفعاله
حسب طاقتنا البشرية ، ويأمرنا باعتزال منكر القول والسعي بالغبية والنيمة ، وأن
لا تتحاسد ، ولا تتباغص ، ولا تتنازرا بالألقاب ، ولا تتشائم وتتلاعن .

وبالجملة فإنه العروة الوثقى للمؤمنين وصراطهم المستقيم والصامن لهم السعادة والفلاح
في الدنيا والمعاد .

استمرّ هؤلاء الغشيان ومن يقول بتولهم ويوافقهم على فعلهم من السادة وغيرهم يتقولون علينا ، ويمرحون عواطفنا ، ويهتكون أعراضنا ، ويكتبون في حقنا ، وينفرون الناس منا ، غير أنا لم نقابلهم إلا بالصفتح والاعتزاء ، رجاء منا أن ينتبه عقلاؤهم خصوصاً الحبيب الفضال محمد بن أحمد الحضار فيرجع بالناس إلى الصراط السوي .

لأن ما وقع بين الناس إنما مصدره ما ذكرناه وهو صغير في نظر العاقل الخليم ، غير أنه وبالأسف إن تمكن هؤلاء المفتونين على التسلط على فكر الحبيب المشار إليه فبلغوه عنا أضعاف ما أبلغه الناس الآخرون ، ومقصودهم من ذلك إلحاق الضرر بنا وإخواننا في الوطن بواسطته .

ومما بلغوه أن هذه الجمعية لا تقعد إلا بغض أهل البيت ، وأنها لم تؤسس إلا للحط من قدر الساف الصلح ، ومعاكسة الكتاب والسنة إلى غير ذلك من الأكاذيب والأفويل ، فحسبهم الله على أقوالهم وحركاتهم وسكناتهم وسرهم وجهرهم ، فإنه عالم المفسد من المصلح ، والفاصل بين العباد فيما كانوا فيه مختلفون .

إن من جملة المصائب التي طرأت علينا هو ما حلّ بإخواننا في الوطن العزيز ، وما نالوه من التهديد والتفريع من نائب جلاتكم الوالي عمر بن أحمد باصره ، حكم على إخواننا ، وألزمهم بأن يكتبوا إلينا ويأمرونا بالخروج من الجمعية وأمهلم إلى شهر شعبان القادم حتى ترد منا لهم الجوابات المشعوعة بشهادة السيد محمد بن أحمد المحاصر بأننا خرجنا من الجمعية وتبنا ورجعنا إلى الدين الإسلامي ، وإن لم تفعل فستكون العقوبة وخيمة ، وستكون معاقبة إخواننا في الوطن سبب أموالهم ، وتهديم قصورهم ، وذبح أطفالهم ، وتقريم جيوبهم .

فما كان من إخواننا إلا أن كتبوا إلينا ووصلتنا كتبهم مشحونة بالصياح والعيويل ملاحدة له ، ومن آيات الترحي والاستمناح على سبيل النصيحة بأن نخرج من هذه الجمعية التي بلغهم المغترى الكاذب بأنها جمعية كفر ، وأنا كفرنا وحدنا عن الدين القويم ، فيالله من هذه الأمور ، وبالله من هذه الأحكام الصادرة بغير ترو .

فماذا ذنبنا حتى تعامل هكذا ، أو ما ذنب إخواننا حتى يعاملهم الوالى بتلك المعاملة ؟ أمن العدل أن يجازى المرء بذنب غيره إذا كان هناك ذنب صدر منا حقيقة ، والله يعلم ويشهد الناس أنا بريئون مما قيل فينا ، فلمناسبة هذه الأمور نقدم إلى جلاتكم شكوانا مع بيان الحقيقة مؤملين فى عدل جلاتكم الإنصاف والعدل .
مولانا ! قد تملّ جلاتكم من هذا التطويل ، ولكن عفواً فإن الحقائق لا بدّ من ظهورها ولو كره المفسدون .

مولانا ! إن الأمة الحضرمية مرت عليها مئات السنين وهى تتخبط فى ظلمات الجهل والتوحش ، حتى سافر الكثير من أبنائها وهجروا أوطانهم ، وهاجروا إلى كثير من الأقطار النائية طلباً للعاش وفراراً من الجوع والفقر التسبب من عدم اعتنائهم بالعلم والتعليم والناشئ عما أحاط بهم من الجهل ، ونالهم من الانحطاط ، ونزل بهم من التقهقر .
واختلطوا بالأُم أدواراً ليست بالقصيرة ، وهم على حالتهم هذه من الجهل والتوحش والدلّ والمسكنة ، ومضت عليهم الأيام والليالى وهم يخبطون فى عشوائهم ، وأخيراً اتبهاهم مما هم فيه من الجهل ، وأحسوا بشدة الحاجة إلى العلم والتعليم ، فأقاموا الجمعيات ، وشيدوا المدارس ، وخسروا الأموال .

ولكن من الأسف راحت أتعابهم أدراج الرياح لما كان يثته كثير من السادة من إحباط المساعى ومعاداة كل هذه المشاريع الخيرية ، وكانت أزمة تلك الجمعيات والمدارس إذ ذاك بأيديهم ، فبقى الجمهور باهتاً حيال هذا التسطير الغير الحقّ صابراً على ما يقاسيه من هؤلاء المتغلبين .

لكن كثرة الضغط تولد الانفجار ، وشدة الاحتكاك تولد النور . وفضل ذلك الاحتكاك وضغط أولئك المتغلبين جعله يقوم ويعمل ما تعمله الأمم الحية من نشر المعارف ، وفتح المدارس ، وتأسيس الجمعيات ، وتصافح الأيدى . وبما أن السبب الوحيد فى جعل الأمة الحضرمية فرقتين هى جمعية خير يتاوى وجب أن نبين ذلك .

إن جمعية يتاوى التى تدعى جمعية خير ولها مدرسة بهذا الاسم ، قد مرّ عليها زمن

ليس بالقصير وهي هي ، لاهي تقدمت ولا ماتت لعدم وجود معلم عارف بطرق التربية ، فلما رأى رؤساؤها أن مكوث المدرسة على هذه الحالة لا يأتي بالفائدة المرجوة ، طفقوا يفتشون ويتشون على معلم لها .

فقيض الله لهم الحصول على ما يريدون على يد من كاتبوه في ذلك وطلبوا أن يفتش لهم على معلم ، ألا وهو السيد الفضال المخلص الهمام صاحب الفضل العلامة المرحوم حسين بن محمد الحبشي التوفي بمكة رحمه الله . فقد أرسل لهم الأستاذ الشيخ أحمد بن محمد السوركتي الأنصاري ، لما يرى فيه من الكفاءة والمقدرة على التعليم .

فلما وصل إلى بتاوى استلمه العرب قاطبة وفرحوا به وأحبوه وقلدوه وظيفه المدرسة والتعليم ، ومكث نحو سنتين كانت النتيجة حسنة . وفي ذلك الوقت دخل السادة القاعين بأمر المدرسة الحسد على الأستاذ وكرهوا للأمة أن تنبته من غفلتها ، كأنهم لم يحبوا أن تتعق العقول وتنور الأذهان ، فكانوا يحاولون حينئذ إيقاف المشار إليه من وظيفته ، غير أنهم لم يجدوا سبباً يسوغ لهم ذلك .

وبالأمر المقدر والقضاء المبرم جاءت مسألة من الخارج صدفة موجهة إلى الأستاذ ، وهي مسألة الكفاءة وأعقبها مسألة التقبيل ، فأفتى فيهن بما أفتى به قبله العلماء المحققون والأئمة المهتدون الهادون ، فاتخذ أولئك السادة ذلك سبباً لإيقاف الأستاذ ، وفعلاً أوقفوه من المدرسة .

فصند ما أراد الرحيل إلى وطنه طلب منه المشائخ أن لا يرحل ، وتفكروا في أن يتخذوه معلماً لأولادهم ، فأقاموا لذلك الغرض جمعية ودعواها بجمعية الإصلاح والإرشاد، وأسسوا مدرسة باسمها ، وجعلوه ناظراً للتعليم ومدرساً بها . ويرجع أمر المدرسة وما تفرع منها وأمر الجمعية إلى أعضائها وأفرادها ، وهم المشائخ على اختلافهم .

ولا قول أنها تضم جميع المشائخ ، بل فيه من لم ينضم لأعذار فارغة بعميدة عن الصلح . ولا قول إنه لا يوجد في السادة من يحب هذه الجمعية ، كلا بل فيه ولكن تغلبت عليه العصبية .

وعند ما أقيمت جمعية الإصلاح والارشاد ، وحمل السادة لها العداء ، وللاستاذ
ولمن انضم إليها وقالوا في حق الأستاذ ما يجعل القلم ، وفي حق يافع وآل كثير وفي
المنضين ما لا تقدر أن نسطره خجلا من ذكره . وقد زوروا ودمسوا عليها حتى عند
الحكومة الانجليزية بالطرائق التي تضر الحكومة وتجعلها تعامل كل منسب إلى هذه
الجمعية بالمعاملة القاسية وتنظر إليها بعين الخذر وتمنعهم من الدخول إلى مستعمراتها خوفاً
وحذراً من الأعمال التي نسبوها إليها من أنها جمعية سياسية بلشفيكية ، وجاسوسية
لتركيا وألمانيا وإلى أمثال ذلك .

ثم عمدوا إلى جلاتكم على أيدي قوادهم ، وقالوا إنها جمعية مكفرة ، وأن ما فيها
خارج عن الملة ، وأنها نبغض أهل البيت ، ونسب الصحابة ، ونلعن بعضهم ، ونسكر
الكرامات ، وزيارة القبور ، ونفطم التقبيل وغير ذلك ، وعمدوا إلى حكومة هولندا
بطرق شتى ، غير أنها لما كانت عالمة بما رب هذه الجمعية وعارفة مقاصدها ، وتنظر
تعاليمها لم تعر قولهم أذنا ، ولم يمسننا نحن منها أذى ، ولو كانت تعلم أو علمت أن جمعيتنا
هذه هي الجمعية السياسية أو المخالفة للدين والقوانين لما أعطت الامتياز فيها .

غير أن الضرر أتاننا وأتى إخواننا من أما كن أخرى ما كنا نحلم بها ، حتى أن
إخواننا في الوطن أنفسهم تضرروا من زرع اقتراءات أولئك الذين لا ناقة لهم ولا جمل
في هذه المسئلة .

إن جمعية الإرشاد كانت يتاوى ، فلما عرف الحزبيون أنها هي الخادمة للدين
والناشرة للمعارف طلبوها من كثير من البلدان ، فأصبحت الآن بعونه تعالى متفرعة
عروقها وفروعها بكل بلد ، فمنهم من قد أقام مركزاً لها ، ومنهم من لم يقيم لها مركزاً .
وبحمد الله فهي فتحت المدارس لأبناء المسلمين وسهر أعضاؤها ورءساؤها ، وخسروا
الأموال وتحملوا المشاق والأتعاب والأقوال ، شأن المعلم الخيري تعترضه الأحوال ،
وما القصد إلا التعليم الديني والدنيوي ، وكل ما يعود بالمنفعة التامة على الأمة والوطن .
أما ما يشيعه السادة وما يقولونه من أن المنضين لهذه الجمعية خارجين عن الدين ،

يغفون أهل البيت ، ويسبون الصحابة ، ويلعنون البعض منهم ، وإلى أمثال ذلك كما ذكرناه أعلا ، فإنما ذلك لسان فعلهم وبرهان أعمالهم وطريقتهم التي ابتدعوها هم أنفسهم مقدر من غير بعيد . وتشهد عليهم كتبهم وكتب قائدهم لهذه الطريقة السيد محمد بن عقيل بن يحيى ساكن سنقافوره ، وأمثاله كثير نبجل القلم عن التصريح بأسمائهم ونعزل الفتنة لأنها أشد من القتل .

الخلاصة

إن جمعية الإرشاد والإصلاح أقيمت لفتح المدارس الإسلامية وتعليم أبنائنا وأبناء المسلمين ، خطتها كتاب الله وسنة رسوله ومذهب الإمام محمد بن إدريس الشافعي ، والله يشهد والناس إنا لصادقون ، ونشهد الله والملائكة ونشهد جلالكم إنا مسلمون موحدون إلى يوم الدين إن شاء الله .

وزيادة على ذلك وخدمة للدين والأمة والشرف الإنساني نطلب أن تسمح جلالكم ، وذلك ما يؤمل بإرسال مفتشين من قبل جلالكم للاطلاع على كل شيء وفحص المسئلة وأخذ البيانات الكافية ، وليكونوا من العلماء المحققين الصادقين الذين لا يخادعون الله ما أمرهم ، ولا متحيرين لفتنة دون أخرى ، هم يعودون إلى جلالكم حاملين ومزودين بكل ما تحصلوا عليه من الإيضاحات والبيانات ، وكل مصاريفهم ذهابا وإيابا إلى الوطن تحت مسئوليتنا وملتزمين بها . كل هذه خدمة للحقيقة والدين .

فإن فعل جلالكم ذلك فقد أكرمت بمكرمة عظيمة ، وبعد ذلك فلجلالكم الحكم بالعدل الشرعي ، وإنا عبيد الحق . وإن أحب جلالكم أن تسعف المرسلين بقانون جمعيتنا وكتب السادة وما قالوه ونشروه مع الأجوبة التي صدرت منا ليتبين الحق من الباطل ، فبغاية السرور والابتهاج نفعل ذلك .

وما كان هذا الأمل في جلالكم إلا لأنه يتعذر على أحدنا الخروج إلى الوطن

وحكومة الانجليز واقفة لنا بالمرصاد على نصف الطريق ، خائفة من أن يدخل أحدنا مستعمراتها لما بلغها من الاقتراء الكاذب .

أيها السلطان العادل ! إلى الله تعالى وإلى عدل جلاتكم نرمي هذه المسألة ونكل الأمر فيها إلى عدلكم وتنظلم ونرفع إلى جناب جلاتكم أيدي التشكي والتنظلم من الذين تقولوا علينا بما ليس فينا وألبسونا ثوبا من الباطل ، كما أننا نستمنع جلاتكم التآني والعسبر في معاملة إخواننا في الوطن على غير ذنب أذنبوه ، فجلاتكم نصير المظلوم وعصدا وساعدا قوياً وملجأ وحكماً بين الناس .

الامضاءات

إبراهيم بن عمر بوسبيط ، محمد بن رئيس بن طالب ، محمد بن سعيد بن عبد الله مرتع ، محمد بن أحمد العمودي ، محمد باعمر بلحمر ، محمد بن أحمد المحمر ، محمد بن عبد الله باصهي ، محمد بن بو بكر ناسلم ، محمد بن موسى باموسى ، عبد الله ابن سالم البيض ، عبد الرحمن باعبود ، أحمد بن عبد الله بن شيخ عمر العمودي ، بو بكر بن عبد الله بن شيخ عمر العمودي ، سعيد بن عوض باشميلة ، محمد بن عبد الله حمد بلحمر ، ربيع بن امبارك بن طالب ، محمد بن سعيد العسل العمودي ، حسن بن أحمد بن ماضى ، سالم بن سعد بن نهبان ، سالم بن عوض باشميلة ، أحمد ابن عمر بلحمر ، شيخ سعيد بن محمد سعيد باسعيد ، بو بكر با كراع ، عثمان بن عمر العمودي ، محسن بن أحمد العمودي ، أبو بكر بن أحمد باشراحيل ، عثمان بن محمد العمودي ، أحمد بن حسين بلحمر ، محمد بن سالم باقبص ، عمر بن سالم بلحمر ، عبد الله بن سالم باحمر ، سعيد بن سالم باسلم ، سعيد بلحمر ، سعيد بن أحمد باسلم ، عبد الله بن عبد الرحمن العمودي ، عمر بن محمد محمد القصد العمودي ، عثمان ابن عمر باموسى ، عمر با كراع .

كتاب جمعية الارشاد المركزية للقنصل الانجليزي

وقدمت جمعية الإرشاد كتاباً للقنصل الانجليزي تنفي فيه التهم التي ألصقها بهم
المليون ، وهذا نص الكتاب :

بتاوى في ١٦ ابريل سنة ١٩١٩

حضرة المحترم معتمد دولة بريطانيا العظمى يتاوى

بعد تقديم صحف الاحترام نعرض أن جريدة الاقبال العربية نشرت في اليوم
نشرة مضمونها أن حكومة انكلترا ناقدة على جمعية الارشاد والاصلاح ، وأنها تمنع
كل عربي من أعضاء تلك الجمعية من إعطاء الجواز دخولا وخروجاً لجزيرة جاوا .
نشرت جريدة الاقبال - عدوة جمعية الارشاد اليوم كما كانت من قبل عدوة
للانجليز - هذا الخبر وعزته إلى إشاعات عن ستافوره ، غير أن الثابت رسمياً لدى
جمعية الارشاد أن تلك الامساعة صادرة من بتاوى بواسطة رجل عربي اسمه السيد
علي بن شهاب .

إن جمعية الارشاد لا تحفل أن السيد علي بن شهاب منذ أكثر من سنة يعمل
ضدها ويرفع أشيائه إلى جنابكم مضرّة بمصالح الجمعية ، غير أن الجمعية لم تعر عمل
هذا الرجل أدنى التفاتة لأنها تعلم أن السيد علي بن شهاب ليس له مبدأ يعمل له .
فطالما يعرض نفسه لخدمة القناصل التركية سنين عديدة ، واتهم مراراً بالتهيبج
وإثارة الخواطر ضد الحكومة المحلية « حكومة هولندا » ، وسعى ضد وجود انجلترا
نفسها في عدن بطوافه في اليمن وحضرموت فياسلف . ولم ينجح في شيء من ذلك زيادة
عن كونه ليس وجيه بين العرب عموماً ولا بين السادة خصوصاً ، وليس هو من أهل
العلم أو الرأي .

فإذا كان الأمر كما تقول جريدة الاقبال ويقول علي بن شهاب نفسه : إن دخول

العرب وخرجهم أصبح بيد السيد علي بن شهاب ، فإن هذا الأمر يدعو إلى الدهشة .
ثقوا يا حضرة القنصل جنرال بأن بعض السادة أمثال السيد علي بن شهاب إنما
يهوون لكم أمر جمعية الإرشاد ، ويظهرون أعمالها أمام أعينكم بغير المظهر الحقيقي ،
وليس ذلك عن جهل منهم بحقيقة جمعية الإرشاد ، بل هو عن قصد وتعمد حتى تكون
حظوتهم لديكم عظيمة ، ويجازون على تلك التقادير الملققة بالمجازاة التي تتوق إليها
فوسهم عاجلة كانت أو آجلة ، وبذلك يكونون قد أوجدوا لأهسهم عملا يضمنهم
عن البطالة

إن أكثر السادة من الحضارمة ينتمون على جمعية الإرشاد كثيراً لكونها تبث
العلم والفصيلة بين جميع الطبقات ، وتسعى لتنوير أفكار حتى الفلاحين والصناع ، وذلك
مما يغيظ السادة الذين يحزنون كثيراً أن يساويهم غيرهم ، ويتألمون أن يقف سواهم في
موقف واحد معهم . فالسادة متمسكون تماماً بذهب الاكليروس القديم في فرنسا ،
ولكن تيار العلم اليوم يأبى إلا أن يهدم تلك المبادئ التي لم تعد صالحة بالقرن العشرين .
فأين خطة جمعية الارشاد إذن مما ينسبه السيد علي بن شهاب إلى الجمعية ؟ وأنها تحرك
آل كثير على محاربة القميطى حليف إنجلترا .

إنكم لا تجهلون أن تنازع الرئاسة ، والمزاومة بين النظيرين طبيعى فى البشر ،
خصوصاً بين القبائل التي لم تعهد الخصوع للنظام . فإذا كانت هناك محاربة بين القميطى
والكثيرى فلا نعتقد أنها مبنية على عداوة الانجليز قط ، بل ربما تكون مبنية على
المنافسة بين الرئيسين ، خصوصاً وهاته المواقع الدموية بحضرموت لم تكن بالشىء الجديد
الذى حدث فى هاته السنة أو ما قبلها ، بل ان ذلك شىء قد عرفته البلاد والعباد من منذ
أحباب من السنين .

فإذا كانت جمعية الارشاد تحاول أن يتغلب آل كثير على حكومة إنكلترا ، كان
ذلك إهانة وتحقيراً فى إدارة الجمعية يجب أن يسجل على كل من ينسبه لها ، لأنه لم
يبق إذن فى إدارة الارشاد رهوس تعقل أو أدمغة تفكر .
كيف تعرض جمعية الإرشاد قبائل آل كثير الذين لا يصل عددهم الحسة آلاف

تفر بما فيهم الشيوخ والنساء والأطفال عزلاً عن كل قوة على محاربة حليف انكلترا التي لا تغيب الشمس عن أراضيها والتي أظهرت الحرب الحاضرة مهارتها بتفوقها على أقوى عدو .

١ - أيّ عداوة ارتكبتها انكلترا ضد جمعية الإرشاد ؟

٢ - أيّ صداقة لأعداء انكلترا مع جمعية الإرشاد ؟

فإذا كان بعض أعضاء الجمعية لهم علاقة ببعض من عساه يكون عدوًّا للإنجليز ، فإن تلك العلاقة يجب أن يعود ثمرها على أشخاصهم رأساً ، ويجب أن يحاسبوا عليها فردياً ، وإن إدارة جمعية الإرشاد بصفتها تسعى لنشر العلم والفضيلة ، فكل من مدَّ لها يد المساعدة المالية عدته عضواً من أعضائها ، بقطع النظر عن جنسه ودينه وسياسته .

إن جمعيات الصايب الأحمر تعمل وراء مساعدة المصايين في أجسادهم بقطع النظر عن دينهم وسياستهم ، وكذلك جمعية الإرشاد والإصلاح تبحث عن معالجة الأرواح والنفوس الجاهلة بنشر العلم ، وبثّ التربية والفضيلة ، فهل تُحارب مثل هاته المبادئ ، يا حضرة القنصل جنرال ؟

و بلسان جمعية الإرشاد نسجل لديكم على كل من ينسب للجمعية تهمة العمل ضد حكومة انكلترا أو حلفائها ، أو أي عمل لمصلحة أعدائهم ، وأي عمل سياسي على الإطلاق ، ونرجو أن تتفاهموا معنا رأساً لعله يزداد لديكم الحقّ إشراقاً ، وينكشف لكم ما عساه يكون مطوياً وتقوا يا حضرة القنصل جنرال باحترامنا لشخصكم ما

إدارة جمعية الاصلاح والارشاد

تم تواترت الأنباء بأن الإنجليز لا يسمحون لكل إرشادي بالسفر إلى إحدى مستعمراتها ، وإن السيد سعيد مشعبي أحد رؤساء الجمعية أودى من ولاية الأمور بسنغافوره حينما نزل في مينائها أذى عظيماً ، فاضطرت لذلك إدارة الإرشاد لتقديم عريضة

أخرى يوم ١٥ أكتوبر ١٩١٩ لقنصل الانجليز ، وهي لا تخرج عن معنى العريضة الأولى من حيث نفي التهم الموجهة إلى الجمعية ، وتبيان مبادئها الحرة وأغراضها الشريفة واجتمع الشيخ أحمد السوركتي بالقنصل الإنجليزي ليتحقق عن الإشاعات التي يذيعها آل باعلوي ضد الإرشاديين فاندش للأمر ، وصرح أنه لا يعوق أمام كل إرشادي يريد السفر إلى أية مستعمرة إنجليزية ، وقد اتخذ الشيخ أحمد ذلك حجة لدحض إشاعات العالويين ، ونشر منشورًا هذا نصه :

جاء الحق وزهق الباطل

بما أنه قد تكرر في جريدة الإقبال خبر أن الحكومة البريطانية تعتبر جمعية الإصلاح والارشاد ، وكل من ينتمى إليها من الأعضاء أعداء لها ، وصرحت بأن هذا الخبر مصدره السفارة البريطانية يتناوى ، ذهبت أنا بنفسى إلى مركز القنصلات وقابلت القنصل جنرال الانجليز وسألته عن هذا الخبر وعن أسبابه ، فاستغرب الأمر وتبرأ من هذا الخبر بتاتا ، وقال : إنه ليس عنده أدنى ميس من هذا الأمر ، وان الحكومة لا تهم جمعية الارشاد بعبادة ، ولا تضمر لها بغضا مطلقاً ، وأمرنى أن أعلن ذلك لأهل الجمعية .

فبناء على ما ذكر ، فهذه الأخبار التي تشاع من أن القنصل الانجليزى لا يعطى الناس لمن هو من أعضاء جمعية الارشاد ، أو أن الحكومة البريطانية تعد أهل الارشاد أعداء لها أو أنها تحذر من السخول فيها أو المساعدة لها ، كلها أخبار مكذوبة اخترعها أهل الأغراض وأعداء العلم والحرية ليرهبوا بها الناس وينفروهم من جمعية الارشاد ومدارسها ، وليوغروا قلوب الارشاديين على الحكومة الانجليزية .

هدانا الله وإياهم إلى صراطه المستقيم ، ووفق الجميع لما يحبه ويرضاه آمين .

كاتبه

أحمد بن محمد السوركتي

البلاغ المنسوب إلى الحكومة القمبية

وتجراً جماعة من العلويين في تزوير منشور كله تهديد ووعيد للارشاديين وإنذار وإعلام بإيقاع العذاب وإتزال العقاب بكل من يبقى عضواً في الارشاد ، ونسبوا المنشور إلى السلطان غالب بن عوض القمبي ، ودفعوا اثنين من أتباعهم لنشر المنشور وتوزيعه على الحضارم ، وحيث إن طبع ذلك المنشور وتوزيعه من غير إذن الحكومة الهولندية يخالف قانون البلاد ، وحيث إنه يهدد وينذر بالعقاب جالية آمنة مطمئنة تحت ظل حكومة جاوه ، وهذا بالدهاء يخالف القواعد الدبلوماسية ، فقد حكمت الحكومة على ناشره سالم باوزير وعبد الرحمن جواس بغرامة مالية ، وهذا نص المنشور المزور :

بلاغ رسمي

الحمد لله الذي أظهر سيف العدل والحق ، ودفع الباطل وأزهد ، والصلاة والسلام على سيدنا محمد ماطلع فجر الحق وأشرق ، وعلى آله وأصحابه محوم الهدى ومصايح الغسق .

السلام التام إلى حضرة كافة الأمة الحضرمية المقيمين بالممالك البريطانية والهولندية هدام الله إلى الصواب .

صدرت من الكلا نقصد إبلاغكم أنه طالما امتلأت أسماعنا من الأفاويل والكلام المزوج بالأباطيل . وكنا نظن أن فيكم عاقلاً بسد هذا الخرق ، فإذا نار الخطأ شاعلة ، حتى أنه وصل إلينا كتاب من بعض أهل الارشاد - أمة البغي والفساد - كلام مزخرف وعليه من الحق محسة وهو كما قال سيدنا الامام على كرم الله وجهه - كلمة حق أريد بها باطل .

وحاصل ما نبديه لكم وتهميه إليكم أن حكومتنا حرسها الله حكمت حكما جازما على كل من ينتمى للجمعية الإرشاد من تلزمه الطاعة انا بحق التبعية بإبطال هذه الجمعية مع جميع فروعها ، وأن يرجعوا إلى متابعة السلف الصالح في الأقوال والأفعال . وكل علم أو عمل أتى به أحد كائن من كان غير ما مضى عليه السلف الصالح وما مشوا عليه ، فليس له قبول وهو رد عليه وحردود في وجهه ، وليس لنا التفات إلى أحد ، ولا إلى قول أحد سوى ما درج عليه السلف الصالح من أهل جهتنا من العلوم والأعمال والبيات والاعتقادات ، وبحمد الله سيرتهم ليست خافية على أحد ، ومن زاع عنها فهو سفیه بشاهد القرآن في قوله تعالى : [وَمَنْ يَرْغَبُ عَنْ مِلَّةِ إِبْرَاهِيمَ إِلَّا مَنْ سَفِهَ نَفْسَهُ] .

وملة إبراهيم هي ما مشى عليها الحبيب الكريم كما أرسده إلى ذلك في قوله : [أَنْ اتَّبِعَ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ] ، وما مشى عليه بعده وورثته ومتبعوه من حبايبنا من السادة آل أبي علوي ، والمتسبين إليهم من المشايخ والمجيبين وكتبهم وتراجمهم ، والتواريخ ساهدة وطالفة بذلك ، وليس على الحق غبار .

وحيث شهدت الجمعية الإرشادية على نفسها بإسان ساستها بأنها مضرّة على حكومتنا ، فقد حكمتنا حكما صارما على كل من لنا عليه سلطة الولاية بالانفصال عن جمعية الإرشاد وفروعها ، امثالا لقوله تعالى : [أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ] ، وقد صادقتنا على العمل بهذا الحكم حكومة السلاطين آل عبد الله الكرام . فمن رجع وتاب وأقلع عما هو عليه الآن من الاختلاف والأخلاق والشقاق والافتراق ، وظهرت عليه أسائر النبوة بسلوكه على ما كان السلف الصالح عليه من الاعتقاد والأعمال وانسلح عن كل فرع من هذه الجمعية التي أوجت للناس هذه البلية وصادقه على رجوعه حبايبنا فهو المقبول .

ومن بغي مصرًا على ما هو عليه أو منضًا إلى هذه الجمعية ، فالضرر واقع به وواصل إليه في نفسه وأهله وماله وولده في أي محل كان ، وكل آت قريب ، وَكَتَعْلَمَنَّ نَبَأَهُ بَعْدَ حِينٍ ، وَسَيَعْلَمُ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَيَّ مُنْقَلَبٍ يَنْقَلِبُونَ .

وليس خافيًا علينا أن هذا الخطأ والفشل والافتراق ، منشؤه جمعية الإرشاد ذات البغي والفساد ، بل هي بلشفيكية غير منظمة ، وذلك محقق ومعروف لدى كل الناس ، فرأينا حسم المادة بمحاربة هذه الجمعية ، وأن نرجع إلى قوله صلى الله عليه وآله وسلم : [كُلُّ أُمَّرٍ أَمْسَ عَلَيْهِ أَمْرُنَا فَهُوَ رَدٌّ] ولا شك أن هذه الجمعية وفروعها مخالفة لهدى السلف الصالح المتبعين للنبي صلى الله عليه وآله وسلم ، مع كمال التحقيق للمتابعة بلا نزاع .

وكل ما تدعون أنه علم أو عقل واقتراح وهو مخالف لما مضى عليه السلف الصالح ، فلا بد أن يعود ضرره علينا وعلى أصدقائنا وعلى الأمة الحضرمية خصوصاً ، فأوجبنا الرجوع إلى طريقة السلف . وكل جمعية ليست مشتملة على ما هم عليه ، وليس رؤساؤها وزعماءها من أهل الفصل الثابتين على المنهج القويم ، فسيلحقها ما يلحق الجمعية الإرشادية وأعضاءها .

وقد حكم نائب حكومتنا بدو عن على أهالي جمعية الإرشاد أصحاب الفساد بما حكم وهو بعض مما حكمنا به ، وسيكون أكثر ، وسنتأصل الحال والمآل إن بقي أحد منهم على طغيانه . ولا بد أن يذوق الهوان ويدخل هو ومن والاه في خبر كان ، والله تعالى يقول : [وَأَتَّقُوا فِتْنَةً لَا تُصِيبَنَّ الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْكُمْ خَاصَّةً] .

فمن بلغه هذا البلاغ الرسمي وبقى على تماديه وعتوه فسوف يندم ولات حين مناص ، ولا تقبل فيه سفاعة سافع ، ولا يسمع منه الاعتذار ، وليس بعد الحق إلا الضلال والله التوفيق . السلطان غالب بن عوض القعيطي .

عريضة الارشاد للوزارة الانجليزية الخارجية

وسأ رأى الإرشاديون أن العريضتين اللتين قدموهما للتصلية الإنجليزية لم ينتج
شئ منهما ، وأن التأشير على جوازات السفر لا يزال محظوراً عليهم بعثوا عريضة طويلة
إلى وزارة الخارجية الإنجليزية ، وهذا نصها :

« حضرة السيد الماجد الغنى بشمائله العالية وأياديه القائقة ومنزله الرفيعة في
العلم والأدب عن ترديد أساليب المدح والاطناب ، لا زال كعبة للآمال وملجأ
لأولى الحاجات .

بعد تقديم مراسم السلام والاحترام ، وأداء الآداب اللائقة بالمقام ، نولى وجوهنا
سنطرك ، ونعد أيدينا إليك من هذه البلاد النائية ، مستغيثين بك ، ملتجئين من
إنسانيتك المقدسة أن تمد إلينا يد المساعدة ، والاهتمام فى إقناذنا من هذه الورطة الصماء
التي لا طاقة لنا بدفعها ولا مسيرتها .

إننا من العرب المهاجرين من بلادنا حصرموت إلى جزائر الهند الهولندية اطلب
المعيشة ، ولنا بها سنين طويلة حتى أصبحنا نعدّها وطناً لنا ، إذ بها أموالنا وذرائعنا
وجميع مقومات حياتنا ، والأمة الحضرمية على الإجمال سواء كانوا فى وطنهم أو فى
مهاجرهم عنصران كبيران . أحدهما يسمى بالعرف العام عندنا باسم المشايخ وهم أهل البلاد
الأصليون ، ونحن المقدمون إلى جنابكم هذه العريضة منهم .

والعنصر الثانى يسمون بالعلويين ، وهم الذين نشكئ نحن منهم ونستغيث بكم من
شر ما نتج من فتنهم وحيالهم علينا ، وهم - أى العلويون - قوم أجانب عنا ، هاجروا
إلى بلادنا منذ قرون يدعون الاتساب إلى على بن أبى طالب ، وإلى نبي المسلمين محمد
صلى الله عليه وسلم من جهة بنته .

إن حضرموت كانت ولا تزال بلاداً متقطعة عن جميع البلدان المتمدّنة والأمم
الراقية ، وليس بها إلى الآن شيء من المعاهد العلمية ، ولا من العامل الصناعية ، وأهلها
- وهم أبناؤنا - قوم بسطاء يميلون إلى البداوة ، وكان من أخلاقهم الفطرية المبالغة في
إكرام الضيوف وحسن الظن بمن يدعى الاتساب إلى أحد من الصالحين المشهورين ،
وبالأولى إلى أحد الأنبياء أو الصحابة المكرمين .

فذلك وجد هؤلاء المهاجرون منهم حفاوة واحتراما ، وفتحوا لهم بيوتهم ، وسهلوا
لهم طرق الراحة ، حتى اطمأنوا بها وتربعوا في ربوعها ، ولما طاب لهم العيش وطال
بهم المقام استمالهم الطمع ، فطفقوا يؤسسون فينا قواعد جائرة باسم الدين . كلها ترجع إلى
تقديسهم وتألبيهم وإذلال من عداهم ، وليست من الدين الحقيقي في شيء ، ولا الدين
في شيء منها .

فأوجبوا أولاً على الناس تقبيل أيديهم كبيرهم وصغيرهم برّهم وفاجرهم ، بزعم أن
الدين أوجب ذلك لهم ، وقائلين للناس : إن تقبيل أيديهم يبرى من البرص والجذام
وجميع الأمراض العسرة ، ثم أخذوا يفسدون العقائد ويوجهون الناس إلى عبادة قبور
آبائهم ، بزعم أن بأيديهم قضاء الحاجات ، وإيرادتهم سعادة الدنيا والآخرة ، وأنهم
أهل الكشف والكرامة والتصرف في الكون وأولوا الأمر والنهي على عالم الغيب ،
وأنهم مطهرون غير مؤاخذين بما يرتكبونه من المعاصي كغيرهم ، وأن ذنوبهم صورية
يجب أن تؤول بنقائضها مهما كانت .

ولما كان العلم والدين الحقيقي يقاومان هذا المبدأ وهذا التأسيس ويناقضانه ، بدءوا
أولاً بقتل العلم وقلع جذوره من البلاد ، وتبديل معنى الدين الحقيقي مع إبقاء اسمه وبعض
صور مراسمه ، ولم يألوا جهداً في تعمية القلوب وسدّ فرج الفكر بالخرافات ، حتى بلغ
الناس درجة أنه إذا قال أحد: هؤلاء الناس أنا الذي بنيت السماء ، وأنا محيي الأموات ،
وفي قبور آبائي خيول خضر ومدافع عظيمة يضربون بها جميع العالم لا يكذبونه ولا ينازعونه ،
وبالفعل كان ذلك كله مع كونه يرتكب كلّ قبيح يخجل منه أسقط الساقطين .

إلى هذا الحد كان مبلغنا من الجهل والسقوط ، وفي تلك السجون المظلمة كان محبس عقولنا وأفكارنا عدة قرون بفضل مساعي أولئك الأولياء الذين يدعون أنهم أبناء الله وأحباؤه وصفوته من خلقه ، وأن جميع ما في العالم مخلوق لهم ، وهكذا كانت مكافأتهم لنا ولآبائنا في مقابل إكرامنا لهم وحفاوتنا بهم وفتح ديارنا لهم ولذراريهم وتقديسنا إياهم ، ولبئنا تحت هذه الأثقال سنين كثيرة ، ظانين أن خالق الكون هو الذي حكم علينا بهذا الحكم الجائر .

هذا صنيع المتقدمين منهم معنا من ابتداء القرن الحادى عشر المسيحى إلى أوائل القرن السابع عشر ، وبه ينتهى دورنا الأول معهم .

دورنا الثانى

من أوائل القرن السابع عشر كثرت ذرارى أولئك المهاجرين بيننا ، وتعددت فئاتهم ، وأخذت كل فحيزة منهم تساق الأخرى فى الخرافات ، اتسالم الرتبة العليا بين الناس ، وتختص بوفرة الهدايا والندور والجاه والرفخفة دون غيرها ، ودخل بينهم التنافس ، فاستمال كل فرقة منهم قبيلة أو قبيلتين .

ثم أخذوا يفتنون بين القبائل ويضربون بعضهم ببعض ، حتى استحكمت بينهم العداوة والبغضاء وصبغ أكثر تراب ذلك الوادى بدماء قبائله ، فققد الأمن وخربت البلاد وضافت المعائس ، فقر أكثر أهلها هاربين مهاجرين منها إلى البلدان القاصية عنهم كالهند وجزائر جاوا وسواحل أفريقيا طلباً للمعيشة والأمن ، ونحن المقدمون لهذه العريضة إلى جنابكم السامى من جملة المهاجرين إلى جزيرة جاوا .

وبما أن العلويين لا صنعة لهم إلا التحيل بالخرافات ، تبعوا المهاجرين ما إلى مهاجرهم للتعيش منهم والحفاظة عليهم من عدوة العلم والدين الصحيح ، وقد اتسع لهم باب التدجيل والخرافات فى المهجر ، وقطعوا من ثمراتها قطعاً دانية من الأهالى

الوطنيين الماليزيين الذين بالجزائر الهندية ، لعراهم بالمعنويات وجهلهم المطبق .

فبالغ العلويون هنالك في تأليه أنفسهم وتقديسها وقدموا لهم أيضاً أيديهم وأرجلهم للتقبيل وبصاقتهم للتداوى وقلامة أظفارهم لتحصيل الأرزاق والأولاد ، ثم أخذوا يبيعون جنات الآخرة على الناس بالباع والذراع وتبدت جنتهم بجنتين ، فسكروا وطربوا وغنوا ورقصوا وتكبروا وتجبروا وتناولوا على أعراض الناس وأموالهم بدرجات فظيمة حتى طفحت الكأس ، وغلت حراجل قلوب العقلاء منا .

وبينا نحن كذلك نئن من ثقل هذه الآصار نكاد نتميز من الفيض ، فإذا بطالع السعود أخذ يبدو في ربوع الشرق بواسطة الانقلاب الهائل في مجارى السياسة الشرقية في أوائل القرن العشرين ، فخور كثيراً من سلوك الحكومات في البلاد الشرقية وخفض وطأة القامنين على إبقاء ما كان على ما كان ، فانتشرت الصحافة وأصبح تناؤها ممكناً للعموم وازداد عدد المتخرجين من مدارس الحكومة الهولندية وغيرها .

فأشرقت على الحارات فوانيس العلم ، وأخذ الحق يسطع سينا فشيئاً ، وتناول البحث أغراضاً كثيرة ، وتحولت فكرة المعلمين من الماليزيين عن موالة العلويين الذين كانوا يصدونهم عن التعليم في مدارس النصارى ، ويمنعونهم من التطيب عند حكاء الصليب ، ويحرمون عليهم كل كتابة وقراءة سوى هجاء بعض آى القرآن بغير فهم ، والمعالجة بغير لعاب الحبيب العلوى ، ويعدون غير الممثل لأوامرهم مارقاً من الدين الإسلامى .

وقد كانت مدينة سنغافورا هى المركز الأول لظهور الحرية الفكرية وخلع النير القديم ومكافحة الخطر الذى رعى بالحضارمة فى الهوة السحيقة والسعى فى نشر العلم ، والمساواة بين الناس .

قد لعبت هاته المباحث دوراً مهماً فى النوادى العربية ، وأسست لهاته المناقشات صحف سيارة بعضها أسبوعى وبعضها شهرى ، واشتركت الصحافة المصرية فى هاته

الحركة ، وأيدت حزب الأحرار الناهضين الذين يسمون لفتح المدارس النظامية ، وفك
عقال الجمود وسلطة الآباء الروحانيين .

وبانتشار تلك الأفكار بسنقا فوراً ، وتداول الصحف لها ، تسربت تلك الحقيقة
إلى العرب القاطنين بجاوا وما حوالها ، وأخذ الكل يبحث :

- ١ - لماذا نحن في جهل ؟
- ٢ - لماذا نحن ننقسم إلى طبقات ؟
- ٣ - لماذا كان العلم محظوراً علينا دون غيرنا ؟
- ٤ - على أى شىء نحن تقتل في بلادنا حضرموت ؟
- ٥ - لماذا لا نحول وجهتنا هنالك بدل القتال إلى الأعمال النافعة ؟
- ٦ - لماذا لم تنل بلادنا نصيباً من الرقى كما نال غيرها من بلاد الله ؟
- ٧ - بأى طريق أم بأية كيفية نستحصل على حياة بشرية سعيدة ؟
- ٨ - وأخيراً ما هي الجناية ومن هو الجانى ؟

هذه هي المواضيع والنقط الأساسية للبروجرامات التي أخذت نبحث فيها الفئة
الجديدة ، بعدما أيقنت أن التقاليد التي كانت تنبعا في بلادها وفي هجرها مستهجنة
في نظر الدين الإسلامي وفي نظر المدنية الحديثة ، وأن المنازع القديمة ليست سوى خطة
كان يعيش عليها البشر في أوائل القرون الوسطى ، أو هي أشبه من الوجهة الدينية
بخطة الإكليريوس في فرنسا في القرون الغابرة .

لم تكن هاته الأبحاث والتي تروق في أعين خرافة العلويين طبعاً - كما لم تروق في
أعين الإكليريوس من قبلهم - لأنهم كانوا يرونها قصاء نهائياً على عبادتهم من دون الله ،
ورأوا أن هؤلاء المفكرين أتوا متيناً إذاً وخالفوا الدين والشرع ، فتمروا بالإثارة العامة
والغوغاء ضد الأحرار ، فتارة يكفرونهم وأخرى ينسبونهم إلى الاعتزال وأخرى لتقليد
الإفرنج والرواق مما كان عليه الآباء المقدسون .

غير أن الثبات والتؤدة والسير في نهج الحكمة والتدبير جعل الكفة الراجحة مع

التهاذين ، فقد دافعوا عن أنفسهم بواسطة النشرات والكتب والصحف مدافعة من يحب الخير لنفسه ونفوسه ولدينه وللبشر أجمع ، مدافعة بعيدة عن البذاء والفحش والهجر الذي لم يترك العلويون باباً من أبوابه إلا ولجوه في نشراتهم وفي الصحف التي تنطق بلسانهم .

فاتبه كثير من أهل العقول الخاملة بواسطة البحث والمناقشة ، وأصبح حزب الحق يتزايد يوماً فيوماً ، وهناك كانت الطامة الكبرى على العلويين ودخل في سيرهم الارتباك ، فأغلقوا أبواب المعاهد الدينية التي كانت سلطتها تحت أيديهم ، وطردوا الأساتذة المنتصبين للتعليم رغبة منهم في إطفاء الحقيقة وإيصاد أبواب التعليم كيما كانت الحالة حتى تعود العقول إلى جهود وحمود أشد مما كانت عليه .

ولكن هيات فقد انفك العقال وتبدت الأحوال ، ولم يعد في الوسع سجن الحق ونمويه ، وقد تمكن الكل من معرفة طريق الدين الذي كان وقفاً عليهم ، ولم يكن في وسع السادة الوقوف في التيار حيث انهار السيل وانفتح الجرى القاضى بإزالة السلطة القائمة على الوهم والتصليل وجعل أراضى الجنة تحت إرادتهم يقطعونها لمن شاءوا من عبادهم المخلصين .

أثناء الحرب

الأساتذة الذين طردهم السادة من التعليم في المعاهد الدينية لأنهم شاركوا الأحرار في أفكارهم ، انضموا طبعاً إلى الأحرار واستمروا يعملون جميعاً على تهذيب الناشئة وتأسيس المدارس وتعليم من يوجد بين جدرانها حسب البرامج المقررة لها ، لا فرق في ذلك بين الجاوى والعربي والسيد والشيخ .

والنتيجة الفاتكة التي كانت تأتبعها المدارس استلزمت الزحام على أبوابها ، فتطلعت رهاب الجميع إليها ، ولا ريب أن ذلك مما ينأى مصلحة السادة العلويين ، فكانوا يعتقدون المجالس السرية والعلنية للمحث عن الطريقة الحاسمة للإيقاع بالأحرار .

وقد اتخذوا فيما اتخذوا من الطرق الوشاية بالأحرار إلى حكومة هولندا ، ورفضوا لها تقارير منبئة بأن هناك بدأ عاملة على إنارة البلاد ، ويتبرءون فيها سلفاً من العاقبة السياسية التي سيثول إليها أمر هؤلاء الناس إن تركت مدارسهم تفتح وجوعهم تجمع ، وغير ذلك من أمثال هاته الترهات التي اتخذوها ذريعة للتشفي .

وقد كانت الحكومة على جانب شديد من الحذر والاحتياط من هؤلاء الناس ، ولعلها لم تزل كذلك حتى الآن ، غير أنه ربما يكون قد خفّ عما قبل ، لأنها لم تر من الأحرار إلا اعتدالا ، ومن المحافظين على التقديم إلا التهور ، فطلما أسال العلويون دماء الأحرار بأنفسهم ووسائلهم ، فكان رائد الأحرار الصبر ومقابلة السيئة بالحسنة ، وصحبة هذا يصلكم منشور نشره حزب الأحرار أثر واقعة دموية صدرت من خرافى ضدّ حرّ .

إن العلويين فشلوا فشلا بيناً ، غير أن أملهم ورجاءهم لم ينقطع لأن حركات الاصطكاك لا تزال تبدو منهم ، كذنب الوزغة التي ينقطع ويستمرّ ينزو وينط .

نعلم ذلك ونتأكده حينما نراهم حولوا وجهتهم نحو الوكالات الإنجليزية بجاوا وغيرها ، متخذين للماوسات الدموية التي سالت في حضرموت بين قبائلها ذريعة للقضاء على الأحرار مؤسسى مدارس الإرشاد بجاوا ، بزعم أن تلك التحرشات ناتجة عن إحساسات غير ودية ضدّ الإنجليز ، وقائلين إن جمعية الإرشاد مؤسسة لمعاداة الإنجليز أو مساعدة الأتراك ونحو ذلك من الترهات .

هاته هي الطريقة الأخيرة التي التجأ إليها السادة العلويون الذين أخذت قودهم الديني يتقلص من الأفتدة ، حيث لا رجاء في تليك سمحانات الجود على العقول التي اقتدأت تشرق عايبها شموس المعارف .

إن هاته الخطة وإن تكن في نفسها قد ألحقت أضراراً جسيمة بالإرساديين ، غير أنها في نفسها خطة غير منتجة وفكرة غير ناضجة ، وليست هي مما يعرقل سير الأحرار الإرساديين ، بل ربما كانت من أقوى البواعث والعوامل على نبات الأحرار .

واستمرارهم على مبادئهم التي لا تخالف المبادئ الإنجليزية أو غيرها من الأمم المتقدمة في شيء ، لأن أحرار الإرشاد ليسوا دعاة سياسيين ولما يصلوا بعد إلى هذا المنصب الخطير الذي أعطاهم إياه السادة العلويون .

ولكنهم دعاة اجتماعيون وعمل مصلحون يسعون لقلب حالتهم من التفرق إلى الاتحاد ومن التقاطع والتقاتل إلى التواصل والسلم ، يدعون لعمارة البلاد ونشر العلم بين الجهال ، يسعون لنشر الفضيلة بين إخوانهم ، وهاته المبادئ التي لا بد أن تشر ولا بد أن تنتصر ، وإن اعترتها في أولها لطمات الأمواج وعواصف الرياح لأن الحق يعلو ولا يعلى عليه .

نحن قوم ديننا الإسلام ، قننا ندعو وننصح أنفسنا وإخواننا إلى تعلم الدين الصحيح ، والمدنية الحققة وترشدهم إلى طريقها ، لأن لعصرنا الحاضر مطالب غير مطالب العصور الغابرة ، قننا ننصل من الشكل الجامد الذي لا يفي بحاجة الزمان والوسط الذي نحن فيه ، وطفقنا نفتح المدارس ونفقد الجمعيات لمساعدتها لنلج بأنفسنا وقومنا جنات الحكمة والسعادة سعياً وراء الكمال ، وأصبحنا مدفوعين بشعورنا إلى طلب الارتقاء الأدبي والعلمي .

ومن جملة هذه الجمعيات العلمية جمعية عقدناها في سنة ١٩١٣ مسيحية لفتح المدارس وتعليم أولادنا على القواعد الحديثة ، وسميناها : جمعية الإصلاح والإرشاد ، فتحنا بها مدارس لتعليم الدين الصحيح وبعض العلوم المعاشية على نمط بروجرام مدارس الحكومة الهولندية الابتدائية .

ولما بذله معلمو مدارسها من الجد والاجتهاد وما أظهره من النتائج الحسنة ، تفرغت مدارس الجمعية في جميع بلدان جاوا الكبرى ، وصار لها الصيت البعيد بين الجمعيات والمعاهد العلمية والدينية ، وانهمزم أمامها جنود التجديل والخرافات ، فاشتد عند ذلك غضب العلويين الخرافيين على الجمعية وعلى معلمها ومؤسسيها ، وأخذوا ينفرون الناس عنها بأساليب مختلفة متناقضة .

فبينما يقولون لتفصل جنرال تركيا : إن معلمى الإرشاد ومؤسسى مدارسها من جواسيس الإنجليز ومروجى سياستهم ، ويقولون للأهالى الوطنيين : إن هذه المدارس أسست بأموال كنيسة روما لتنصير أولاد المسلمين ، فإذا هم يقولون لعمال الإنجليز إن هذه الجمعية متصلة بجمعية الاتحاد والترقى التى فى تركيا أو البلشفيك وشأنها تدبير الثورات فى البلاد الشرقية ضد إنجلترا وحلفائها .

وبينما يشيعون فى جرائدهم أن هذه الجمعية مقامة لتفريق العرب والحضارمة بإعاز من الحكومة الهولندية ، فإذا هم يقولون : إن معلمها الأكبر الشيخ أحمد بن محمد سوركتى هو ابن أخت المتهدى السودانى ، يريد أن يقوم بثورة مهدوية ضد الحكومة الهولندية .

يرتكبون جميع ذلك لعلمهم يتوصلون به إلى إسقاط الجمعية ومدارسها أو إلى الإيقاع بمؤسسيها ، والحق يشهد أن أهل جمعية الإصلاح والإرشاد رأء من كل ما ينسب إليهم من قبل أولئك الخراصين المفتنين الكذابين .

ومن الغريب أن ترهات أولئك الدجالين التى لم تؤثر حتى فى الأهالى الماليريين راجت عند عمال الإنجليز الذين نعدهم فى أعلى طبقات الذكاء والتروى ، فإنهم طفقوا بضغظون على أعضاء جمعية الإرشاد بمنع جوازات السفر ، وسد الطرق فى وجوههم بغير ذنب جنوه ، ولا غلظة ارتكبوها نحو حكومتهم ، تصديقاً لما قدمه العلويون لهم بغير تحقيق ولا تنقيب ظانين أنهم أعداء لهم .

وكلما سألنا قنصل جنرال بريطانيا الذى يتافيا عن ذنبنا ، قال فى الجواب : أتم أدرى بأغلاطكم ، وكلما كتبنا له تقريراً لم يعره لفتة اعتبار ولا بحث ، فاجتمع إليه أغنياء الجمعية وقالوا له : إنا مستعدون أن نضع أموالنا وأولادنا تحت ضمان الحكومة البريطانية حتى تحقق عن صدقنا ، ونحب فى مقابلة ذلك أن ترفع عنا الحجر وتمطينا جواز السفر لمن يريد الذهاب أو الرجوع إلى بلاده فلم يفعل ، فاحترار الناس من ذلك الظلم الأصم الذى لا مفتاح له .

كل ذلك مبنى على نفته بأولئك الأعداء وتصديقه بما يقدمونه إليه من التقارير بغير بحث ولا تحقيق ، وهذا الأمر إن دام فلا شك أنه يضر بالحكومة البريطانية أكثر مما يضر الإرشاديين ، لأنه يفرس بغض الحكومة في قلوب الناس ويمثل الحكومة في أعين الناس بمثال الظلم والجور والسخافة والحق زيادة على الإضرار بهؤلاء الأبرياء الذين لا غرض لهم من الجمعية إلا تعليم أولادهم .

ولا قدرة للإرشاديين على أكثر من أن يقولوا ، إننا أبرياء من السياسة ومن كل عمل ضد الإنجليز وضد الحكومات ، وإنا مستعدون أن نضع أموالنا وأولادنا رهناً عند الحكومة حتى تحقق في أمرنا ، لا تظن أن في طاقتهم أكثر من ذلك .

فإذا كان هذا لا يكفي ، فماذا عسى أن يفعله الإرشاديون لحل هذا الطلمس العجيب الذي عقده المفتنون في أدمغة عمال الحكومة البريطانية ؟ وإذا كانت الحكومة البريطانية التي نعدها ناشرة العلم والمدنية تسعى في إسقاط مدارسنا بالضغط على المنضمين إلى هذه الجمعية - وهي الجمعية الوحيدة في نشر العلم بيننا - فن الذي نرجوه انصرة الحق والمساعدة في نشر العلم والحرية .

إننا والله نستغرب غاية الاستغراب في كون مكيده المفسدين التي انكشف أمرها عند جميع رجال الحكومة الهولندية وجميع رؤساء الأهالي الوطنيين لم يدركها عمال الحكومة البريطانية المشهورون بالتروى والبحث ، حتى بلغ بهم الأمر إلى هذا الحد الذي يسى السمعة ويخجل المدافع عنهم ، اللهم إلا إذا كان هناك غرض سياسى آخر يريدون التوصل إليه بتضحية هؤلاء الأبرياء المساكين ، مع العلم ببراءتهم ، فلا علم لنا به .

والذى نظنه أن عمال الإنجليز الذين في جهتنا فهموا أولاً غلطاً وخطأ بسبب ثقتهم بأولئك المفتنين الذين أظهروا لهم الإخلاص للتوصل إلى أغراضهم ، ثم قدموا للحكومة تقارير مبنية على هذه الأوهام التي تلقوها من زعماء الفتنة ، ثم لما ظهر لهم الحق وفهموا الحقيقة خافوا على مراكزهم ، وأبت نفوسهم تكذيب ما قدموه من التقارير ، فتعصبوا لها وأخذوا يطلبون لها الشواهد والمؤيدات بواسطة الضغط والإرهاب ولو كان

ذلك مضرًا بالحكومة ومسيئًا بسمعتها بين الناس ، ومهلكًا لألوف من الأبرياء ، كل ذلك يحتمل ، لأن الشواهد التي يتوكلون عليها لاتساوى شيئًا في الحقيقة إذا كانت هي على ما نعلم .

وهناك خلاصة ما نعلم مما يسونه حجبًا على الإرساديين :

الأول : إن القنصل التركي بعد أن كان عدوًّا لمعلم الإرساد - الأستاذ الشيخ أحمد ابن محمد سوركتي - وكان ممن يحذرون منه الناس ، بزعم أنه من جواسيس المخابرات أو مروج للسياسة الإنجليزية ، ثم ظهرت له براءة الجمعية والمعلم من كل سياسة ، كما ذكرناه سابقًا ، أراد أن يسمح هذه الغلظة التي صدرت منه ، فحضر محفل امتحان تلامذة جمعية الإصلاح والإرساد مرتين في ضمن مئات من الأهالي والعرب والهولنديين ورجال الحكومة المدعوين للحضور ، وحضر مرة ثالثة افتتاح إحدى مدارسها من جملة الناس بدعوة فرد من أعضاء الجمعية ، هذا أعظم سواهد تهمة الجمعية بالسياسة .

الثاني : قد وصل قبل عامين مركب مخرق من مراكب الجرمن إلى تانجوغ فريك ، مرفأ بتافيا ، فنزل لرؤية هذا المركب المكسر ألوف من الصينيين والأوروبيين والأهالي للفرجة ، وكان من جملة المتفرجين واحد من أعضاء جمعية الإرساد ، فحفظ ذلك الشخص الواحد من بين تلك الألوف وجعل حجة على أن جمعية الإرساد جمعية سياسية مقامة لمساعدة الجرمن أو البلشفيك أو الاتحاديين ، وتُزل ذلك العضو الواحد منزلة الجمعية ، على أنه ليس من أعضاء الرئاسة ولا من المستشارين في مجلس الجمعية .

هذا أهم ما نعلمه من الأغلاط المنسوبة إلينا ، وربما تكون هناك أكاذيب ملفقة لاعلم لنا بها ، ومن أغرب ما يطرق سمعكم الواعى ما سمعناه من قنصل جنرال بريطانيا الذي وصل إلى بتاوى في هذه الأيام ، فقد أرسل إلى رؤساء جمعيتنا العلمية رسالة شفوية مع حضرة الفاضل الدكتور مسخريك مستشار الحكومة في الشؤون العربية ، مضمونها ما يأتي :

قال له حينما سأله عن سبب ضغطهم على الإرساديين هكذا :

إنى لا أعلم شيئاً من حال جمعية الإصلاح والإرشاد وأهلها ، ولكنى وجدت في ديوان القنصلات أوراقاً كثيرة تدلّ على أن هذه الجمعية سياسية ضدّ حكومة الإنجليز ، تباعا لذلك فإنى أعد هذه الجمعية كما يقال عدوة لنا ، وعليه فإن كان أهل الجمعية يحبون أن نسهل عليهم جوازات السفر ، فليفعلوا ثلاثة أمور ، وهى كما يأتى :

أولاً : أن نكتب له كتاباً مصمونه أننا لا نقاوم الحكومة البريطانية ولا نساير شيئاً من الجمعيات التى تطالب فى مسألة الخلافة الإسلامية ، وأنا نصادق الحكومة ووافقها فى جميع الأمور التى لا تخالف قوانين هولندا .

ثانياً : أن نحلّ ونبطل جمعية الإصلاح والإرشاد بتاتاً ، ونوكل أمر مدارسها وماليّتها بعد إسقاطها إلى أشخاص يوافق هو عليهم .

ثالثاً : إسقاط شركة جريدة الإرشاد .

هذا ما بلغنا عنه الدكتور سخرىك ، وقد أجبنا على الأمر الأوّل بأننا ما فاولمنا الحكومة البريطانية قط قبل اليوم ، وليس لنا أدنى نية على مقاومتها بعد اليوم بوجه من الوجوه ، وأتانا لم نساعد عليها أحداً قط فيما مضى ، كما أننا لا نساعد عليها أحداً بعد اليوم ، ولا نضمر لها عداوة فى المستقبل ، كما أننا لم نضمر لها عداوة فيما قبل ، وأتانا موافقون لها فى كلّ أمر لا يحلّ بشرفنا ، ولا يصاد ديننا ، ولا يخالف شيئاً من قوانين حكومة هولندا التى نحن اليوم فى معيتها .

هذا جوابنا له عن الأمر الأوّل . وأما أمر حلّ الجمعية وشركة الجريدة المذكورتين . فإننا أجابنا الجواب عنهما حتى نعلم مصدر هذا ، هل هو من شخص حضره القنصل جنرال ، أو هو من الحكومة البريطانية ؟ وإليك طىّ هذا صورة الجواب الذى قدمناه إلى القنصل بنصه ، مع صور بعض التقارير التى قدّمها الإرشاديون أيضاً إلى هذا القنصل وإلى الذين من قبله .

وعلى كلّ حال فنحن لم نفهم إلى الآن ماذا يستفيد القنصل جنرال أو الحكومة البريطانية من إهانة أعضاء جمعية الإرشاد إلى هذه الدرجة ، وتسميت أعدائهم بهم ،

وقتل نهضتهم العلمية بدون ذنب يعلمونه من أنفسهم ، فإذا كان أعضاء الإرشاد أعداء للحكومة البريطانية كما يزعم أولئك المفتنون ، فهل تحسن سمعتهم عند الحكومة بحل الجمعية ويكونون أصدقاء بمعنى الكلمة بهذه الطريقة بدون أن تثبت براعتهم أو جنائيتهم ؟ .

وهل من مصلحة الحكومة البريطانية أن يتكلم الناس ومعهم الشواهد بأنها عدوة العلم والتعليم ؟ أو يسرّ الحكومة أن تكثر أعداءها ويعدّها المسلمون عدوة لدينهم ، ويتخذون معاداتها لمدارسهم وجمعياتهم العلمية والدينية شاهداً على ذلك ؟ ولا ندري لماذا لا تعرف الحكومة الإرشاديين بخطئهم ، حتى يكونوا مؤاخذين بذنوبهم على رؤوس الأشهاد ان كان لهم خطأ معقول ؟ .

والخلاصة أننا مظلومون من العلويين أولاً ، ومن عمال الحكومة البريطانية الذين بجأوا وسقافورا نانياً ، حيث صدقوا فينا كلام أولئك الدجالين المفتنين بغير تحقيق ، وضيقوا على أعضاء جمعيتنا السبل ، وسعوا جوازات السفر ، وعدّوهم أعداء للحكومة البريطانية بدون ذنب جوه ولا غلطة ارتكبوها نحو حكومة بريطانيا العظمى .

ونطلب باستغفاننا هذه من انسانيك المقدسة أن تبلغ صوتنا لأهل الحل والعقد من رجال الحكومة المنصفين ، ايرفعوا عنا الضغط ويعاملونا معاملة الأصدقاء الأبرياء ، لأننا برآء من كلّ عداوة للحكومة البريطانية كما أننا برآء من معاداة أية حكومة ، ومن التداخل في أية سياسة دولية ، وإن كان لديهم شهادات تدلّ على نفيض ما ندعيه ، فليبارزونا بها بكلّ صراحة حتى نمحصها ليحقق الحق ويبطل الباطل بالنقد والتحقيق .
ولبس لنا أكثر من أن نقول لجنابكم إن آمالنا قد انتهت إلى ساحتم الرحبية ، وانا الثقة التامة في تريف إحساسكم أن لا يهمل أمر من عوّل عليه واستغاث به .
وفي الختام دوموا محموفين بكلّ ما خصكم الله به من العمل والشرف والسعادة في لطف وعافية ؟

أعضاء ادارة جمعية الاصلاح والارشاد العربية

واقدمت هذه العريضة التي بسطت الانجليز مبادئ جمعية الإرشاد ، وأظهرت أعمال العلويين ضدها ، فقد رفع عن الإرشاديين الخطر وزال كل تضيق وتشديد من لدن الحكومة الإنجليزية الأمر الذي جعل كثيراً من الحضارم ينضمون إلى حزب الإرشاد ، ويرسلون أبناءهم إلى مدارسها .

أسطورة منسوبة إلى جمعية الإرشاد

واجتمع فريق من آل باعلوى وكتبوا قانوناً مكوناً من ٣٣ مادة وادعوا أنه قانون الإرشاد ونشروه بين الناس في جاوه ، وبشوا نسخة منه إلى السيد حسين حامد المحصار وزير الحكومة القمبية بحضرموت لإشعال نار الحقد في قلبه ، وإضرار البغضاء على الإرشاديين كي يزداد في اضطهادهم والتنكيل بهم .

ولكن إدارة الإرشاد اجتمعت بدارها يوم ١٨ يناير سنة ١٩٢٢ ، ونشرت منشوراً تكذيباً لذلك القانون ، وهذا نص المنشور :

براءة

من إدارة جمعية الإصلاح والإرشاد العربية

قرأنا في جريدة بورو بودور عدد ٥٣ مقالا مرسلا من بعض الكذابين من أعداء الإصلاح والإرشاد ، يزعم مرسله فيه أنه أسرار جمعية الإرشاد في قالب محاوره ، وأنه وجدته في أوراق الشيخ محمد عبود الذي كان الكاتب المعتمد بجمعية الإرشاد سابقاً ، وركب هذا الكاتب أ كذوبته المفصوحة على ثلاثة وثلاثين فصلاً كما رآه القراء .

ولكونها ظاهرة البطلان والافتراء عمد من له أدنى بصيرة أو أقل ذوق من الناس ،

قد كنا عازمين على أن لا نكتب سطرًا في تكذيبه ، ولكن أُنار علينا بعض الفصلاء بتكذيبه رسميًا ، نظرًا لحال الوسط ، وعليه فإننا بصفتنا مديري هذه الجمعية نعلن على رؤوس الأشهاد براءة جمعيتنا جمعية الإصلاح والإرساد العربية من كل ما نشر في تلك المقالة .

ونعلن أيضًا أنه ليس لجمعيتنا أسرار ولا قوانين سوى ما في قانونها المطبوع المنشور المصادق عليه من معتمد الحكومة الهولندية ، وأنه ليس لجمعيتنا غرض ألبتة سوى تعليم الدين الإسلامي ، ونشر اللغة العربية ، والعلوم الحيوية النافعة للعموم ، وأنه ليس لجمعيتنا تدخل في سياسة أية حكومة من الحكومات ، وبيان ما ذكر حرر هذا بتاريخ ١٨ جولي سنة ١٩٢٢ .

الرئيس	السكرتير
سالم بن عمر بلقاس	عبد الله بن عقيل باجري
المستشار	أمين الصندوق
علي بن سعيد بن مغيث	عبد الله بن عبد القادر بن هرهره

مساعي الشيخ محمد المحضار ضد الارشاد

كان لهذا الشيخ نفوذ واسع وجاه عظيم ، وكانت سلطته الروحية على يافع قوية ، وسلطانه عليهم كبيراً ، وكان يافع قبل انضمامهم إلى جمعية الإرشاد يشعرون بالعبودية له ، ويعتدون أنفسهم كالأرقاء يتصرف فيهم كيف شاء ويديرهم أنى أراد ، وكان في أوّل أمره بمنزل عن أعمال قومه ضدّ الإرشاديين لأنه كان يعلم يومئذ أن المقاومين من

عشيرته العلويين للإرشاد إمامهم من غير ذوى المناصب^(١) الكبرى بحضرموت، ففضل القبرع في بيته وعدم التدخل في النزاع والخلاف، ولكن استطاع الشيخ محمد بن عقيل العلوى الذى قام بقسط وافر لإشعال الفتنة وإضرار الفرقة أن يجذبه إليه وينزله إلى الميدان، ولقد خرج المحضار من غيبته، وأبدى نشاطاً كبيراً تحمده عليه عشيرته، وبذل جهوده لتغيير واقع عن جمعية الإرشاد، وإقصائهم عن الانضمام فى صفوف الإرشاديين مستعملاً لذلك نموذجه وجاهه العظميين، كان يبعث لشيوخ يافع وأعيانهم رسائل ينصحهم فيها عن الانضمام إلى الإرشاد، ومن تلك الرسائل كتابه الذى أرسله للسيد على بن حسن بن النقيب، وهذا نصه :

الحمد لله، وصلى الله على سيدنا محمد وآله، ونهذى السلام التام للخاص بعد العام للشيخ المكرم والمحب المحترم على بن حسن بن النقيب، وعلى من بقى له اتصال بالحبيب، والشيخ مولى الكتائب، وأما من خرج عن دائرة أهل البيت فياً كلكه الكلب أو اللبيب، وماله فى الآخرة من نصيب، وكتاب الشيخ على وصل وفرحنا به، وزواج الأولاد صالح وصالح مبارك وقدم إلى خير، ووددنا أن نرسل واحداً من الأولاد، ولكنهم معذورون، وبالنية حاضرون.

والسلام سلحوا على الخال طالب عوض، وسمعا بعزمه للحج والزيارة ورجح التجارة، فرحنا له ومن الله على الجميع، والسلام منا ومن الأولاد عليكم ولأهل الوداد، أما أهل

(١) المناصب : جمع منصب، وهو صاحب القود الروحى العظم، وتنحصر المنصبية فى حضرموت فى أربع طوائف من آل ناعلوى، وهم آل الشيخ أنى بكر، ومهم المحضار معه، والبيدروس والحبتى والعطاس، واستطاع المناصب بدعائهم أن يستندوا على المائل ذات التوكه والقوة، فأل الشيخ أن بكر استندوا بياهم، وآل الحسى نال كبير، والبيدروس يتمم، والعطاس بالحعدة، ولذلك كانت لامتيازهم الدرجة الأولى ولقائهم السالك الأعلى، ولقد دبت الناس فى طوب غير أصحاب المناصب من العلويين، فعلموا للوصول إلى تلك المنزلة العليا فلم ساعدتهم الظروف، وحاول بعضهم وفى مقدمتهم علوى بن طاهر الحداد، ومحمد بن عبد الرحمن بن شهاب، ومحمد بن عسل أن يعضوا على دلائل القود فلم يستطيعوا إلى ذلك سبيلاً.

الإفساد فلهم الإبعاد أشدّ من بعد عاد ، والمولى بالمرصاد ، والشفيع سيد الرسل يوم
التناد - يَوْمَ لَا يَنْفَعُ الظَّالِمِينَ مَعَذِرَتُهُمْ وَلَهُمُ اللَّعْنَةُ وَلَهُمْ سُوءُ الدَّارِ -

وبلغنا أن الإمام مجيز على يافع ، ولا يصلح الأمر ويطفى الجمر ، إلا الأبخ محمد
ابن عليّ الحبيد ، لأن الإمام يكاتبه ويافع قدّم حقه ، إن بغيمتوه ، يعزم أجمعوا على الذي
يليق به من الخرج والفتح على يده ، وخبر الإمام واجب الاتباه له ، لأن الأمر مهمّ
جم جم ، ومعه قصد ، لا يقدر أن يافع ولا غيرهم يقاومونه ، وهو هزم التركي وهو دولة
كبيرة ، والله يختر ما
الداعي

محمد بن أحمد المحضار

حرّ في بندواسا ٧ جمادى الآخرة سنة ١٣٣٨

ويبع رسالة أخرى لكافة يافع في بومي أبو « كليان » ، وهذا نصها :
الحمد لله ، ونسأله بالاسم الأعظم ، والحبيب الأكرم ، صلى الله عليه وسلم ، ومحجهم يقتم ،
تخصّ المحبين بنى مالك ، ولا يزالون ملوك الممالك ، ما زال الكلّ في مسلك المصطفى
سالك ، والشيخ أبو بكر ضمين لهم بذلك ، وفوق ما هناك ، ونهدي السلام للجميع ،
ونخصّ منهم الشبان والشبان .

جاء العزم إليكم بعد مولد ربيع الأوّل ، الحذر شيء يدخل عليكم مما دخل على
كثير من أهل الزمان ، الذين استحوذ عليهم الشيطان ، وخرجهم من الأمان ، وسيخرجهم
من الإيمان .

بلغنا أنه وصل عندكم باعشر^(١) عشير العشير ، وحمار الحمير ، وخنير الخنارير ، قطبوا
حبله وسعفه بالنكير ، وخبث الحديد ما يصفيه إلا الكير ، وشنوا النكير ، وإن بلغنا
دخول شيء المكان ، تركنا كليان ، والله المستعان ما

محمد بن أحمد المحضار

(١) هو من أوائل المحبين لدعوة الإصلاح ومن أكبر القائلين بمرع الإرشاد بعدة أهل .

ولكنه لم يستطع مقاومة تيار النهضة الفكرية ، فلم تؤثر رسالاته في يافع ولم يقيموا لكلامه وزناً ، ولا لترغيباته ثمناً ، ولا لترهيباته قيمة ، بل بالعكس كانوا يضحكون من عقليته ، ويهزءون برسائله كل الهزؤ ، وأقاموا فرحاً للإرشاد في بومي آيو .

وفي الوقت نفسه كان يرسل كتبه لوزير الحكومة القبطية ولوالى دوعن ليفيقا الخناق على الإرشاديين ، وقد قاما بقسط كبير من الاضطهاد ، وأخذ باصرّة والى دوعن يقاوم فكرة الإرشاد بكلّ قوّة ، ويصطهد الإرشاديين وأقرباءهم أشدّ الاضطهاد . وليس لهؤلاء ذنب اجترحوه سوى أنهم قالوا أو يريدون أن يقولوا للناس : إن المسلمين إخوان لافضل لعرفى على عجمى ولا لأبيض على أسود إلا بالعلم والعمل الصالح ، ولا جريمة ارتكبوها سوى أنهم أرادوا ترك تقبيل أيدي العلويين ونزذ العزائم والتسائم التي كانوا يعتقدون أنها تنفعهم من دون الله ، ولكن باصرّة والمحصار عدداً ذلك جريمة يعاقب عليها الإرشاديون . ولنأت هنا برسالة بعثها أحد المصطهدين بدوعن لأخيه الإرشادى بجاوه يسأله الاسلاخ من حزب الإرشاد ليرفع باصرّة عنه العذاب ، وهذا نصّ الرسالة باللغة العامية :

الحمد لله وحده ، وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم .

إلى جناب الأكرم المكرّم المحترم العزيز الأخ سالم بن أحمد بن عمر بامصغر .
سلمه الله تعالى آمين .

وعليه منا السلام وأزكى التحية والاكرام ورحمة الله وبركاته على الدوام ، صدر المرقوم من قيودون والعلم خير واطف وعافية ، نرجو الله الكريم أنك وكافة المعارف بخير وعافية .

قد سبقت يليك جملة كتب وفيها من الخفايق كفاية ، وعرفناك أن نحن بنهيناك تخرج من هذه الجمعية ، الله الله لحيت المشقة ظاوية علمينا فى لرض وقد وصّا لنا المقدم وبتينا إلى عنده وعطا نحن مهله يلما شهر سبعبان ، من خرج من هذه الجمعية يخبر الحبيب

محمد بن أحمد المحظار ولما د عليه شئ ، ومن لا خرج بايوصى المقدم لأهله ، وأنت
نضرك ، الله الله في الجواب مطلوب .

وانما مدة من كتبك ، لعل المانع خير ، ومن شان لرض وأخبارها وأسعارها بلسن
الواصلين يليكم كفاية ، الله الله في الكتب مبادرة سفها باتقع عقوبه ، الله الله ، وأما
فيما معاد تحتاج وصاه ، والسلام .

وسلم لنا على المعارف الجميع خاص العم أحمد باعبود بلخير وأولادك عمر وأحمد
وكريتهم ، ومن عندما يسلمون عليك أعمامك وكرايمك والولاد عمر وكرايمه فاطمه
وعدشه ، وخص نفسك منا بألف سلام ، ومن راقه محمد بن أحمد بلخير .

طالب الدعاء أخيك

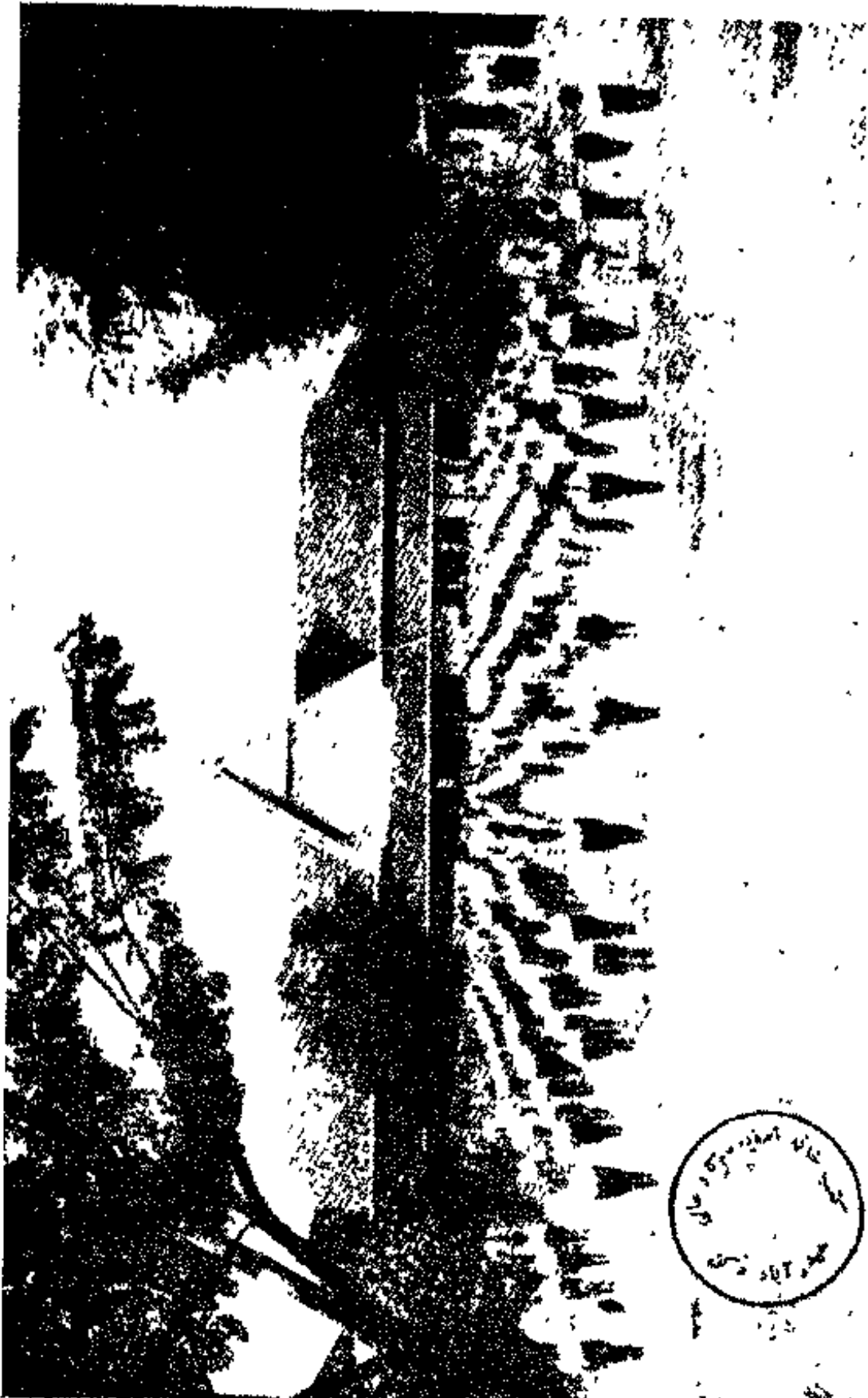
محمد بن أحمد بن عمر بامصفر

حرر في ١٢ ربيع الثاني سنة ١٣٣٨ .

اتساع نطاق دعوة الارشاد

لم تكن دعاية جمعية الإرساد قوية عنيفة ، ولم يجهد الإرساديون أنفسهم لنشر
مبادئهم ولم ياجتثوا كثيراً إلى الفكر والعلم للبرهنة على صحة عقيدتهم وصلاح وجهتهم ،
ولكن الحضارم من أكثر الشعوب استعداداً للحرية ، وأسرعها إدراكاً للآراء
والأفكار الحرة ، وكان ضغط ذوي السلطة الروحية على الحضارم سديداً ، واستعبادهم
بالغاً حدّاً كبيراً ، فلا غرو إذا هرع كثيرون منهم إلى نداء الحرية ، وأجابوا دعوة
الحق مهطعين .

خطت الإرساد خطوات نحو الأمام وسط تلك الزواجع والأعاصير التي أحدثها
العلويون ، وسقت لها طريقاً في أرجاء جلوه بالرغم عن تلك العقبات والمراقيل التي
خلفها هؤلاء ، ومن أكبر فروع الإرساد التي أقيمت في غير مدينة بتافيا فرعا فكلو عن



مدرسة الإرشاد بمدينة سرايا وأمامها فرق من تلامذتها

وسرايا ، وقد قام بأعظم قسط في تكاليف مدرسة الإرشاد بفكولوجن السادة آل عرقبي

قد تبرع السيد سعيد عرقبي وأخوه السيد صالح عرقبي بدار واسعة المدرسة ، أما فرع سرايا ، فهو أكبر فروع الإرشاد في جزائر الهند الشرقية ، وحيث ان سرايا أعظم مدينة في جاوه بعد العاصمة بتافيا ، وتمتد أكبر معقل للعلويين ، فإن افتتاح فرع للإرشاد فيها بمثابة قبلة عظيمة أقيمت على هؤلاء ، ولقد قام بأكثر قسط من تكاليف مدرسة الإرشاد بسرايا حضرات الأفاضل شيخ الإرشاديين السيد ربيع ابن طالب ، والسيد عثمان بن محمد العمودي ، والسيدان أبو بكر باشراحيل وأخوه سالم والسيد سالم باشميلة ، والسيد سالم بن نيهان ، فقد تبرعوا بأكثر من ثلاثين ألفاً من الروبيات ، وأوقفوا هذا المبلغ للمدرسة .

الرابطة العلوية

ومن البديهي أن تدبّ الغيرة في قلوب آل باعلوي ، وتشتمل الحاسة في نفوسهم مما يرونه من تقدم مبدأ الإرشاد وانتشار دعايتها وتعدد فروعها ، فأنشأ جماعة منهم وحدة علوية سموها « الرابطة العلوية » لتوحيد جبهة آل باعلوي وجمع كلمتهم ، كي يستطيعوا القيام بالمحافظة على مركزهم الذي أخذ ينهار ويتمكنوا من مقاومة تيار النهضة الفكرية الحرة الذي أخذ يندفع بعنف نحو الأمام ، ولقد بذل الشيخ علوي بن طاهر الحداد ، والشيخ محمد بن عبد الرحمن بن شهاب كل مقدور ، واستطاعا بما أوتيا من ذكاء ثاقب ، وفكر بارز ، وقلم نافذ أن يصلوا إلى ذلك الغرض ، فأنشئت الرابطة العلوية في بتافيا وانضم إليها كثيرون من آل باعلوي وأقيمت فروع لها في كثير من بلدان جاوه وتجمع لديها مال ، فأصدرت مجلة باسمها ، واتعمشت جريدة « حضرموت » على حساب الرابطة ، فاستأنفت هذه الجريدة حربها على الإرشاد من جديد ، أما مجلة الرابطة فكان موقفها أشبه بموقف المحافظة على كيان آل باعلوي من الانهيار والحريصة على بقاء امتيازاتهم كما كانت قبل الإرشاد . وكانت الرابطة في بادئ بدء تضم كثيراً من غير ذوي المناصب من آل باعلوي ثم انضم إليها أفراد من أهل المناصب

الذين جنحوا للتنازل من عليائهم إلى صف آل شهاب ، وآل باعبود ، وآل جفري ، وابن يحيى وغيرهم بدافع العصية ضد الإرشاد ، ولكن آل الحبشى انسحبوا من الرابطة بفضل الجهود التي بذلها أحد رجالاتهم ، وهو السيد حسن بن جديد الحبشى ، فقد بعث كتباً إلى عشيرته آل الحبشى يستحثهم فيها على الانسلاخ من الرابطة العلوية وعدم التدخل في النزاع القائم بين الحزبين ، وهذا نص إحدى رسائله :

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله القائل : [يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن جَاءَكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَأٍ فَتَبَيَّنُوا أَن تُصِيبُوا قَوْمًا بِجَهَالَةٍ فَتُصْحَبُوا عَلَىٰ مَا قَعَلْتُمْ نَادِمِينَ] ، والصلاة والسلام على خاتم الأنبياء والمرسلين .
حضرات السادة الكرام الإخوان : سالم بن طاهر وعيسى بن عبد الله آل أحمد ابن زين الحبشى ، داموا أعزاء آمين .

سلاماً واحتراماً عليكم ورحمة الله وبركاته ، رجو الله أنكم بخير وعافية كما نحن كذلك .
وبعد ، فقد وصلنى كتابكم المؤرخ ٧ من شهر أفروليس ١٩٣٢ (١) وعرفت كل

(١) هذا نص الرسالة بالعامية : تانه اتع في ٧ افروليس ١٩٣٢

الحمد لله وحده ، حناب المكرم الأخ حسن بن جديد بن عيسى بن أحمد الحبشى المحترم سرف ، السلام عليكم ورحمة الله وبركاته ، نرجوكم سايه ونحن بأعنا موجبه سيدى نعلمكم بأن نحن اطلعا على كم عدد فى الهدى وعلى بعض من جرائد الملايو مثل بئج تيمور وغيرها أحكام بنسبون مقال كثير أن دهشت عقولنا ، وحادنا من جنابكم وبما بعد أخذنا نحن الكك لأنه ماهو فى عدد واحد ، والآن يا أخی إذا كان حقيق على موجب ماسطرتة أوراق الخبر ، فالراد منك إذا ما وصل منك جراء لأهلك طيب لعاد يكون منك سوء إذا كان حقيق إنما نحن ماظن فيك إلا بكل خير لحيث أن نحن بالاحمد بن زين واسطه بين الناس ، ولا يظهرمتنا الا كل زين ، وأهلنا من قاموا ما بد أحد ذكرهم سوء وأنت يا أخ حسن إذا ماهو منك وذلك يسبون اليك أهدنا ، فلا ربحا انك ما انت دارى بالقذف الذى على جدودك فى أوراق الخبر التى بالملايو ، ولوى الا بالعريه عاد فيها ، وأما اللاتينه كلين يقرأها فرنج وسنه وملايو وغيرهم ، ولو اردت نحن نرسل لك عدد من ذلك لتان تصدق لقولنا وما ألقوه فينا وفى اجدادنا الاشارة بإرسالها ، وهذا جعلناه بداعى ما ذكر أعلا والحلم فهم ولا كتبتلك هذا لان جور مانسعه ويستندون اليك شق علينا جم نومك خونا ولا هو سوى يكون فدوه فى هذا الكلام وان تزوروا عليك ما قالوه كذب حسبهم الله السميع العليم ، ودعم بعافيه والسلام

عيسى وسالم الحبشى

ما احتواه من أوله إلى آخره - ويسرني أن أعلن لكم فرحي وسروري به غاية ، لأنه برهان ناصع ، ودليل قاطع على ما بيننا من الأخوة والمحبة والمودة - (بقطع النظر عن ما فيه) ، فشكراً لكم على قيامكم بذلك الواجب الذي يجب أن يسان (للحقيقة والتاريخ ؟) ، ثم تبين لي منه أنكم في شك مما خطته يميني ، فثقوا وتأكدوا واعلموا علم اليقين أن ذلك كله مني أنا نفسي وذاتي « حسن من جديد الحبشي » ، وإني قلت ذلك وأنا في حالة الصحة والعافية

نعم إن كل ما هنالك ليس هو إلا مواعظ باهرة ، وآيات رائعة ، وعبر رائعة ، « واسكن لا تعلمون » ، فعيدوا الكرة إلى ماجاء في مقالتي فلا شك أنكم ستجدونها (حكماً) لا غير فقط ما عليكم إلا أن تتجردوا عن الأهواء والأغراض المصادمة للحقة ، فإن ذلك أحرى بكم وخير لكم إذا أردتم الحق . قلت إنكم جادلتم فينا لكتابتنا تلك المقالات ، فهذا الجدل نشكركم عليه ، وإن كان ليس في محله لأنني أنا الكاتب لا غير وأنا إذا كتبت لم أكتب وأنا بين لجج من التعصب ، فحاشا علي بل إنني أتجرد عن كل عاطفة شخصية أنا إذا كتبت ما أكتب وأنا راج شيئاً لا من قومي (العلويين) ولا من الإخوان الإرساديين (معاذ الله) لأنني ما أبيع ضميري مثل بعض الحونة ؟ بل إنني إذا كتبت أكتب بالقسط المستقيم بدون ميل إلى حزب من الأحزاب ، أو تحزب لفئة من الفئات سوى أنني متحزب إلى « الحق » ومتعصب « للحق » وناصر « للحق » في جميع كتاباتي كلها وإن كنتم في شك مما قلته لكم فارجعوا لمراجعة مقالتي السابقة وانتظروا الأحقه ؟ فإنني ماتت بجمت فيها على أحد لا من (قومي) ولا من (إخواني) سوى أنني صببت صاعقة نارية على أعداء الله وأعداء الحق وأعداء الناس أجمعين الذين هم سبب كل خلاف بيننا وبين إخواننا ومواطنينا الكرام وأنا واثق أنكم لا زلتم عافلين عن أعمال (علوي) - وعيدروس « وإبراهيم الخدوع » وأتباعهم وذيوهم فلو علمتم بما يعملونه للقضاء عليكم لنبذتمهم وراء ظهوركم ، بل لو طأتمهم بأحذيتكم لأنهم يحفرون لكم حفرة عميقة ، مرادهم دفنكم فيها حتى يصفو لهم الجو ، وإلا فمن هو (علوي) لأن يكون أولى

بالزعامة من غيره ؟ . . . وما هو تاريخه ؟ وما هي نزعتة ؟ وما هو مشربه ؟ وكذلك
عبدروس أو غيرهم من أتباعهم الذين فرقوا بينكم وبين إخوانكم ومواطنيكم الذين هم لكم
كالموالى والخدم في الوطن ، فإذا أردتم الانتقام من قبيلة سلطتم عليها قبيلة أخرى من
نوعها على مبدأ (الضرس يدقع الضرس) ، أما اليوم فإن الزمان قد استدار ، وإن
الأفكار قد تغيرت ، والأمكنة قد تبدلت وكل ما اختطه الممّ علوى
ابن طاهر الحداد هو وأتباعه من الإيفاع بنا معشر (المناصب) وقع وحلّ بنا لأنهم
حسدونا على ما آتانا الله من فضله . فلو خالفتموهما لما وصلتكم ما وصلتكم إليه الآن
ألا قاتل الله الأغراض ، فإن القوم أو تلك الطائفة قد عملت لنا معشر (العلويين) هوة
عميقة ، فترثوا قوما قليل يقدفون بنا فيها إن بقينا على سكوتنا وسباتنا العميقين لأنهم
قد تسبّروا علينا وعلى أرواحنا مثل ما يسيطر المغناطيسى على المجدوب وناهيك
بتلك السيطرة وما يتبعها من الاستبداد والافتراء بالأمر . . . فإن سيدنا محمدا صلى الله
عليه وسلم ، لم يكن كذلك . وكيف بعنا علوى ، وأتباعه هل أعمى الله بصائرهم
وأبصارهم عن قوله لنبيه صلى الله عليه وسلم : [وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ] ، وكما قال :
[وَأَمْرُهُمْ شُورَى بَيْنَهُمْ] بلى بلى . . . إن الأمر كذلك يا إخواني إن كانوا
ينظرون : [إِنهَا لَا تَعْمَى الْأَبْصَارُ وَلَكِنْ تَعْمَى الْقُلُوبُ الَّتِي فِي الصُّدُورِ] ، نعم إن
الممّ علوى هو شخص (هوى دائما وأبداً يتبع هواه ، [وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّنْ اتَّبَعَ هَوَاهُ]
وذلك يظهر من إصراركم على عدم القبول للصلاح ، فلو قبلتموه بدون تردد ولا تمس ولا
غير ذلك لما حدث ما حدث بشأن (المسيدة) التي لو خضتم البحار ، وقطعتم البراري
والقفار ، وجاريتم في السما الأطيّار ، لما وجدتم لإبائنا لنا بالخصوص دليلا ألبتة .

أقول هذا وسترون عاقبة الأمر الوحيمة علينا نحن (معشر المناصب) لا على الممّ
(علوى وقومه الغير المناصب) لأنهم كلهم يابسون الآن على نفقتنا فهم راجعون في كل
حال لأنهم (داخلون في الفائدة وخارجون من الخسارة) أما نحن العلويين (الأفحاح
المناصب) ، فالويل كلّ الويل لنا من حبكات (علوى) الذي سعى متعمداً لإسقاط
مركزنا من بين إخواننا ومواطنينا [حَسَدًا مِنْ عِنْدِ أَنْفُسِهِمْ] .

وقد دبت الإرشاد في أكبر عمود تتوكأ عليه (أى في جفل حضرموت وغيرها) ،
وأعظم حصن نلتجى إليه في الوقت الحرج ، [فَإِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ . إِنَّ اللَّهَ
لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ ، وَإِذَا أَرَادَ اللَّهُ بِقَوْمٍ سُوءًا فَلَا مَرَدَّ لَهُ
وَمَا لَهُمْ مِنْ دُونِهِ مِنْ وَالٍ] ، فكل ما حدث ليس هو إلا نتيجة الإصرار الذى ولده
فينا زعماءنا الحاليون عمداً لا سهواً ، لأنهم رسموا لأنفسهم خططاً لو انتبهتم لها قليلا
من الزمان لعرفتموها وعرفتموهم بسيماهم ، - أما الآن فقد تمكن الداء ، وصعب الدواء
اللهم إلا بالاستئصال والقطع لأن القوم سكارى [وَمَا هُمْ بِسُكَّارٍ] ، والحضارم تقول :
(الميت ما يسمع قرحة البندق) ، وهكذا نحن فإننا سلمنا قيادتنا إلى أناس هم دائماً
وأبداً تبع لأغراض سافلة ، وعآربهم الدنيئة ، وإلا فهذه جريدة (حضرموت) ، أو
بالأحرى (الحماره) بحق فهى في كل عدد تهجم على إخواننا الإرشاديين - وتعتدى
عليهم (ظلماً وعدواناً) مع أنها تعلم أن ذلك يورت الحقد والعداء والحسد فيما بيننا
وبين إخواننا - وإن اعتداهها ذلك يشعل نار الفتنة - ولكنها لا تبالى بذلك كله لأنها
تمشى على حسب النظام الذى اختطته لها إدارتها (علوى - وعيدروس) فهم كلما
خبثت نار الفتنة أشعلوها ، لأنها قوام حياتهم التعمسة الشقية ، ولكن كلما أوقدوا ناراً
للحرب أطفأها الله . . . ورغم كل ذلك فهم دائبون على خطتهم يدعون أنهم ينصروننا
والحال أنهم ينتقمون منا لكون السلطة ايست إلاننا في الوطن والمهجر ، فقاموا بمناوأة
الإرشاديين ومناوشتهم ، هل للايقاع بهم - كلا وألف كلا ؟ بل للايقاع بنا نحن
المناصب ، وفعلا حصل ووقع ذلك كله ، وتحققت أمنيتهم ومقاصدهم الفاسدة ، فلولم
يقاوموا الإرشاديين من قديم الزمان (أى من حين بدئها) لمساتت الإرشاد في مهدها
وهى وليدة الفراش . . . ولكن شاءت الأقدار . . . قال الشاعر :

وإذا أراد الله نشر فضيلة طويت أتاح لها لسان حسود

تقوا (يا إخوانى) أن كل ما قيل على الإرشاديين في جريدتنا الفاجرة المناقفة
(على قول الم عبد الرحمن بن عبد الله) لا بد أن الجواب عليه واصلنا إما بالقول أو

بالفعل . إذ العرب تقول : (عَامِلِ النَّاسِ بِمَا تُحِبُّ أَنْ يُعَامِلُوكَ بِهِ) . والشاعر يقول :

وعامل الناس بما تحب منهم دائماً

فالمرء بالإخوات واليـد بالبنات

وهكذا يا إخواني - وكما يدين الفتى يدان - وكما يعامل يعامل - ولنضرب لنالك مثلاً

وهو : « ليمسك الشخص مرآة - كإحسان - وليتفرس في بجرها ثم لينظر بحياها . . .

فلا شك أنه سيراه كما هو . . . فإن كان ضاحكاً فالمرآة ستريه وجهاً ضاحكاً بلا شك

ولاريب في ذلك ، وإن كان وجهه عابساً فالمرآة لا بد أنها ستريه وجهاً عابساً » وهكذا

شأننا مع إخواننا الإرشاديين فإن (الحماره) ترميهم بكل ما هم بريئون منه ،

وتتهش أعراضهم ، وتتهجم على حزبهم ، فلا بد من حصول (رد فعل) منهم علينا

جميعاً - وهذا شيء طبيعي في الكون ، سنة الله في خلقه [فَلَنْ تَجِدَ لِسُنَّةِ اللَّهِ تَبْدِيلًا -

وَلَنْ تَجِدَ لِسُنَّةِ اللَّهِ تَحْوِيلًا] ، ومثال ذلك : (إذا هتف شخص في سفح جبل بشيء حسن

فلا بد أنه يسمع صدى هتافه حسناً - وإن صرخ بشيء قبيح فلا بد أنه يسمع صدى

صراخه قبيحاً وهكذا) ، وهانحن الآن نرى (الحماره) ترمي إخواننا بكل تقيصة فلا بد

أننى أنا حسن بن جديد الحبشى) سأقوم بالرد عليها وعلى غيرها انتصاراً للحق خصوصاً

إذا كان ذلك التعدي على رجال (همدان) فإننى ما سأخذ وما سأعطى فيهم أبداً ولو

في ذلك موتى ؟ وهم امر الحق أهل لذلك بدون مغالاة . . . فلقد كانوا لنا عبيداً

وخدماء وحشاً وجنداً بل أشركوا بنا الله [سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ] فهل يكون

جزاؤهم منا السب واللعن والشم كما يفعل محررو (الحماره) الذين لا هم لهم سوى التصيد

في الماء العكر . . . لا والله الذى خلق السماء ، وعلم آدم الأسماء ، إن الجزاء يجب أن يكون

من جنس العمل (كما تقول العرب) ، فلقد عاملونا سادات الوطن وأهله بالإحسان . . .

فهل من السياسة والكياسة والذرية واللباقة أن نعاملهم بالسوء . . . كلاثم كلا - وجزاء

سيئة سيئة مثلها - أما الحسنة فجزاؤها حسنة مثلها على الأقل (إن لم تكن أحسن منها) :

فإن الله جلّ وعلا يقول : [وَإِذَا حُجِّمْتُمْ بِنَجْحَتِهِ فَحَبِّتُوا بِأَحْسَنَ مِنْهَا أَوْ رُدُّوهَا] ،
وذلك قياس لهذا القول .

ثم إن إخواننا الإرشاديين ما تمدوا علينا في شيء ألبتة ، فعلام تنازعهم ، وعلام تقاطعهم ، وعلام نحاربههم ؟ على عدم تقبيلهم لأيدينا ، أف لنا إن كان الأمر كذلك .
وأخونا ابن الوردي يقول :

أنا لا أختار تقبيل يد قطعها أجل من تلك القبل

إذاً - فعلا ماذا يا إخواني ، ؟ على عدم قولهم لنا (يا حبيب فلان) أو يا حبابه فلتانه ، أم على عدم دعواهم لنا بكلمة (سيد) . وقد ظهرت منا أعمال تنافي السيدة . بل انها تدخل الشك والريب إلى قلب كل متأمل ومتفكر لأن العرب تقول : (فعل المرء يدل على أصله) . إذاً فعلا ماذا فلو تم إخوانكم الإرشاديين ، هل رموا أنسابنا التي لا نعرف إلا بها مثل (الحبشي أو العيدروس) أو (ابن الشيخ بو بكر) أو (الحداد) أو غير ذلك مثل - العطاس أو - الكاف - أو مشهور - أو السقاف - أو الشاطري - أو ابن شهاب أو الجفري - أو خرد - أو عبيد - أو ابن صميظ أو الهدار - أو الجيلاني - أو الخ فهذا شيء مستحيل لأن الإرشاديين ما يرون لهم في ذلك حقا كما أنكم مالكم في أنسابهم التي لا يعرفون إلا بها حقا . فهل يمكن أن يقول لي بدل من (حسن الحبشي) حسن بن طالب - أو ياسواد - أو بادباه - أو ابن غودل - أو باتانه - أو ابن هبوع - أو باقهاول - أو باصاع - أو غير ذلك من هاته الأسماء ، والألقاب الشتيمة المشوهة في ذاتها الذي ظلمنا أصحابها (نحن معشر العلويين) ، فهذا شيء مستحيل ومستحيل - إذاً فما هو ضرركم إذا قيل (السيد فلان بن طالب) ، وقد علمنا من هو ابن طالب ، دعونا يا إخواني من هذه القطرسة والعجرفة ، فإن الزمان والمكان غير قابلين لذلك . . . واعلموا أنكم إن بقيتم تابعين « لعلوي الحداد ، لانتك أنكم هالكون هالكون » ، فليدعواكم الإرشاديون إلى ما قال فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم : « إني تركت فيكم ما إن أخذتم به لن تصلوا بعده كتاب الله

وَسُنَّتِي» ، فهل بعد هذا شيء ، نعم دعاكم الإرشاديون إلى التحاكم إلى أخيكم (السيد محمد رشيد رضا صاحب المنار الأغر العلوي) فأبستم وامتنعتم وأصررتهم إصراراً وامتكبرتم استكباراً - فلم ذلك كله ؟ أجل - لكون الحكم لا بد أنه سيحكم بالعدل والقسطاس المستقيم أي أنه سيحكم بما جاء في (كتاب الله وسنة نبيه) ، ولقد أحسن الإرشاديون إحساناً لتنازلهم لكم إلى التحاكم إلى أحدكم ، فإذا غداً يكون عنكم بين يدي الله صراً وجلّ ، حين يقول : [وَقِفُوهُمْ إِنَّهُمْ مَسْئُولُونَ] ، أليس الله القائل : [فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّى يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ] فذهبت بعد رميكم أخاكم إلى الأمير (شكيب أرسلان) ، ولو كانت بيني وبينه مراسلة لخدمته منكم ، اللهم إلا إذا عزم على بيع ضميره (حاشا من ذلك) لأنه إن حاول الحكم فيما بينكم بما جاء في (الكتاب والحديث) لا بد أنكم ستفرون منه فراركم من قسورة (أسد) ، وفرار السليم من الأجر ، فخير له أن لا يتداخل في شأنكم مادام علوي فيكم زعيماً لأنه طبقات من التعصب والغطرسة لا يقدر أحد على خوض عباها مهما كانت قوته ومقدرته ؟؟ .

هذا سادتي (بالإجمال) وإليكم (التفصيل) إن أحببتم ، فرجائي الوحيد هو أن تعيروا اهتمامكم الكلي ، كما أرجو منكم أن تقرأوا كتابي هذا على كافة الإخوان والأصحاب والأصدقاء والأحباب . ولو تسلموه إلى إدارة الرابطة هو الأحسن والأجمل كي تقرأه في اجتماعها على جميع أعضائها ، فإنه تذكرة لمن يخشى على حسب قوله تعالى : [فَذَكَرْهُ إِنْ نَعِمْتَ الَّذِي كَرِهْتَ مِنْ خَشْيَةِ اللَّهِ فَمَنْ يَخْشَى اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجًا وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ] .

(فإن العاقل من اتعظ بغيره) ، واعلموا أن هذا بيان للناس وهدى وموعظة للمتقين ، و [هَذَا بَيَانٌ لِلنَّاسِ وَهُدًى وَمَوْعِظَةٌ لِّلْمُتَّقِينَ] .

فاهدنا اللهم يا رحمن يا رحيم إلى الصراط المستقيم صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا الضَّالِّينَ آمِينَ .

لبوان حاجي لبوك : السيد حسن بن جديد ، وهود بن حسن آل أحمد بن زين آل الحبشي العلويين ، ونرجوكم الجواب عن كل نقطة في كتابنا هذا لنعلم بأفكاركم

وتعلموا بأفكارنا ، وانلخط مننا ومن الولد هود واحد وهو يتعلم في مدرسة الإصلاح
والإرشاد فرع لبوان حج لمبوك ، ودمتم ما التوقيع

لابوان حاجي

وقد بعث جماعة من آل الحبشي ، ومنهم رئيس الرابطة في مدينة باقيل كتاباً
للسيد حسن الحبشي يؤيدونه فيما قاله في رسالته للسيد سالم وعيسى ، وهذا نص
الكتاب :

باقيل بتاريخ في ١ جمادى الأولى سنة ١٣٥١

الحمد لله المعين على الحق والصواب ثم بعد اطلعنا على كتاب أخينا المكرم
السيد حسن بن جديد الحبشي جواباً على الإخوان السادة المكرمين ، وهم سالم بن
ظاهر وعيسى بن عبد الله الحبشي ، فلما قرينا ذلك الكتاب وقدحنا الألباب وجدنا
ذلك حق وصواب ، ونسأل الله الكريم أن يكثر من أمثاله في قومنا ، وأن لا يجعلنا
من اتبع هواه ، قالوا ذلك .

الإضاءات : عيروس بن صالح الحبشي السيد صالح بن عبد الرحمن الحبشي

عبد الله بن علي الحبشي السيد عبد الرحمن بن عمر الحبشي

رئيس أول للرابطة العلووية

السيد حسن بن سالم الحبشي

المعارك الدموية بين الحزبين

لم ينحصر الحصاص بين العلووين والإرشاديين في الكلام فحسب ، ولم يقتصر النزاع
على كتابة النشرات ، ونشر المقالات الشديدة اللهجة في الصحف ، لم يكتف التطرفون
من الفريقين بالساب والشتائم ونواقير الكلام بل تمدى النزاع إلى أكثر من ذلك ،

قد اعتدى جماعة من آل باعلوى على السيد سليمان بن رباح في بتافيا بالضرب ، وتضارب تلميذان في مدينة شربون أحدهما يدعى محمد باصنديد ، والآخر من مدرسة معاونة الإخوان العلوية ، وتدخل في هذه الحادثة ثلاثة منهم صالح محمد بن عتيق أحد مدرسى مدرسة معاونة الإخوان ، وانتهت عن قتل ابن عتيق بطلعنه في صدره ، وجرح باصنديد في يده ، واعتدى جماعة من آل باعلوى على ابن حميدان في قرمى بالضرب ، وكاد يقتل لولا أنه استطاع الدفاع عن نفسه بفرد ، وآخر حادثة بين الحضارم معركة بندوسو التي وقعت منذ بضع سنين فقد اشتبك أكثر من خمسين نفساً من آل باعلوى وأتباعهم مع ستة أشخاص من الإرشاديين^(١) في مسجد النور ببندوسو في أثناء صلاة التراويح ، وانتهت الحادثة بإصابات الإرشاديين بجروح طفيفة وبقتل رجلين من آل باعلوى .

مساعى الصالح بين الإرشاديين والعلويين

وحاول السيد عوض شجيل أن يوفق بين الحزبين ، ويؤلف بين قلوبهم ، فلم يوفق إلى ذلك ، ولم تساعده الظروف للوصول إلى غرضه للنشود ، وفي سنة ١٣٤٦ هـ جاء من حضرموت العلامة السيد عبد الرحمن بن عبيد الله السقاف وبذل جهوداً جبارة للتوفيق بين الفريقين ، وكان مخلصاً في دعوته كل الإخلاص ، وقد ألقى خطبة بايعة على جمع كبير من العرب في مسجد الصرنج يوم ١٨ رمضان سنة ١٣٤٦ .
ومما قاله ما يأتي :

« ولو أنكم تعاملتم بنكم كما تتعاملون مع الأجانب لكنتم على خير . وصف الله المؤمنين بالتراحم بينهم ، والشدة على أعدائهم ، فعكستم القضية ، ووقتم في السلية ،

(١) هم السادة سالم بن يسلم بن طالب ، وهاشم بن يسلم بن طالب ، وورق بن يسلم بن طالب ، وطالب بن بدر بن طالب ، وعمار عبد عمار .

وصرتم مثل نوع من الكبريت لا يورى إلا فى صندوقه ، أو مثل حجام ساباط الذى لم يقدر إلا على حجامه أمه . لله در قيس بن زهير فإنه لما أدرك ثأره من بنى عمه ، أضارته الرحم ، وعطفته القرابة ، فقال :

شفيت النفس من حمل ابن بدر وسيفى من حذيفة قد شفانى
وإن أك قد شفيت غليل نفسى فلم أقطع بهم إلا بنانى

أخوة الإسلام لها حقوق ، والوطنية عدوها عند الأحرار كذلك عروق ، ولا تزال تتحرك بها القلوب ما لم تقع فى العقوق . لو ذهب واحد مثلاً إلى العراق ووجد بها واحداً من أبناء وطنه ، ألا تهش له نفسه ؟ ألا تنبسط به روحه ؟ ألا ينسى به كثيراً من وعشاء السفر ؟ بلى ! لا بد من وجود ذلك ، إلا عند من انسلخ من الإنسانية وصار أضل من البهيمة المرعية . أترضون لأقسكم بهذه المرتبة الدنية ؟

لقد تكرر التذكير فأين ما حصل به من التأثير ؟ فالذكري تنفع المؤمنين ، والتنبيه يرشد الخائرين ، ولذا كرىب الغافل ، ويوقظ النائم ، ولكنه لا يحجى الموتى ولا يسمع الصم الدعاء ، إلى م هذا الافتراق الذى لم تحلقوا له ، ولم تؤمروا به ؟ ألا ذا كرر مسه ؟ ألا تارك ما لا يعنيه ؟ ألا راجع عما لا يسمنه ولا يقنيه ؟ :

إلى م الخلف بينكم إلى ما وهذى الصبغة العظمى علاما
وكيف يكيد بعصم لبعض وتبنون العداوة والخصاما

أليس الموت غاية كل حى ، ومآل كل شى ؟ ، حصل بين الحسنين شىء من الخصام ، فلما رجع الحسين إلى بيته كتب إلى أخيه ما معناه : إن الدنيا أقل من أن تفرق بين الإخوان ، ومدتها أقصر من أن تتسع المجران ، فإن أحببت أن يكون الفضل لك فترضى ، وإلا جئتك وترضيتك » ، ثم قال :

« لا نطيل الكلام ، ولا نتوسع فى المقدمات والتهديدات ، بل نأتى بالخاص ، وهو أنا تفاوضنا مع بعض إخواننا العلويين وطلبنا منهم التسامح والتصافح والتصافى والتعافى

مع أهل الإرشاد الذين ما زالوا وآبائهم قبلهم بمئات من السنين ممتزجين بنا امتزاج الماء بالبن ، حتى نزع الشيطان بين الناس في الوقت الأخير في قصص طويناها على أنكادها . واقترحت أن يكون الصلح على هذه الأصول الثلاثة :

الأول : ترك السباب والشم من الآن ، ويدخل فيها عدم الطعن في الأنساب ، وعلى الطرفين منع صغارهم وسفهاهم من ذلك .

الثاني : مذهب الحضرميين جميعاً واحد وهو مذهب الشافعي ، فما اختلفوا فيه من شيء فرددتم إلى المعتمد منه .

الثالث : حقوق الإسلام مبذولة ، وما مضى موضوع كله تحت الرجل .

تفاوضت في هذا مع الإخوان ، ولم يردوا لي جواباً إلا بعد ستة أيام في بيت السيد محسن بن عمر باعقيل ، فاجتمعت بجملة منهم ، فقال كلهم : رضينا بالصلح ، ومذهبنا كلنا شافعي ، وما اختلفنا فيه أرجعناه إليه ، وأهل الإرشاد ما جلست معهم إلا البارحة في بيت الشيخ ربيع بن طالب ، ومع ذلك لم أفوضهم في الصلح ، وإنما رأيت من حسن معاملتهم لي وإقبالهم عليّ ما أطمعني في قبولهم إياه »

ولسكنه عادر سرايايا إلى بنجر ماسين قبل أن يكمل عمله ويبلغ غرضه ، فأنحل مشروعته ، وذهبت جهوده جفاء .

وحاول الصلح بين الحزبين صاحب المنار عصم العلامة السيد محمد رسيد رضا والعلامة الشيخ أحمد الظواهري شيخ الأزهر الشريف ، ومهتت الرابطة الشرقي بمصر للصلح بينهم ، فكتبت لكل من الزعيمين الشيخ أحمد السوركتي والسيد إبراهيم السقايف لينوبا عنها في العمل لنسوية الخلاف والنزاع ولدعوة الحضارم إلى الاتحا والوفاق ، ولكن ذهبت تلك المساعي الشريفة أدراج الرياح .

سيد العرب

يدعو الإرشاديين والعلويين للصلح

وتألم صاحب الجلالة الملك عبد العزيز آل سعود ملك الحجاز ونجد مما حلّ
بالخضارم في إندونيسيا من التخاصم والتنازع ، ففضل جلالاته وبعث كلماته الغالية
لبعض زعماء الحزبين يدعوهم بها إلى تسوية الخلاف ، وإلى الوفاق والوئام .
وقد أرسل السيد إبراهيم السقاف كتابين لكل من جمعية الإرشاد والرابطة العلوية ،
وهذا نصّ كتابه لجمعية الإرشاد :

الحمد لله

من سنغافورا إلى بتاوى ٢٨ ربيع الأول سنة ١٣٥٢ و ٢١ جولى سنة ١٩٣٣
إلى الهيئة المركزية العليا لجمعية الإرشاد والإصلاح ، وفقها الله وإيانا لما فيه الخير
والفلاح ، بعد السلام عليكم ورحمة الله وبركاته ، أتقدم لحضرتكم بما يأتى :
لقد تشرفت باستلام ثلاثة كتب من جلالة الملك المعظم عبد العزيز بن سعود
وفقه الله، كلها استحضات وتحريض على السعى فى إزالة الخلاف بين العلويين والإرشاديين
وأيساً كتب لى سمو السلطان الغيور على قومه على بن منصور الكثيرى مراراً فى
هذا الصدد ، وناشدنى الله فى ذلك وقد علمت أيضاً أن جلالة الملك المعظم عبد العزيز
ابن سعود كتب لبعض زعماء الفريقين بالنصح بتسوية الخلاف والاتفاق ، ولما بلغنى
أن هناك مساعى لذلك عندئذ سررت وبقيت منتظراً نتيجة مثمرة لها ، لأن القصد
الوصول إلى تسوية الخلاف ، والصلح بأى واسطة كانت ، ومع أنى علمت مع الأسف
عدم ثمره تلك المساعى رأيت التريث ، وقلت: عسى أن يوصل ما انقطع من مراسلات
أو تجدد مفاوضات ، ولما لم يظهر شىء إلى اليوم تقدمت إليكم بما أنتظر منه نتيجة عملية

إن كانت هي دون المراد وهو الصلح التام ، إلا أنها ستكون إذا أتمرت بحسن النية خير مما يهدله
إن شاء الله ، وهو عقد هدنة بين العلويين والإرشاديين بموجب الشروط المذكورة أدناه
وسيكون لقبولكم ذلك صدى حسن لدعوة جلالة الملك المعظم عبد العزيز الذي سيرى
أننا لم نصم آذاتنا عن ندائه الأبوي الكريم ، الذي ما أراد به إلا خيراً كبيراً للفريقين ،
وقد كتبت بمثل هذا للرابطة العلوية الجليلة وفي انتظار جوابكم وجوابها ، أرجو الله أن
يوفقكم جميعاً لما يحبه ويرضاه ، ويرعاكم

تعقد هدنة لمدة سنتين بين العلويين والإرشاديين على الشروط الحسنة الآتية :

كفّ الفريقين عن المناقبة في الجرائد والمجتمعات .

مقاطعة كل من يلجأ إلى ذلك .

يجب أن تكون المناقشة إذا وجد ما يستدعيها بين الطرفين سيما في الصحف
باللطف والأدب سيما نحو الزعماء .

ما وقع من أمور وصلت إلى الحاكم أو الحكومات ينبغي أن لا يزيد التشويش
بشأنها ، ويترك لتلك الحاكم أو الحكومات معالجتها والتصرف فيها .

في أثناء هذه الهدنة يعمل الفريقان على الوصول إلى الصلح بينهما أو التحكيم في
الخلاف إن لم يتوصلا إلى اتفاق .

المخلص

إبراهيم السقاف

وكتبت جمعية الإرشاد لحضرتة كتاباً هذا نصه :

حضرة الفاضل السيد إبراهيم السقاف المحترم ، دام عزه

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته ، كتابكم المؤرخ ٢٨ ربيع الأول سنة ١٣٥٢

وصل وقرأناه بتأمل .

قد وصل كما سمعتم من جلالة الملك ابن السعود كتب لزعماء الفريقين ، وقد اجتمع
الإرشاديون وعينوا للمفاوضة في الصلح تقيب العرب يتاوى السيد حسن بن صالح
عرقبي ، وبالفعل فاوض المذكور كبار رجال الرابطة ، فرفضوا تدخله في الأمر بحجة

أنكم أتم والسيد محمد رشيد رضا في المفاوضات في ذلك ، فسكتنا لعلنا بما تحت ذلك
الرفض من الغرض الأساسي ،

فياحضرة السيد إذا كان المقصود حقيقة هو الصلح ، فتلك الشروط التي صرقت
في تحريرها سنتين كاملتين أتم والأستاذ أحمد السوركتي مع المفوضين من الجهتين هي
الشروط العادلة التي لا يتم الصلح على أقل منها ، وهي الشروط التي رضى بها الفريقان
وأمضوا عليها ثم مرتموها بابتدائية وانهائية ومفسرة ومجملّة وغير ذلك من الألفاظ التي
لا قيمة لها عند الحقيقة ، وهي تتضمن ما اقترحوه في ذيل كتابكم هذا ، فإن كان لك
تعوذ في قومك فما عليك إلا أن تمنعهم لتنفيذها فهي أصلح لهم ، وينتهي الأمر بسلام ،
وبدون حاجة إلى ضجيج جديد ، وإن كان المقصود هو الخداعة والتظاهر عند أحزاب
المسلمين الذين لا يعرفون حقائق أمورنا في الخارج بأنكم تدعون الصلح دون الإرشاديين
وإنكم تحبون الإصلاح ، وأنكم ، وأنكم ، فهذا الأساس أحقر من أن نصيب أوفاتنا في الأخذ
والردّ عليه ، وأسخف من أن يجعل مطية الانتصار على قوم يمشون على مبادئ راسخة
وأقدام ثابتة ، لا يهههم سوى إرضاء الله ثم إرضاء ضمائرهم بأداء ما يروونه واجباً عليهم .
وأما جمعية الإصلاح والإرشاد فهي لا تزال مهادنة من يوم إصابتها على شروط
الصلح ، ولم تسحب إمضاءها إلى الآن ، وهي مستعدة على المصافحة على الصلح على أساس
تلك الشروط مرة أخرى ، هذا جواب ما فهمنا من كتابكم .

وأما قواكم : ما وقع من أمور وصلت إلى الحاكم والحكومات بنبغي ألا يزيد
التشويش بشأنها ، ويترك لتلك الحاكم والحكومات ومعالجتها والتصرف فيها ، فلم نفهم
المقصود منه ، هذا ما لزم ، ولكم منا جزيل الشكر في سعيكم ودمتم والسلام .

السكرتير العام

بدر بن سالم بن تبيع

وعده السيد إبراهيم السقاف رد الجمعية له شديداً في لهجته الأمر الذي جعله ينسحب
من مشروع الصلح ويعتزل التدخل بين الحزبين .

« سيد » دائرة العلويين ، وذاع عند غير هؤلاء ، وأصبح الإرشاديون يستعملون لقب « سيد » لكل شخص بقطع النظر عن جنسه ودينه ولونه .

حالتهم الأدبية

كان من نتائج النزاع والخلاف بين العرب أن وجد التنافس في الإرشاديين والعلويين في إنشاء المدارس ونشر التعليم ، وكانت الحماسة ظاهرة بارزة في الإرشاديين ، ولذلك فعدد مدارسهم أضعاف مدارس العلويين ، فهي تبلغ نحو الثلاثين مدرسة في جاوه وسومطرا وغيرها من جزائر إندونيسيا ، ولقد حاول كل من الحزبين ضمّ الجاويين إليهم لتقوية مركزهم ، وتثبيت أقدامهم ، وتوسيع نطاق دعوتهم ، فلم ينجحوا كثيراً ، ولكن الظروف ساعدت مدارس الإرشاد في رسالتها للمسلمين ، فقد أنشأ جماعة من الأندونيسيين الجمعية الحمديّة في مدينة جكجا كرتا ، وانتشرت مدارسها بسرعة عظيمة جداً في كلّ جزائر إندونيسيا ، ومبدأ هذه الجمعية يتفق ومبدأ الإرشاد من نواحٍ جمة ، فهي تنكر التوسل بالقبور والأحجار والأشجار والعزائم والتمايم ، وزادت العلاقات توطيداً بين الإرشاد والحمديّة تخرج أفراد من الأندونيسيين من مدارس الإرشاد وقيامهم بمهنة الوعظ والإرشاد في الهيئات الحمديّة .

وشعر العرب بحاجة البنت إلى التعلم ، وكانوا قبل ظهور الإرساد يحرمون عليها طلب العلم ، لذلك بعثوا بيناتهم إلى المدارس العربية يتعلمن مع البنين جنباً لجنب ، وأصبحت كثيرات منهن يتكلمن بالعربي ، ولو أن الجوّ العائليّ عربيّ لبرزت في اللغة العربية ، ولكن الأمهات يجهلن العربيّ كلّ الجهل ، ولا يتكلمن سوى باللغة الجاوية^(١) فالبنت بمجرد عودتها من المدرسة إلى البيت تخاطب من حولها من أعضاء العائلة بالجاوية.

(١) لا يوجد فيما أعلم حصريّ آني بزوجه من حصرموت إلى جاوه ، فكلّ النساء العربيات ولدت في إندونيسيا ، فالعصر يحدر من الدم العربي والجاوي .

وأنتأ العرب نحو ثلاث مدارس للبنات في بنافيا وفكلوغن وسرابايا ، ولكنها لم تأخذ حظها من البروز والرواج لعدم وجود مدرّسات قديرات ، أما مدارس البنين فقد استطاعت أن تؤدّي بعض واجبها نحو الشباب من الناحية الدينية والأدبية ، وقد تخرّج منها وبالأخص من مدارس الإرشاد أفراد كثيرون ، أمثال السادة : عمر هبيص وعمر ناجي ، وعلى هرهرة ، ومحمد منبف الهدى ، وحسين بامشموس ، وعبد الله العطاس ، وحسين السكري ، وسلطان بن تبيع ، وسعيد بن طالب ، وعوض البرقي وزين باوزير ، وعبد الحميد التميمي وعبد الله ناجري وحسن عرقبي وطاهر عرقبي وغيرهم ، ويقوم أكثر هؤلاء المتخرّجين بمهنة التدريس ، وتمنح لهم المدارس مرتبات قد تبلغ ٢٠٠ مائتي روبية ، أي عشرين جنيهاً تقريباً في الشهر .

وجميع المدارس العربية أهلية ، وليس للحكومة الهولندية أيّ دخل فيها ، وهي تبيّس على حساب تبرّعات المحسنين من العرب .

أما العلوم التي تدرس فيها ، فلا يتجاوز أكثرها حدود المقرر في المدارس الابتدائية المصرية ، وتسود المدارس الروح الدينية في جميع مظاهرها ، والخشوع في مساهج التعليم مرهق ، فالتلاميذ يدرسون كتباً مطوّلة في الفقه والتفسير والتوحيد قد يدرسها طلاب الشهادة العالمية في الأزهر بمصر ، ولذا فأولئك التلاميذ يدرسون تلك الكتب دون أن يفهموها تمام الفهم ، وبتنهون منها على لا شيء ، اللهم إلا فباله علاقة بالصادات فإهم يفهمونه فهماً لأناس به ، وذلك لأن تلك الكتب الدينية فوق مستوى عقول التلامذة ، ولعلّ المدرّسين مدفوعون إلى ذلك لإرضاء آباء التلاميذ الذين سرّ كلّ مهم السرور العظيم حينما يعلم أن ابنه يدرس كتاب أيّ شجاع ، أو تفسير الجلالين ، أو مصطلح الحديث ، وما إلى ذلك من العلوم الدينية ، ولكن المؤرّخ لا يجد بدءاً من إلقاء المسؤولية على أولئك المدرّسين فقط ، لأن الآباء مجهولون العربية تمام الجهل .

والمتخرّج من المدارس العربية لا يستطيع الالتحاق بمدارس الحكومة الهولندية لتتبع الدراسة العالية لاختلاف المنهج ، فصيبه مفلّوج ، ومستفله متوقف على مهنة التدريس أكثر من غيرها .

ولقد شعر كثير من العرب بصعف مدارسهم وبمخافتها إلى علوم حديثة ونظم
عصرية تخلق الناشئين خلقاً حديداً ، وتدفعهم إلى ميدان الحياة ، فجلبت جمعية الإرشاد
مدرسين من مصر بمراتب ضخمة ، ولكن كانت بفاقة هؤلاء دينية فلم يخلقوا شيئاً
جديداً في المدارس ، ولم يدخلوا على المناهج نظاماً يجعلها تسير من حسن إلى أحسن ،
وكانت النتيجة فصلهم من مدارس الإرشاد .

وظهر أفراد في القوم نادوا بإصلاح المدارس وترقية التعليم وإرسال بعثات علمية
إلى الخارج ، وقد كانت للبعثات التي اكتنتها في « الدهماء » و « الهدى » أركيز .

وفي سنة ١٩٣١ تكوّنت في مدينة سرابنا لجنة لإرسال البعثات العلمية إلى مصر



فرقي من الطلبة المحصارمة بمصر أثناء احتفالهم بالسيدي عثمان محمد العمودي من أركان المهصة الإرشادية نحوهم
وعلى يمينه أحد النصار المحضارم بمكة وعلى يساره مصري من كبار النصار

كان من أكبر القائمين فيها السادة : عوض شحبل ، ومحمد عبود العمودي ، وعايظ التميمي ، وامستطاعت اللجنة بما بذلته من الجهود أن ترسل إلى مصر سنة ١٩٣١ بعثة مكونة من ستة أعضاء ، ثم تواترت البعثات العلمية إلى مصر ، وقد بلغ عدد الطلبة الحضارم في مصر اليوم نحو ٤٠ وجميع هؤلاء الطلبة على حساب آبائهم .

واتجه فريق من الحضارم إلى المدارس الهولندية ، فألحقوا أبناءهم بها ، وهؤلاء هم الذين يستطيعون مواصلة الدراسة العالبة ، ونهض السيد عوض شحبل في مدينة صولو فأنشأ مدرسة ابتدائية عربية هولندية تحت رفاة وزارة المعارف ، وبمساعدها وهي الأولى من نوعها في المدارس العربية حيث تستطيع خريجوها الالتحاق بمدارس الحكومة الثانوية والعالبة .



ويوجد للعرب اليوم نحو عشرة نوادٍ لإلقاء المحاضرات . وعقد الاجتماعات فيها ،
وأكبر هذه النوادي داراً ، وأوسعها نطاقاً ، وأشهرها عملاً نادي الإرشاد بسرانيا ، ثم
نادي العرب بستافورا .

أما الصحف فقد ظهرت لهم نحو ٢٠ صحيفة أسبوعية وسهرية^(١) ، ولكن لم
يطل عمر كل منها حيث توقفت عن الصدور لاهلة المنتركين فيها ، وعدم تنشيط الحميات
لها مع أن كثيراً من الحصارم مشتركون في الصحف المصرية والأجنبية .
وللشباب الحضرمي ولع بالرياضة ، فقد أنشأ جمعيات ووادى رياضية ، وقد تكون
للحضرمي القلعة على غيره حينما ينزل في ميادين المباراة ، وتعلم الكشافة منشرفي
المدارس العربية لاسيما في مدارس الإرتداد .



كسائه ووع الإرشاد سرانيا

(١) منها : حرموت ، الإرشاد ، الإقبال ، السيرة ، الرابطة العلوية ، الهبة الحضرمية ،
النساء ، الأحقاف ، بروودور ، الهدى .

الوحدة العربية الحضرية

في سنة ١٩٢٩ تكوّنت لجنة من ذوى الرأى من العرب فى مدينة سرايا تحت رئاسة السيد محمد عبد الله العمودى لتوحيد الأحزاب العربية وتوجيهها كتلة واحدة إلى غرض سام يكون من ورائه حياة سعيدة للعرب ومستقبل منير .

تألم السيد العمودى وأعوانه أعضاء اللجنة مما حلّ بالحصار من التخاصم والتشاحن والتفرق والتشتت والتدهور والانحلال ، وصعب عليهم أن يبقى العرب أحزاباً متنافرة ، وجماعات متقاطعة ، سنب كان فيما مضى عزيز الجانب ، قوى الشكيمة ، لا يهضم له حق ، ولا يتعدى عليه عاتٍ ، كان رفيع الشأن على المقام ، فأسى بسبب الجهالة الضاربة أطناسها فى كلّ نواحيه ، والناشبة أنياسها فى كلّ أجزاءه ، لا يقام له وزن ، ولا يرفع له ذكر . أرسلوا نداءهم إلى كلّ الحصارم للدعوة لتكوين وحدة عربية ، وأخذوا يجوبون البلاد ، ويجتمعون بالزعماء ، وفادة الأحزاب لتأليف القلوب ، وتوحيد الصفوف ، لتعود للحضارم شوكتهم ، ويحيى محدهم . كان من أهمّ أغراض الوحدة العربية المطالبة بحقوق العرب فى مجلس العموم [فولكس راد] ، وفى مجالس التمرى والمديريات ، وتأسيس الشركات التجارية ، وترقية المدارس العربية ، وإنشاء النوادى الرياضية ، واستطاع دعاة الوحدة أن يؤثروا فى القوم ، ويستميلوهم لتلبية نداءهم حول مشروعهم الجليل ، فاندفعت كلّ الأحزاب لإنشاء الوحدة العربية ما عدا الرابطة العلوية ، فقد فصلت البقاء بمنزل عن تلك الحركة الجديدة ، وقد أقيم فى سرايا مؤتمر كبير هو الأول من نوعه ، فقد اشتركت فيه الجمعيات والأحزاب على اختلاف مشاربها ، واحتشدت لحضور المؤتمر الجموع الزاخرة من أرجاء جاوه ، وتكوّنت الوحدة المنشودة ، وتدفق إليها المال من كل جانب ، وقد اشترأت الأعناق بعدئذ ، واتجهت الأنظار إلى الأعمال التى سيقوم بها السيد العمودى ورجاله ، وإلى الحمار الشهيبة التى

سيجنيا العرب من الوحدة العربية ، ولكن حادثاً حلّ بدعاة الوحدة فجأة ، ودبّ إليهم الخلاف والانشقاق ، وأمسى السيد محمد العمودي قائد الوحدة غير مرضى في تصرفاته ولا مقبول في اتجاهاته حتى من أعوانه الأقربين ، وكانت النتيجة أن تلاشت الوحدة العربية ، ولم يمض لها غير سنة و بضعة شهور ، فتألم العرب لذلك أشد الألم ، وأذرفت عيون المخلصين من الدمع مدراراً ، وقد اضطرت جمعية الإصلاح والإرشاد التي بذت للوحدة كل مرتخص وثمين إلى إعلان الانسحاب والانفصال عنها في مؤتمرها المنعقد سنة ١٣٤١ ليأسها من إصلاحها وضياع الآمال في هداية دعائها .

مهضة المواليد

ومن الحوادث الجديرة بالذكر حركة مواليد العرب في أندونيسيا ، وبالأخص في جاوه ، وقيامهم بدأً واحدة لتكوين وحدة خاصة بهم ، وأهم الأسباب التي دفعتهم إلى ذلك ثلاثة :

أولاً عجز المدارس العربية عن تكوين ناشئة متقفة ثقيفاً عالياً .

ثانياً : النزاع والخلاف القائم بين العالوين والإرشاديين ، والذي طال أمده ، وامتدّ عمره ، وأضاع من أوقاتهم جزءاً كبيراً كان يجب أن يقضى فيما هو أنفع للناشئين وأصلح لمستقبلهم .

ثالثاً : شعور أولئك المواليد بالعجز عن مجاراة مواليد الصينيين والهولنديين في مرافق الحياة ومشاركتهم في الحقوق السياسية والاقتصادية التي يتمتع بها هؤلاء ويحرم منها أولئك لجهالتهم .

نهض مواليد العرب مدفوعين بتلك العوامل وأنشؤا لهم وحدة [P.A.I] في بتافيا ، وأقيمت فروع لها في كثير من بلاد جاوه .

وأهم الأغراض التي ترمى إليها وحدة المواليد هي :

أولاً : المطالبة بنصيبهم من الحقوق السياسية والمدنية التي يتمتع بها مواليد الجاليات الأخرى .

ثانياً : إنشاء مدارس هولندية عربية ليستطيع الناشئون مواصلة الدراسة العالية في مدارس الحكومة وليكونوا في مستوى غيرهم من الشباب المثقف ، وقد أنشوا مدرسة هولندية عربية [H.A.I] في سرايا خاضعة لوزارة المعارف العمومية .

ثالثاً : توطيد العلاقات وتقوية الصلات بين العرب وبين غيرهم من سكان أندونيسيا ، وبالأخص الأندونيسيين ، وقد أصدرت الوحدة لذلك مجلة بالملايو تستطيع تفهم غير العرب بأغراضها السامية .

وإنشاء وحدة المواليد العرسة اتحاد كثير من أبناء الحزبين المتخاصمين ، وتألفت قلوبهم ، واجتمعت كلمتهم ، وتكاتفوا وناصروا على العمل للمصلحة العامة ، عاضين النظر عن الخلاف القائم بين آباءهم من الإرشاديين والعلويين ، وليس من شك أن استمرار هؤلاء المواليد على هذه الخطة يقضي تدرجياً على النزاع القائم بين الحزبين ، ويوحد صفوف العرب ، ويزرع في قلوب الناشئين حب التآلف والإخاء والوثام .

محمد الله تعالى تمّ طبع الجزء الثاني من [تاريخ حضرموت السياسي] مصححاً
بحرفتي مع مراجعة المؤلف م

أحمد سعد علي

أحد علماء الأزهر ورئيس لجنة التصحيح

[القاهرة في يوم الخميس ٧ ذو الحجة سنة ١٣٥٥ هـ ، الموافق ١٨ فبراير

سنة ١٩٣٧ م .]

مدير المطبعة

ملاحظ المطبعة

رستم مصطفى الحلبي

محمد أمين عمران

أهم مصادر الكتاب (الكتب المطبوعة)

- «القضاة» للكندى .
- «الأعاني» للأصفهاني .
- «العرب قبل الإسلام» ، لجرجى ريدان .
- «صفة جزيرة العرب» ، للهمداني .
- «العبر وديوان المبتدأ والخبر» ، لابن خلدون ٧ أجزاء .
- «التيجان في ملوك حمير» ، للحميري .
- «بلوغ الأرب في مآثر العرب» .
- «هداية الزمن ، في أخبار ملوك لحج وعدن» ، الأمير أحمد العبدلي .
- «العقود اللؤلؤية ، في تاريخ الدولة الرسولية باليمن» .
- «ذكر المدن والأقطار» .

(الكتب المصوّرة تصويراً شمسيّاً)

- «قلائد النحر» ، في وفيات أعيان الدهر» ، لابن مخزوم ٣ أجزاء .
- «السلوك» ، في طبقات العلماء والملوك» ، للجدى ٣ أجزاء .
- «مختصر العجائب والفرائب» .

(الكتب المخطوطة)

- «اللطائف السنية» ، في أخبار الممالك النيسة» للكسي .
- «أنباء الزمن» ، في تاريخ اليمن»
- «خلاصة السيرة الجامعة» ، لعجائب أخبار ملوك التبابعة» .
- «مواسم الأدب» ، وآثار العجم والعرب» ٣ أجزاء .
- «البداية والنهاية في التاريخ» ٥ أجزاء .

«السنة الباهر ، بتكميل النور السافر ، في أخبار القرن العاشر .»

« مصجم ما استعجم »

« قلائد الجمان ، في التعريف بقبائل عرب الزمان . »

(الكتب الإنجليزية)

- 1 - D. Van Der Meulen ، H. Van Wissmnn, Hadramaut.
- 2 - O. H. Little, The Geography And Geology of Makalla.
- 3 - Bertram Thomas, Arabia Felix.

(الكتب الفرنسية)

- 4 - Guillaïn, Documents Sur L'histoire La Geographie Et Le Commercial de L'afrique Orientale.
- 5 - Norman, Manuel de L'histoire Ancienne de L'orient.
- 6 - L. W. G. Van Den Berg, Le Hadhramout Et Colonies Arabes.

الصحف : (العربية)

« الدهناء » .	« الإرشاد » .
« الهدى » .	« الإقبال »
مجلة « الشفاء » .	« حضرموت » .
مجلة « المنار » (مصر) .	« الأحقاف » .

(الجاوية)

- 1 - « Simpo »
 - 2 - « Bintang Timoer »
-

فهرس

صفحة	صفحة
٣١ مقتل يافع	٤ الخلاف بين القعيطى والكسادى
٣٢ الخلاف بين آل باهبرى و بين الخنايشة	٦ استفحال الفتنة من جديد
٣٤ آل محمد بن سعيد العمودى و امتيازاتهم	٧ وقعة التضخم المشهورة
٣٥ أمير تريم	٨ تدخل الإنجليز بين القعيطى والكسادى
٣٥ توسط السلطان غالب بالصلح بين يافع و إمام اليمن	٩ تألم أهل المكلا لفرار أميرهم
٣٧ معاهدة عدن	١٠ الحالة السياسية فى عهد السلطان عوض
٤٢ رفض آل كثير المعاهدة	١١ احتلال دوعن
٤٤ وفاة السلطان غالب القعيطى اليافعى	١٧ التجاء الدوعنيين إلى حكومة القعيطى
٤٦ هين	١٨ زحف يافع على دوعن
٤٧ حرب العصابات فى دوعن	٢٠ احتلال حجر
٤٨ حادثة الدير	٢٢ الخلاف بين أعضاء البيت المالک
٤٩ حرب الغرقة	٢٤ الحالة السياسية فى عهد السلطان عوض
٥٣ مشاغبات الحوم	٢٤ ازدهار التجارة فى عهده
٥٤ جمعية الحق	٢٤ طرق الفوافل
٥٦ مؤتمر سنقافوره	٢٧ وفاة السلطان عوض
[بلاغ الحكومتين اليافعية والكثيرية الرسمى وخطاب السلاطين ، قرارات المؤتمر ، و بلاغ السلطان عمر برفضها]	٢٨ السلطان غالب القعيطى اليافعى
	٢٩ مدينة ساه
	٢٩ مقتل الحوم
	٣١ احتلال وادى الأيسر

صفحة		صفحة	
١٠٥	توضيح	٧٦	وفاة السيد حسين حامد المحضار
١٠٦	الناهيل	٧٧	مشاغبات الحوم
١٠٧	الحوم	٧٧	وفاة السلطان منصور الكثيرى
١٠٧	ابن مخاشن	٧٨	عزل المحضار من الوزارة
١٠٧	الدين	٧٩	وفاة السلطان عمر القعيطى
١٠٨	الصيبر	٨٠	السلطان صالح القعيطى
١١٠	المعارة	٨٤	نظام الحكم
١١٠	الحياة فى البوادي	٨٧	الايرادات
١١٤	الحالة الاجتماعية فى الخواضر	٨٨	الحكومة الكثيرة ونظام حكمها
١١٥	حملة السلاح	٨٩	الرئاسات المستقلة
١١٦	التجار	٨٩	نهد
١١٧	الزراع	٩١	سيحوت
١١٧	الروحانيون	٩٤	وادي عمد
١١٨	آل باعلوى	٩٤	قبائل عمد
١١٩	الحرافات	٩٦	مدينة قسَم [سوم ، فئمة]
١٢٢	هندسة المبانى	٩٨	آل تميم
١٢٨	الجو	٩٩	رخية
١٢٨	للرأة	٩٩	العوامر
١٢٩	الملبس	٩٩	آل جابر
١٣٠	الزراعة	١٠٠	آل باجرى
١٣٤	التجارة	١٠٠	بن سيف
١٣٦	تجارة الرقيق	١٠١	سيبان
١٣٦	الصناعة	١٠٢	كورسيان
١٣٧	المواصلات	١٠٣	وادي يبعث

صفحة	صفحة
١٧٧	١٣٣٨
محمد بن شيخ المساوي	وصف شامل المدن الساحلية ومواصلاتها
١٧٧	١٤٠
أحمد بن عوض بافضل	غيل باوزير
١٧٨	١٤١
محمد بن حسن بن شهاب	الشحر
١٧٩	١٤٢
عبد الله بلخير	وصف شامل للمواصلات بين الثغرين
١٨٢	والسهول المنخفضة الداخلية (من المكلا
صالح بن علي الحامد	إلى دوعن) .
١٨٧	١٤٥
علي أحمد با كثير	من دوعن إلى المشهد
١٩٢	١٥١
النثر	من المشهد إلى شبام
١٩٣	١٥٥
اللغة العامية	من شبام إلى سيون
١٩٤	١٥٧
عمر بن محمد باعطوة	من سيون إلى تريم
١٩٥	١٥٨
أبو بكر بن شهاب	من تريم إلى قبر هود
١٩٦	١٦٠
علي أبو زيد القانص	من قبر هود إلى سيحوت
١٩٧	١٦٠
الأغاني الشعبية	من الشحر إلى تريم
١٩٩	١٦٢
الرقص	من ميفع إلى الصدارة
٢٠١	١٦٤
ظفار	من الصدارة إلى وادي عمد
٢٠٩	١٦٥
القريون : أصلهم وأوصافهم وعاداتهم	المعارف
٢١٨	١٦٦
هجرة الحضارم إلى الخارج	الأدب الحضرمي
هجرتهم إلى الأندلس	١٦٩
٢٢٠	ابن عقبة الحضرمي الشبامى
هجرتهم إلى مصر	١٧٠
٢٢٠	عبد الصمد بن عبد الله با كثير
القاضي يونس بن عطية الحضرمي	١٧٢
٢٢١	أحمد بن عمر باذيب الشبامى
القاضي أوس بن عبد الله الحضرمي	١٧٣
٢٢١	أبو بكر بن شهاب
القاضي يحيى بن ميمون الحضرمي	١٧٤
٢٢٢	علي بن محمد الحبشى
القاضي توبة بن نمر الحضرمي	١٧٥
٢٢٤	محمد بن محمد با كثير
القاضي حص بن الوليد الحضرمي	١٧٦
٢٢٧	عيدروس بن سالم السقاف

	صفحة
المؤتمدية ضد الإرشاديين	٢٢٩ القاضي غوث بن سليمان الحضرمي
٢٨٤ مساعيهم لدى الإنجليز	٢٣٠ القاضي يزيد بن عبد الملك الحضرمي
٢٨٥ بلاغ رسمي	٢٣١ القاضي عبد الله بن طيبة الحضرمي
٢٨٧ مساعيهم لدى حكومة الحجاز	٢٣٢ القاضي طيبة بن عيسى الحضرمي
٢٨٨ تأثير مساعيهم على الحضار وزير	٢٣٤ هجرة الحضارم إلى اليمن
حكومة حضرموت	٢٣٥ هجرتهم إلى الحجاز
٢٨٩ عريضة فرع الإرشاد بسرابايا للحكومة	٢٣٦ هجرتهم إلى شمال أفريقيا
القميضية	٢٣٨ هجرتهم إلى زنجبار
٣٠٠ كتاب جمعية الإرشاد المركزية	٢٣٩ هجرتهم إلى الهند
للتفصل الإنجليزي	٢٤٠ هجرتهم إلى أندونيسيا
٣٠٣ جاء الحق وزهق الباطل	٢٤٢ حالتهم العلمية
٣٠٤ البلاغ المنسوب إلى الحكومة القميضية	٢٤٤ فتوى الشيخ عمر العطاس
٣٠٧ عريضة الإرشاد للوزارة الإنجليزية	٢٤٧ رد الشيخ محمد رشيد رضا
الخارجية	٢٥٤ الشيخ أحمد السوركتي زعيم النهضة
٣٢٠ أسطورة منسوبة إلى جمعية الإرشاد	الدينية بجواه
٣٢٠ براءة جمعية الإصلاح والإرشاد العربي	٢٥٦ بدء ثور العلويين من الشيخ أحمد
٣٢١ مساعي الشيخ محمد المحضار ضد الإرشاد	السوركتي
٣٢٥ اتساع نطاق دعوة الإرشاد	٢٥٧ جمعية الإصلاح والإرشاد وفانونها
٣٢٧ الرابطة العلوية	الأساسي
٣٣٥ المعارك الدموية بين الحزبين	٢٦٢ بيان الشيخ أحمد السوركتي
٣٣٦ مساعي الصالح بين الإرشاديين والعلويين	٢٧٣ السعي لتوحيد صفوف العرب
٣٤٢ لقب « سيد »	٢٧٤ لأئحة لجنة الإصلاح بيتاوى
٣٤٣ حالتهم الأدبية	٢٧٩ كتاب مفتوح
٣٤٨ الوحدة العربية الحضرمية	٢٨١ محاولة ابن عاتدين الصالح بين
٣٤٩ مهضة المواليد	الإرشاديين وآل باعلوى
٣٥١ أهم مصادر الكتاب « تمت »	٢٨٤ مساعي العلويين لدى الحكومة